

جان بول سارتر

مواقف  
٤

# فضايا الماركسية

جہان پوئل تارتر

مواقف  
۴

# فضایا المارکسہ

ترجمہ : جورج طرابیشی

## صورة المفامر

أقبل بسرور ان أضيف بضع كلمات الى دراسة اسطفان المرموقة حول المفامر . لا لأقرطها أو لأوصي بها القراء ؛ فهي توصي بنفسها من تلقاء نفسها . لقد كانت فكرة بارعة من اسطفان ان يقرب بين هذه الاسماء الثلاثة وهذه الطيور الثلاثة . وسوف يحكم القارئ ، إذا كان هذا التقريب مشرفاً . كما لا أود أن اعلق عليها او ان اجازف باكلامها ؛ فأنا اعشى ان أسقط في الاسهاب والحشو نظراً الى غنى السكرام ووضوحها . إن ما يفرضه بالأحرى هو ان أسلط الضوء على موازنة مضمرة باستمرار في هذا الكتاب شاء تخالفت اسطفان ألا يفتح اليها إلا تقيحاً خاطئاً .

ارت الفكر ليلتل بكل منا ونحن نطالع صورة المفامر هذه ( وكنت افضل : صورة رجل العمل ) الى تقيحه ، المناضل . بل يبدو انه يكفي أن نعكس ما يقوله اسطفان حتى نكون فكرة لا بأس بها عن الشيوعي الوسطي . بيد ان المفامر والمناضل لا يتعارضان كمنحصر مفهومين مجردين . فهما رجلان حيان يتواجهان ، يتعارفان ، يعترف كل منهما بالآخر ، تارة يتحالفان وطوراً يتحاربان . ويؤدي لمرحاحول ، كما لو التي اكتب فصل الحتام ، أن أسلط الضوء على بعض العلاقات المعقدة التي تجمع بينهما ، اي ان أعرض وأشرح بعضاً من الأفكار التي أوصى لي بها اسطفان .

\* \* \*

ان التنازل يرحي الينا بالزبد من الثقة كلما يسدا دخوله الى الحزب أشد  
ضرورة . وأنا لا أفكر هنا بالكلام عن تلك الضرورة الداخلية ، المشبوهة  
دوماً التي تولد من الصراعات الباطنية ومن العقد والصبوات الأخلاقية ، وبصورة  
اعم بما يسمى به « الأسباب الشخصية » . بل المرجو ، على العكس ، ان يكون  
التنازل قد أمكت اسباب لاشخصية كالجموع ، على سبيل المثال ، الذي هو حالة  
جامعة بين الجميع ، او الحزب او الغضب الذين يفترسان الجموع النقل : وباعتصار  
ان يكون ايضاً طبيعة ومحركاً من قبيل القوى الطبيعية الكبرى التي تسير  
الحيوانات البدائية وتتحكم بها بطريقة او بأخرى ، من غير ان تكون بحاجة إلى  
امتلاك جهاز عصبي . ان الغضب والخوف والجموع لا تفكر لتخلق شخصاً ،  
وهذا ما يعني ان يكون . ذلك انه ليس من الصحيح ان المطلوب منك أن  
تتنازل عن « أنك » : فكثير بالأصل ان تكون لديك « انا » لتتنازل عنها .  
ان الانتماء إلى الحزب يجب ان يتجاوب بدقة مع الدخول إلى المكونات الانسانية .  
والحزب لا يحددك من « أنك » بل يهبك ايها . اقول ذلك بلا سخرية : انه لمن  
المتعذب ان يكتشف الانسان نفسه في عيون الآخرين الأخوية . ان المنازلة  
الجديدة لن يكون موضوع نقود ميداني ولا هيام غير متبصر .

قبل كل شيء سيخبرك به الحزبيون على انه نداء لهم ، ابي عضو في الحزب :  
انها عملية تكريس . وفيه يتحول الحزب إلى ذاته كما هو شأنه في سائر الآخرين .  
وطالما انه مخلوق الحزب ، فهو سيوجد الحزب ايضاً فعب . وسيكون الحزب  
وسيطاً ضرورياً بينه وبين اقرب اصدقائه الى نفسه . قيل لشاب شيوعي :  
« خذ زوجتك من الحزب . فبذلك لن تضيع وقتاً » . انه ليس وحيداً قط  
لأنه يأتي إلى ذاته بدءاً من الجميع . انه ليس عمقاً ولا سراً . انهم يحرمون عليه  
أبسط العقد وأكثرها تواضعاً : انهم يؤسونه في نظر نفسه بالذات بواسطة  
معطيات موضوعية صرف ، وبفسروته بطبقته ، بالظروف التاريخية . وهو  
يرى نفسه من الداخل كما يرونه من الخارج : لا ادراج سريرة ولا خزان ذات  
قاعين . وإذا كان لا يتكلم عن نفسه بضمير الغائب فهذا من قبيل الاستسهال .

بيد ان وجوده ليس وجود تجريد محض : انه يتعرف نفسه عضواً في الطبقة والحزب اللذين يصنعان التاريخ ، ويعلم انه مهدد بهيات واضحة وبأمل كبير ، ويعرف ايضاً قلبه الذي يتغذى بالحقد والصداقة . وفيها عدا ذلك سيتميز بأفعاله . لكن هذا لا يعني ان المطلوب منه « أن يخلق من ذاته ... ذلك الكائن الذي لا يمكن لأي كائن آخر ان يكون بديلاً عنه » . فالحزب لا حاجة له إلى كائنات لا يمكن ان يكون لها بديل . ان المناضل يقف في منتصف الطريق بين الكائن الذي ليس له من بديل وبين الكائن الذي يمكن استبداله بغيره : انه يستخدم « هذا كل شيء » . في عام ١٩٣٥ كان بوليتزر<sup>(١)</sup> يعمل عالم يمكن بوسع اي انسان آخر ان يعمل : كان يعمل في علم النفس العميق . لكن كانت هناك حاجة الى الاقتصاديين . فترك علم النفس الى الاقتصاد الاجتماعي . وسألته : « وأعمالك ؟ » . فقال لي : « ليس ثمة من عجلة . فبعد الثورة « سيأتي عاملون آخرون يقومون بالعمل خيراً مما في وضعي الآن » .

\* \* \*

ليس منافلاً كل من يريد ان يكون منافلاً . فإذا جاءت الأنا في المرتبة الأولى ، كان الانفصال الى الأبد . والأنا تولد مبهكراً في الطبقة البورجوازية . حين كان جيد طفلاً ، كان يرمي بنفسه بين قرانهي أمه صائحاً : « أنا لست كالأخرين » . أن يكون الانسان ذاته فهذا معناه أولاً ألا يكون كالجار ، أن يكون متميزاً . يقال : « انحطم الثقال » . والحال ان الثقال يجب ان يكون دوماً معطوماً . فالحضارة البورجوازية هي « حضارة عزلة ووحدة » . ولا ريب في انه يتوجب أولاً ان يعترف البورجوازيون ببعضهم بعضاً فيما بينهم على انهم بشر . لكن هذا الاعتراف المجرّد لا يستهدف في أي منا غير ما هو عام ، ويفرقتنا وحيدين في قفردنا . وبالختصار تعترف لنا الحضارة البورجوازية بالحق

١ - جورج بوليتزر : مفكر ماركسي معاصر ، اعدده التازيون أثناء احتلالهم لفرانسا .

بأن نكون في نظر أنفسنا كل ما نريده من خلف جدار الحياة الخاصة . والفتنة  
 « الخاص » بالذات ، بفكرة الحرمان<sup>(1)</sup> التي تنطوي عليها ، تبين بما فيه الكفاية  
 ان شمولية الاعتراف هي شمولية رفض الاعتراف . إن الإنسان البورجوازي ،  
 المتجسس ، خلف هذه الاسوار الدائرية ، هو إنسان مجنون ، حيوان متوحش  
 ومهجور ، دخل من نبات مجنونة . ترى ألا تجد انفسنا متقارنين الى القول بأن  
 هذا المناضل ، العلي في العمق اعماق قلبه ، والذي زداد صميمته مع ذاته كفسا  
 ازداد شفافية في نظر الجميع ، وبأن هذا البورجوازي الذي ليس بذاته إلا في  
 نظر ذاته ، والمتعلق على نفسه في ظلمات لا يمكن لأحد ان يعرفه فيها ، انفسا  
 يقتسبان الى نوعين متباينين ؟ اذا ما حدث لأحد ابتداء العائلات ان لشكك الخوف  
 امام هجرانه ، فإن الأوان يكون قد فات ، انه لن يجد في الحزب أي عون له .  
 وحتى لو سمح له بالدخول اليه ، فلن يكون له من حظ تقريباً في ان يجد فيه حلاً  
 لصراعاته : فهذه الصراعات عبارة عن مشكلات شخصية ، وهو لا يريد ان  
 يديه الحزب قطعة حيار تسمى بالأنا ، انفسا يطلب فقط ان تشفى أناه . وبعثاً  
 يحتاج بالأصل بأن ضرورة داخلية ما هي التي قادتته الى الحزب ، لأن الجواب  
 الذي سيتلناه هو ان هذه الضرورات مترتبة وكالية ، وسوف يظلم مشبوهاً  
 بالتالي . انه لانطلاق شيء ان يرفض الوحدة . ذلك انه حتى يرفضها ، فلا يند  
 ان يلحظها ، وملاحظتها هي غير وسيلة لإعطائها أعلى درجات الوجود . واذا  
 ما هرب منها ، يكون قد اعترف بها ، وجعل منها بالتالي دافع العمل كفاية .  
 هل سيحاول أن يخرج من ذاته بواسطة الحب ؟ لكنه سيكون حذب انفسا  
 متوحده يهرب من ذاته . كتب مالرو : « الحب هرب من الذات » . وهذا  
 صحيح اذا لم يكن الحب مطلوباً لذاته ، بل كوسيلة للخروج من الذات . وهذا  
 يكفي بالأصل حتى يصبح هذا الهرب مستحيلاً . ولقد أحسن كافكا ، ذلك  
 المتوحده ، التعبير عن هذا النوع من الحب : « كان يحيل إلي انفسا بمحاولة بأنفس

١ - الفتنة « خاص » و « حرمان » مشتقان في الفرنسية من فعل واحد هو « Priver »

مسلحين بوجهون حراهم نحو الخارج . في كل مرة كنت احاول فيها ان اقرب  
كنت اصطدم برؤوسها الحديدية التي تجرحني وترغمني على التراجع ... انا أيضاً  
كنت محاطاً بأناص مسلحين بوجهون حراهم نحو الداخل وبالتالي ضدي . حين  
كنت اندفع نحو الصبية ، كنت اصطدم أولاً بحراب حراسي بالذات ، موت  
ان اتكن من تجاوزها . ولعلي لم أصل قط الى حراس الصبية ، واذا ما حدث  
مرة وتكننت من ذلك فهذا ليس إلا بعد ان جرحت نفسي بحراي ومن غسبر  
ان امري .

إن فرصة التعامل الشاب الذي يدخل الى الحزب هي انه ليس له من « أنا »  
قبل ان يجب : انه يتكشف نفسه في الهبة التي يقدمها للآخر والتي يعترف بها  
آخر . وحتى يتوصل شابنا البورجوازيون الى الحب ، فلا بد ان يكون في  
وسمهم ان يجازفوا بأن يتركوا الغير يعلمهم لأنفسهم . والحال ان الأوان قد  
فات : فهم يعلمون حق العلم ما هم . لكن يبقى أمامهم على الأقل ان يحسدوا من  
يحبهم . فربما متعترف امرأة ما ، يدافع من حبهسا ، هذا الفرد الذي يرفض  
المجتمع البورجوازي ان يصادق عليه . وربما سيكون في وسعها أن تكتسب ذلك  
المسخ الذي لا شبيه له ، الفضل على كل شيء ، الذي هو كينونة كل كائن في  
نظر نفسه والذي يبدله في قلبه . لكن كلمة « بدل » هذه لها دلالتها : انهم  
يريدون ان يبروا من ذواتهم ومع ذلك بدلونها . انها ليست أنهم التي يفضونها  
بل هي وحدتهم ، وهم لا يفهمون انهم لا يستطيعون ان يفضوا على هذه إلا إذا  
فضوا على تلك .

لكن لغة شابنا يبدو عليهم انهم فهموا ذلك : انهم على وجه التحديد أولئك  
الذين يتكلم عنهم اسطفان . ولما كان العمل رابطة بين البشر ، فإنهم سيحاولون  
عن طريق العمل ان يبروا من عزلتهم . فبالعمل يصبح الإنسان آخر ، وينسحق  
عن ذاته ، ويتغير بشقيه العالم .

لكن لا بد أيضاً من تحديد هدف معين ومن إرادته بمعنى . غير أن الهدف في  
مثل هذه الحال هو الأساسي ، لا الفعل الذي لا يعدو أن يكون أكثر من وسيلة

بلوغه . والحال أن الغاية بالنسبة إلى المتاضل هي التي تحلث أولاً ، وبضرورة  
 مطلقة : عليه أن يعيش ، أن يسد رقبته ، أن يحمي نفسه من البطالة ، من ارتفاع  
 الأسعار ، من الاستغلال ، من الحرب . وعند دخوله إلى الحزب تغير الهدف تحت  
 نظريته : ففهم أن هذه المطالب لن تلبس إلا بقيام مجتمع اشتراكي . ولقد تغير  
 هو نفسه مع الهدف : أن الحزب يتابع ، فيه وعن طريقه ، تحقيق هذه الغاية  
 المطلقة . والتفرد المعترف له به هو إرادته المتفردة شذعة هذا التحقيق .  
 وهكذا يتوسط نظام : الغاية هي الموجودة أولاً وهي التي تحده الحزب بأنه  
 المشروع المنسق للأعمال التي ستسمح بلوغها . أن المتاضل لا يسأل فعله أن يبرره :  
 أنه غير كائن أولاً حتى يبرر نفسه فيما بعد . لكن شخصيته تتطوي على تبريره  
 الذاتي ما دامت الغاية المطلوب بلوغها هي التي تؤسسها . وعلى هذا فإنه تابع  
 للعمل التابع بدوره للهدف . أما العمل نفسه فيلحق أن نسبه مشروعاً ، لأنه  
 جهدٌ بناوطني ، وهذا جهد طوال حقيقه غير محددة . ولا ريب في أن هذا  
 الجهد يشتمل على مظهر من مظاهر التنمي ، لأنه لا يسد من المتضال ، ومن تقويض  
 المجتمع القديم ، ومن تعطيل المقاربات وتعميد الطريق ، لكن علينا أن نرى فيه  
 في مجموعه بناءً إيجابياً واتساجاً متجيباً وتدرجياً لأشكال اجتماعية جديدة . أن  
 المتاضل ، الذي يدهمه ويمارده خلقه باستمرار هذا المشروع الذي يتجاوزوه ،  
 يجد نفسه محبباً من الموت : أن المشروع الذي يحدده أطول عمراً بكثير من عمر  
 حياة واحدة . وهو يعمل بالتالي باستمرار فيما وراء موته الذاتي ، واختفاؤه لن  
 يبدل الصيرورة التاريخية تماماً كما أن ظهوره لم يبدلها . أن إرادته سبقي من  
 بعده ، تلك الإرادة التي أعارها إليها الحزب فنيته من الزمن ، وستتابع العمل  
 من دونه .

لكن العمل هو الغاية بالنسبة إلى الجورجوازي الشاب الذي يحاول أن يتصل  
 بالبشر ، لأن العمل هو الذي سيحقق هذا الاتصال . وبذلك يتعكس الترتيب :  
 أنه يعمل من أجل أن يتفق ذاته ويختار غاية للعمل . وكل غاية صالحة مبدئياً :  
 يكفي أن تثير العمل الذي سيبرره . بيد أن مشروعه الأساسي مشروع سلمي .



وبالفعل ، انه لا يستطيع ان يفكر بأن يستمد من البشر شخصية جديدة : إما هو يريد الخلاص للشخصية التي له من الأصل . وهذا يعني انه يريد ان يتعلم يتعرفونه في الفرد . ولهذا لا يكفي أن يخدم عارهم : لأنهم في مثل هذه الحال لن يعرفوا إلا بخدمته . وإذا كان يريد ان يقبلوا بطبيعته المتفردة ، فعليه ان يخدم إياها . ولما كانوا يفتقر حاجة إليها ، فهو سيدمرها باحتفال كبير وسيجعلهم شهوداً على نضجته . ان بيركن<sup>(١)</sup> ، أحد أبطال مالرو ، يريد أن « يوجد بين عدد كبير من البشر ، وربما لمدة طويلة » . وهو يضيف هذه العبارة : « المرء لا يقتل نفسه إلا ليجد » . وبالفعل ، ان الميت لن يكون له من وجود إلا عن طريق الآخرين . فهو يأتي ليقسط على وحدتهم العديدة ، فيأخذونه على عاتقهم من جديد ، شاوراً أم أبراً ، ولا يعود وحيداً . وهذه البنية العامة العلية قريبة الى أبعد الحدود مما يسميه الأميركيان « Compulsive Consumption »<sup>(٢)</sup> وما نسميه بالترف . فالطبقة المالكة ، التي يقتضي إليها رجال العمل عندما لا تتميز بالأصغار والتوفير إلا في لحظة معينة من تاريخها . انها تستهلك : وهذا يعني انها تدم نفسها بدمها ثروتها عن طريق الاستعمال ، والفكر بالثاني انها تبيع امتلاكاً لثابتاً لذاتها . وعند هذه المرحلة يمكن للتذير النجدي أن يصبح الوسيلة الوحيدة للاتصال مع الآخرين : وهكذا تقع أعياد البولتاش<sup>(٣)</sup> - تدبير الثروات إكراماً للغير - وتقيم الحفلات - تدبير الثروات بحضور الفسيف . لقد أهلكت الارستقراطية الرومانية نفسها بهذه الألعاب ، وكذلك فعلت النبالة الفرنسية : كل أبناء العائلات يهدون الافلاس كما يريد هؤلاء الشبان البورجوازيون الموت . ان الغامرين سيضرمون النار في مستودع البضائع الضخم الذي هو المجتمع البورجوازي ، وبعد ذلك سيرمون بأنفسهم بين السنة القريب . البولتاش ، الحفلات ، الجود : هكذا ستكون نهايتهم . ولا أستطيع ان أضع

١ - من أبطال رواية « الطريق الذي » لأندريه مالرو . « م . م »

٢ - ومعناها « الاستهلاك العاشر » . « م . م »

٣ - عيد ديني هندي أمريكي تتبادل فيه العطايا . « م . م »

نفسى من التفكير بذلك المفامر الآخر ، جان جينيه ، الذي كتب في « مواكب  
جنازته » : « إن غايصة حياتنا دقيقة جية ، جنازة حافلة ، جنازة ستكون  
الرائحة الكبرى ، وعن وجبه التعديد تنويج حياتنا ، يجب ان أقضي نفسي  
بحوطني تبجيل عظيم ، ولا أهمية تقريباً إن عرفت الجهد قبل موتي أو بعده إذا  
كنت أعظم بأني سأله » .

الجهد : هذه هي الكلمة الحقة . انهم لن يبحثوا عن الاتصال في الأخوة التي  
يرك فيها الانسان يوماً شيئاً من ذاته للآخر ، بل في الجهد الذي يوجد فيه  
الانسان بالنسبة الى الجميع دون أن يفر شيئاً من ذاته . إن لحظة الموت ستكون  
لحظة حياتهم ، وهم ينتظرونها « يوجد » . وفي هذه اللحظة اللامتناهية الصغر ،  
سيشعرون ، وهم على قيد الحياة بعد وهم اموات في الوقت نفسه ، بأنهم أصبحوا  
بالنسبة الى الآخرين ما كانوا بالنسبة الى أنفسهم . وبنظرة هذه اللحظة لتناقض  
يكتفون ، « لحظات كاسية » ينعكس فيها الكون للحس الظاهر الكبير للشوق  
الذي سيكونه . « لنا نؤمن بالسعادة التي يوفرها فرار سريع » . لكن إذا كان  
الفرار يترجم الحياة بأسرها ، فإن الحياة التي سقلوها لن تتعجز عن موت يحدث كل  
يوم بيوعد . والحياة الفرار على هذا النحو يعني الركض فوق الذروة المدببة التي  
تفصل الحرية الناقصة عن استقالة الجنة ، يعني أن يقد المرء ميته الذاتية . ولقد  
بتنا نعرف توقعهم : فهذا الانسان المشغول يجازته القادمة ، الشؤوم بالنسبة  
الى ذاته والنسبة الى الغير ، والذي لا يجد للحياة طعماً إلا في بعض اللحظات  
الحارقة ، اما هو البطل . . . ويجدر بنا ان نلاحظ أن المناضل ليس بطلاً . وليس  
ذلك لأنه لا يعرف أن يموت ، لكنه لا يسعى الى الموت إذا كان يمكنه ان  
يتجنبه ، وإذا ما دامه ، فإنه يموت بتواضع . أنا اعرف أن بعض الأشخاص  
المعرضين سنوا الشوعيين « أبطال زماننا الدائين » . ولقد كانت هذه التسمية  
إعانة لهم : فأرلك الذين لم يتكلموا تحت التعذيب كانوا يقولون ببساطة : « لم  
يكن يوسعي ان أفعل غير ذلك » . كانت إرادتهم تجسداً لإرادة الحزب وكانت  
إرادة الحزب ألا يتكلموا . وما داموا لا أهمية لهم في نظر أنفسهم ، وما دام

مشروعهم ان يبتوا وما دام ان هذا المشروع سيكتمل من موتهم ، وما دامت  
 حكمتهم تأمل في الحياة ، فان موتهم لا يسد لهم ، وكأنه زعرمة للكون بأسره  
 بل يبدو لهم كحادثة عرضي يؤسف له .

بيد أن الأبطال هم طغيبو المناضلين . إن البطولة بحاجة الى فريضة ما ، وإلا  
 فلن تكون سوى انتحار . وكل يأس المدمرين سيكون غير مجد اذا لم يصد أمل  
 الجماهير العريضة . وحتى تكون جنائزهم فحمة ، وحتى يعمرها طويلاً في ذاكرة  
 البشر ، فلا بد أن يكونوا قد ساروا ، من اجل ما كان في زمانهم يحمل أضخم  
 المعاني وأكبر الآمال . . . وعلى هذا فإنهم سيعطون لحافات مع حركة ثورية أو  
 مع حزب مقاومة وطنية . لكن هذه التناقضات مؤقتة والغامر لن يشكك إلا  
 بالأعمال السلبية : انه سيكون إرهابياً أو ضابطاً . وعلى كل ، فإنه يظل مشبوهاً  
 من قبل حلفائه ، ولا يجهوم : ، لا احب حتى التماس الفداء ، اولئك الذين  
 ساقابل من أجلهم بعد كل شيء . . . اني أفضلهم فقط لجره انهم المغلوبون . . .  
 وانه لما يشير الفضول أن يكون لورانس وكثيرون من أبطال مارو غورباه في البلد  
 الذين يقاتلون فيه . ففي القرن التاسع عشر كان الكاتب القوي يذهب لباريس  
 الحبيب ويقتد ماله خارج وطنه ؛ فقد كان يعجبه ، هو المستهلك الأجنبي في جماعة  
 مكدنة ، أن يكون الصورة الكاملة الطفيلية . أما الكاتب المغامر اليوم فإنه  
 يذهب الى البلاد نفسها ليقامر بجلده ؛ إنه يطلب ، هو الطفيل البطل ، من ارتكك  
 المقاتلين الذين لم يختاروا معرفتهم ان يبرروا موتاً اختاروه بنفسه . واختلاف  
 القنات والأعراف يسمح له بأن يظل منفصلاً عنهم . وأهمية الفلبات الخاصة  
 نفسي . عمل المغامر لكنها إضافة غير مباشرة .

بيد أن الموقف ليس بالموقف الذي يمكن للمغامر أن يتسار عليه ؛ ففاعلية  
 مغامرنا مستمدة من قبل رجال متحمسين ، وهمي الجنان لا يطعمون أوامرهم إلا  
 ليتمكنهم استخدامهم بصورة أفضل . والمجتمع الذي يريد المناضلون ان يبنوه  
 يستبعد مجرم Desperados<sup>(1)</sup> وهباتهم المتطرفة . إن الإرهابيين لا مكان لهم في

(1) - المدمرين . . . هم مدمرون . . .

مجتمع متجانس . لقد كان تشن<sup>11</sup> يعرف إن العالم الذي يعدونه له عملاً يدينه  
 بقدر ما يدينه عالم اعدائهم . وفي هذا العالم الذي يعرف فيه البشر بعضهم  
 بعضاً عن طريق عملهم وفيه ، لا أمل البتة في أن يلقي لقرود هذه الكائنات  
 اعترافاً به . والأمكنى من ذلك ان ذكراهم بالذات ستعصي دته ، وحوثهم  
 بالذات يبدو مجهول المصدر : فهو ان يفهم على انه عطاء مجاني ، يسل سيخلفط  
 بينه وبين تفاني المتأسلين اليهم . ولحظة النصر ستكون بداية فشلهم . فهل  
 يتكلمهم ان يريدوا انتصار حزب سيدقتهم مرتلين ؟ لكنهم اذا لم يريدوه  
 فإنت البطولة سلناور : ويبقى الانتصار . وحمل التماسك يتأرجح من غير  
 أن يتوقف ابداً بين اكثر انواع الكرم جنوناً واكثر انواع الانتصار أمانة . انه  
 يتطلب ايماناً ويهدم كل ايمان : ان الغامر يصبح مضطراً اذا آمن بما يفعله ،  
 ودجالاً اذا لم يؤمن به . فيتكش ، وينشج على ارادته الهدامة ، وتبدو له حرب  
 اسبانيا ، حيث يقاتل ، كوميديا كربية ، وينفض الغابسة الموضوعية التي  
 تنفضه في غاياته : الربح الذي سيأتكم به التحرر الاقتصادي ، من يستطيع أن  
 يقول لي انه سيكون اكبر من الحسائر التي سيأتي بها المجتمع الجديد ؟ . وعندما  
 يتبين انه سيوت من أجل لا شيء ، تأخذ الرغبة في ان يؤكد في الوقت نفسه  
 بطلان كل مشروع : البشر يتوتون من أجل ما هو غير موجود . لقد التزم  
 بالعمل ليفلت من الوحدة ، فإذا به يجد نفسه وحيداً أكثر من أي وقت مضى .  
 ولا مجال لأن تدعش بذلك : فهذا التلاقي الذي يفرض بنفسه من أجل السادة  
 سيكون نوعاً مغايراً لحلفائه ، وسوف يعتبرونه نوعاً مشبوهاً : فهو لم يكن  
 مرشحاً على القتال . وبالأصل ماذا يريد منهم ؟ الاخوة ، الرقصة ، الصداقة ؟  
 يقيناً ، أجل . لكن هذا يعني على الأخص انه يطالبهم بأن يكونوا شهد موتهم .  
 ان رفاق الغامر هم نتائج مستقيلات ، أمثاء مستودع مصيرهم . يقول مالرو :  
 « لا وجود لبطل بلا نظارة » .

ويعود من جديد إلى العمل ، لكن هذه المرة ليرجمه الى ماهيته . انه ينظر

١ - من أبطال رواية « الشرط الانساني » مالرو ، التي تصور أحداثها في الصين . ص ٥٠

إليه يصحو ففكر ، بعيداً عن الدوافع التي ولدته والقابلات التي تسير به ، في عطفه  
 المحض : « لا قوة » ، ولا حتى حياة حقة بدون بلين بطلان العمل وبدون تسلط  
 فكرة هذا البطلان على الانسان . « وأتذاك فقط سيريدته لذاته . سيريد هذا  
 العمل لذاته » ، وحسابه الشخصي ، من غير أن يسأل بالشهود ، « وأتذاك »  
 ومهما كانت ديمومة هذا العمل قصيرة ، فإنه يجره . حين يلسبب عملي مني ...  
 يذهب معه ايضاً شيء من دمي » . لكن هذا لأن العمل لم يعد محض حالة ذاتية .  
 فهو قد شرع به كي يخرج من ذاته ، ويتألم ليعود إلى ذاته . انه يريد في الوحدة  
 والترف ، من غير ان يهوى عن نفسه عيشته ، بلا أمل وبلا إيمان ، من أجل لا  
 شيء . وهذا الحلم ، الذي شرح به ليجرره ، يصبح هو الذي يجره الآن . وما  
 من غاية متعالية يمكن ان نجعلها مشروعاً . ان هذا العمل يتعلق به وحده ،  
 انه تمرد محض لا يهدى ضد مجرى الأشياء وضد الطبيعة الانسانية . ولا يعود  
 لهم التدمير عن طريق فعل ما ، بل القيام بفعل ما يدمر نفسه بنفسه ، بطلانه  
 بالذات يشهد على صفته المضادة للطبيعة . وطالما انه ما من شيء يستدعي المفارقة  
 وطالما أن كل شيء ينتقصه ، وطالما انه ما من رمية ترد يمكن ان تظلي الصدفة ،  
 اذن يبقى امساعه ، شأنه شأن مالارميه الشاعر ، ملكوت اللاكينونة . ان  
 الانسان كلتن يموت من اجل ما هو غير موجود . وعلى هذا فسر ان العمل ، إذ  
 يفور وبشلاشي ، يشير ، شأن شيلرة الفشل لدى ياسيرز ، الى ملكوت ما فوق  
 طبيعي لسكان الذي لا يترأراً إلا عبر الهزيمة والموت والحيانة . وعلى كل ،  
 فإن داعي المفارقة ان يضع في الفشل انتصاره اقل سمواً ، ذلك ان انتصاره  
 سيكون فشلاً . « ان التحقيق ، اذا ما جاء ، سيكون غيبة كبيرة ووعماً  
 متبهداً » . إقت فالملطوب ألا يجيء ابدأ . المطلوب ألا يجيء ابدأ جنة عدن  
 المستقبية لتلك ، المدينة الشفقة بالنسبة الى المفارقة وحدهم . « كان الهدف ،  
 بالنسبة إلى البصير ، الفشل وحده . كان علينا ان نؤمن دوماً بالرغم من كل  
 شيء بأنه لن يكون هناك من انتصار ما لم تنزل الى عالم الموت ونحن نقاتل  
 ونطالب بالهزيمة » . وفي الهزيمة والاحتضار ، يشعر المناضل والمفارقة لأول مرة

بأخرة حقيقية : والحق ان المناضل هو الذي يتغير لا رجل العمل . لقد اختار  
 الاخير ان يموت ، فسوف يموت إذن ، ولئن يكون قد خسر من شيء . لمضن  
 الاول كان يريد ان يعيش ، ان يبلغ هدفاً يتنامى ويحتفي . كان مقاتلاً ، وكانت  
 له لغة برؤسائه ، يعمل أحسن اداءه ، لكن كل شيء يتشوش ، ويعلم أن الربح  
 قد يكون مستحيلًا . كان موظفًا مظمناً ، محدود المبادعات ، معسداً على  
 اكتشاف وجهه الأليف في عيون رفاقه ، والتأمن من ذاته ، والتأمن من انه يجد في  
 احماق ذاته ارادة الحزب الخازمة كصخرة . وهما هو ذا يجد نفسه مهجوراً في  
 عزلة الهزيمة التي لا تكفارة عنها ، والحزب قد غلب على أمره ، والأصل قد  
 سحق ، ويكتشف في عيون العدو المتصر وجهاً وحشياً ومجهولاً هو وجهه .  
 وتهاير أنه ، التي كان يدعها الكثير من الأوامر والخطابات والرسائل ، وتظهر  
 أدا اخرى ، لقد ياتس يدكره على نحو غريب بالوحدات البورجوازية . وموته  
 الذي موته طوال حياته بتظاره بأنه سيوت من اجل القضية ، يرتد نحو  
 على حين غرة لأن القضية قد تزقت ولأنه يموت من أجل لا شيء . فهل خسر  
 حياته ؟ وهل ربحها الآخر ؟

التي مدرك ان كليها بحاجة إلى الهزيمة ليثيرا العجاسي . بل انني سألتني أيضاً  
 هزيمة حقيقية للغامر ، اي انتصار المناضل : انه لمن مقتضيات الاخلاق ان  
 يقتصر المناضل ( وهذا يشجواب علاوة على ذلك مع الصيرورة التاريخية ) . انه  
 على حق في كل نقطة : لقد ذهب نفسه للحزب من غير ما عوده الى ذاته ، وقامر  
 على نشاطه مرغاً تحافل ، وأحب جميع الحوت ، وحسين كان احدم بفضل من  
 الحزب ، لعلطة اقرارها كان يكلف عن حبه لأنه يكون قد كف عن ان يكون  
 اخاه . والمجتمع الذي يريد أن يتيه هو المجتمع الوحيد العادل . ولقد كان الغامر  
 على خطأ : لأنه كان يجعل جميع ردائل الطبقة البورجوازية من الالية وخيللاء  
 وسوء نية . لكني بعد ان أصفقت لانتصار المناضل ، أتتبع الغامر في وحدته .  
 فلقد عاش حتى الثالثة شرطاً مستحيلًا : يرب من الوحدة ويبحث عنها ، يعيش  
 ليوت ويموت يعيش ، مقتنعاً ببطلان العمل وبضرورة ، يحاول ان يبرر

مشروعه بأن يستد عليه هدفاً لا يؤمن به ، يبحث عن موضوعية النتيجة الشاملة ليحلها في ذاتية مطلقة ، يريد الفشل الذي كان يرفضه ، ويرفض الانتصار الذي كان يمشاه ، يريد أن يبني حياته كما لو أنها قدر ، ولا يعجب إلا بالمحطات اللامتناهية الصغر التي تفصل الحياة عن الموت . لا تحل هذه التضادات ، لا تركيب هذه التناقضات . ان كل زوج افا ما ترك لنفسه ينحل ، فيسقط الحدان كل في جانب ، او يتلاشى من الوجود فيتلاشى الحدان بدورهما . ومع ذلك استطاع هذا الرجل ، على حساب ثوب لا يطاق ، ان يبقي على الحدين معاً ، في تضادهما بالذات . وكان الوهي الدائم لهذا التضاد . اني انظر اليه بقناني ، مدفوناً وغالياً ، قد تم نسيانه في ذلك المجتمع الذي لا مكان له فيه . وأفكر بأنه يشهد على الوجود المطلق للانسان وعلى استحالته المطلقة معاً . بل أكثر من ذلك : انه يدع عن على ان استعالة الكينونة هذه هي شرط وجوده وان الانسان موجود لأنه مستحيل . والناسل ؟ ماذا انسى له في فجر تهاره الجديد ؟ ان يعلم كيف يستعيد ما لا يمكن استعادته . اني أفهم ألا يكون لورانس مكانه إلا في ظروف ١٩١٤ التاريخية ، وأن يفسر نفسه بسدهاً من اميرالية الانكليز الاستعمارية وبالتالي يبدأ من الرأسمالية . اني أفهم ألا يظهر من جديد لورانس آخر ، ولا سيما بعد تصفية الطبقة البورجوازية . وأفهم ايضاً ألا يحبه الشيوعيون تقريباً ، واعتقد بالأصل ان له صلات وثيقة بالشر ، بيد ان مجشاً اشراكياً قادمًا يستحيل فيه جذرياً وجود امثال لورانس يبدو لي طبيعياً . وحتى لو كان لورانس الشر بعينه في نظر الاشراكيين ، فإنني اصر على ان الهدف يجب ألا يكون إلغاء الشر بل الحفاظ عليه في الخير .

يقول في اسطوان : « هؤلاء هم آخر المفاسرين ، وبعدهم لن يكون هناك غير مناضلين » . اني انسى ذلك اذا كان المناضلون سيحتضنون مرات فضائل للمفاسرين . وأنا اعرف من الآن رجالاً جموا معاً بين تلك الأنا العطاة التي تلقوها من الآخرين من اجل النضال ، والتي يتجاوزونها في النضال ، وبين أنهم الحقيقية الثلاثة فيها وراء الأنا . انهم لا يفكرون إلا بواسطة العقل الكفاسي الذي

منحهم إياه الحرب ، لكن لما كان فكرهم يرفض كل قيد فإنهم يدفعون بهذا العقل المتكون إلى أقصى مدهاء ويحولونه إلى عقل متكون . رجال وهبوا ذواتهم كاملة للطاعة ولا يحتفظون منها بشيء ، أي شيء على الإطلاق ، فبأخلاق تلك الحرية التي تهبهم بلا تحفظ . رجال خاضون حتى نخاع العظم في المعركة اليومية التي هي الموضوع الوحيد لأهتمامهم ، ويقفون في الوقت نفسه خارجاً عنها تماماً لأنهم يعلمون أن الغايات البشائية القوية بالرغم من تصميمهم على بدل حياتهم من أجل بلوغها ، ولأنهم قرروا أن الرهان ليس على سعادة الإنسان ، بل على الأنسنة المحض المطلوب خلقه . مفامر أو مناسل : أنني لا أؤمن بهذا الأجرأ . فأنا اعرف أكثر مما ينبغي أن تفعل وجهون : السلبية التي هي مفامرة ، والبناء الذي هو الضباط . ولا بد من إحياء السلبية والتلق والتقد الذاتي في الانضباط . ونحن لن نربح إلا إذا استخلصنا جميع النتائج من هذه الحلقة المفرقة : الإنسان ما يزال يتطلب أن يُصنع ، والإنسان هو وحده الذي يستطيع أن يصنع الإنسان .

( مدخل إلى « سورة المفامر » لروحيه )

اسطفان - منشورات ساجيتير - ١٩٥٠ .



## علماء ميزفون أو أراب ميزفة

إن ميرو - يولي مؤهل أكثر مني لتقديم كتابك للقراء . فقد كتب « المذهب الأنساني والأرهاب » ليقامول عن طبيعة ونتائج القتل السياسي . قلبي مجتمع شديد الاندماج ، تحارول ممارسة مسا ان نستولي على السلطة ، وسواء أربحت أم خسرت . فإن قانون العمل التاريخي يريد ان تتغير . فإذا ما كان قصر حاسماً نهائياً ، جعلت من نفسها قياس التاريخ وقورث معنى الماضي . وهي لشيء المستقبل . وفي حالة الميزفة ، يكون الوضع أكثر تعقيداً . إنهم يزول المعارضون ؟ من سيحيا كهم ؟ بأسم أي مبادئ ؟ وكيف سيحيا كرون انفسهم بأنفسهم ؟ هل سيقبلون بتعايير قاهرهم ؟ وبكافة واحدة : ان المشكلة التي درساها مع لور-يولي تتعلق بنفي النفي : ماذا يحدث اذا لم يتمكن هذا النفي من تفجير الاطارات التي تضيق عليه الخناق ؟ ان كتابك ، يا عزيزي دالما ، يقدم له مناسبة ليضيف ملحفاً الى دراسته : إن احداث يوغوسلافيا الأخيرة تظهر لنا المعارضة وقصد حطقت نصرأ جزئياً ، متوقفاً ، غامبر مؤكداً ، يتوجب تعزيزه . فبإسم أي مبادئ ، أي قيم ، سيتم تقييمه ؟ ان تبتولم يحصل بعد على الحق في ان يطبق مقاييسه على تاريخنا لأنه لم « يتنصر » بعد نهائياً ، ولكنه أصبح له من الآن الحق في رفض مقياس الآخرين لأنه لم يتغير . ان الغرب لا يستطيع ان يفسر الحركة التبتيرية تبعاً لمبادئه الليبرالية : انه لمن غير المباح له ان يرى في يوغوسلافيا لغة في الحصن السوفياتي إلا اذا توصل الى ان يحصل من نفسه سيصد الاقتصاد اليوغوسلافي . وطالما ان الاتحاد السوفياتي ، من جهة أخرى ، لم يتمكن من

سحق هذا التمرد ، فإنه يميز عن التسيرة حسب رغبائهم . وحتى يكون في  
مكنته ان يقرر ان يتبو خاتين ، فلا بد ان يكون قادراً على شقته . وأخيراً  
فإن المعارضين المتنازعين في أوروبا يخطئون اذا ما رأوا في الانشقاق اليوغوسلافي  
دليلاً على قرب البعث ثورة متاعضة : فقد رفض المسؤولون اليوغوسلافيون  
أكثر من مرة العمل على لتطبيع أوضاع تنظيم الشغبية الأرمي . لا السيرالية  
البورجوازية ولا السنايلية ولا القروتسكية تلك في ذاتها مفتاح ذلك الواقع  
الملتبس والمتحرك الذي هو يوغوسلافيا : إن التربة الكبيرة لدراستك هي على  
وجه التحديد حفاظها على التماس هذا الحدث . وبالرغم من انك لا تحمي  
تعاطك - الذي أشاطرك اياه - مع النظام الشيوعي ، إلا انك لا تحمي عنالاً  
احتمالات الخطأ ولا التهديدات الخارجية . ذلك انك تأبى ان توقف صيرورة ما  
يزال تجري وان تتحكم عليها . وليس ذلك لأنه لا يمكن ان تتوفر لديك اليوم  
جميع العناصر التي تسمح لك بتقييم تلك الصيرورة فحسب ، بل أيضاً وعلى  
الأخص لأن لديك قباعة - باللغة التمرد اليوم لدى الماركسيين - بأن المستقبل  
لا يمتنع بعد .

ومع ذلك ليس كتابك لا تحقيقاً صريحاً ولا عرضاً وصفياً صرفاً - يقينا ،  
انه هذا أيضاً . فانت أحد القلائل في فرنسا الذين قدموا وقتئذ أخذت من  
مطالها ومصادرها عن انشقاق ليتو وعن التصنيع اليوغوسلافي وعن مضاعفة  
التمازجات الفلاحية الخ . وفي الوقت نفسه تعرف كيف تعطي عرضك ، بين  
حين وآخر ، قوة الاقتناع الحمي والمنحصر التي لتلكها الشهادة . لقد رأيت ليتو  
وجيشتنا تراه . لقد صادته وانت لجمعنا نشيد الهادئة . لكن ما يعطي هذا  
الؤلف قيمة استثنائية هو انه أول محاولة لتفصير الانشقاق الليتوي عبقاً . انك لا  
تطبق على هذه الواقعة التاريخية أي مبدأ قبي : فقد تركتها تعرض نفسها امامنا  
غير منظورات الببالكتيك الماركسي ، لكنك بدلاً من ان تفسرها قسراً  
باسم ماركسية خصوصية ، اعتبرتها تجربة حقلها التاريخ تثبت صحة الشرح الذي  
يسمح بتفسيرها وتسمه في بعض نقاطه وتعديله في نقاط أخرى . إن هذه المحاولة

جديدة بما فيه الكفاية ، فهي تترك الحدث يجري تحت بصير القاريء ، بسلبه الحرية ، وتكتفي بأن تظهر لنا كيف تولد الوقائع الديالكتيكية الذاتي . انها محاولة جديدة بأن تكون مثلاً يحتذى .

ما دعت الى الذي اقدم الكتابك ، سوف احاول ان اسعد اهمية الحركة التثبوتية . لا اهميتها في ذاتها ، هناك ، عند الترخوم السوفياتية ، بل اهميتها هناك بالنسبة اليها نحن مواطني ديوقراطيات الغرب . وسوف احاول ، مقدماً منهجك ، ان اترك الوقائع لتنظم من تلقاء نفسها . وبالرغم من ان القني ليست لغة ميرلو - بونتي مثل اللغة ، سوف اتخذ مكانتي في اطار اهتمامات والمذهب الإنساني والارهاب ، لاستجوب هذه الوقائع .

إن العقول التي أرادت ان تحدد قبلياً معنى التجربة اليوغوسلافية ، حاولت هي ذاتها ان تقرر قبلياً الأهمية التي يجب ان تأخذها هذه التجربة في نظرها . فالبعض لا يريد أن يرى في تيتو سوى تابع وظيفته الوحيدة ان يؤجج جرحاً حياً في جنب الاتحاد السوفياتي ؛ وهذا لأنهم راهنوا سلفاً على القوة الاميركية ، ولأنهم اختاروا سلفاً الحرب . وقرر الآخرون ان أهمية التثبوتية تكمن في التأثير الذي يمكن ان تمارسه على يوليوتاريا القرب ؛ لكنهم عتبا يعاولون ، كما بينت أنت بما فيه الكفاية من الموضوع ، ان يستثيروا حماسة الشعية الفرنسيين المرافعة مع تيتو أو ضده . فهذه المرافعة لا تشغل حتى الآن سوى بال المتفقين الذين هم عاجزون بالأصل . واذا ما حاولنا على العكس ان نترك الحدث اليوغوسلافي يحدد بنفسه اهميته في التطور الديالكتيكي وعن طريقه ، وجدا ما بقي ؛ لقد ارتفعت ، من جميع الجهات ، في الأوساط اليسارية احتجاجات ، ولا سيما منذ التحرير ، ضد ما يمكن ان يسمى بالمذهب الموضوعي الستاليني<sup>١١</sup> . إن قوائماً

١١ - انني استخدم هذا التعبير أيضاً لأنه يمتد على الحائط . وبالعقل ان الستالينيين يطلقون اسم « مذهب موضوعي » على مؤلف معين في الفلسفة والتاريخ اليوجوسلافي رغم انه ينظر الى المذاهب السلبية والاجتماعية وإلى الصراعات السياسية على حدة سواء « بشكل موضوعية » باسم الحقيقة المطلقة وهذا الموقف المثالي الفزعة يجد في كل رأي حقيقة معينة . وفي كل طرف قيمة =



صاحبة يريد أن تعطي الذاتية حتى قدرها ، إما عن طريق إعادة الأولوية إلى وهي الجماهير ، وإما عن طريق ترطيد الديمقراطية من جديد داخل الحرب . إن هذه المطالب مثالية التزعة لأنها تصدر عن أفراد منعزلين وعاجزين - بصورة عامة عن مثقفين - ولأنها تنطلق من حسرة على الماضي لو من سلم فتح قلبية بدلاً من أن تبدو كتحفة في سيرة واقعية وتاريخية . وما أسهل على الستالينيين أن يظهرُوا أنها من بقايا الذهب الثاني اليورجوزي القديم . إن التبنوية ، إذا كانت لها بالنسبة لنا أهمية استثنائية ، فهذا لأنها تكوّن الآن الذاتية . لكن هذه الذاتية لا تظهر هنا كمثل الحق شكلي ، إنما هي نتيجة بصفتها واقعياً فعلاً انطلاقاً من

معينة . وبحال في كل مناسبة أن « يضع نفسه مكان الآخر » وأن يفهم وجهة نظره نحو الحق أفضل . ولو كان الحد من ذلك حاربه بصورة التبعية . وتعارض الماركسية هذا التصور المثالي للحقيقة في ذاتها بالتصور الواقعي عن الحقيقة الكفافية وعن العبودية الطبيعية . إن كل حقيقة تعكس مصالح الطبقة التي تنتمي ولا دخل لها بغير العائد . وهذه العقلة لا تتكامل ، بل تتعارض . وكل هذا يعني المثلث السابع بأن نفرض أن الستالينية تعارض الذهب الموضوعي اليورجوزي بذهب ذاتي طبيعي .

بإزاء ذلك إن الطبقة اليورجوزية هي اليوم طبقة عابثة ، متذبذبة ، غلبت ميادها الذاتية ، ومتشعبة . فمما في فيروليتاريا ، بل هي تراقق من الآن . وقد كانت مواقعها وعابثة صرفاً ، وفي فيروليتاريا ، الطبقة الصاعدة . مشدوها بسا ومتشقق المجتمع اللاطيفي ، أي الطبقة الواحدة الوحيدة . وكل هذا فإن الطبقة الفيروليتارية ، بالرغم من أنها ذاتية لتكوينها تبعاً عن وجهة نظر الطبقة العامة . لتتقلل من الموضوعية المطلقة باعتبار أنها متصعق فيها بعد وجهة نظر الإنسان . وخلاصة القول أنها هي التي تشكل التاريخ . إن ذاتية الطبقة الصاعدة تبعاً عن موضوعية الضرورة التاريخية ولحمدها . ولذا يستطيع العامة الروس أن يؤكدوا إن التاريخ فعلاً صارحاً وأن يسبقوا بديهم تحت نعمة الذهب الموضوعي . إن عبارة « الذهب الموضوعي » ، إنسانها التزمج ، تعطي عن طرح فكرة حقيقة مطلقة . لكن اليورجوزي يبحث في كل مكان ضمن هذه الحقيقة ، ويعمل مع جيد هذا الوقت إن أقصى مداه حتى أنه يأخذ بالتمسك الجسم ليعتق في حين أن الشيوعي الستاليني يعتقد أنه قابض على زمام هذه الحقيقة المطلقة مما دام ينتمي إلى الطبقة التي تشكل التاريخ .

ومكافئاً فإن التصحيح الماركسي للتاريخ المعاصر من قبل لينينوسي ومايدونوسيين الخروبصحيح هو عملية جديدة . والتي اعطت هنا اسم « ذهب موضوعي » كل موقف مثالي نوعياً رغم أنه يفسر الفلسفة الألمانية ، في علمها ومغولاتها على حد سواء ، بالمفاهيم الموضوعية الصارمة . وهذا يعني بالتالي اعتبار الذاتية معقولاً مطلقاً ، أي معقولاً لا يتحول البتة إلى حق .

الذهب الموضوعي من قبل حركة التاريخ بالذات . فلو حقق المعارضون نصراً مطلقاً ، لكانوا سادة الموضوعية . ولو كانوا ظميراً على أمرهم ، لمسحقتهم موضوعية الغالب . وانتصار فيتو التصفي يعالج من شأن الذاتية لدى المسؤولين اليوغوسلافيين ، وينقل عدواها إلى المسؤولين السوفياتيين .

وليس أسهل ، بالفعل ، من نسب زعنة هؤلاء الآخرين الموضوعية إلى عنادهم . فهذه الزعنة هي في الحقيقة ظاهرة معقدة لكن جذورها في موقف موضوعي وفي تقبيل ذاتي لهذا الموقف . وإنما لأن السهولة والضرورة معاً أنت نسب دوراً معيناً إلى ذاتية الجماهير حين تكون هذه الجماهير ، في بلد رأسمالي وعالي التصنيع ، تجسداً لتناقضات المجتمع بأسره . ولتلك كانت المجال على سبيل المثال في ألمانيا روزا لوكسمبرغ<sup>(١١)</sup> . كتب ماركس ، « حين تطلعن البروليتاريا عن التحلل النظام الاجتماعي الراهن ، فإنها تكشف بذلك عن سر وجودها بالذات ، لأنها تشمل في ذاتها على الانحلال الفعلي لهذا النظام الاجتماعي » . وفي هذا الوضع السلي للبروليتاريا التي هي بحد ذاتها ، تنسخ المجتمع بصفته طبقة خصوصية<sup>(١٢)</sup> ، « يكون هناك نطاق كبير بين وجود فعلها الأكثر مباشرة وبين مهمتها التاريخية بحيث إن وعي الجماهير هو الذي يقدم مثال الراديكالية . ونتيجة مطالباتها التلقائية هي التعميل بالتحلل المجتمع الرأسمالي » في الوقت نفسه الذي تعبر فيه عن طابع البروليتاريين العميق . إن الطبقة المضطهدة ، ذات طابع شعولي نتيجة آلامها الشمولية ، « وهي ولا تستطيع أن تتحرر من سائر عوامل المجتمع من دون أن تحررها جميعاً بالتالي » . إذن نوعي الجماهير له حقيقة عملية لأنه التعبير الضروري عن موقف معين ولأن مطالباتها تنطوي على تجاوزها الذاتي نحو مجتمع « يكون فيه الإنسان الكائن الآخر بالنسبة إلى الإنسان » . ولهذا يمكن ماركس أن يستخدم تعبيراً الراسب

١ - إنثراكية وماركسية لثنية . أكدت على الدور الذاتي للجماهير وساهمت في ثورة ١٩١٩

وانفركت في تأسيس حزب شيبارتكيين الماركسي (١٩٢٠ - ١٩١٩) . ص ٥٠٠

٢ - « مساهمة في نقد فلسفة الحق » - المؤلفات الفلسفية - المجلد الأول - ص ١٠٦ .

الخطي ليحدد خصائص المطالبات التي يرجع أصلها إلى المصلحة المباشرة :  
 « حين يعاهد العمال كيانا يرجعوا يوم العمل إلى حدوده المعقولة القديمة » أو حين  
 يسمون إلى عرقلة إرغاقهم بالعمل عن طريق رفع الأجور عندما لا يكون  
 بإمكانهم الحصول على تحديد مشروع ليوم العمل الطبيعي . . . فإنهم إنما يؤدون  
 واجباً تجاه أنفسهم وتجاه دورهم ويضعون حدوداً لاستبداد الرأسمال الجائر  
 الاستثنائي<sup>١١١</sup> . . . ولما كان وضع البروليتاريا هو الانحطاط ، لذا يكون رد فعلها  
 قزماً على انحطاطها أو نقيضه ونقيضاً للفتنة الرأسمالي . وتكون البروليتاريا  
 آنذاك هي التي . وعملها يصفته شعورياً ، هو دعماً كل ما يمكنه أن يكونه ،  
 ويبلغ دوماً هدفه . ان البروليتاريا لا تستطيع ان تعيش من غير ان تطالب  
 لأنها مبردة من كل شيء ، ولا تستطيع ان تطالب من غير ان تهتم لأن المجتمع  
 الوجودي لا يتولد إلا عن طريق سحق العامل . ولهذا يلج ماركس على  
 تحرر البروليتاريا الذاتي ، ولهذا تكتب روزا لوكسمبرغ : « انت الدور الوحيد  
 لقادة الحركة الاشتراكية - الديمقراطية » المزعومين ، هو تدوير الجماهير حول  
 رسالتها التاريخية . . . وحطوة الزعماء وتأثيرهم في الديمقراطية الاشتراكية . . .  
 لا يزالان إلا بقدر ما يعملون من الجماهير القائمة ومن أنفسهم الأجهزة التنفيذية  
 لعمل الجماهير الواعي<sup>١١٢</sup> .

لكن إذا كانت هناك وحدة هوية ، في مرحلة الهدم ، بين ردود الأفعال  
 المباشرة والمصالح البعيدة للبروليتاريا ، فإت هذه الوحدة تنقسم في مرحلة  
 البناء ، أي عندما تستلم البروليتاريا السلطة . ان التصور الذي قالت به روزا  
 لوكسمبرغ في نطاق ألمانيا الامبراطورية لم يعد من الممكن القول به عام ١٩١٧  
 في روسيا السوفياتية . إن اهم الأول للقادة في بلد بلا أموات وبسلا إطارات  
 سيكون تحقيق الشروط المادية لحل المشكلات التي خلقتها الثورة . وانك لعل  
 صواب كبير حين تلاحظ ان ماركس « كان يتوقع التحول الثوري في البلدان

١ - « الأجور والأسعار والأرباح » .

٢ - « تاريخية ضد الماركسوية » : الجماهير والزعماء ، ص ٣٥ - نقار سباراكوس .

الرأسمالية المتقدمة ، وان الثورات حدثت جميعها حتى الآن في بلدان  
 مختلفة ، بل « مستعمرة » . وينجم عن هذا ان وعي الحركة الثورية متقدم  
 على اقتصاد البلاد . وعلى البروليتاريا ان تعطي عيدها اقتصادها . بيد ان  
 قلب المشكلة يؤدي الى انفصال حاجات الطبقة البروليتارية ومصالحها المباشرة  
 من جهة ، والتركيز على الانتاج من الجهة الثانية . وفي مثل هذه الحال لا يعود  
 يوسع سياسة البناء ان تستلهم ردود أفعال الجماهير العفوية ، وبالمقابل تهدد  
 ردود الأفعال العفوية بأن تسيء في عكس اتجاه المصالح العامة للاقتصاد . فقبل  
 الثورة كانت كل حركة غاضبة أو بانسة مستندة الى أم أو حاجة خاصة شمولية  
 وذلك بقدر ما تكون فردية . وبعد الثورة تظل هذه الحركة عينها فردية  
 ومناهضة لما هو شمولي عام . وماركس يشرح ان الشكل الثوري للعامل في  
 المرحلة ما قبل الثورية ينجم عن « التناقض بين طبيعته الانسانية وبين وجوده  
 الحيويني الذي هو النقي العليق والنهائي والشامل لهذه الطبيعة » . بيد ان  
 هذا التناقض يظل قائماً في الآونة الأولى من المرحلة ما بعد الثورية . ولا ريب في  
 انه يمكن تحقيق تلبية جديدة لهذا التناقض عن طريق الدعاية ، وتحويله الى  
 « تضحية مرتضاه » ، لكن هذه الفكرة مضافة إضافة الى المصلحة بدلاً من ان  
 تصدر عنها . وفي تلك الفترة من الجماعية والحرب الأهلية المصحوبة بحرب اجتماعية  
 تهدد حركة العامل العفوية بأن تكون هدامية : تهدد برفض العمل المكثف ،  
 ويتطلب رفع الأجور وسياسة إسكان الخ . وإذا كانت الشروط العامة تقتضي  
 تعبئة جميع قوى البلاد لخلق صناعة ثقيلة على وجه خاص ، يصبح من المستحيل  
 استشارة وعي الجماهير ، باعتبار ان مصلحة العامل هي أن يحدف « التناقض بين  
 طبيعته وبين وجوده » أي ان يطالب بخلق وتطوير صناعات استهلاكية .  
 ويدعي انه يمكن اتقائه ، لكن الذي سيفتعه سينطلق من معرفة الضرورات  
 الموضوعية الى التأثير المركز على الوعي الطبقي . وبعبارة اخرى ، سيؤثر من  
 الخارج على ذاتية الجماهير . إن الاختصاصي يكف عن ان يكون متشعباً الى

الجماعير البروليتارية ، وعن ان يكون مدبراً عنها ، وعن استلهاها : بل يلق خارجاً عنها ، لا تشغل سوى المشكلات التي لا يستطيع الشبية ان يقرروا شيئاً بصدها على الاطلاق .

اذن فالجماعير الثورية التي كانت متقدمة على الاقتصاد في المرحلة ما قبل الثورية تصبح متخلفة عنه بعد الثورة نتيجة انقلاب شيطاني .

وانا في هذه اللحظة يتدخل التقييم الذاتي ويختار القادة السوفييتيون سياسة معينة وتصوراً معيناً للإنسان ، ولقد كان ممكناً ، حتى في هذه الظروف الصعبة ، ان يعتبر الكائن الإنساني كائناً متقدماً دوماً على وضعه ، وأن نستخلص من هذا التجاوز الوسيلة لتكوين ذاتية بناءة . كان ذلك ممكناً في اطار الماركسية بالذات . ذلك ان فكرة ماركس في هذا الموضوع ملتزمة ، وصحيح انه كتب : « ان افكار الدماغ البشري المشوشة هي تصديقات ضرورية لسيورتهم الحيوية المادية ، القابلة للفهم تجريبياً والمربطة بشروط مادية ، وبالفعل يدور ان هذا يعني أن الوعي ، ذلك النتاج الحامد الصرف للشروط المادية ، لا يستطيع ان يتجاوز اللحظة الحاضرة ، وعليه ان يكتبني بأن يعكسها سلبياً<sup>(١)</sup> . لكنني يكتب أيضاً : « ... ان ما يميز من البداية أسوأ المهندسين المهارين عن أكثر النحللات خبرة هو انه ينسى التخروب في رأسه قبل ان يبنيه في عقله . والنتيجة التي يفضي اليها العمل تكون موجودة سابقاً بصورة مثالية في نخلة العامل . وليس ذلك لأنه يدخل تغييراً شكلياً على المواد الطبيعية فحسب : بل يحقق فيها في الوقت نفسه هدفه الخاص الذي هو واقع له والذي يحدد نط عمله ككائن ، والذي يتوجب عليه ان يخضع له ارادته<sup>(٢)</sup> . لكن القادة السوفييتين بدلاً من ان يعدقوا الاقتراحات ماركس ويشيدوا نظرية عن الذاتية متلافة مع المرحلة الجديدة من الثورة ويحددوا الى أي حد يمكنهم ان يفسقوا بين توجيه الوجدانات من الخارج وبين التوضيح التدريجي لتياهم المشوشة ، بسدا عليهم

١ - رسالة مقدمة - ص ١٥ - ١٦ .

٢ - الرسائل - المجلد الأول - ص ١٩٧ .



وكانهم فعلوا على الأخص بالهوة التي تفصل بين الذاتية الشعبية وبين مساهمة  
 ماركسيه الفهم التطري للحركة التاريخية في مجموعها ، ان المعرفة النظرية  
 والمعلبة لقصيرة التاريخية تصبح علماً وتقنية يُعدّها لها الاختصاصيون . وهكذا  
 سبقت الصناعة لفترة من الزمن العلم : فقد كان البشر ينتجون المراكب قبل ولادة  
 أرخيدس بسدة طوية . وكان الحدس يسمح لهم بتجاوز النظرية عن طريق  
 الممارسة . لكن التعمد التدريجي للأنظمة العلمية أدى في النهاية الى عزفها عن  
 القانون والنهن . وبالرغم من أن هذه الأنظمة يتناول الجميع نظرياً ، لكنها في  
 الواقع وقف على ارسنراطية صغيرة من الاختصاصيين . وما يزال في وسع العمال  
 أن يمارسوا عدة مهن ، لكن اختراعات الصناعة ينتجها بالضرورة ملك من  
 الشككيين كونه العلماء . وهذا الانفصال الذي نلناه في المنتجات البورجوازية  
 بين عمري الوشوعية ( العلماء ، المهندسون ، الاحصائيون ) وبين الجماهير العاملة  
 هو الانفصال الذي قام في الاتحاد السوفياتي بين الأيديولوجيين والقادة من جهة ،  
 وبين الطبقة العاملة من الجهة الأخرى . ولهذا يتكهن للشاغين ان يصعب شارحاً  
 ستالين : « ان الجميع سلاح في يد البروليتاريا ... هو نظريتها الثورية الخاصة .  
 وإنا ما ارتبطت هذه النظرية ارتباطاً غير قابل للانقسام بالحركة الثورية للطبقة  
 العاملة فإن مبدعها يكون حزب البروليتاريا في شخص قائده وایدولوجييه<sup>١٧</sup> .  
 ولقد سبق لروزا لوكسمبورغ قبيل حرب ١٩١٤ ان وفتت ضد هذا الاتجاه  
 وأخذت على لينين عن طريق قلب المواقف مشير للفضول « مذهبه الذاتي » :  
 « انه ليخيل إلينا اننا نعيش في هذه الرغبة ... في فرض وصاية لجنة مركزية  
 مطلقة المعرفة ومطلقة القدرة لحماية حركة عاملة « حافلة بالوعود مليئة بالتسرع »  
 من الوقوع في بعض الخطوات العائرة ، أقول ليخيل إلينا اننا نعيش في هذه الرغبة  
 أعراس نفس ذلك المذهب الذاتي الذي سبق له ان نصب أكثر من مطلب واحد  
 للفكر الاشتراكي في روسيا<sup>١٨</sup> . لكن هذا المأخذ إن لم يكن خطاً فهو على

١ - تشاغين ، فكر الحزب في الفلسفة - المنشورات الإجمالية - ص ٢٠٠

٢ - المركزية والديمقراطية ، مقال ظهر عام ١٩٠٤ .

الأقل سابق لأوانه . فليست هي إلا « بخلاف زعمها » التي تأخذ بتأريها ، فالأنا والثانية قد تلاشتا معاً .

إن الجماهير الشعبية مقطوعة الصلة بعبيد العفوي ، وهي تتكشف أمامها « شيئاً » وأخذاً طابعاً موضوعياً ، شأن قوة عملها في المرحلة ما قبل الثورية . وهي لا تفك لغز هذا الوعي بنفسها ، بل لتعلمه عن طريق قادتها ، ولتعرف نفسها أولاً كواقعي عن طريق وساطة هؤلاء القادة . وإذا كانت قوة عملها لم تعد محض بضاعة ، إلا أنها ظلت متصلة عنها ، وما قاله ماركس عن الصناعة البورجوازية يظل صحيحاً : « لا ينبغي أن نقول ان ساعة إنسان يساري ساعة إنسان آخر ، بل ينبغي ان نقول ان الانسان ساعة يساري الانسان ساعة آخر » . لكن لا ينبغي ان نستنتج من هذا ان الثانية توجد على مستوى القادة . فحين تكون إحدى الطبقات الاجتماعية مستلبة ، فإن الاستلاب يشد « كما بين فلانك لو كاش<sup>١</sup> » بعد ماركس ، الى درجات المجتمع كافة . وفي اللحظة التي تسقط فيها البروليتاريا « ذات التاريخ » خارج الوعي النظري والعمل لهذا التاريخ ، تصبح بالنسبة الى قاضيا مادة هضبة للتاريخ ، موضوعاً سلبياً . لكن القادة المنفصلين عن العامل التاريخي لا يؤثرون على التاريخ نفسه في هذه الحال إلا من الخارج : فيصبح هذا التاريخ شيئاً في ذاته يمكن تأمله ومعرفة ، ويمكن التأثير عليه من الخارج تبعاً لقوانين محددة . انهم يؤثرون إذن بصورة غير مباشرة على التاريخ بتحديدهم العامل التاريخي من الخارج كوضوع ، لكنهم لما كانوا قد كفوا عن ان يكونوا انبثاقاً لوعي الجماهير ، فانهم يكفون بالتالي عن صنع التاريخ مباشرة . ثم خاضعون إذن لقوضوعية بصورة لا تقل جذرية عن خضوع الجماهير الشعبية لها . والحق ان هذه الجماهير موضوع بالنسبة الى القادة و « بالتالي » يعرف القادة التاريخ كوضوع خارج عنهم . وهم بالنسبة الى الجماهير كعالم القرن التاسع عشر بالنسبة الى النظام التجريبي : في الخارج . وبما نجد ان بيبيل<sup>٢</sup> وروزا لو كسمبرج

١ - جورج فوكش ، فيلسوف عمري ماركسي معاصر . « د . م . »

٢ - لوغنت بيبيل ، أحد مؤسسي الائتلافية - الديمقراطية البلشفية وماركسي بارز .

( ١٩٤٠ - ١٩١٣ ) . « د . م . »

في معرفتها وفي عملها قريبان من العالم المعاصر الذي يعتبر ان المغرب يشكل جزءاً من النظام التجريبي . و خلاصة القول ان القادة السوفياتيين يتحولهم وعي الجماهير الخلاق الى موضوع وبقفزم خارجاً عنها ، لم يعد لثابتهم من حضانة نظراً الى أنها غير مدعومة بذاتية الجماهير : لم يعد يرفدها نهر الروح<sup>(1)</sup> ، الشعبية الكبير الذي ما يزال موحلاً لكنه عارم قوي ، فهي تقبل وتمتدح نفسها متفكرة الى حق والى أساس . وهم في الوقت نفسه مطلقون في الهواء نظراً الى ان وضعهم كقادة فصلهم عن الشروط البروليتاري : انهم يستطيعون ان يضعوا أيديهم على تناقضات الموقف الموضوعية لكن ليست هذه التناقضات هي التي تكونهم وهم لا يستطيعون ان يستفيدوا من قوتها المنتجة . وبالتالي ليسوا في الواقع سوى المعرفة المحضة الموضوعية والتأثير الوحيد الذي يارسونه عليه نأثير نفسي ليس إلا ، أي عطفح الشبه بذلك الحساب العقلي الذي يرى فيه نوكاش الوظيفة النظرية - العملية للبورجوازية الصناعية . وهكذا تصبح الجماهير موضوعاً سالباً ولاواعياً للتناقضات التاريخية بينما تكون القادة والأيديولوجيون وعياً مجرداً خالصاً لهذه التناقضات . ولما كانت وظيفتهم الوحيدة تيسيق المعطيات الموضوعية ، فانهم يدركون من الخارج انسياب الظاهرات والقوانين التي تسيطر هذا الانسياب<sup>(2)</sup> . إذن فليس المنهج كائناً فيهم ،

١ - ماركس هو الذي استخدم هذه اللفظة .

٢ - ان كوربا ، على سبيل المثال ، تقسم الى قسمين ، هي تناقض عشق . وقد كان لا بد ان ينشب صراع بين الشمال بانتاجه الصناعي والمخطط وسعيه الى إقامة نظام اشتراكي . وبين الجنوب بقضائه المختلف والنظام الاقطاعي وملكيته الزراعية الكبيرة . لكن انسياب السوفياتية الخارجية - بنظرها الى هذا الصراع من الخارج ، عبر منظورات الدفاع عن المصن السوفياتي ، واعتبارها له واحداً من عوامل التوقف المؤقت والتطوره ، ويتعدىها تبعاً لفساد الموقف التاريخي والساعة الذي يمكن ان يستاح فيها فجرم شمالي اكبر قدر من فرص النجاح ، ورسماً التوقفين المختلفين للاتحاد السوفياتي في حالة النجاح وفي حالة الفشل . تستخدم انسياب فلاحى الجنوب او حضانة الثماثيل الثورية كيرى في رقعة شطرنج - بحيث يتكون الكوربوت عملاً واعياً لتاريخ بالنسبة الى القسم ، وأداة مسيرة من الخارج بالنسبة الى القادة السوفياتيين . لقد أصبح الوعي الثوري للجماهير الكوربية بالنسبة الى الزعماء السوفياتيين عنصرأ من عناصر حياتهم الموضوعية .

وهو لا يكشف عن علاقتهم الحية بالموضوع . بل هو بالأحرى قاعدة موضوعية الموضوعية . انسه يتجمد من الخارج ، بتعظيم ، يصبح قاعدة ماصحة خالصة للتغير . وتموت الماركسية وتصبح سكوناً لثابتة . وعلاوة على ذلك فإن العودة الى التحليل البورجوازي تجهز على ما تبقى فيها من الديالكتيك وتحولها الى تحليل الشروط المعادية للصيرورة التاريخية . إذن فمن غير الصحيح ان الذاتية هي المطلب الأخير للنظام السوفياتي ، على الأقل عندما تنظر إليه قبل الشقاق بيننا . ان القيادة والبيروقراطية التي تنفذ أوامره هم ضحايا الموضوعية كما ان البورجوازي ضحية الرأسمال . والذاتية لا وجود لها في أي مستوى من مستويات النظام . أوهي بالأحرى موجودة في كل مكان ، لكن ملتزمة ، غير منظور : موجودة كهراب من الذات نحو الموضوعية . بيد أنهم اعطوها مع ذلك مكانها في النظام . انها مساهمة وتقيدى كصفة موضوعية معينة للموضوع . وهذه الذاتية الكافية تتجاوب بدقة مع ما يعتبره لو كاش الذاتية في المجتمعات البورجوازية : « نتيجة لعطلة صيرورة العمل ، تبدو صفات الشغل الانسانية وخصائصه أكثر فأكثر وكأنها محض منابع للأفراط والأخطاء تعارض العمل المتوقع والمحسوب لتلك القوانين الجردة والجزئية » . وأي عجب في ذلك أصلاً طالما ان لينين ، نظري المركزية الأول ، أمكنه ان يكتب هذه العبارات القطعية متناسياً كلياً نظرية التشيؤ ( التي تقبل عن طواعية بأن ينظم العمل الشغلة لكن كاشياء ) : « تهمني الايسكرا<sup>١١</sup> بأنني أتصور الحزب كعمل مضخم على رأسه مديره ، اللجنة المركزية ... ان هذا العمل الذي يبدو للبعض وكأنه فزاعة ولا شيء آخر هو الشكل الاسمي للتعاون الرأسمالي الذي ضم البروليتاريا وضيبتها وعظما التنظيم ... والماركسية ، عقيدة البروليتاريا التي تفتتها الرأسمالية هي التي علمت وتعلم المثقفين الثقيلين الفرق بين الجانب الاستغلالي من العمل ( الانضباط الذاتي على خوف الموت من الجوع ) وبين جانبه التنظيمي ( الانضباط

١ - ومعناها البرومية الشراعية وهي اول صحيفة ماركسية علمة اسمها لينين عام ١٩٠٠ .  
 لم استرل عليها التشيؤ عام ١٩٠٣ . « هـ »

التي على العمل المشترك التاجم عن تقنية ريفية تتطور<sup>(١)</sup> . إن لينين هنا  
 للضليل : فانضباط العمل يجب تعبعه في التaylorية وسائر أشكال العقلنة ، وينجز  
 الشيء العامل بإرفاعه إياه على العمل المجرأه ، وبنسفه صلته العينية بالنتاج ونفسه  
 ويعطه إياه الى مستوى الآلة . إن هذا الانضباط والتاجم عن تقنية ريفية  
 التطور ، يقيم بين الأشخاص تنظيمياً لا يقل احكاماً عن تنظيم الآلة ، ومردوده  
 مرموق ، وانما ما نقل هذا التنظيم الحكم الى صعيد العمل الثوري اعطى نتائج  
 مذهلة . لكن المنظمة الكفاحية تجزئ الشيء الذي بدأته البورجوازية . وهذا  
 مقبول أيضاً فيما لو أن الشيء يتحول وقد بلغ أقصى مسده حسب الانقلاب  
 الديالكتيكي الذي لوقعه ماركس . لكن البورجوازية اختلت والاستلاب الجفري  
 الذي كان يميز المجتمع البورجوازي لبث متيقماً .

والنظام الموضوعي الترحه يجب تكلمه اغيراً في الجيش السوفياتي . ان الزمام  
 السوفياتيين يرايون في الأحزاب الشيوعية الوطنية لأن هذه الاحزاب لم تقادر  
 نظراً الى بقائها في حظيرة المجتمعات البورجوازية ، المرحلة السلبية التي تتميز على  
 وجه التحديد بالاتحاد المتناغم بين الموضوعية والذاتية . وبناء على هذا التطور  
 سيفهد السادة الى الجيش الأحمر بتهمة إحداث الثورات المحلية . وهكذا  
 سيستبدلون حركة فردية وديالكتيكية ومبهمة بعملية تكنيكية صرف تتشابه  
 في كل نقاطها مع عملية تركيب آلة . إن الجيش الأحمر ، الخارجى بماهية بالنسبة  
 الى البلد الذي ، يجرره ، يستبدل الثورة الشعبية المقاجنة بعمل منظم يمارس  
 على المواضيع من الخارج . وأتذلك لا تعود المسألة سوى مسألة هندسية صرف ،  
 والتكتيكيون الذين سيوضعون في مراكز القيادة ينتخبون على أساس كفايتهم  
 من قبل تكنيكيين غيرهم ، بدلاً من أن تحملهم الجماهير الى السلطة . ومعلوم ان  
 يكون المذهب الذاتي اليوم حلقاً ورمعاً : ففي البلدان التي ظلت خارج منطقة  
 عمل الجيش الأحمر ما زال الذاتي موجودة وإن كانت مُلجسة ، لكن

١ - لينين - مؤلفات مختارة - طبعة موسكو الفرنسية - ١٩٥٥ - المجلد الأول - ص

البروليتاريات ، الناقصة التكوين ، المحترقة بسبب عدم انضباطها ، مدبوكة لصيرها مؤقتاً : ومطالباتها المشروعة تستخدم لتفدية شغب مشوش في أوروبا يعرف الانتاج وسيء الى جملة الحزب في الوقت نفسه . وفي بلدان الكتلة السوفياتية ، من هو البيروقراطي الذي ما يزال يعرف ما هي الذاتية ؟

إن البيروقراطي ، الوسيط بين موسكو وبين أبناء وطنه ، يعرف انسه موضوع بالنسبة الى القادة السوفياتيين ، أما الموقف الذي يملك لقره وينظمه ، فهو لا يدركه إلا من خلال الصفة الموضوعية التي يضلونها عليه في اطار الظروف الحالية . انه يلاتم ، هو الموضوع والمنظور اليه كوضوع ، البنس المحلية الموضوعية مع الموقف الموضوعي الذي ينعكس عبر التطلبات السوفياتية . وحين ترضي البعثات التجارية على « طلبات » ، يتوجب على الموظف ان يوجه الانتاج المحلي وينشط حتى يتمكن ان يسل هذه التطلبات في موعدها المحدد . وهذا النشاط التنظيمي يتم من لقاء نفسه على اساس الحساب والاحصاء .

ولهذا أرى انه من قاصح الخطأ ان نفسر « العصبيات » الجبهضة التي قام بها الألباني ذرودزبه والبولوني غومولكا والمجري راجك والبلفاري كوستوف بأنها اكتشاف ومطالبة بحقوق الذاتية . إن نقطة الانطلاق على العكس ، كما تشير الى ذلك ، هي ، في كل حالة ، تناقض موضوعي بين التطلبات السوفياتية والهام التي تفرضها صعوبة التشريك المحلية . وهذه التناقضات ليست بالضرورة محسوسة من قبل الجماهير ، او اذا كان السكان يشكون منها ، فإن التمرد لا يولد على كل حال من هذا الصدام المعاش والحسوس : فما هذا التمرد إلا وهي البيروقراطي الذي يلاحظ التضاد والتناقض من الخارج شأن عام الرياضيات الذي قد يكتشف اخطاء في صياغة المعادلة . إن استياء الفلاحين او العمال لا يظل غير ملحوظ : لكنه يقيم كعظمى موضوعي وكتعبير وعلامة عن التناقض . حين ألقى كوستوف خطابه في صوفيا في ٨ ايلول ١٩٤٧ ، تجل له هذا التناقض وكانه محفور في الأشياء . فمن جهة اولى ، تلك العقيدة الجامدة الثابتة عن « الدفاع الدائم عن الوطن السوفياتي » : كيف السبيل الى الشك في موضوعيته ؟

فلاستفاه البيروقراطي اختار كوستوف على وجه التحديد ليستخلص النتائج العملية من تلك الموضوعية ، وكوستوف لا يستطيع ان يرى نفسه إلا على انه ذلك الموضوع المكلف بتطبيق سياسة مناصرة للموحيين ، وذلك الوحي المجرى الذي يدرك الضرورة الموضوعية لهذه السياسة . لكن الموظف كوستوف مكلف من جهة أخرى ، وفي اطوار الدفاع عن الحصن الروسي ، بتشريك بلقاريا على مراحل وتبعاً لتأهيج بحرية . والحال ان الاستغلال الاقتصادي لبلقاريا من قبل الاتحاد السوفياتي يجعل هذا التشريك مستحيلاً عملياً . واليك المظهر الآخر للموقف الموضوعي : « منها لكن الظروف فلن تسمح بتدخل اجني في قضايا الداخلية . إن الشعب البلقاري يعرف حق المعرفة انه بدون استقلال ويسدون سيادة لا يمكن ان توجد ديوقراطية شعبية ولا تصنيع ولا كهربة ، ولا ملكية وحياسة سعيدة للشعب » . بيد أن التناقض يتابع تحويل الموظف : فهو يرغم « بتكثفه عن انه الصراع بين مهمتين متناقضتين لا يمكن تجاوزهما وتحديدانه في واقعه ، على ان يختار نشاطاً يحدده في كينونته ، بصرف النظر عن كل نشاط آخر ، وباختصار يرجعه الى الذاتية<sup>11</sup> » . وينتقل التناقض كيه ، تحت شكل صراع بين الموظف - الموضوع الذي يتعده بتطبيق التطلعات السوفياتية وبين الوعي المجرى الذي يمكن فيه الاستعانة الموضوعية . لكن لا ينبغي ان نظن ان اكتشاف ذاتيته يفعمه بالسعادة . فهذه الذاتية تتجلى له على العكس في الفلق ، وهي مندوجة علاوة على ذلك بالنظام الموضوعي للزعة ، ولقد اعتبر الذاتية يوماً « منبعاً للأفراط والأخطاء » . وعلى هذا فإن اللحظة الذاتية ليست بالنسبة اليه سوى مرحلة انتقالية ، وهدف « ثمره » حذف التناقض في الموضوع وبالتالي نحو اللحظة الذاتية في شخصه . ويبدو انه من المرجح ان تلك العصابات المزعومة لم تكن تهدف إلا الى إرساء اسس سياسة حزم تجاه الاتحاد السوفياتي للحصول من موسكو على ترتيبات تسمح بتابعة التشريك مع الاستمرار في تأمين الدفاع

١ - ان التناقضات الجزئية التي صادفها في عهد ليرمي تتعلل في اغلبها وفي اطوار العتقادات المذكورة ، ولا يرجع الى الذات .

عن الحصن السوفياتي وبذلك يكون البيروقراطي ، عن طريق توفيقه بين مهامه ،  
قد استرجع الموضوعية .

والحال انه في كل مرة بفشل ، ويسجن ، ويحاكم ، فكيف سيفهم فشله ؟  
انه لا يتكلم ان يبين الذاتي من الموضوعي . ولا يستطيع ان يلمح بالتالي الى تفسير  
ذاتي النزعة : « لقد اخطأت التصرف » . ذلك ان كونه قد اخطأ التصرف  
بالذات يعني « في منظور المذهب الموضوعي المطلق » انه لم يكن يوسع انت  
يحسن التصرف . وبالفعل ماذا يتوجب عليه ان يقول ؟ « لقد عجزت بالتصرف ،  
ام « تأخرت » ؟ لكن الموضوعية هي التي تحدد بنفسها لحظة الشروع : ولا  
ريب في ان الأوان كان قد فات حين الكشف التناقض . لكن قبل ان يتكشف  
كان الأوان ميكرأ بعده نظراً الى ان هذا التناقض لم يكن قابلاً لأن يتكشف أو  
على الأقل لم يكن باعثاً على الفلق بأية الكفاية ليبر عملاً ما . هل سيقول :  
« سينجح آخرون » ؟ لكن جميع الذين يكتنهم ان ينجعوا والذين يعدون على  
اصابع اليد قد فشلوا معه : ما دام البيروقراطي قد انفصل عن الجماهير ، فإنه  
لا يستطيع ان يعتمد في البداية على المساهمة الشعبية ، ويأخذ لمرءه في مشهد  
وجه تآمر . « أكتف على حق ؟ أأنا على حق حق في فشل ؟ » . ان هذا  
لحوقف شعري : ان مالأوميه يفوس في قساح البحر ، مقهوراً ومتنصراً ، لكن  
لوظف في جمهورية شعبية لا يقامر إلا على اسام : من يخسر يربح ، والنجاح هو  
معباد الحقيقة . أفن فهو غطى : وما كان يوسع مشروعه ان يأخذ مكانه في  
الواقع . لقد كشف العقل الموضوعي عن حقيقته ، عن واقعه المطلق ، وعن  
ضرورة كل حركة من حركاته عندما جاءت لتتخطم على صخرة ذلك العقل  
الموضوعي . لكن الكارثة تصالحه مع نفسه لأن العقل يكشف له عن الدلالة  
الحقيقية لتلك الذاتية التي ما زال تسلطه عليه كذكرى حلم : انها عدم ، تناو ،  
عجز . وكل ما هو موضوعي واقعي ، وكل ما هو واقعي موضوعي . ولقد كان  
تفسيره للموقف المعيني خاطئاً . أي عدماً . لقد أراد ان يصدر حكماً بدون ان  
توفر لديه العناصر ، وهذه العجزة نتيجة عيب في طبيعه . وبالفعل انت العمل



الأمثل هو تلاؤم أمثل مع متطلبات الموضوع ، إذن فالذاتية لا تستطيع ان  
 تفعل شيئاً سوى ان تفقد هذا التلاؤم . ان الكبرياء والاندماج وضيق النظر  
 قوى سالبة أو بالأحرى غياب كينونة . واذا كان تحييل اليه لحظة من الزمن انه  
 سينجح ، واذا كان مشروعه قد حظي ببداية تنفيذ ، فهذا لأنه تقيد بالواعد  
 الموضوعية . وهو انما يستمد فعاليته من الموضوعي . لكن هذه المساعدة للتبخر  
 من تلقاء نفسها عندما يسمي الى تحويل القوى الموضوعية ضد الموضوعية . ان  
 المذهب الموضوعي الذي استعاد نسجانه الهادي ، على هذه الصورة يقرب هنا  
 من أخلاق كوتديل : « الأسوأ ليس مؤكداً درماً » . وهكذا يصبح الموظف  
 متواطئاً مع فضائه : ففي الوقت الذي يحكم فيه على الذاتية بالأناكروت سوى  
 محض غياب ، بصور هؤلاء التآمر الذي حاك شيأهه وكأنه النتيجة الضارة  
 الموقف الذاتي . انه متفق معهم على النظر الى الذاتية لا باعتبارها تأريخاً معيناً  
 للموضوعي بل نقيضاً لهذه الموضوعية : انها بالنسبة اليه كما بالنسبة اليهم العدم الذي  
 يهب الكائن قوته ليقلبها ضده . واختصار : انها شر . وفي نظره كما في نظرم ،  
 ليس القتل النهائي المشروح إلا الدليل على ان الشر عاجز ، وهو يميز تقاضهم  
 للمروض بالارهاب . ولا بد ان يغالي الفضاة أكثر من ذلك أيضاً : فسامر إلا  
 موظفون مهمتهم ان يقدموا التقارير للسلطات العليا . ونقل المشكلة هي هي  
 في التيوبسيات<sup>١١</sup> كافة : الواجب الأول هو تبرئة الله . والفعل لا يكفي ان  
 يرضع الخير والحق والتنظام والموضوعي والكينونة في جانب ، والشر والخطأ  
 والذاتي والعدم في الجانب الآخر : بل لا بد أيضاً من تفسير العدم . ذلك ان  
 الشر غير كائن ومع ذلك هناك شر ، والخطأ ليس شيئاً ومع ذلك يخطئه  
 الانسان . ومهمة الكتابة هي ان يبينوا ان اللاكينونة تأتي من الكينونة وان لا  
 وجود لها إلا عن طريق الكينونة وإن الكينونة مع ذلك ليست مسؤولة عنها  
 البتة . « الادارة لا تجعل أي مسؤولية ... » . فبالنسبة الى ديكرت على  
 سبيل المثال بأينا الابهائي كله من الله ، والسالب انما يلبس منا . لكن ديكرت

كان يؤمن على الأقل بالحرة الانسانية ، وكان لديه ميذاً من مبادئ التنوير ، لكن المسألة أدق وأعمق بالنسبة الى الكتبة السوفييتيين الذين لا يؤمنون بحرية الارادة؛ ان الشخص لا يمكن أن يستخدم بعد اليوم ككوكب فداء ، اذ المطلوب على العكس ، معرفة من الذي ستلقى عليه مسؤولية وجود الشخص. إن السالب ، في ، لا يمكن أن يولد من الضرورة التاريخية ولا من باعثاري نتاجاً وعاملاً موضوعياً لهذه الضرورة . كما لا يمكنه أن يولد من الطبيعة التي يفرل عنها المنجز انها على وجه التحديد ضرورة متحركة تحددها قوانين عامة . كتب يقول : «إن الفرد العزول لم يعد ضرورياً كمصدر التجربة ، بل يمكن أن تستبدل تجربته الفردية الى حد ما بنتائج التجارب التي قام بها عدد معين من أسلافه . واذ كانت السمات الريفية على سبيل المثال تبدو لدينا بديهية من تلقاء نفسها بالنسبة الى أي طفل في الثامنة من العمر وليست بحاجة الى البرهان عليها بالتجربة ، فهذا فقط باعتبارها نتيجة لثلاث مائة كراي<sup>11</sup> » .

وطالما إنه لا النظام الاجتماعي ولا النظام الطبيعي مسؤولان عن الفرد بصلته تنهياً ومينياً للأخطاء ، فلا بد إذن من نسبة الى ثلاثها ، ان التقاية عيب في الصنعة ، فالب يتصر ، اذا ما نظرنا اليه بصفته نتاجاً طبيعياً ، بالقوانين والظروف ويشد مع التالي بما هو عام وشعولي ، لكنه يصبح ، من وجهة النظر الاجتماعية ، استثناء ، وحشاً . والمسؤول انما هي الصدفة ، اي ثلاثي سلسلتين مستقلتين . والصدفة تعني على وجه التحديد عدماً - مسا دامت كل سلسلة من السلسلتين تنتج من تلقاء نفسها الاجتماعية الحاصلة وليست علة السالب إلا من وجهة نظر السلسلة الأخرى وبالتالي اليها - الجانب غير القابل للفهم فيما هو قابل للفهم - وما دامت كل ظاهرة في كل سلسلة قابلة للتفسير بنهاها ، لكن لا ثلاثي السلسلتين ، باعتبار ان سبب هذا الثلاثي غير كامن من حيث تعريفه الذات لا في هذه السلسلة ولا في تلك ولا في حسد ثالث وجوده كقيل والقضاء على استقلال السلسلتين - العجز - ومسا دامت الصدفة يلقي بعضها بعضاً حسب قانون

١ - الجزء ، « ملاحظات حول ضد تعريف » في « والكتيك الطبيعة » - ص ٢٦٠ .

الأعداد الكبيرة . ان الفرد ، الذي هو محض مثال عن القوانين الطبيعية ، ليس شيئاً في الطبيعة سوى ما هو عام . لكنه قد يكون الاستثناء في العالم الاجتماعي . ومنذ ذلك يتوجب على الذاتية باعتبارها عيباً في الصنعة ان تكون قد وجدت من لحظة لسلم النتائج . انها صفة موضوعية للموضوع البيروقراطي . ولا بد بالفعل من تحديد موضوعها وحصرها : إلامّ تنصير الإدارة اذا كان المرض الذاتي يستطيع في كل لحظة ان يتفرض على الموظفين السوفييتيين ؟ وقد يحدث أن يتم اكتشاف هذا المرض في زمن متأخر ، لكن هذا لأن المريض كان يخفيه . وبكلمة واحدة : ان الذاتية عيب في التكوين اسمه الآخر الحيانة . ان بعض الأشخاص ولدوت ذاتيين ، أي نساء ومذنبين ، وعالمهم ان اللصبة . وحتى هنا ، حتى الأمانة ، حتى تنفيذ الأعدام ، يكون التهم متواطئاً مع فضائه : ثم يأتي فشله ليحرره من قلبه . ومن أمثاق سجنه يتأمل بإطمئنان العالم الموضوعي الذي صلحت حاله . ويقع وعيه الحاصل موضوعاً جديداً بين سائر المواضيع : هو نفسه مع ذاتيته . وهذه الذاتية ، المرتفة الى بعض صفة خارجية ، تكف عن إقلاقه ويطلبته . انها في الخارج تكون شعرة ، كوزنه او كقامته . لقد كفتت عن أن تكون ذلك الصوت المحائل ، المجهول ، الذي كان يمس في افئه ويحاول ان يقنعه بأنه ذاته وبأنه - اي الصوت - لا ينتمي الى عالم الأشياء . والآن ها هي ذي اصابعه ، هامة ، تهددها الصعورة التاريخية . ولا يعود هو سوى نظرة مجردة تتأمل جنة . بيتاً ، لقد كان خائناً ، وكان لا بد أن يكون كذلك . كان سير العالم نفسه يتطلب الحيانة . وكان لكونه المغيب بسببه لاقرارها ، وكان عتسماً على الطرف التاريخي ان يحبطها ويحضرها . ويتصر التهم : كان يريد النظام ، ولقد ذله . والحونة بالذات يحتلون مكانهم في النظام ويسامعون في قرطيد . وحيل النظام لم يضطرب قط . ووعي المذنب الفقل يؤلف كلاً واحداً ووعي القاضي الفقل . وهذا المذنب يستعيد برامته بادائه جوفته باسم الموضوعية التي خدمها دوماً . وبذلك يعود من جديد بيروقراطياً . ويسمى مع سائر البيروقراطيين الى استقلال واقعة خيائته الموضوعية الى أقصى حد . ولما كلف واحداً من

تكتيكي الدعاية ، فإنه يهيء مع زملائه الاعترافات ، المدروسة جداً ، التي سيبدى بها أُنساء المحاكمة . وإني لأدهش إذ يشار كل ذلك اللفظ حول هذه الاعترافات وهذه النزعة الموضوعية . فمقرنتنا بها ليست بنت اليوم . فنحن أكثر من قرن وضع هيجل نظريتها وكتب : « لقد طرح الوعي مبدأ التفرد . وفي تطوره الكامل طرح التفرد الذي هو الوعي واقعي فعلاً كلفي لذاته ، أي كوضعية قائمة ، أو هو النزاع من نفسه كبنوته لذاته وجعل منها كائناً . وفي هذا التطور جاءت أيضاً إلى كائن الوعي وحدته مع هذا الشمولي ، وهي وحدة ... تشكل في الوعي كوعي ماهيته<sup>(١)</sup> .

ولقد قرأنا الصفحات الخمسة للوعي التعميس . إن النقاش حول لعب التفرد والعمومية في الوعي المسيحي ينطبق أيضاً على صراع الموضوعي والذاتي في الوعي الموظف المجرى أو البطاري . لكن قلسم النتائج الحديثة ولاسيما تكتيك الاعترافات - التفوق إلى حد بعيد على تكتيك الاعتراف الكاثوليكي - منح لهذا « الوعي التعميس » الجديد باسقبعاد التعاسة .

وكل ما هنالك أن النظام الموضوعي النزعة يتطلب إخفاق المؤامرات . إنه يفسر المألوفين ويشقوى هزينهم . وكل نجاح يسد إليه ضربة قاضية : والحاصل أن تينو قد نجح . يقينا ، من الممكن أن يسحق هدا ، ومن الممكن أن يتلاشى حكمه مع نشوب حرب عالمية جديدة ، ومن الممكن أن تقوضه المصاعب الداخلية ، ومن الممكن أن تعيش بوجوسلافيا عيشة كفاف ضمن حدودها الإقليمية : إلا أنه بانتظار ذلك يفوق الشفاعة من نجاح إلى نجاح وسيطر سيطرة تامة على قوته . إن المذهب الموضوعي لا يملك أدوات فكرية لتفسير وتقييم هذا التاريخ الجزئي . والاتحاد السوفياتي تميزه الوسيلة لهاكمة ليشو . ذلك أنه لو كانت الناقية عجزاً ، لكان لوجب على تيشو أن يكون « راجك » ، ولما كانت « الصيرورة التاريخية » أتاحت له أي فرصة للنجاح . والحق أن الماركسية تقلب هنا على الستالينية ، وتقلب الستالينية على نفسها .

١ - فينومينولوجيا الفكر - ترجمة هيرولت - ص ١٩١ .

كتب انجبار : « ان مسألة ظهور فرد معين ، لا أي فرد آخر ، في عصر محدد ، في بلد محدد ، هي بالطبع مسألة متعلقة بالصدفة الحاصلة . لكننا إذا ما حددناه ، فسوف يكون دوماً بحاجة الى بديل ، وهذا البديل سيوجد بهذه الصورة او تلك . سيوجد حتماً مع مر الزمن . ولقد كانت صدفة ان يكون نابليون ، ذلك الكورسيكي ، الليكتاتور العسكري الذي كانت لاحتاجه الجمهورية الفرنسية التي أبتكتها حروبها . لكن لو لم يوجد نابليون هذا ، لفسام غيره . مهمته<sup>١١</sup> . » . ضموا في هذه النص قيتو مكان نابليون فتجد النتيجة تعبرها المطلق . كان نريف برغوسلافيا الاقتصادي ، والتدمير الفلاحي ، والاشقياء العالي ، وانخفاض مستوى الحياة ، ووقف التصنيع ، كان هذا كله يتطلب الطبيعة مع الاتحاد السوفياتي ، بل كان هذه القطيعة نفسها : وذلك من حيث المنى الذي تقول على أساسه ان البروليتاريا هي تناقض المجتمع البورجوازي . ولقد كان واجباً ان تتم هذه الطبيعة عن طريق وساطة زمرة من قادة الذين يتحدون على وجه التحديد بتصميمهم على إنجبار هذه القطيعة . ان قيتو ، فيما إذا صدقنا إنجبار وستالين ، هو النتائج الموضوعي لوضع اليوغوسلافي . سيقال : كلا ، فهو يحكم بالأرهاب . أمن الممكن إذن ان يقوم على الارهاب ضد التاريخ ؟ وفي مثل هذه الحال ، من ثبتت لي ان المكتيب السياسي ، لا يحكم ضد إرادة الشعوب السوفياتية ؟ لكنني لا اعتقد ان هذا التفسير حاسم : فمن أين له القوة التي تفرض حكم الارهاب ؟ أمن الجيش ، أمن الحزب ، أم من الاطارات ؟ أمهي معه إذن ؟ إذا صح هذا ، نكون قد تجاوزنا على نحو مستغرب موضوعه العيب الذاتي في الصنعة . . . ويجيبنا ستاليني آخر : كلا انه يعتمد على العناصر الرجعية من السكان : الفلاحين ، البورجوازية . لتبيل بذلك : إذن فهذه العناصر تلك ما فيه الكفاية من القوة والأهمية لفرض سياستها . وفي مثل هذه الحال كانت

١ - انجبار : رسالة الى ستاركبيرغ - ١٩٠٩ كانون الثاني ١٩١٤ . انظر أيضاً كورسيكي ، الصيغة الثانية للتاريخ ، العهد الستالي ، ص ١٠٠ . وكذلك بليطافوف : مشكلات الماركسية الأساسية ، ص ١٥٠ .

يتوجب على الاتحاد السوفياتي ان يجري تعديلات على سياسته ، وان يتوقع مراحل أكثر عدداً نحو التشريك ، وان يعتدل في مطالبه على الصعيد الاقتصادي . وبكلمة واحدة ، لقد أخطأ هؤلاء القادة : ان الذاتية ترميهم عن هناك من يهينني بأنه لا يمكن ان يكونوا على خطأ وبأن سياستهم تغير عن المطالب الموضوعية للوضع في الاتحاد السوفياتي . حسناً . إذن نظرية الثورة في مثل هذه الحال متناقضة ، نظراً الى ان اثنين كان يرى ان من ضرورات الاشتراكية ان تقوم الوحدة الاقتصادية للدول التي في طريقها الى التشريك على أساس ، معونة مترهنة وبلاسيطرة ، ونظراً الى ان الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية مرهنة من قبل وضعها على ان تقع مع يوغوسلافيا علاقات تجارية رأسمالية تسمى الى هذه الدولة . لا بد من الاختيار : إما ان التمس الماركسي التاريخ خاطئاً - باعتبار أن الصيرورة التاويجية سرغهم البلدان الاشتراكية على ان تطبق فيما بينها قانون السوق العالمية الرأسمالية - وإما ان تصور البيروقراطي لذاتية خطأ فادح . وبعبارة أخرى : إما ان نحتاج لنمو يتسمر بشروط يوغوسلافيا الموضوعية من خلال منظور مذهب موضوعي يقدم نفسه بنفسه ، وإما انه يتصور بأخطاء سياسية - ارتكبها الاتحاد السوفياتي او القادة اليوغوسلافيون - وعندما لا بد من الاعتراف بفعالية معينة ، بصلابة معينة لنا هو ذاك . ان يوغوسلافيا المنشقة هذه كانت مستحيلة : مستحيلة لأن جهاز الاتحاد السوفياتي البيروقراطي لا يمكن ان يخطئه في تقييمه للمعطيات الموضوعية ، ولأن الأخطاء القربية صدف تراكم ، ومستحيلة أيضاً لأن الحياة حلم قديم عاجز يتغير ما إن يس الواقع . والحال ان هذه الاستعانة الموضوعية تعيش وتزدهر ، والصاعقة الديالكتيكية لم تحملها الى رماد ، وهي تتطور رغم أنف كل يدوية ، بل إن يوغوسلافيا سابقة مدينة كان واقعها مراقباً من قبل السوفياتيين ومدموغاً بدمفتهم . تقول إحدى الأغلبي : كان علماء يحررون تجارب على أرانب وكانت النتائج الموضوعية لهذه التجربة مفررة سلفاً بناء على محاليات عقلية متينة . وكانت الأرانب تعرف مقدماً ما سلتبه . والحال ان التجربة لم

تزيد النتائج المرتقبة . وفيهم الغفاه عندئذ ، أمام هذا الميت ، ان الأرناب التي  
أجروا عليها تجاربهم كانت أرناب مزيفة . حسناً : نحن نعلم ان نيتو أرناب  
مزيف ، وان يوغوسلافيا هي يوغوسلافيا مزيفة . لكن ما الأرناب المزيف ؟  
على كل الأحوال ، ان هذا الحيوان الكذاب يستلزم ان يكون العالم قد أخطأ :  
فإما انه أرناب حقيقي يظنه العالم مزيفاً ، وإما انه مزيف فخطيئة العالم لا  
تقتصر إذ ظنه حقيقياً . ان رجال الكومنتفورم يقولون ان نيتو كان دوماً فاشياً .  
إذن فقد كان دوماً نيتو مزيفاً . لكن في مثل هذه الحال يصح أن نقول ان  
الاتحاد السوفياتي قد أخطأ : وهل هناك من طريقة أخرى للتفسير المديح الذي  
ضمرت أكاليه له ، ستالين رقم ٢ ، ؟ إذا كان الأرناب أرناباً مزيفاً ، يكون  
العالم عالماً مزيفاً . ويكفي ان يصرح العالم بأن العالم الحقيقي لا يمكن ان يخطئ .  
حقى يكون قد انساى في سلسلة من المحادثات تجمله بفقد رأسه : ان العالم الحقيقي  
لا يمكن أن يخطئ . إذن فأرصاده للأرناب صحيحة ، والحال ان الأرناب  
الزعومة لا تزيددها ، إذن فهي أرناب مزيفة ظنها العالم حقيقية ، إذن فالعالم  
قد أخطأ ، إذن فهو عالم مزيف . لكن العالم المزيف لا يقول الحقيقة ، إذن فهو  
قد أخطأ عندما قال ان العالم الحقيقي معصوم عن الخطأ ، إذن فالعالم الحقيقي  
يمكن ان يخطئ . إذن فالعالم المزيف قد يكون عالماً حقيقياً خطأ ، إذن  
فالأرناب المزيف قد يكون أرناباً حقيقياً . ان الموضوعية ليست محض تقييد  
للموقف الزاهن ، بل هي أيضاً وعلى الأخص لتخمين . وإذا لم يزيد تطور الموقف  
صحة التخمين ، فهذا لأن الموضوعية ذاتية دوماً من بعض نواحيها . ولما كانت  
للتخمين ، سواء أكان صائباً أم خاطئاً ، نتائج واقعية ، ولما كان الاتحاد  
السوفياتي ، سواء أخطئ بصدده السياسة الواجب اتباعها ازاء الديموقراطيات  
الشعبية أم يخطئ بصدده الطبيعة الحقيقية للحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، قد  
أثر على مجرى الأحداث ، يتبع عن هذا ان الواقع ليس متطابقاً مع الموضوعية  
الصرف . وعلى الواقعية الاشتراكية ان تأخذ بعين الاعتبار العوامل الذاتية .  
وعليها ان تحمل هذا التضاد الجديد : الأطروحة : الذاتي بلية ثابرة الموضوعية ؛

التقيض : الموضوعية منوطه بذاتية تلك الظواهر وتوقعها وتعددها تبعاً لتلقيها .

وهذا المخرج البالغ الذي واجهه القادة السوفييتيون يتجلى في تناقضات الصحاحفة الشيوعية : فهي لا تتوصل الى تعريف تينو . أخائن ذاتي ؟ أخائن موضوعي ؟ اذا كان ذاتياً ذاتياً ، شأن راجيك ، فقد كان دوماً ذاتياً ، والذاتية ، باعتبارها عيباً ، هي شر في أصل تكوين طبيعته . بيد ان هذا يفترض اننا نعاترف بذهب حتمي نفسي - فيزيولوجي مستقل عن الديالكتيك التاريخي . ونحن نقشت التاريخ على هذا الأساس ، بدلاً من ان نعتبر الواقعة التاريخية الجزئية تعبيراً عن الكلية ، ونفهم الحدث على انه نتاج سلاسل سببية مستقلة ومتلاقية : « لو كان ألف كلبوبارة أقصر ... » ، « ولو كان تينو أسهل خبثاً ، أو لو كان مات بداء الحصاة أو برصاصة ثانية ، لكان تغير وجه العالم . لكن الإن لم ينتهي التفسير الماركسي لتاريخ ؟ ان ماركس ، بلا أدنى ريب ، يقبل بتأثير الصدفة : « ما كان أسهل ان يضع تاريخ العالم لو كانت كل صراع يخوضه البشر يتم في شروط مناسبة بصورة لا يتطرق اليها الخطأ . ثم انسه سيكون ذا طبيعة مفرقة في الصوفية لو لم تكن « الصدفة » تلعب فيه أي دور . إن هذه الحالات العارضة تعود الدخول بسهولة في المسيرة العامة لتتطور وتعادل كفتها حالات عارضة أخرى . لكن تسارع الأحداث أو تباطؤها منوطان الى حد كبير به « صدفة » مشابهة يمثل من بينها أيضاً طبع الناس الذين يتفوقون على رأس الحركة »<sup>١١</sup> . لكن السياق يدل على ان المسألة هي مسألة تسارع أو تباطؤ في صعوبة تطور جارية . وتعبير آخر ، ان الالتفات اليوغوسلافي محفور في الاشياء : لو لم يكن تينو موجوداً أو لو كان مختلفاً ، لحذت القطيعة فيما بعد ، لكن تينو لا يستطيع وحده ان يخلق شروط هذه القطيعة ولا ان يمنع وقوعها . وعلى كل فإن الأيديولوجيين السالبيين قد رفضوا وجهة نظر ماركس المعتادة نسبياً . إن المذهب الموضوعي مضطر اضطراراً الى استبعاد الصدفة . وهكذا



امكان لتؤرخ رسمي ، بوكروفسكي ، ان يكتب في مؤلفه « تاريخ روسيا » أن  
 والاستعداد بالصدقة دليل على الفقر الفكري . . ويتبع آخر ، ان الاهتداء على  
 الصدقة كبدأ للتفسير مشروع في حالة إخفاق المحاولة المدروسة . اما في حالة  
 نجاحها ، فهو يصف الماركسية . لكن الشيوعي السبالي يقول : « لم ينته كل  
 شيء بعد : انظروا يضع سنوات وستطيع برغوسلافيا من لقاء نفسها بالطاغية ،  
 ولن يمدوا عندها الانحراف التبشيري ان يكون أكثر من احدي تلك الصدق  
 التي لا اهمية لها والتي تؤخر فقط سير التاريخ من غير ان تتوصل الى تغييره . .  
 جانتز ، لكن السباليين ما عادوا يملكون غير ايمانهم لتأييد هذه التوقعات .  
 وطالما انهم انظروا في تقييمهم للحزب الشيوعي اليوغوسلافي ، بين 1945 و  
 و 1968 ، فمن تبنت لهم انهم لا يحفظون اليوم في تقييمهم لتطور اليوغوسلافي ؟  
 ولهذا يفضل معظم السباليين ان يعترفوا ، في احاديثهم الخاصة ، بأن تبتو  
 قد لا يكون خائناً دائماً . وتبانه ليست هي التي موضع اتهام . لكنه موضوعياً  
 يتون لأن انشادانه يخدم الدول الغربية ويعدد بأنت يضعف الاتحاد السوفياتي .  
 واني لأتهم بالفضل ان تكون هذه الحجج قيمة لو طبقت ، على سبيل المثال ، على  
 بروجوازي صغير غير متلف سياسياً : فشل هذا الشخص يمكن ان تكون له ،  
 بالفضل ، « افكار كريمة » ، حساسية يسارية ، مثل أعلى تقديمي ، لكنه يلمب  
 مع ذلك في ظروف محددة ، وعلى جهل منه ، لعبة الرجعية . لكن الطفل نفسه  
 يستطيع ان يلهم ، في الحالة المطروحة هنا ، نوع الأخطار التي تتعرض لها قضية  
 الاشتراكية نتيجة السياسة التنبؤية . فكيف يمكنني ان اتقبل بأن متاشلين  
 متعمرين وقادة ونظرين من أمثال بالشي وبوليفيتش يمكن ان يجعلوا هذه  
 الأخطار ؟ وإذا كان اقل الشيوعيين الفرنسيين لغافسة يقين بوضوح ان تبتو ،  
 يتخلد عن عزيمة « الحصن السوفياتي » ، مرغم على الانتباه الى المسكر الاميركي ،  
 فكيف لا يفهم تبتو ذلك ؟ إن هذا غير معقول ، وبخاصة اذا ما فكرنا بأنت  
 القطيعة وقعت بعد شهر من النقاش وتبادل المذكرات ومحاولات التسوية ، وان  
 جميع مظاهر المشكلة قد درست من كلا الجانبين . كلا : لسيد كان لبتو مدركاً

بوضوح لأخطار مشروعها ، وهو لا يستطيع ان يجيئها . وإذا كانت خائفاً موضوعياً ، فلا بد انه كان كذلك ذاتياً . أو بالعكس : إذا لم يكن خائفاً ذاتياً ، فلا يمكنه ان يكون خائفاً بصفة موضوعية صرف . وهذا يعني : انه لم يأخذ بعين الاعتبار الجميع المتألفة ، إما لأنه لم يعد يؤمن بتطرية الحصن السوفياتي ، وإما لأنه لا يعتقد بأن النهاية المحتمة للانشقاق اليوغوسلافي هي حجر الاشتراكية والانتهاج الى الكتلة الأميركية . وفي مثل هذه لا يدان تعترف بأن هناك امكانية لتعيين اثنين متباينين لوقف واحد : الذاتية ضد الذاتية .

لكن التنبؤية لن تكون لها سوى فائدة ثانوية لو كان الهدف منها إحراج نظري الحزب وسحقه ليس إلا . والحق ان ما يعطيها أهميتها الاستثنائية الفائقة هو انها مترافقة بالنسبة الى القادة اليوغوسلافيين بإعادة اكتشاف الذاتي ، وبالعمل للذات كان يتو في البداية ، شأن راجك ، موضوعي النزعة . ولا أهمية إن كانت طبعه وتجرئته كقنوم جملاً الطاعة صعبة عليه إلى أقصى حد : فالأمر الواقع هو انه اندمج بصفته قائداً أعلى ، بالنظام البيروقراطي الصارم والضخم الذي شاده الاتحاد السوفياتي . والأمر الواقع ، كالتوء بذلك يا عزيزي دالما ، هو انه ما من عنصر من العناصر التي يمكن للماركسي أن يجعل منها سبب البيروقراطية السوفياتية ... غائب عن يوغوسلافيا . ويتوء ، شأنه شأن راجك وكوستوف ، قد انشاق إلى التمرد نتيجة التأمل الموضوعي المحض في الموقف . ان خطابه ، التي كان يمكن لكوستوف او راجك ان يلقياها مع بعض تعديلات طفيفة ، تشده الهجة على الارتباطات الموضوعية وعلى الواقعية الاقتصادية : انه يبلع على الحاجة الموضوعية لتحرير الاقتصاد الوطني من سيطرة الرأسمال الأجنبي ، وإعادة بناء صناعة هزتها الحرب وتعزيز التنضيم لتوفير قاعدة مادية وقنية ليستأه الاشتراكية . ولقد رقت القطيعة جزئياً لأن عبيدة الحصن السوفياتي ، الموضوعية ولدت لدى السوفياتيين مشروع تحويل يوغوسلافيا إلى امراء للاتحاد السوفياتي . ان فالسأة في البداية كانت مسألة تصورين للموضوعية متعاكسين . وآلية القطيعة شبيهة بالآلية التي وصلناها آنفاً بصدده راجك او كوستوف .

والهدف منها الضغط على الاتحاد السوفياتي ليعدل سياسته . وإذا كان صحيحاً أن مقاومة ليتو سابقة لعام ١٩٤٨ ، فلا بد من الاعتراف بأن الاتحاد السوفياتي هو الذي يادر إلى جعل المزاج علنياً والقطيعة محتمة .

وحتى نفهم هذه القطيعة ونتائجها ، فمن المهم ان ننظر إلى الثبوتية بالطرف الآخر من الشطار ، أي من وجهة نظر السياسة السوفياتية . إن يوغوسلافيا هي البلد الوحيد في الكتلة السوفياتية الذي استلم فيه الحزب الشيوعي السلطة على الفور ويفرده ، البلد الوحيد الذي اتجه فيه التفكير على الفور نحو اتخاذ تدابير تشريك تدريجية لكن حازمة . إذن فهذا الحزب الشيوعي اليوغوسلافي هو بالضرورة حزب أشداء . وهو ليس بحاجة البتة إلى التأهل وإلى اخذ المقاومات البورجوازية بعين الاعتبار . انه يحتم الخطي ، وينجح ، ويفضح التهازية الاحزاب الشيوعية في الديمقراطيات الغربية . وحسين سيرفوس مولوتوف وفوستيلسكي سياسة الشدة في الاتحاد السوفياتي ، فإننا نحول ليتو ميتوجهات بالطبع ، وانما في شخصه سيجدان الحليف الأفضل . والحال ان سياسة مولوتوف - ليتو هذه تمثل الحد الأقصى من المذهب الموضوعي : ان تحليلاً اقتصادياً لوضع الولايات المتحدة الاميركية يسمح باليقين الجازم بأن الانتاج الاميركي سيشهد أزمة واسعة النطاق . ومن هنا كان الاستنتاج ، عن طريق التسلسل المنطقي الصارم ، بأن الحرب محتمة . وبدءاً من هذه المعطيات الموضوعية سيتم تحديد سياسة متصلة ، بسبل جفوية ، يمكننا ان نطلق عليها اسم استراتيجية . وإذا ما أضفنا إلى ذلك ايدولوجية جفوية النزعة ، لا بد ان توافق بالضرورة الجماعاً سريعاً نحو التشريك ، وسياسة مصلية على توقعات « علمية » ، تبين لنا ان الحزب الشيوعي اليوغوسلافي كان لا بد ان يصبح بطل المذهب الموضوعي . والحال ان القادة السوفياتيين لاحظوا فشل هذه السياسة ، الشيء الذي يعني في العالم الموضوعي النزعة إجراء تعديل في الجهاز . وبعد تعبئة مولوتوف شعر الحزب الشيوعي اليوغوسلافي الذي كانت أسهمه « في ارتفاع » ، شعر على حين غرة بتحول جفوي بآتيه من الخارج من غير ان يتكون قد عمل

شيئاً في موقفه . وهكذا أصبحت نزعته الجذرية طفولة يسارية ، وأصبحت  
 المقامات التي كان يعارضها مطالب الاتحاد السوفياتي الاقتصادية مجرد أن  
 هذه المطالب تهدد بمرقة للتشريك ، أصبحت علامة على انحراف قومي الفزعة .  
 وأصبح الحزب الشيوعي اليوغوسلافي مرطقياً ، وولدت التنبؤة . ولقد كان  
 يكتفي بالطبع ، لتجنب ذلك ، الإقرار بالخطأ ، وتبني تبدل الجاه السياسة  
 السوفياتية ، والاتزام بسرعة إلى قطيع الروح الشيوعية . لكن هنا تدخل  
 استعانة موضوعية اخرى : أن حركة التشريك متقدمة أكثر مما ينبغي ،  
 والأيديولوجية الكفاحية واسعة الجذور أكثر مما ينبغي في الجماهير حتى يمكن  
 تبديل الاتجاه . وهكذا فإن عاملين موضوعيين اثنين سبباً حصر السزولين  
 اليوغوسلافيين في موقف ذائي : إن عليهم أن يتقاروا : إما أن يصبحوا خوثة  
 تحت اسم « روتسكيين قوميين » وإما أن يتحملوا بمفردهم أخطار الموقف .  
 لكن ما كانوا يفترون المسود حتى لكشفت الذاتية لهم بكل رحمتها بالرغم  
 منهم . فبينما أن الضرورة الشيطانية البسيطة التي تقضي بأن يردوا همة التحريرية  
 إلى الاتحاد السوفياتي تتطلب منهم شجاعة لا يمكن إلا أن لتوافق بقلق معين :  
 بلد زراعي صغير ، مختلف اقتصادياً ، يعرض على توجيه همة الانحراف إلى أزمة  
 تعدادها ١٥٠ مليون نسمة إلى دولة صناعية كبيرة مستمرة في التشريك منذ  
 ثلاثين عاماً ! لكن الدهول ولد على الأغصان لعام نتائج سياستهم . لقد كانوا  
 ليبيين وستالينيين ، وهم ما يزالون كذلك ، ومبادئه الستالينية ما تزال تعمر  
 عقولهم كما أن قنايل ستالين ما تزال تعمر حدائقهم . كانوا يريدون أن يفضوا  
 حتى آخر الشوط ويريدون أن تندلع الثورة في كل مكان ، ويشبهون قادة الحزب  
 الشيوعي الفرنسي بالانهائية . والحال ها هم مضطرون ، لأنهم طالبوا بتفضال  
 أحزم وأخذت ضد الرأسمالية ، إلى الالتفات نحو الغرب الرأسمالي ليطلبوا منه  
 المساعدة الاقتصادية التي ستسمح لهم بحاربه . بل أكثر من ذلك ، وكما يقول  
 احد مراقبي المشكلة اليوغوسلافية ، وجدت كتاب الصدام الشيوعية هذه  
 نفسها وقد تحولت موضوعياً إلى « قوة ثالثة » : « إن وجود القوة العسكرية

الأميركية هو الذي تضمن استئصال يوغوسلافيا القومي ، لكن ... الوزن السياسي للاتحاد السوفياتي هو الذي يحول بين النظام السياسي اليوغوسلافاني وبين ان يطيح به زحف البورجوازية العالمي<sup>١١١</sup> . وهؤلاء التصليون لا يصحون من دعوتهم : فلأنهم اراموا سياسة بلا تسويات ، وجسوا انفسهم مرغين على المرافعة ، على اللعب على الحبلين ، على الموازنة بين التنازلات . ولأنهم وقفوا بلا ردة الى جانب احد العسكريين المتعاقبين ، وجدوا انفسهم بقية في No mans land<sup>١١٢</sup> ، ووجودهم يمسحه الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الأميركية معا . ولأنهم اعلتوا تأييدهم بلا تحفظ وبلا مهبة استراتيجية لقيام الثورة في كل مكان ، وجدوا البورجوازية تقسم لهم والتورين يدينونهم . وهذه التناقضات تخلق موقفاً مأساوياً ، وهزلياً لا يمكنه ان يفهم نفسه ويتجاوز ذاته إلا بالفساط الذاتية .

ويبدأ من هنا بأخذ ليشو الذاتية على عاتقه على وجه التحديد لأنه محدد ولأنه لا ينهار تحت لوم الكومنتورم . ولقد رأينا انه لا يستطيع ان يدافع عن سياسته الا اذا اتهم القادة السوفياتيين بالانقسامية . فهو يبدأ اذن بإلقاء حمل الذاتية كله على الخصم . وهذه الذاتية ما تزال بعد محض «منبع للأخطاء» ، ما تزال سلبية . لكن ليشو بإخراجه على الأخطاء السوفياتية يحدد نفسه مرغماً على القول بإحتمال ان يخطئه هو نفسه . وهكذا تنتقل دفعة واحدة الى ميدان جديد تكون فيه تقييمات الموقسف السياسي او الاقتصادي محتمة فحسب . تنتقل من المنعيب الموضوعي الدورماتي الى منعيب قائم على حساب الاحتمالات . لكن ليس هذا كل شيء ، إن أمة مؤلفة من ١٥٠ مليون نسمة ، حين تختار سياستها ، تستطيع أن تؤكد على نحو رافع بأن هذه السياسة هي وحدها الصحيحة . وقوتها تسمح لها بالاعتقاد بأنها ستفرضها ، ولأسيا على جيرانها الضعفاء . لكن حكام بلد صغير غير صناعي مرغمون في كل لحظة على أن يأخذوا بعين الاعتبار القوى الخارجية

١ - كورد برديه : الانشقاق اليوغوسلافاني - ص ١١٠ .

٢ - هي الارض المزروعة السلاح التي الفصل بين حدود برلين .

التي قد تحبط جهودهم. ان مصيرهم ليس بأيديهم إلا جزئياً . وعليهم ان يراوغوا ويصاطلوا ويمخروا بالسيفنة عبر الهالك ويستغلوا التزايدات التي تشل الدول الكبرى : بل إن أهم سياسة على الاطلاق قد تكون عاجزة عن تلافي كارثة ستولد في مناطق أخرى من الكرة الأرضية وستنتج بسرعة ان البسيطة كلها . وهكذا يظهر شكل جديد من الذاتية ، ويجازف المسؤل بأخطار ، وبحسب حسابها وبأخذها على عاتقه . وانك لتبدع إذ تقول : « إن يوغوسلافيا تواجه تهديداً مزدوجاً : فكما انها قد تسلم أمام الولايات المتحدة الاميركية وتضغ الى الكتلة الامبريالية ، كذلك فإنها قد تسهلك نفسها الثوري وتحط الى دولة برلينية » . أخطار في الداخل ، وأخطار في الخارج . وهي أخطار ظاهرة للعيان بصورة يمكننا معها بسهولة أن نعتقد بأن نينو يعرفها جميعاً . ومع ذلك لم يرضخ ، وهو مستمر في النضال . إننا نطاقة القيادة ووجههم وإخلاصهم وبراغماتهم يمكن ان توخر الى حد ما العباد ، وتجنب الأسوأ ، وتبتكر مخرجاً لوقف يدومينوساً ، ومن يدري ؟ ربما حطقت التصور . ان مشروع نينو عبث لا يمكن حتى تصوره لولا ثقة مطلقة في قدرات الانسان . يقول يوفيتش : « لا بد من الاستمرار برباطة جأش وبالرغم من جميع المضايقات . لكن حتى في مثل هذه الحال يظل الهلاك والانهار ممكنين . علينا ان نفهم ان التنبؤية تزعم بصورها باستمرار ان امكانيتين ، أولاهما الانتصار وثانيها الانتحاق الجندري والموت . لكن لما كان موقف اليوغوسلافيين يتبعده المذهب الموضوعي المطلق ، لذلك ما عادوا يحدون النجاح بالحقيقة ، والفشل بالخطأ . فمن الممكن ان يقهر الانسان ويكون على حق . وفي مثل هذه الحال تم استعادة الفشل نفسه : إن بدأ صغيراً ينتهي لأنه داخل بلائخاذل وبلا تسويات يصبح قدرة تختفي . ولقد قال نينو ذلك بصراحة . ولقد كان يستطيع ، بهذه المناسبة ، ان يستشهد بماركس ، ما دامت كومونة ١٨٧١ ، الثورة ، ظلت في نظر الأخير انتصاراً للبروليتاريا ومشالاً . إمكانيات ، احتمالات ، اختيارات ، مجازف ، إرادة ، لقبيل القتل بالذات : اننا نجد هنا جميع معالم انساني مأساوي

كان لعدة طوية من الزمن مذهب الطبقة العاملة .

لكن الذابة لا تؤخذ بعين الاعتبار . فلو أعاد القادة اكتشاف ذاتيتهم لأعادوا في الوقت نفسه اكتشاف ذاتية الجماهير التي يقومون بها . إن المذهب الموضوعي يفترض أن الجماهير تستير . وبين الزعيم يسمح له بمعاملتها كوضوع . لكن إذا كان من الممكن أن يخطئه الزعيم ، وإذا كان النجاح ممكناً فحسب ، وإذا كان يمكن لعمه أن يفشل نتيجة لحمازل وخور ، وإذا كان على العكس بحاجة إلى أن يبذل كل طاقاته حتى ينجح فيه ، فآنذاك تصبح الجماهير من جديد العامل الرئيسي في التضال الاجتماعي . وفرض نجاح أهداف المشروع تتعلق بوقف الجماهير : فهل تميز هذه الجماهير تلك الأهداف بوضوح أم لا ، وهل تحض تأييدها لهذه الأهداف أم لا ، وهل تتطلع بكل ما لديها من طاقة إلى تحقيقها أم هي تكتفي بأن تنفذ التوجيه سلباً . إذا كان مستقبل يوغوسلافيا محسباً من الآن ، فالسياسة إذن هي من اختصاص الفئتين . وإذا لم يكن مرسومياً سلباً ، فهو يتعلق إذن بالجماهير أولاً . ولهذا تشبه خطابات الزعماء اليوغوسلافيين أحياناً وعلى نحو غريب مقالات روزا لوكسمبرغ . كتب كارل في : ونحن لا نعتقد أننا نستطيع أن نعمل من غير أن تقع في أخطاء ، لكننا نرى أن الأخطاء التي ترتكب عندما تأتي البداية من القاعدة بحرية لتفرض نفسها هي أقل خطراً من أخطاء أولئك الليبراليين الذين وضعوا في رؤوسهم فكرة أنهم معصومون عن الخطأ ، وأنه ينبغي ألا يحدث أي شيء كان قبل أن يسطروا بركنهم . ولقد كتبت روزا لوكسمبرغ منتقدة لينين : « إن الأخطاء التي ترتكبها حركة عاملة ثورية حقاً هي ، من وجهة النظر التاريخية ، أخطأ وأثمن بساً لا يقاس من معصومية غير لجنة مركزية في العالم عن الخطأ »<sup>11</sup> .

وانطلاقاً من هنا يمكننا أن نفهم كيف أن دكتاتورية البروليتاريا الضرورية يمكن أن تتلق مع ممارسة ديوقراطية اشتراكية . يقول تيتو : « لا مزاج مسع الثورة ، وهذا يعني أن مجتمعاً في سبيله إلى الاشتراكية عليه أن يشل العناصر

١ - ماركسية ضد الدكتاتورية - ٣٥ .

الرجعية التي ما زال فيه وأن يجعل يشلوب هذه العناصر. لكن لم نلنا يمكن هذه العناصر من هدف سوى معارضة التناوب الاشتراكية، فإن هذه الدكتاتورية ليست سوى لحظة سالية: أنها قتل نقي النقي. والمظهر الأيماني والبناء للتشريك يظل حراً، أي غير معرقل من الخارج. وإذا ما مورست الدكتاتورية ضد، فإن النقي نفسه يصبح مجرداً ورجعياً. وكما سبق لروزا لوكسمبرغ ان لاحظت، فإن دور الأجهزة القيادية في الحزب الاشتراكي يأخذ طابعاً محافظاً إلى حد كبير: ففي كل مرة تكسب فيها الحركة العاملة أرضاً جديدة، تحرثها هذه الأجهزة، كما تدل التجربة، من حدودها القصوى لكنها تحوفا في الوقت نفسه أي حصن ضد التقدم اللاحق الأوسع نطاقاً<sup>11</sup>، وبكلمة واحدة: إن جهاز الدولة يلعب دور العنسل الفعلي، فيحطل ويوضح ويسلط الضوء، لكنه يحدد ويحد أيضاً. وواجب على حركة الجماعة العلية ان تتدخل باستمرار ضد هذا التحديد، وان تغير الأطر، وان تطالب في كل مرة لأجهزتها العلية بقدر أكبر من السلطات التي ألقتها الدولة بها. وإذا هذه الصورة فقط يمكن ان يتحقق تدريجياً للأشئ الدولة الذي كان لينت نفسه يطالب به: لا عن طريق تكيف انسانية بالغة الوداعة و، بالغة التهذيب، تطبيع من لقاء نفسها بدون وجود استاذ، شأن الفتيات النموذجيات الصغيرات اللواتي يحافظن على هدوءهن المعقل أثناء غياب مربياتهن، بل على العكس عن طريق حث الجماهير على رفض الطاعة، أي عن طريق تنمية البهادة في كل مكان. وطالما ان الدولة تعتبر نفسها دكتاتوراً، فإن تخرج من المرحلة اللاهوتية.

سيقال لي: لكن ألا نعترف بأن المصلحة الياطرة للجماهير يمكن ان تتعارض مع ضرورات التشريك وبأن العناية الحكومية مهددة بأن تصنيف الفكرة إضافة إلى المصلحة بدلاً من ان تشتتها منها؟ هذا صحيح: لكن فقط من خلال منظور ماركسي معين يعتبر الفكرة بعض العكاس للنشاط البشري لا تجاوزاً هذا النشاط وللحاجات. أما اذا كان الكائن الانساني متندعماً

١ - الماركسية ضد الدكتاتورية - ص ٢١.



دوماً على وضعه المادي ، وأما إذا كانت الحاجة تتجاوز نفسها باستمرار نحو  
 المطالبة وتتجاوز المطالبة نفسها نحو متطلبات عامسة وقبح تشمل على تصور  
 معين الإنسان والعنكب الإنساني ، فعندها لن تصاف الفكرة إضافة إلى الصلحة  
 بسبل تولد الفكرة من الصلحة . يقول تيتو : « علينا أن نشرح » أن نشرح  
 باستمرار . وهذا صحيح بشرط ألا يُلصق التصريح بالوجدانات كدانيق ، بل  
 أن تحت هذه الوجدانات على اكتشافه بنفسها ، وبشرط ألا تكون الصلحة التي  
 تم توضيحها وأصبحت راعية لمستزمتها وسيلة في أيدي القادة لقرض الاستقرار ،  
 بل أن تكون دافعاً لمتطلبات جديدة : بشرط أن تستبدل عقيدة العصومية  
 بالديمقراطية بنقد ذاتي دائم يطبقه القادة على انقسام . أليس هو ماركس الذي  
 وجه التلميح التالي إلى كومونة ١٨٧١ : « لم تدع الكومونة لنفسها العصومية ،  
 تلك الصفة اللازمة لجميع الحكومات التي من الطراز القديم ، وكانت تشهد  
 علائية أعمالها وأقوالها » وتدرّب الجمهور على اكتشاف نقاط ضعفها<sup>١٥</sup> . والحال  
 أن قرصة التنويرية ، التي رأيت النور بسبب خطأ ، بسبب نزاع بين معصوميتين  
 متناقضتين ، هي على وجه التحديد كونها لا تستطيع أن تدعي العصومية .  
 والرسالة الوحيدة التي تستطيع بها أن تدافع عن نفسها ضد الاتحاد السوفييتي في  
 نظر الجماهير اليوغوسلافية ، ليست هي معارضة دوحمانية يدوحمانية أخرى -  
 ذلك أنه إذا ما وجدت الدوحمانية فكيف السبيل إلى البرهنة على أن المعتقد  
 الصحيح ليس هو معتقد الطرف الآخر ؟ - بل أن تطالب ضد كل دوحمانية  
 يحق القائد في الخطأ وأن تصور البناء الاشتراكي على أنه عازقة . لكن هذا  
 مستحيل إذا لم يُسلم بالحقوق نفسها لجميع أعضاء الحزب ، وإذا لم يُسمح لهم  
 بتركيب المظاهرات نفسها . والشيء الأعمق من ذلك هو أن هذا التغيير السياسي في  
 الحزب الشيوعي اليوغوسلافي سيعبر عن انقلاب في تصوره عن الإنسان : إذ لو  
 كانت البنى الفوقية نتائج قانونية مطلقة بـ « الموضوعية المادية » ، ولو كانت هذه  
 الموضوعية مجرد نتيجة من الإنعكاسات المشروطة ، إذن لما كان لأي إنسان أي

١ - الحرب الأهلية في فرنسا .

حق من الحقوقي ، القادة شأن الآخرين ، والكائنات التنبؤية هي المحطة .  
 يسأل : حسناً هل تؤيد الوقائع النظرية ؟ هل هناك ديوقراطية  
 اشتراكية في يوغوسلافيا ؟ انك لشديد التحفظ في هذا الموضوع يا عزيزي دالميا .  
 اما بورديه فهو يحزم بلا تردد : « لا وجود لديوقراطية في يوغوسلافيا » يسأل  
 هناك نظام شعبي يبذل جهده ليني بأكبر سرعة ممكنة بدلاً حديثاً في شروط  
 انضباط عسكري <sup>(١١)</sup> . لكن بورديه يلاحظ هو نفسه ان « الاكراه قد  
 تراخت قبضته على الارجح وبصورة تدريجية منذ القطيعة مع موسكو » وهو  
 يعطي هذا القرائي تفسيراً قاطعاً مبيّنة بقوله : « ان الحزب ... مرغم على  
 ان يتم احياناً أكبر برقيات السكان ... » . ويضيف ان « الشغية يشعرون  
 فعلاً بالمكانة التأثير على حياتهم الخاصة » . لكن من المفهوم ان يكون تحرر  
 التطبيقات الكلاسيكية وبخاصة القلاحيه ابطاً وأثني في بلد متخلف منه في بلد  
 كالمانيا على سبيل المثال . ولا سيما ما تزال في البداية : إن اليوغوسلافيين ما  
 يزالون يكتشفون وضعهم الغريب ، وقد صعدوا التوم من الحكم الستاليني ، وهم  
 يطرحون على انفسهم اسئلتهم الأولى بنوع من الدوار . لقد قال احدهم لبورديه ،  
 على سبيل المثال : « افن ... ها كانت موسكو أيضاً ؟ ... » . ان الطريق ما  
 تزال غائفة امامهم باعتبار انهم يستكفون عما كنه واجك في الوقت نفسه الذي  
 يعملون فيه من انفسهم صدى الاتهامات التي توجهها موسكو ضد كوستوف .  
 هذا لأنه ما تزال تعوزهم الانوات النظرية التي تسمح لحكم الحاكم على الموقف  
 الراهن . يقول بورديه : « انهم يفعلون عند غيبة تطور فكري طويل » يتقدمون  
 فيه ببطء ، نظراً إلى انهم مكبلون بالقيود الفكرية الشيوعية الاورثوكسية  
 الضيقة . وانت يا دالميا تروي لنا ان تيتو وابدولوجي الحزب الشعبي  
 اليوغوسلافي الذين ما عادوا يترددون في ان يدينوا بعنف « الانحراف الستاليني »  
 يفعلون في أكبر الحرج عندما يطلب منهم ان يفسروه . واذا كانوا يتهربون من  
 السؤال ، فهذا لأنهم ليسوا على استعداد للإجابة : إن النظرية تعوزهم وهم

يخشون ان يساقوا الى ادانة لينين والمعتد الماركسي نفسه فيما وراء لينين .  
وبكلمة واحدة : إن ضغط الظروف الموضوعية وتناقضات المذهب الموضوعي  
نفسه قادتهم رغمًا عنهم الى اعادة تقييم الذاتية . لكن اعادة التقييم هذه تتطلب  
بدورها نتيجةً نظرياً . لا بد من اعادة التفكير بالماركسية ، لا بسد من اعادة  
التفكير بالإنسان .

واستطيع الآن أن أخلص الى نتيجة : ان انتصار نيتو النصفي قد علمنا من  
تلقاء نفسه الأهمية التي يجب ان بأخذها في نظرنا نحن الغربيين . ولا مجال للتفكير  
بإنشاء امية جديدة أو بتحويل بلغراد الى « مكة » عمال « جديدة » . وكل ما  
هنالك ان وجوده يوغوسلافيا اشتراكية . ومنسقة عن الكرملين لا بد أن يؤثر من  
الداخل على وعي مناضلينا الشيوعيين إذ يجعلهم يعيدون اكتشاف ذاتيتهم . ولا  
ينبغي ان نعتقد بأنهم سيتركون الحزب الشيوعي الستاليني ، ولا بأنه من الممكن  
أن يقع انشقاق في فرنسا أو في إيطاليا بصدده القضية اليوغوسلافية ، بل لا ينبغي  
حتى أن نقضى ذلك . كما انني لا أقول ان الشائخين يمكن أن يظهروا ذات يوم  
تعاظفًا أو تنهما لجواء الحركة التنشوية ، انا أقول فقط انه اذا ما قبض مجتمع  
اشتراكي أن يتوطد ويدوم ضد القادة السوفييتيين والكونغرسوم ، فلا مفر من ان  
يشير السبيل امام الشيوعيين الغربيين بصدده طبيعة نشاطهم . وكما قلت يا دالسا ،  
« اذا لم يكن هناك شيء آخر » ، فإنا لا نستطيع حتى ان نقول إن العامل  
يدخل الى الحزب الشيوعي . بل ينبغي في مثل هذه الحال أن نقول انه يراد فيه  
لأنه لا فرق بين أن يكون الانسان يوليبارياً وبين ان يكون ستالينياً . لكن  
اذا كان هناك شيء آخر ، ولو ببعض مهب بعيد ، حركة ملتبسة يعود منشؤها  
الى انشقاق مشوش بما فيه الكفاية ، لكنها صاعدة مستمرة ، لا تقارص أصنام  
التهديدات السوفييتية ولا بغربا المذهب الأمريكي ، اذن فإن العامل يشعر من  
تلقاء نفسه بأن التناهد الى الحزب ليس نتيجة لحركة آلية صرف ، او بأن هذا  
الانتهاد ، اذا كان قد تم آلياً ، يصحح الآن اختياراً . وليس معنى هذا انه يتكره ،  
بل هو على العكس يبدده ، لكنه يلهم انه يجازف ، انه قد يكون غخطاً وان

لا بد من المراجعة ، ووقاؤه بالذات يصبح انسانياً . ان هذا الانتهاء يكلف عن ان يكون قائماً على استجابة مفادرة الحزب الشيوعي ليقوم بالتسالي على ارادة البقاء فيه ... ويدهأ من هنا يمكن ان تقوم علاقات اخرى بين الجماهير والمسؤولين ، بين المناضلين والزعماء . ويمكن الوعي الطبقي ان يعود من جديد وعباً . وهذه هي الفائدة التي يمثلها كتاب كنتابك . انني أعرف انسه ان يوزع على الجمهور الكبير ، وان صحف الحزب ستفكري عليه او ستلزم حوله الصمت . لكنه ههنا انه موجود ، انه شهادة ، ويستطيع اني كان ان يرجع اليه ، ان يقيمه ، ان يناقشه . ويمكن ان يجعل بعض أوساط المناضلين المثقفين تطرح السؤال ، حتى يكون قد أدى دوره . ذلك ان هناك سؤالاً . وهو سؤالنا بقدر ما انه سؤال اليوغوسلافيين : ما دام الماني يتكشف من جديد في اللحظة بالذات التي يوشك فيها العمام الاتساق على العرق في الموضوعية المطلقة ، فكيف ينبغي ان نفهم التاريخ والعمل السياسي لتنفيذ كلاً من الحركة الثورية والتدانية في آن واحد معاً ؟ إنه ما من انسان يستطيع ان يتوقع ما ستؤول اليه التبتوية . وما من انسان يستطيع اليوم ان يفهم دلالتها الحقيقية . ولهذا لا بد من المراجعة عليها . وحين يوضع الرهان ، وتبدأ كرة الروليت بالدوران ، لا يعود بإمكان أحد أن يغير لعبه ، ويختفي الانسان . لكن العطفة الانسانية لتسروع من الشاربع انما تقاس بقدره الانسان على ان يراهن حتى آخر لحظة على نجاحه او فشله .

( مقدمة « الشيوعية اليوغوسلافية » لوي دالم - ١٩٥٠ ) .

## هل نحن في ديموقراطية ؟

كان من العيب ان نموت من أجل الديمقراطية<sup>(١)</sup> ، وسيكون من المنطقي ان نموت من أجل الديمقراطية : هذا على الأقل ما يكررونه على مسامعنا يومياً . إنني لا أفتش المبدأ : فالمرء إذا ما وهب حياته من أجل شيء ما ، فينتهي به الأمر الى ان يبني من أجل لا شيء . لكن يودي ، قبل أن أموت من أجل الديمقراطية ، ان أتأكد من انني أعيش فيها . يبدو ان الديمقراطية هي نظام بلادي : يودي ذلك، لكني حين أبحث عن أدلة، أتبين انها تستند الى شهادة الغير . لقد قرأت فوق طابع بريديسة وعلى واجهات دور المحافظة ان الدولة الفرنسية تسمى جمهورية . واستطيع ان أقول الدستور والقوانين التنظيمية والتشريعات . لكن المؤرخين يعرفون منذ زمن طويل ان دراسة القوانين المكتوبة لا تعطي فكرة دقيقة عن عمل المؤسسات الواقعي . لقد لفتت في حديثي نظرة متفائلة الى التاريخ تقوم على أسطورة تتقدم . وإذا ما صدقتا هذا التصور الرسمى للقاية ، فإن آلام أسلافنا وانعاهم ، من كروماتيون<sup>(٢)</sup> الى قلمي<sup>(٣)</sup> ، قد قادت الجنس البشري نحو العظيمة المدسة التي تسلمت فيها اليورجوازية أخيراً السلطة . انني لم أتحرق نهائياً من هذا التفاضل، ولما كانوا قد أقنعوني بأن كل مرحلة

١ - مدينة وازية كان احتلال اللاتين فسا عام ١٩٥٩ ، السبب المباشر لانفجار الحرب العالمية الثانية . « ٢٠٥ »

٢ - بلدة ما قبل تاريخية تقع في فرنسا . « ٢٠٥ »

٣ - قرية فرنسية انتصر فيها الفرنسيون على البروسين عام ١٨٧١ . « ٢٠٥ »

تاريخية تحقق تقدماً على المرحلة السابقة وتطوي على بذور التقدم اللاحق ، فإنني ما أزال أميل الى الاعتقاد بأن الجمهورية الرابعة أكثر ديمقراطية من الثالثة ، وإن هذه الأخيرة أكثر ديمقراطية من الثانية . ومن سوء حظنا أن هذا المقترح ما عاد يفتح أي باب : فقد كان التقدم ، أثناء صعود البورجوازية ، هو التفسير الشمولي . لكن جميع الأفعال قد جرى تبديلها اليوم بعد أن أخذت البورجوازية بالأمل ، وفقدت بلغة العقول حداً باتت معه البورجوازية تسمى **جمعية الحكومات القاشية** التي خرجت بالأساس من حظيرتها ، وتطلق صفة التقدمية على الأحزاب الشعبية التي تسبقها أسطورة التطور المتفائلة بالإيمان التراجيدي والمأساوي والثورات . لكنني إذا ما عدت أؤمن بالتقدم ، فمن يثبت لي عندها أن الديمقراطية ليست في الخطأ ؟ وهل أعرف كيف يجري تطبيقها في الجزائر ، في غاب <sup>1</sup> ، بل حتى في كروزو <sup>2</sup> ؟ واختصار اني اعرف نظام فرنسا الذي أعيش فيه عن طريق القال والتقبل شأن معرفتي بتضاريس الغابستات التي لم تطأها قدمي قط .

بيد أن الكثير من الناس يزعمون ان لهم معرفة حديثة مستمرة وعمليّة مؤسساتنا . إن الديمقراطية بالنسبة اليهم بديية . وهم يعونها ويمسكوا بها من خلال ممارسة وظائفهم بالذات ، حين يفرضون الاحترام لحقوقهم بل حتى عندما يؤذون واجباتهم . فأنتم تستطيعون ان تذهبوا وتجيئوا ، ان تفكروا وتقولوا ما تفكرون به ، وأنتم تلتصبون ، تظلمون على الأحداث عن طريق صحافة مستقلة ، ولكم حصانكم ضد تصرف الدولة والأفراد : وما الديمقراطية إلا هذا .

لكن الأمور ليست واضحة الى هذا الحد بالنسبة إلي . انني مدرك ، بالفعل ، اننا نمتصون بعض الحقوق ومطالبون ببعض الواجبات ، شأننا شأن أي عضو في أي مجتمع قومي . لكن من اللحظة التي أرغب فيها أن أتأكد بأن لي حقاً حقاً معقولاً معقولاً بها ، يفزع كل شيء ويلتوش . فمن المؤكد ان لي حق

١ - اجنبي مدن إفريقيا الغربية الفرنسية . « م . م »

٢ - بلدة فرنسية صغيرة مشهورة بمناخها النجمية . « م . م »

الانتخاب . لكن هل أنا واتي من ان صوتي لن يضيع ؟ لنفترض ان الامة التي  
أنتهي اليها مرعشة على الخاق سياستها الخارجية سياسة بلد اقوى « يحميها » :  
فأي أهمية في مثل هذه الحال إن كان صوتي يساهم في تشكيل هذا الحزب او ذلك  
من تسلّم « السلطة » ؟ أي أهمية لذلك ما دامت السلطة نفسها لم تعد موجودة ؟  
وما دامت جميع الحكومات ستنتهج نفس السياسة ؟ فعلى أعرف أن لي فعلاً  
حق الانتخاب ؟ فمن الضروري ان أحده أولاً اذا كانت فرنسا قد احتفظت  
بسيادتها أم أضاعها . وهذا مثال آخر : التي افتتح صحيفة من الصحف « كل  
صباح » لأبحث فيها عن معلومات حقيقية عما جرى البارحة . وأنا أتني بالصحافة  
لأنني أعرف أنها « حرة » . وهذا يعني انها غير خاضعة للرقابة وان حكومة  
بلادي لا تفك الوسيلة للضغط عليها مباشرة . لكن لنفترض ان وضع فرنسا  
والعالم لا يسمح لهذه الصحافة بأن تستوفي الشروط الاقتصادية والاجتماعية التي  
لكفّل لها حريتها العييلة . لنفترض ان الصحف اليومية الكبيرة مكروهة من قبل  
الطرف التاريخي – وحتى من غير ان يبيع نفسها – على التخلي عن استقلالها من  
تفاه نفسها . لنفترض ان مفاهيم الحرية والموضوعية بالذات فقدت معناها في  
مجتمع يزرعه الصراع الطبقي وفي عسالم منقسم الى كتلتين متناحرتين . إن تفني  
الجملة هذه ستبخر دفعة واحدة اذا أدركت ذلك : وأتذكر سأجد نفسي على  
حين ثورة عاطفاً يسور من الكذب . وفي مثل هذه الحال سيكون المثلث الاضلي  
لصحافة هو الموضوعية « وسيكون واقعها التفضيل الدائم . وإذا كنا نشتر  
في شراء الصحيفة كل صباح « فهذا لأننا نرفض من حيث المبدأ ان تطرح السؤال .  
وباختصار « انه ليخيل لي اننا نشتر في كل لحظة بحريتنا وبحقوقنا لأنهم أقنونا  
في البداية بأننا نعيش في نظام ديموقراطي . لكنني اذا لم أكن أقنع شيئاً  
سوى اني أساهم في طمس الاقتراح والفرقة السرية التافه « بدلاً من أن أعارس  
فعلاً حتى الانتخابي « وباختصار اذا كانت أفعالنا كموطن تسبح سرّاً الى حركات  
ظاهريه « فهذا لأنهم كيفوني منهجياً بصورة يستحيل معها علي ان أمرك حقيقة  
الواقع . واذا ما شعرت مع ذلك « نتيجة لاسيادتهم « بأن كل شيء لا يسير

على ما يرام ، فإني سأبهم الانسان بدلاً من أن أبهم النظام .

صحيح ان في بعض سلطات واقعية . لكن كيف السبيل الى الخزم بأنها  
ثأبني من الدستور لا من كوني منتقياً الى الطبقة صاحبة الامتيازات ؟ اني حر  
على سبيل المثال في السفر الى الخارج ، والعمل السوفياتيون لا يتكفون مثل هذه  
الحرية . حسناً . لكن العمال الفرنسيين هم أيضاً لا يتكفون بها . انهم يتكفون الحق  
الجزء في اختيار الهدوء : لكن هل ثمة من يتصورهم سواها؟ وانما ما أرادوا  
أن ياجروا ، فإن منظمات قومية وهولية سلبت في أمرهم . والحلاصة ان جميع  
الناس مخلوقاً مثلاً ، لكن ليس لجميع الناس حق التمتع بهذه الحقوق . ان  
النظام الذي اعتمد فيه أكثر ديموقراطية بكثير بالنسبة الى منه العامل ميالوم .  
أليس هذا مظهراً جليلاً من التسامح للقدم لعواظين الأحرار ان سألين ومعالين؟  
وبالفعل اننا لسيل الى الحكم على القوانين حسب قناعاتنا المسبقة . لقد رأيت  
ظرفاً ممتازة وجدت في القانون التعلق بحق المرشحين في لتكون لائحة واحدة  
للقوز بجميع مفاهيم الدائرة الانتخابية ، فزوة الديموقراطية . وكانت هذه  
الظروف القوي : انما كان الحزب الشيوعي ( او الحركة الجمهورية الشعبية ) متناهياً  
طيشالحاق افان مع غيره . انهم يتظاهرون بالاعتقاد بأن عزلة الشيعيين تعود الى  
فراخ من « الحرد » . وانما أثبتنا فعم العكس ، هزوا اكتافهم : ان الديموقليين  
والشياليين متصبون ومشاهون ، وإن قنونا بمحافظ على الديموقراطية لا يمكن  
أن يتكون غير ديموقراطي . بسند انهم يدعون باستخفاف ان نقض الأوزان  
والقائيس . فقد قرر « بحرة فم » أن صوقاً مدعى لجان الحزبين هو نقل قبعة  
من غيره ، وقرر أن حق بعض الآراء في تشيل نفسها هو أقل من حق غيرهها .  
ومع ذلك يقولون انهم ديموقراطيون ويمتلون سرورهم ورفاههم .

لقد الأسباب والأسباب كثيرة غيرها ، خيل البنا ان الواجب يلضي بأن  
لجان ان تتحرر من الأساطير والأضاليل . اننا نشرع « بدءاً من اليوم » بتطبيق  
عن التطبيق الواقعي للديموقراطية الفرنسية . هل يسمح الظروف التاريخية ، تحت  
مظهره الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، بحرية اللعب للبيادق . الديموقراطية ؟



ما مقدار الطلاق بين الحقوق والواجبات في المجالات الأساسية ( الصحافة + الأمانة  
 الاستهبارية + العدالة + البوليس + المجالس النيابية + الخ ) ؟ أما زال فرساناً  
 ذات سيادة ؟ هل الانتخاب العام هو النموذج الواقعي للاقتراع ؟ هل تتعدى  
 الإدارة في المستعمرات بالانتخابات التي عقدها الحكومة ؟ هل تتمتع فعلاً  
 بالحصانات التي يطلق عليها اسم "habeas corpus" ؟ الخ . وبالطبع إن الوقت  
 مبكر على أن نحده بدقة البنية الحقيقية للجمعية الفرنسية المعاصرة ( التي ليس  
 هو بالتأكيد لا محض ديموقراطية ولا محض ثوراتية<sup>1</sup> ) . لكن يبدو  
 لنا يمكناً ، من الآن ، أن نضع النقاط على الحروف . اننا نستخلص سلسة من  
 الكفالات لتوضيح ذلك المزيج المتعدد من الواقع والقيم : من الأساطير والحقائق  
 من الترابعات والتقدميات ، من الأساليب والوقائع . ومساعدة قرائنا إن نكون  
 قاضية عن الحاجة : اننا نوجه اليهم ، لأن هذا الشروع لن يكون له من معنى  
 إلا اذا كان جامعياً . فليحيطونا علماً إذن ، اذا كانت الشروع يحظى بأهميته  
 بجميع الوقائع التي يمكن أن تكون مفيدة لنا ( ليس لنا من موقف مسبق لا في  
 هذا الاتجاه ولا في ذلك ) . وسوف نأخذ بعين الاعتبار جميع الانتقادات وجميع  
 الاقتراحات التي سيبحثون بها البناء ، واذا كان عددها لن يسمح لنا بشرها بنهاية<sup>2</sup>  
 فنستخلص هنا ، على كل الأحوال ، تطبيقات خاصة .

كلمة أخيرة لتجنب أي سوء تفاهم : إن الطلاق الآن الذي ذكره الذي يمكن  
 أن نناقش إلى ملاحظته سيحتمل ولا شك أكثر من تفسير واحد . فمن استطاع  
 ان يزعم ، على سبيل المثال ، انه توجد تحت سماه الاطلاونية جمهورية مثالية لا  
 يحول بينها وبين أن تجسد على الأرض سوى فالتص الطبيعية البشرية . ويمكننا  
 ان نزع أيضاً ان السبع الطبيعي للمؤسسات الديموقراطية قد شوهته أحداث

١ - اسم قانون مشهور في اسكتلندا يضمن حرية المواطن الفرنسية بصفة هي وجوب إضطرار  
 الظروف أو الحركة التي في صحة اعتقاله . . . . .  
 ٢ - نظام سياسي للتحقق فيه حقوق الأفراد بالدرجة التي لا تقبل وجود حزب فسيح حزب  
 الحكومة . . . . .

خارجية واتمه من الممكن إصلاح الآلة . ويمكننا ان نزعم انصاراً ان العصر  
الذي للديموقراطية قد أمسى ورامعا ، وان تفسخ النظام سيكون قتل لبدء  
تلك الحكيم القيصري الذي يتلو عادة ، حسبما يقول التاريخ القارن ، عهد  
الجمهوريات .

إن وجهة نظرك لا يثلبها أي من وجهات النظر هذه ، وبالأصل نحن لا نبالى  
هنا بأن نتكلم حول التاريخ . ان الديموقراطية في نظركا نظام بورجوازي ،  
والتناقضات التي قد نكتشفها فيها متلاحة داخلياً بالجمع البورجوازي . ولا  
وجود للديموقراطية مثالية ، إنما هناك نظام ليبرالي وقد تناقضات من نقطة  
البدء بالثبات لأنه يفترض المشكلة محولة : انه ينقي بالفعل - عن الورق -  
واقع الطبقات وصراع الطبقات ، ويزعم انه لا ينظر إلا الى المواطن المعزول  
والجرد في علاقته بالسلطة أو بسائر المواطنين المعزولين . وإذا كان قد وجد عصر  
قعي المنحرف الليبرالي السياسي ، وإذا كان بعض السذج يعتقدون انهم يستطيعون  
الرجوع الى ذلك العصر ليديتورا ، تعفن ، مؤسساتنا ، فهذا لأن النظام الذي  
كان يبيد حق الانتخاب بأداء ضريبة معينة أو لأن سحق البروليتاريا التي  
كانت بيئة التنظيم من قبل جيوش البورجوازية ، فقد حذوا لفترة من الزمن  
التظاهرات المنظورة لصراع الطبقات ، والبروليتاريا ، الصامتة أو المختارة ، لم  
تكن تسمو آنذاك كعامل تاريخي ، بحيث ان الحكومة والبرلمان وأجهزة  
السلطة القضائية كانت تسمو بالفعل وكأنا انبثاقات لجمع لا تطبق : كانت  
الطبقة البورجوازية هي وحدها التي تلجها وراقبها وتستخدمها لسلطتها ،  
وعلى هذا ، لم يكن يوسع تلك الأجهزة ان تعكس تناقضات مجتمع لا تعبر عنه  
ببانه ، ونحن نرى ان الطلاق المتعاطف باستمرار في بعض المجالات ، بين  
الوقائع والمبادئ ، يظهر على العكس مقاومة الواقعي ، أي التلاق أوروبا  
وبورجوازيها وظهور طبقة عامة منظمة وواعية لنفسها في إطار الأمة ، في آن  
واحد معاً ، ان عدم استقرار الحكومة والبحث الدائم والباطل عمن غالبية  
برلمانية ليس سببه ، كما تؤكد أوساط اليمين ، قلة أخلاقي توبنا : كل ما هنالك

ان الصراع الطبقي ، انعكاسه على الصعيد البرلماني ، قد عطب آلام تخلفي إلا  
لتعكس السجام ، البيئات ، الاجتماعية وللمسح لها بالتوفيق بين مصالحها .  
وسوف نلاحظ في الوقت نفسه ان الشجرات الديمقراطية ، في قطاعات أخرى ،  
تسجل ، تقدماً ، بالنسبة الى فترة ما قبل الحرب . لكننا سنرى أيضاً ان هذا  
التقدم بالذات يساهم ، يا بولده من نتائج ، في تدمير النظام الذي حققه . فكان  
التحقيق الكامل للديموقراطية البورجوازية سيتطابق ولا يد مع دمارها الشامل .  
وليس في هذا ما يدعو الى العجب : فبقدر ما كان الفكر الليبرالي ينفي وجوده  
الطبقات ، بنيتة شبه الصريحة لإخفاء الشككة الحقيقية ، كان لا يسد ان يترك  
فكرة واضحة عن مجتمع بلا طبقات سيكون حقيقة الديمقراطية البورجوازية  
وسيساهم في هلاكها .

« الأزمئة الحديثة » - العدد ٧٨ .

## • نهاية الأمل •

ذات ليلة • في أيام الاحتلال • كنا عشرين انا وبعض الاصدقاء في غرفة فندق . وتعالى فجأة صوت مجهول في الشارع يطلب التوجه . ودفعتنا نبرة هذا الصوت إلى النزول إلى الشارع ركضاً حتى من غير ان نشاور . وجدنا الشارع مقفر أجمعنا حول الشايل ولم نصادف احداً . عدنا إلى عملاً لكن ذلك الصوت لم يكف طوال الليل عن الصراخ في آذاننا . صوت بلا وجه • بلا اسم • يصرخ منادياً الجميع : في أيام الرعب تلك كنا ننتظر جميعاً مساعدة بعيدة • نجدة تأخرت عن موعدها • وكان كل واحد منا يتساءل أين لم يكن الصوت الذي سمعته هو صوت الحاص . وهذا الصوت هو الذي خيل إلي أنني أتعرّفه حين قرأت لقرة الأولى • نهاية الأمل • . انه هو الذي رتبه • من ممره • ذلك النداء في نهاية كانون الثاني ١٩٤٦ : كان يقول آنذاك : • إن الأوان قد فات تقريباً • وقد وصلنا النداء عام ١٩٥٠ . ونحن نسرناه في • الأزمنة الحديثة • • تلقينا رسائل كانت لسألنا : • من هو هر مساوس ؟ أين هو ؟ • وأجبت : • لا أمري • . وكانت تعرض مالاً ومساعدة • فأجبت : • لقد فات الأوان • .

عندما استشرعون براءة هذا الكتاب • سيخيل إليكم انه يحدثكم عن الفسك . الأشخاص • الاعتقالات السرية • النضال السري • توزيع المنشورات • الحرف • الاصدقاء المنفق إلى الاذاعة البريطانية : لقد عرفنا هذا كله . ولقد أحسن المؤلف اختيار اسمه للتمار : فيولاء الاسبانيون أشقاؤنا . ولقد كانوا ينتظرون بفرغ صبر خلاصنا لأن خلاصنا كانت أيضاً خلاصهم . ثم جاء الخلاص : ولم يكن

خلاصهم . وكل ما عشناه في الفرح ، عاشوه هم في الفلق والحياة والنعول . وإذا ما قلبنا صفحة ، انقلبت ذكرياتنا إلى تأنيب ضمير : لقد سفنا أشقامنا . ويتغير الصوت ، ويصبح صوت شخص آخر ، صوت انسان قتلناه . صوت ما يزال على قيد الحياة ، من المرة الأولى في آذاننا ، اصاحبه فكل شيء يدل على انه مات . مات في اليأس : ترى أما يزال في مقدورك ان تفهموا ما تعنيه هذه الكلمات ؟ ليس الموت بشيء ذي بال : لكن الموت في العار ، في الحقد ، في الرعب ، في الندم على ساعة الولادة ؟ انه الشر الجلدري ، ولا تحسبوا ان النصر ، مما كان ، يستطيع ان يعوه . وحتى لو حررة اسبانيا ، وبجنتنا عن هرمانوس ورفاقه من برشلونة إلى مالانغا ، فعبثاً : لقد اختلوا . واسبانيا فارغة منهم كما كان مقلراً ذلك الشارع الليلي . وما عاد هناك شيء يصلح ، فكلمات الكتاب الأخيرة تقول : « هذا ما فعلوه بنسباً جميعاً ، جميع اولئك الأندال مجتمعين ، الذين اطابت والقصان الزرق » . انها الكلمات الأخيرة لرجل يحتضر ، وان يكون في وسعنا ان تبدل فيها حرفاً واحداً . لقد فلت الاوان .

لكن من الواجب مع ذلك ان نسموها ، صرخة نحيبكم تلك ، الصرخة التي تسبق بثانية واحدة الذبحة الأخيرة : صرخة نهاية الأمل . ان هذا الصوت لم يصمت منذ عشرين سنة : كانت صوت ضحايا الألمان ، ثم النمساويين ، ثم الاسبانيين ، ثم التشيكيين ، ثم البولونيين : ولقد ماوا على التوالي ، وكانوا كلما سقطوا جاء آخرون ، ورفقوا الصوت ، وراحوا يصرخون بدورهم . أما نحن فكنا نسد آذاننا ، والكتاب الآن امامنا ، وآخر الصارخين قد مات : تبقى كلمات مطبوعة . ويلبني ان تفرؤوها حتى نلفوا كيف يكون الصراخ بنهاية الأمل ، لأن مورداً سياتي قريباً . وبعدها لن يوجد أحد ليصرخ . كما لن يوجد أحد ليصد أذنيه .

( مقدمة « نهاية الأمل » لجوان هرمانوس )

باريس - منشورات جوليارد ١٩٥٠ .

## الشيوعية والسلام

حين كانت قوات الأمن تهاجم عمال الشاجم ، راحت الصحافة البيئية لتشر بيانات النصر : الأمر الذي جعلني اعتقد ان الفيغارو<sup>11</sup> لا تحب العمال . لكنني كنت مخطئا . وعلى ان أقدم اعتذاراتي للجميع ولا سيما الى السيد روبينه . ذلك لأن السيد روبينه يقدم ، أولئك العمال ، وهو لا يريد ان يعترف بذلك ، من قبيل الحياة على ما افترض . لكن بعد مشاجرة مصانع رينو ، غير أخيراً عن حوافه الجدية . ولقد أهشني في البدء ، أقر بذلك ، ان أقرأ العنوان التالي بالأحرف الكبيرة : « انتصار عمالي » . ذلك اني رحمت أنسامل : على من أمكن للطبقة العاملة ان تحقق هذا النصر ، إن لم يكن على أرباب العمل وعلى الحرس للتقل ، أي على قراء الفيغارو ؟ لكن يبدو اني لم أفهم من الأمر شيئاً : كلا ، ان البروليتاريا لم تقهر الشرطة . ولا البيورجوازية . إنما انتصرت على الحزب الشيوعي - المنظمة السياسية الوحيدة التي نقلها في الجمعية الوطنية - وعلى الاتحاد العام للشغل<sup>12</sup> ، أكبر وأقدم اتحاداتها النقابية . وباختصار ، لقد سلمت البروليتاريا ، وألقت سلاحها ، ونسبة جهد أخير منتظر منها : فلتعلن نقاباتها ، ولتصوت لمستقلين في الانتخابات الفرعية ، وعندنا محرز أجل نصر : النصر الذي يجزئه الانسان على ذاته . أجل ، هكذا يكونون محبوبين ، العمال :

١ - أكبر الصحف البيئية الفرنسية . « م.م. »

٢ - في فرنسا عدة اتحادات عمالية ، والاتحاد العام للشغل هو الاتحاد اليساري للتركيبي منها . « م.م. »

بسلامة سلاح ، عزل الأيدي ، ملتزمي الأذرع . وما كلف أجمل الشعب في  
« فورمي » في ١ أيار ١٨٩١ : لا كتابي صدام ، ولا تطبات شبه عسكرية ،  
إنما أناس في الشارع ، أناس كثيرون : دوفسا نظام ، أطفال ، شبان ، صبية  
لسك بعضهم عم . ولقد أمكن لجنود القائد شاپري ان يسدوا بلا عجلة وان  
بظفروا فيصيبوا .

ولعل هذه الأيام الرعدة تعود : وإلى أنهم ان ينزء البعض أنفسهم على  
ذلك : لأن هجرة فورمي للتشي بال تأكيد الى ذلك الصنف من التشييات الذي  
يسميه السيد موروك ، فاضحاً لكن بالمعنى الجيد . . لكن ما يتجاوز طاقات  
فهيم هو السرور العمي الذي يغال عليه بعض رجال « اليسار » وبعض صحفه .  
يا لهم من مساكين : ففسد نفع الحزب الشيوعي مرة أخرى في ضربته : كلوا  
محبونه ، فتركوه على ردم ، فططخهم بالبراز ، فباتوا يفضونه . مسألة مواطن .  
انتي التي التي بهم أحياناً ، هؤلاء المتبعدين . ان ابلسامتهم ما تزال عذبة لكن  
نظرتهم شاردة بعض الشيء : لقد ضرب تناقض زماننا خيامه فيهم . كيف  
يكنكم ان تؤمنوا في ان واحد بالرسالة التاريخية للبروليتاريا وبخيانة الحزب  
الشيوعي ؟ إذا كنتم تلاحظون انها تصوت له ؟ لكنهم يتفكرون أمرهم مع ذلك ،  
وإن بشقة . وكل منهم يحتاج ، في فترة زمنية تطول او تقصر ، المراحل الهتمة  
الأربع . المرحلة الأولى : « الحزب الشيوعي خطيء ، أجل ، لكن لا يمكنني  
على كل الأحوال ان أعادي البروليتاريا » . والمرحلة الثانية : « الطبقة العامة  
هي موضع حيي العائم ، لكن لا بد من الاعتراف على كل الأحوال بأنها ليست  
بصيرة بالقدر المطلوب . أنظروا الى الشيعة الاثان : لقد أخذوا بتدجيل هتلر » .  
والمرحلة الثالثة : « لم تعد الطبقة العامة تنسأل اعلامي منذ ان أخذت موقف  
التسامح غير الساطع من مسكرات الاعتقال السوفياتية » . والمرحلة الرابعة  
والاخيرة : رؤيا يوحيا : « سنعد لك تحالفاً مع الولايات المتحدة . قف .  
متصرف لك روسيا بالثنايل القوية . قف . سلتنق لسك جميع الشيوعيين .  
قف . وسنهي لك فوق الانقراض الاشتراكية الأمية ، البيروقراطية ، الاصلاحية

الحقة ، لا مجال للشك : ان أجل ظفر منحرفه الطبقة العامة ، انما منحرفه لها  
 القوات الاميركية على قوات الاتحاد السوفياتي . لكن حتى يمررنا الفرع على انت  
 يقول ذلك علناً وبصوت جمهوري ، فلا بد ان يكون خائفاً مثلاً بالية ، او ان  
 يكون الغم قد أطاش بصوابه ، والشبه واحد في آخر الامر . لذلك فسوف  
 يأخذون ، بصورة عامة ، موقفاً وسطاً ، وسوف يوجهون الانتقادات اللاذعة  
 في الصالونات الرجعية حتى يروا العدو حسن قرب أكثر . او هم سيوازنون بين  
 القادير بدقة بالغة : سيكونون مع المنود الصليين والجمهوريين الاسبانيين ،  
 وضد الصيبيين واليونانيين . مع لينين ، ذلك القيرالي الكبير ، وضد ستالين  
 المستبد . وهذا شيء لا يمكن ان تقوم له قائمة ، وهم يعرفون ذلك ويريدون  
 بصوت خافت : « لو ان الطبقة العامة للمعونة تلك للفرر ولو مرة واحدة التخلي  
 عن الحزب الشيوعي ، ، غدوا ، على سبيل المثال ، السيد آلتمان ، التي اعرفه  
 معرفة جيدة : انه ليس بخائن ، ولا حتى برجل سيء . لكن الشيوعيين عاملوه  
 وفق طريقة شارل بوايه في فيلم ، ضوء الغاز<sup>1</sup> » : الطريقة التي تقوم على إقناع  
 الطامع للتجربة بأنه مهنون وتسرير عن طريق حيل مكررة . وفي مدى ثلاثة  
 اعوام من هذه المعالجة ، يكون السيد آلتمان قد اقتنع الى أكثر من النصف .  
 واليك ما كتبه ، في ٢٩ أيار ، في « فران - ثيرور » : « إن الاحتياج ضد كل ما  
 هو اميركي ، قد أخذ من الآن فصاعداً شكل فحاشة مهووسة وإجرامية .  
 ان الفرع ملء الحق في انتقاد السياسة الاميركية ، إذا ما رأى ذلك راجياً .  
 لكن هل لنا الحق في ان نظهر ، بمختلف الوسائل ، بسدأ من الافتراء وحتى  
 التخريب ، اننا ما عدنا نقبل حتى بأن يكون الى جانبنا رجال وحلفاء لواجبة  
 عدوان مختل . . . هل لنا الحق في ان لنذبح الى الشارع برجال ونساء واطفال  
 حول شعارات نذكر بالمنصرية لا أكثر ولا أقل ؟ إن المسألة لم تعد حتى مسألة  
 شيوعية ، انما هيض نزعة فرعية روسية . . . لكل ما لا يتقدم روسيا ستالين . . .

١ - فيلم مشهور يحمل فيه شارل بوايه عن طريق حيل مضطعة ان يجان زوجته القويده



وكل ما هو مع الحرية كما هي ما زال موجودة فيها وراء الستار الحديثي ، كل هذا يجب ان يعدم من الوجود قبل ان يباد ويستأصل . . . . .

هل لاحظتم : « إذا ما رأى ذلك واجباً ، ؟ ألا كم في هذه الكلمات المحس من براعة وتضمين ، وما اعظم استعداد الانسان كي يموت عسناً طيبة قلب من أجل اللغة والثقافة اللتين تسمحان بنقل هذه التعبيرات المرهفة الدقيقة ، اذ ما رأى ذلك واجباً : إن كل ما في هذه الكلمات يدل على انها تريد فقط ان تقول : « إذا كان هذا رأيكم » . لكن ينبغي ألا ننسى الاشياء الطفيف الالربط بتعبير : « ما دمتم قد استحضتم ان لزاموني من غير ان تأخذوا رأيي . . . . . » أهميتم اذن : انتقدوا خلفاءكم الامر كان اذا بدا لكم ذلك واجباً . اما السيد آلان فير لا يرى ذلك واجباً ، واذا كان يترك لكم الحرية ، إلا انه يحذركم خلسة من انكم ستنتكبون حماقات . والأسفاه ! التي الخشى ان تضيع هذه الحذافات سدى : فالأمير كان الذين يقرأون المقال لم يورثهم بعد التعليم الاساسي لتدركه كما يجب . على كل حال ، انهم حلفائنا : وهذا شيء يقطع فيه السيد آلان جازماً . وهو على حسن بالأصل ، على مطلق الحق : فالحكومة الفرنسية - أي حكومة في الحقيقة؟ - قد وقعت على معاهدة الحلف الأطلسي . وخلاصة الكلام ان العامل يتمتع بحريات ديمقراطية : انه يستطيع ان يفكر ، ان يتكلم ، ان يصوت ؟ اذن ؟ ما حاجته الى النزول الى الشوارع ليشتاجر ، كالرعاي ؟ أه ! انه السائلي الذي يحرصه ! ذلك السائلي ، النافس على الشر ، المحرص الأزلي ، الروسي اليوم ، الأتلي بالأمس ، التاز الذهب الانكليزي عام ١٧٨٩ ، والذهب الروسي عام ١٨٤٠ ، المزجج ذار الاشياء الجماهيري ، والمستغل هذا الاستياء ليدفع بالجماهير الى السياسة . وهذه الجماهير ، التي ألحبت عصبيتها خطاباته الماكرة ، تخرج على الشرعية وتقع أول ضحية لاعتها . انه هو الذي حث الرعاي ، نحن نعرف ذلك اليوم ، على مهاجمة الباستيل ، هو الذي استغل غضبية بعض العبيد السود الذين ربما عوقبوا بدماراة أكبر مما ينبغي ، ليجعلنا نغمر سان دو مانغ<sup>(١)</sup> ،

١ - اسم آخر لجزيرة هايتي .

وهو الذي مسووك مؤامرة « الرقيباء الأربعة »<sup>١١</sup> ، وإمام حزبان ١٩٤٨ ،  
والاضرابات التي لا يحصى لها عدد في أواخر القرن ، وأخيراً عصيانات عام  
١٩١٧ . كيف السبيل إلى إحباط حيلة ؟ كيف السبيل إلى مثل يده ؟ إن السيد  
آلان يقول لنا ذلك : « لو كان في وسع ديموقراطية اجتماعية جريئة أن تعرف  
كيف تتفرغ من التالبيين احتكاك الدفاع عن الشقبة ، لما وصلت بنا الأمور  
إلى ما وصلت بنا إليه اليوم » . وهذا ما لا يحدد شيائنا : فنسب مشة وثمين  
وستين عاماً لم يتبدل لا الماء ولا الدواء . وجرأة السيد آلان الديموقراطية  
تذكرنا من بعض الوجوه والتلقعية الحفرة التي تؤدي بها الكورنت دي مورني  
الذي كتب منذ كانون الثاني ١٨٩٨ في « مجلة العالمين » : « إن الشيوعية تنقسم  
بصفتها أساس المجتمعات والحكومات . فهبل في وسع تنازلات معتدلة ،  
وإصلاحات ذكية ، ودراسة دقيقة المسائل المالية والاجتماعية ، وحقيرة الطبقات  
الغنية الوردية على الطبقات الفقيرة ، ومقارسة شجاعة للمصاة ، أن تكفي على  
الضرورة التي تهددنا ؟ هذا هو السؤال الحقيقي » .

قبلنا بالديموقراطية الاجتماعية الجريئة : بتنازلات معتدلة لصالح النقابات ،  
بقيرة أرباب العمل الوردية على الشقبة ، بالمقاومة الجريئة تجاه المصاة الانفصاليين .  
لكن أين هي عناصر هذه الديموقراطية ؟ أين الجهاز السياسي الذي سيطبق هذا  
البرنامج ؟ أين الغالبية التي ستعده إلى سدة الحكم ؟ إن السيد آلان ليس يظن  
أنه يعرف معرفة حقة أنه لا يبد من مرور سنوات قبل أن تتمكن جماعة سياسية  
من الوصول إلى ما فيه الكفاية من القوة ليصبح لها تمثيلها في الجمعية الوطنية .  
والحال أنه مقتنع بأن الحرب واقعة غداً ، الحرب التي سيثيرها الروس ،  
والحرب الحاضرة إذا لم توجد وسيلة لتحرير الجماهير منذ اليوم من سيطرة الحزب  
الشيوعي . والسيد آلان المسكين ، أنه يعرف الشيوعيين منذ ثلاثين عاماً  
ويدعم قاعاً أنهم لن يتخلوا منها بكن الثمن . فلهذا فإن بما كتبه العقيلة الفطنة

١١ - هم الرقيباء الأربعة من حامية لارونيل الذين اتهموا بالتآمر واحدموا عام ١٨٩٢ .

تتطلب أحياناً من لقاء نفسها في رأسه ويقبول في نفسه : مسا هام ه الحزب الديمقراطي الاجتماعي الجري ه ه لم يصل بعد إلى السلطة ، أفلا يتوجب الاعتراف بأن الحزب الشيوعي هو الممثل الوحيد الممكن ، في الوقت الراهن ، للناخبين العمال ؟ وأحب ان أقول لكم ان نوم السيد آلتان يصبح خفيفاً في مثل تلك الأيام ! ذلك لأنه منسحب إلى جماعة واسعة الانتشار بما فيه الكفاية هي بالنسبة إلى الحرب القادمة ما كلته رابطة المحاربين القدماء بالنسبة إلى حرب ١٩١٤ : « رابطة معدومي المستقبل » . كثيراً ما دعوني إلى مأدبهم الكئيبي لم استطع ان آخذ على عاتقي الذعاب إليها ومشاظرتهم مرحوسم الرجولي والجنائزي . كانوا يقولون : « تعال إذن ، فأنت منا ! » . لكن إذا ما اندلعت الحرب القادمة ، فإن لدي أكثر من سبب للاقتداء بأننا سنكفي فيها نجساً جميعاً ولن أضيع وقتي في إعداد الحيوانات العزيرة علي .

وأخيراً يأتي يوم ٤ حزيران وكأبه يوم الخلاص : فلسفة الضربين ٢ ) ، وجمال السيد آلتان ، ويشعر بأن الحياة تدب فيه من جديد . ٢ ) ! إذن فقد فهم العامل أخيراً ، وشم من الكد والعناء لمقعة الاتحاد السوفياتي ، وبرهن على عدم ثقتة بالحزب الذي كان يريد ان يخرجه على المؤسسات الجمهورية . وهذا العامل ، الذي شبع من العنف ، يعود إلى حديقته الصغيرة في الضاحية ، إلى وداعة أخلاقه التي طالما تعنى بها البعض . وسرعان ما يتقدم الجميع عارضين عليه توجيهه وإرشاده . و « القوة العالية »<sup>١١</sup> تفتح له ذراعها ، ويبدأ السيد آلتان بالسؤال جدياً عما إذا كان يستطيع ان يرضه ال « حزبه الديمقراطي الاجتماعي الجري » .

أيها الأطفال الصبيحون ، ايها الجرفان العذبة العزيرة ، انكم التسمون إلى الحرب ! تستطيعون ان تصدقوني . انه جرد ذبق ذاك الذي يخاطبكم . انكم تصعون إلى الحرب ، وستجرونا معكم إليها . ولأمبالاة العمال لا تعرقل الانزلاق

١ - منظمة خاضعة لتوجيه الحزب الاشتراكي الفرنسي ، منشقة عن « الاتحاد العام للشغل » .

نحو الجزيرة : يسأل تعجب به . وإذا كانت نهائية ، تستطيعون إذن ان تسحوا  
احديكم . فلماذا ما فتنتم عن قبل الحزب الشيوعي ، اصبح نظركم حياً .  
واظالنا شكوتكم من أن الحزب الشيوعي ، يحسّر الدفاع عن الشفة ، حتى انتهى  
بكم الأمر الى الاعتقاد بأن هذا الامتياز جاءه صدفة . انه ، على مسا تقولون ،  
حزب المشهورين والقتلة والكذبة ، انه يبحث على الحقد ، وحيه غليظة خشنة الى  
حد ان صحتكم لا تجد مشقة في إعياطها كل صباح . إذن فلا بد ان البروليتاريا  
كلها مجرمة وكاذبة ومهترة . وإلا كيف نفسر انها مسا تزال شيوعية ؟ انفس  
ستأين ، من الجائز ؟ لو انه كان أقصر قليلاً ؟ ...

ان الواجب يلغى بدعوة هذه النفوس المشطورية إلى الاحتشام ، حتى ولو  
اضطرونا الى قسم اعطمتانها الجبان ، الى تذكيرها ببعض الحقائق الزعجة ،  
ومنها : انه لا يمكن للمرء ان يحارب الطبقة العاملة من غير ان يصبح عدو البشر  
وعدو نفسه ، وانه اذا ما حلا للحزب الشيوعي ، وعندما تكونون اتم عاجزين  
حتى عن تحريك أصبعكم الصغير ، فإن الطبقة العاملة ستكون ضدكم . وانه لا  
يد مع ذلك من الاحتفاظ بصحو الفكر في الوقت نفسه لأن الغضب والحقد وربما  
الحرف والبلامات اليمين يمكن أن تدفع بكم بين لينة وشحاهما الى احضان الحياة . وانه  
لا ينبغي البتة أخيراً الاعتماد على تصفية الحزب الشيوعي : صحيح ان البروليتاريا  
حررة منه بعض الشيء ، في هذه الآونة ، لكنها مسألة صغيرة بسيطة وسنظل  
بينها ، ولقد أخذت اللجنة المركزية درساً منها منذ الآن . هذه هي حقيقة  
الموقف : لا اتم تستطيعون شيئاً ، ولا أنا . وإذا ما وجدوها قاسية أكثر مما  
ينبغي ، فاقنعوا الفاز او اسطادوا بالنارة . لكن لا تبدأوا بالتلاعب والفسخ  
وإلا انتهى بكم الأمر ، كما حدث لشخص أعرفه ، الى الدعوة إلى الحرب في  
« قاعة كارنيجي » ، وإلى الثورة المحترز الاميركان انفسهم . حين علمت بالمطاهرة  
ضد ريديوي<sup>11</sup> ، أظهرتم لنا استنكاراً لا حدود له : ولقد جمعتم في استنكاركم

١ - جيفال اميركي - قائد قوات الأمم المتحدة في كوريا بين ١٩٥١ و ١٩٥٣ .

كل شيء ، كل شيء على الإطلاق ! جميع العيوب الشيوعية التي لا تطاق :  
اللامرعية ، العنف ، وذلك القوس الضار في تعبئة الشفوية التمتع إلى التناقضات  
حول شعارات سياسية . وإني لأصارعكم بأنني أتمنى ان تكونوا قد لجأتم إلى  
العش . فذلك الرذيلة المضال التي تأخذوتها على الحزب الشيوعي ، أسأل أنا إن  
لم تكن بكل بساطة طبيعة البروليتاريا الخاصة .

ان الواقع هنا : المظاهرة ، الأضراب الفاشل الذي تلاها ، الانتقادات  
الفرعية في معامل رينسوم في الجمعية الوطنية . خطوط مشوشة بعض الشيء ،  
متناقضة ظاهرياً . لا أهمية لهذا : فلندعها تتكلم لها ستقول لكم ان كنتم  
خونة او مجرد جردان ديفة <sup>(1)</sup> . ستقول لكم ، بالفاظ أخرى ، إلى أي حد  
ينبغي ان نعتبر الحزب الشيوعي التعبير الضروري عن الطبقة العاملة ، وإلى  
أي حد ينبغي ان نعتبره تعبيراً دقيقاً عنها .

٦ - تظاهرة ٢٨ ايلو .

أ - الكد والعناء لمنفعة الاتحاد السوفياتي .

لقد سمع العامل من كونه دمية في يد موسكو . لقد رفض أن يشارك في  
التظاهرة لأنه يستهجن مبدأها . ما أفرأكم بذلك ؟ هل سمعتموه بأذانكم  
يتشكى ؟ انا نحن الذين نرى في كل مكان يد موسكو . وأنا لا أقول لنا دوماً  
على خطأ . لكن العامل ليس مجبولاً من طبيقتنا . انه مفسر كبير ، شئت  
البورجوازي ، لكن ماويته يمكن ماويقتنا : فهو لسا يرى ذهب أمير كاخلف  
حركتنا كافة . والقول بأنه العرك انهم يستغلونه كقطعة ، لهذا معناه اننا نقرض  
ان نظام قسرياً قد حل محل نظامه هو . فهل العرك السيد روبينه انه كانت  
دمية في يد الولايات المتحدة ؟ والسيد الثالث ؟ ان الحزب الشيوعي الفرنسي لم

١ - الجرة الذي لم يكن . لكن الحزب والتي من انه كان سيقدم على ذلك لو سمحت الفرصة  
واختصار . انها كلمة تشير إلى هذا الصنف من الأفراد - الواقع الانتشار مع الأسف في جمعتنا :  
صنف القرب الذي لا يمكن أن يؤخذ عليه شيء .

يخف قط على كل حال انه يبني سياسته على سياسة عامة ترمس تطبيقاتها في الكومنترن تم في الكومنفورم<sup>(١)</sup>. وفي الموضوعات التي صدق عليها المؤتمر العالمي الثالث للاممية الثالثة نقرأ ان الحزب بجموعه هو تحت قيادة الاممية الشيوعية. وإن قرارات الاممية الشيوعية ملزمة للحزب ولكل عضو من اعضائه. والحال انه في ذلك الزمان ( ١٩٢١ ) كان من بين الأعضاء الحصة في رئاسة اللجنة التنفيذية ، ثلاثة روسيين ، وألماني واحد ، ومجري واحد . وهذا لم ينع بعد مؤتمر لوز<sup>(٢)</sup> ١٣٠٠.٠٠٠ اشتراكي فرنسي من تشكيل الحزب الشيوعي ، بينما بقي ٣٠٠.٠٠٠ مع بلوم . وعلى كل ، فإن الاختلافات العميقة التي تفصل الحزب الشيوعي الإيطالي عن الحزب الشيوعي الفرنسي تبين ان مبادئة واسعة النطاق متروكة لقادة الحليين . أنتم ترحمون ان هذه السياسة تخدم مصالح الاتحاد السوفياتي وحده . وما أسهل مثل هذا الزعم عليكم . ولا بد بالعمل من ان ترى ان الاممية الثالثة ولدت الحاجة الى الهبة والحزم . فمثل حركة ١٩١٤ السلية ، وعجز العمال ، والتحالف الزعماء الاشتراكيين مع حكومة الاتحاد القومي البورجوازية ، جعلت المناضلين يبلون نحو سياسة الحزم . ولم تكن مؤتمرات الاممية الثانية ، وغير هيئات أكاديمية تنتهي بقرارات لا قيمة لها ، وعلى جميع المستويات كانت الشعبية الفرنسية من الاممية العالمية<sup>(٣)</sup> ، تعني الفوضى . والحال ان منظم المناضلين كانوا مقتنعين بشأن الصراع الطبقي قد دخل في مرحلة الحرب الأهلية ، . إذن قلند كانوا راغبين في تكوين حزب جديد يكون بمثابة سلاح ، هبة ، فعالية ، تسلسل : هذا ما مطلوبه من الاممية الثالثة . ولا ريب

١ - الكومنترن : المركز القيادي للحركة الشيوعية الاممية جرى حلده عام ١٩٤٢ واستبدل عام ١٩٤٧ بالكومنفورم وهو مكتب اعلام شيوعي ، غير محدد المركز .  
٢ - وقد عقد عام ١٩٢٠ ووقع فيه الانشقاق بين الشيوعيين والاشتراكيين الفرنسيين .

٣ - هـ . م .  
٤ - هو اسم الحزب الاشتراكي الفرنسي يوم تأسيسه عام ١٩٠٥ . وتقدم بقي محافظاً على اسمه هذا حتى اليوم بينما انشق عنه الشيوعيون في مؤتمر لوز ليشكلوا الحزب الشيوعي .  
٥ - هـ . م .

في أنهم كانوا يؤثرون ان يقيموا تطيقات الاجانب الذين قهروا بروجوازية بلادهم على ان يطبقوا فرنسيين تعاونوا مع البورجوازية الفرنسية . وما كان يتناه اثثة والتسلازون ألف منتسب الى الحزب الشيوعي ، وما حقلوه هو المركزية الديمقراطية ، وهي نوع من تعبئة شاملة ودائمة لتكفل لتكفل لفرد منهم اقصى حد ممكن من التعالية . ومنذ ذلك العهد بدأ القادة يردون عن انفسهم الماخذين الذين سيوجهان اليهم فيما بعد باستمرار ؛ ويجب ان تم المركزية بصورة لتكون معها بالنسبة الى اعضاء الحزب بمثابة تدعيم ... لنشاطهم ... وإلا فسوف يبدو للجماهير كجهد بيروقراطية حزبية ؛ و ه الصراخ بصدد دكتاتورية موسكو ليس إلا وسيلة لتسليية مبتذلة<sup>١١١</sup> . بيد ان الجهاز الذي تم تصوره على هذا الشكل هو ، باعينه ، ملتبس . ذلك ان العمل العمالي اذا ما غطط له ووجهه على المستوى الدولي حزب مركزي ، فإن شعاراته مقدر في هذا القطاع العمل او ذلك ، مما يمكن بالأصل هدفها ، وكأنها أوامر مجردة . وسوف تعامل كل بروتشاريا خلية وكأنها وسيلة لتلك الغاية غير المشروطة التي هي الشسورة التعالية ؛ ونظراً الى عدم توفر معرفة دقيقة بالأحداث كافة - وهي معرفة غير ممكنة إلا للفرخ وبعد تراجع زمني - فسكان الثقة هي وحدها التي تتضمن البروليتاريا انها لم تقع ضحية لعمالها وان التضحيات التي ارتضاها كانت مشروعة . وكان هي الحال دوماً فإن الوقائع لا نقول نعم او لا ؛ فيعبد بيول هاربرير طلب الحزب الشيوعي في الولايات المتحدة من اعضائه السود ان يقفوا خلفهم المعادية للعنصرية ؛ إذ لم يكن ثمة من فائدة من تقضية الدعابة النازية . وكان كثير يومت من السود قد دخلوا الى الحزب لأنه الوحيد الذي كان يدافع عنهم ؛ فاعتبروا ان الحزب ضحى بهم وتركوه . ولا يمكننا ان نلومهم على ذلك ؛ لكن ماذا كان الهدف النهائي لشعار ؟ هل كان يستهدف مصالح الاتحاد السوفياتي فحسب ام كان يستهدف مصالح أوروبا والعالم ؟ حتى يمكننا ان نثبت في الموضوع ، فلا بد من الاقتراض لولا بأن حرب ١٩٩٠ لم تكن سوى حرب امبريالية . وهذا ما

١ - رسالة الى العمال الألمان والفرنسيين ( لينين ) .

يعتقده بالفعل الفرونتسكيون ، وهم أوفياء بذلك لشططهم لأنهم ادانوا المقاومة عام ١٩١٢ . لكن المقاومين اليساريين كانوا سيخرجون لو انهم ماشوم . وعلى كل حال ، لا يمكننا ان نجزم في المسألة إلا بعد ان نكون قد حددنا موقفنا بصدده مسائل أوسع بكثير ، ولا سيما مسألة قيمة الثورة الروسية والماركسية .

لقد شهد العالم موقفاً مماثلاً عام ١٩٢٦ . فمُنذ الحرب راح الاشتراكيون الفرنسيون يسعون إلى العودة إلى الزعة السلبية المطلقة التي حافظت على مكانتها في التقاليد الفرنسية بالرغم من فشل ١٩١٤ . وكان لينين يريد ان ييزوا بين الحروب الامبريالية والحروب الثورية . وقد رفض فوضوي اليسار المتطرف ذلك مدة طويلة من الزمن ؛ انهم سلبون إلى النهاية ويطلبون بحقهم في الحثاف ؛ ولتسقط جميع الجيوش ، بما فيها الجيش الأحمر . فمن كانت على حق ؟ ان المسألة تتعلق بالطبع بقيمة الاتحاد السوفياتي بالنسبة إلى الثورة ، اذن بقيمة الثورة في الاتحاد السوفياتي . وتستطيعون ، حسب قناعاكنم ، ان تبينوا ان مطلب لينين يعظم تقليداً عميقاً في الحياة الاشتراكية الفرنسية ، وانه يدخل بالقرعة والنصب استثناءً اطلاقاً في قلب نظام متلاحم ، او ان الموقف الذي كان يجرؤعة ما قبل الحرب السلبية المطلقة قد تجاوزته ثورة أكتوبر على نطاق واسع . وانه ليخيل لنا في مثل هذه الحال اننا خفضنا في واحدة من تلك المناقشات التي لا نهاية لها والتي يتعارض فيها الفلاسفة المتفانون وتلامذة لاروشفوكو: مناقشة تستعرض فيها الاعمال البشرية ويفسرهما كل حسب وجهات نظره ، فهذا يفسرها بدوافع غريبة ، وذلك بدوافع مفروضة . وإذا كان هؤلاء المتضامون لا يستطيعون ان يتوصلوا إلى اتفاق ، فهذا لأنهم يتنوا قلبياً بالقيمة الانسانية . وإذا كنتم لا تستطيعون ان تتفاهوا مع الشيوعيين ، فهذا لأنكم كونتم لأنفسكم قلبياً رأياً بصدده قيمة التجربة الروسية .

في كلون الثاني ١٩١٨ كتب لينين : « إن جمهورية السوفيت ستظل مثلاً حياً في نظر شعوب جميع البلدان ، وقوة التطفل الثوري لهذا المثال ستكون مدعشة » . وفي آذار ١٩٢٣ : « إن ما يهنا ليس هو ذلك



النصر النهائي المهم للاشتراكية . إن ما يمتنا هو التكتيك الذي يتوجب علينا  
 أن نلعبه ، نحن حزب روسيا الشيوعي ، نحن سلطة سوفيات روسيا ، لنمنع  
 الدول الغربية المناهضة للثورة من سحقنا . إن المشكلة كلها تكمن في هذين  
 التصين . وبالفعل ، إن الاشتراكية لا بد بالضرورة أن تنصير في نظر الشيوعي  
 الصلب القناعة ، لأن الرأسمالية تجعل موتها في ذاتها . وهذا يعني أن روسيا  
 ليست الطريق الأروحد للوصول إلى المخرج النهائي . بل من الممكن أن تختفي هي  
 التي ولدت من التناحرات التي سميت حرب ١٩١٤ ، لكن التناحرات ستبقى من  
 بعدها وسيتهي الأمر بالأمم الرأسمالية إلى الأبيار . ومن هذه الزاوية المحددة ،  
 ليس الحفاظ على الاتحاد السوفياتي شرطا لازما للثورة العالمية . لكن مثل هذه  
 الاعتبارات ليست ثوريحة : فالإتحاد السوفياتي ، من الزاوية التاريخية ، هو  
 فرصة البروليتاريات ، مثالها ، ومصدر قوة التطفل الثوري . وعلاوة على  
 ذلك فإنه في حد ذاته قيمة تاريخية يتوجب الدفاع عنها ، أول دولة ، وحسب  
 تباشير الاشتراكية ، وإن كانت بعيدة عن تحديها بعد . ولهذين السببين يتوجب  
 على الثوري الذي يعيش في عصرنا والذي تكمن مهمته في الإعداد للثورة بالوسائل  
 التي في متناوله وفي الشرط التاريخي المحدد الذي يعيش فيه ، يتوجب عليه أن يربط  
 بصورة غير قابلة للانفصام بين قضية الاتحاد السوفياتي وقضية البروليتاريات من غير أن  
 يلبس في الأعمال المهمة التي ستعيد به في النهاية عن العمل . هذا على الأقل ما كان يعتقد  
 لينين وما يتجلى بوضوح من التصين الثوريين . لكن الاتحاد السوفياتي يبدو ، من  
 ناحية أخرى ، وكأنه الفرصة التاريخية للثورة لا شرطها اللازم ( بالمعنى  
 الرياضي ) . يبدو إذن ، في كل الحالات ، أنه كان يوسع أن يكون غير ما هو  
 عليه من غير أن يتعرض مستقبل الثورة مع ذلك للخطر ، كأن يتطلب على سبيل  
 المثال تضحيات أقل في الديموقراطيات الشرقية . وكما ازداد وضعه خطورة ،  
 ازدادت بالنسبة إليه ضرورة المساعدة التي سيطلبها من البروليتاريات الأوروبية .  
 لكن كما ازدادت مطالبته قوة ، نجه أكثر فأكثر نحو أن يصبح في نظر  
 الديموقراطيات الشعبية والبروليتاريات مجرد أمة خاصة . إذن ، وفي أفضل

الأحوال ، لن يكون أبداً التوحيد بين الاتحاد السوفياني والقضية الثورية بأمراً ،  
 ويستطيع دوماً المناهضون للشيوعية ان يبينوا للعامل الفرنسي انه ، يخرج  
 الكساد من آثار لشفعة موسكو ، . لكنهم بالتقابل لن يستطيعوا ان يبينوا  
 البرهان على ذلك إلا في حالة واحدة ، اذا كان يقومون ان يثبتوا ان القسامة  
 السوفيانيين ما عادوا يؤمنون بالثورة الروسية او انهم يعتقدون بأن التجربة  
 سيكون مصيرها الفشل . وبدعي انه حتى لو كان هذا صحيحاً ، وهذا ما أشك  
 فيه كثيراً ، فإن البرهان عليه لن يكون ممكناً اليوم <sup>11</sup> . وفيما عدا هذه  
 القضية ، وفي أي فرضية أخرى ، يمكن للكتب السياسي ان يخطئ ، ان  
 يسير في غير الطريق السليم ، ان يفرغ اخطاء مينة ( الثورة بحسنة لكن الاتحاد  
 السوفياني يمكن ان يخطئ ) ، إلا انه منها فمسل فلن يضحى بالعامل لحساب  
 الأمة الروسية .

وفي مظاهرة 28 أيار نستطيع ان نجد مثلاً صادفاً عن الخلاف في الرأي  
 الذي يعارض بصورة لا توفيق معها بين المناهضين للشيوعية وبين الشيوعيين .  
 فكلا الطرفين متعلقان على التجربة لأن مواقفها محددة مسبقاً . لكن الأولين ،  
 الحاسنين بالنم المراق ، لم يروا في المظاهرة سوى نوع من عنف وحشي وحرشي ،  
 كما أمكن للآخرين ان يحكموا عليها بأنها خرقاء ولم تجزء في وقتها : غير انها  
 تظل في نظرم احدى لحظات لعبة الشطرنج الكبرى التي للعبها الجيوليتاريا ضد  
 الرأسمالية الدولية .

### ب - موسكو تريد الحرب

الشككة الخلفية ، على كل الاحوال ، ليست هنا ، واولئك الذين يتحدون  
 عن موسكو انما يريدون ان يضلعتنا . ذلك انه من المؤكد انه ليس الاتحاد  
 السوفياني الذي أمر بهذه المظاهرة . الا لا أنكر ان الأحزاب القومية استلهمه  
 لكن بصورة بالغة العمومية . لقد كتب بيوتو <sup>12</sup> ، لندن عودته من موسكو ،

١ - ما عدا ان هذا الموضوع في القسم الثاني .

٢ - انه هو الذي سيوجه إليه . بالفعل . نفس النقد والادانة في تحرير فابريون .

مطلقاً يعلن فيه قطعية الحزب الشيوعي مع «البورجوازية التي تسلم البلاد لاستعمار المحتل الجديد» . لكن حتى لو افترضنا ان القتل أملي عليه - الشيء الذي يبدو لي أن فيه تبسيطاً مبالغاً فيه للأمر - فإن الأفعال التي يعلن عنها أخطر بكثير من مجرد تظاهرة بسيطة حتى لو رافقها شجار . والحقي ان المظاهرة انما جرى تقريرها مع سائر الأمور الجارية من قبل المكتب السياسي ولحمت مسؤوليته .

وبالواقع ، ما هدفها ؟ ذلك ان الصحافة تتكلم عن اضطرابات وقوضى وعقد ، لكن من غير ان تقدم شيئاً لكل هذه الضجة . ان مناهض الشيوعية يلتفت حول سداجتي ويقول : «هدفها ؟ لكن هل يعمى عن الأبخار ؟ انه الأعداء للحرب !» . بدعي ! كيف لم يخطر في ذللك : إن الحزب الشيوعي وأنصار السلام يدعون سكان باريس الى التظاهر ضد الحرب : وهذا دليل بأمر يعمى الأبخار على ان الاتحاد السوفياتي يريد ان يهاجمنا . معمر للأبخار ، بالفعل ، بالنسبة الى من يأخذ بنذهب وزرنا : إذا كنت تريد السلم ففيه الحرب ، ومن اصول المنطق ان قلب الآية بعد ذلك وتقول : إذا كنت تريد الحرب ، ففيه السلم . ومنذ توقيع معاهدة الحلف الأطلسي ، أصبحت صور دعسة الريف وهدونه مرتبطة بشهد بزة عسكرية ، كما ان لقاء عابراً يبدأه ما يكون مفعوله بالنسبة الى اصحاب الأمزجة العصبية كملعول شراب مسكتن . وبالقابل فسران المدني مشبه لأنه لا يرتدي البزة العسكرية . أفلا يريد السلم ؟ بالضبط ، انه يطالب به بصوت عال : لا مجال للشك ان «اله مشاغف» . وواضح انه اختار هندامه ليقيم لأنظارنا صورة تزع السلاح الشبهة لهم . ودعواته الى تأليف القلوب ليس لها من هدف سوى تحريب الدفاع . أتذكرون حرجنا حين كانت الحرب الباردة تترك لنا ، من حين الى آخر ، بعض الراحة ؟ فقد كنا تسامل : ما وراء الاكمة ؟ والأمس أيضاً ، استولى القلق على الجزائر كلارك عندما رأى ان القتال قد توتف في كوريا . ولم يعد اعطشاته اليه إلا بعد خمس عمليات قصف جوي شديد . وهكذا فإن سمنا غربياً يضح من حين لآخر ترتعد له أوصال العالم ، والإنسان الذي يريد السلم ، سواء أكان شوبياً أم لا ، يظل مرتبطاً في نظراً

بشاعر الضيق والمخرج هذه : انه يعمل بالضرورة لحساب العدو . فكيف يكون الأمر اذا كان سلوكه يستلهم العنف الذي يرفضه ؟ واني لأقر بأن صوت الحزب الشيوعي جمهوري : فقد صاح بإرادته السلم بصوت عالٍ للغاية حتى بات كل إنسان يعتقد ان ساعته الأخيرة قد أقرت .

لكن انتم ؟ يا من تلعبون دور الساحطين المستهجين ، هل تفعلون شيئاً آخر ؟ ألا ترحمون انتم أيضاً انكم راغبون في السلام ؟ والحال اني بحث عن الفصان زيتونكم فلا أجد غير القتابل . انكم تقولون انكم تظهرون قوتكم حتى لا تضطروا الى استخدامها ؟ لكن إظهار القوة هو الأساس فعل عتف . انكم تفتنون بذنقات قتابلكم حياء إفريقيا لترضخوا لأوامركم مليكاً زنجياً . وهذا العتف الأبيض أدهى من الآخر : إن اللبك سيطر على الرأس بدون ان تطلقوا طلقة بنقوية واحدة لكنكم تكونون قد حطمت ارادته بالأرهاب . وانظروا على كل حال الى نتيجة تهديداتكم لسفية جداً : انها تنتج ردوداً سفية جداً هي بمثابة مجازر . وانتم تلتشرون نتائج تجاربكم القوية وتلباهون بقدرتكم على محو موسكو في مدى أربع وعشرين ساعة : لصالح السلام ، بالتأكيد ، والتنقيط حمة المعتدي المتوقع . لكن الحكومة السوفياتية حريصة هي الأخرى على تشييط حمة المعتدي : فحسب طائرة سويدية لتثبت ان مجالها الجوي غير قابل للاختراق . من عدوان مشيط الى عدوان مشيط ، في اليونان ، في برلين ، في كوريا ، في باريس بالذات ، ورجال يموتون يوماً . وهذا هو سلامكم : السلام عن طريق الحرف . ولو كان الاتحاد السوفياتي خائفاً مثلكم ، لكان سلامكم قد انقلب حرياً .

ذلك أن الاتحاد السوفياتي يريد السلام وهو يبرهن على إرادته هذه يوماً . ان حلفاءكم الأميركيين يرددون بأنه لا يمكن تجنب الصدام إلا عن طريق المفالاة في التسلسل . « ان يعود الاتحاد السوفياتي يلقنا حين نصبح أقوى منه » . أقوى منه : أي قاضين على سطحه إذا ما نتحج . لتفقرهن بأنكم وصلت الى هذه الدرجة من القوة: لمن سيقرر انه نتحج ! ما ستكون حدود صبركم ! أسيوتجيب

أن يغزو بلدأ أجنبياً أم يكفي ان تمتلك دولة ذيمة له أحد الكرادلة ؟ ان  
الحكومة الاميركية تؤكد انها لن تهاجم إذا لم يكن هناك داعٍ جليل الى ذلك .  
ويروي لو أصدقها . لكن الروس ؟ كيف يريدون ان يصدقوها ؟ كيف يتفنون  
بعودة حكومة ديموقراطية عاجزة حتى عن إيقاف تحركات جنرالانها ، وقد  
تغلي مكانها ، في مدى ستة أشهر ، لحكومة جمهورية ؟ انني لا أشك ، بالطبع ،  
بصفاء النيات الاميركية ، لكني أعرف مع الأسف ان تغيراً في الطاقة العسكرية  
يؤدي بالضرورة الى تغير في العقول . وليس فمة من حاجة الى المجوء الى التحالف  
التركسية لتعرف ان السياسة الخارجية لأي أمة كانت تتعد بتسلحها : ان  
عهدنا ما يزال قريباً بذلك الزمان المأسوف عليه الذي كان فيه الاميركان  
يبنضون الحرب لأنه لم تكن لديهم مدافع . والحال انكم ترمعون ان القيادة  
السوفيياتين وحوش لا تأبه بالحياة الانسانية وقادوة على إشعال نار الحرب  
بقطعة أصابعها . إذن فلماذا لا يهاجمون ؟ لماذا لا يهاجمون طالما ان الفرصة ما  
تزال سانحة ، وطالما ان مطارداتهم متوقفة على مطاردات العدو ، وطالما ان  
جيوشهم لا تحتاج الى أكثر من غائبة أيام لاجتياح أوروبا ؟ تقولون : « لأنهم  
يخافون من قنابلنا الذرية » فهمت : انهم ينتظرون إذن أن يتضاعف مخزوننا  
ثلاث مرات وان يصبح الجيش الاطلسي على أهبة الاستعداد . ياله من حساب  
مدعش ! الاتحاد السوفيالي يريد دخول الحرب ، وإذا فأشرفت ثلاثة أبحوام  
فسوف يخرسها ، وهو لا يدخلها في الوقت الذي ما يزال فيه يوسع ان يربحها .  
إذن فلا بد ان الناس هناك عجمين . اللهم إلا إذا كانوا بكل بساطة يريدون  
السلام .

السلام ؟ اني أراكم تحبسون بلشامة : هذا عباد آخر ، إنسان يؤمن بالاب  
فويل . حسناً : أما أنتم فواقعيون . في حرب ١٩٤٠ كانت اسم الواقعي يطلق  
على الفرنسيين الذين يتعاونون مع الجيش الألماني . والواقعي اليوم هو الفرنسي  
الذي يؤمن بأن الاتحاد السوفيالي هو الشيطان والذي ينتهي ، صارخاً في تنورة  
أميركا . إذن فأنتم تعرفون ان أعضاء المكتب السياسي كلاب مستكلمة . ومن

قال لكم ذلك ؟ ما أدلتكم ؟ انني أختار أرفف وأنعم مطلقي البغارو ، السيد  
 ويون آرون ، وأقرأ ما يلي : « يحلو للحميد ... ان يتخيل اتحاداً سوفياتياً  
 يقف موقف الدفاع المحض ، لتقلبه الاستعدادات الأميركية ، ولا يرغب إلا في  
 حماية أمنه . ويكفي ان نتذكر الدبلوماسية التي انتهجها الاتحاد السوفياتي بين  
 ١٩٤٣ و ١٩٤٧ ، في الوقت الذي كان فيه الغربيون يضاعفون جهود التعاون ،  
 حتى تفهم الزعم الذي يقوم عليه موقف الحميد<sup>١١</sup> . لقد انقبضت بلا شك الى  
 هذه الكلفة : « يكفي » . هذا هو نوع الحجج التي يعارضونها بها . وإني لأعتقد  
 جداً ان آرون لا يتكلم جدياً : ذلك انني قد حاولت كثيراً ، كما يدعوني ، ان  
 أتأمل في « الدبلوماسية ، السوفياتية » ، فلم أتوصل إلى التحرر من أوهامي .  
 وهذه الدبلوماسية ليست بجماعة ، بل هي قطة ، لا رادع لها من ضمير ، وتوحي  
 بالرغبة والحقد . وواضح ان الاتحاد السوفياتي ، الذي لم تتوفر لديه بلا شك  
 المعلومات الكاملة ، لم ينظر بعين الجدل الى جهود الأوروبيين للتعاون . انه يراهن  
 في كل مرة يمكنه ذلك ، وحيثما يجازف بزيادة حدة التوتر الدولي الى حشد  
 خطر<sup>١٢</sup> . كلا : انني لم أنتج الاتحاد السوفياتي جائزة فضيلة . لكنه كان غير  
 قابل للتفهم في أوروبا ، ولم تكن العادة السليح الأميركي - باعتراق آرون - قد  
 بدأت ومع ذلك لم تبدر عنه قط بأدب يمكن ان تؤدي الى اندلاع الحرب . ثم  
 ان الحزب الشيوعي كان يتعاون مع الأحزاب البورجوازية في ديترويت لطيات  
 الغرب وكان شعاره : الانتاج . واذا كنتم تهتمون بالاتحاد السوفياتي بأنه « حرب »  
 بدءاً من عام ١٩٤٧ ، إعادة بناء أوروبا ، فاعتقدوا على الأقل بأنه كان يبحث  
 عليه قبل ذلك . واذا كنتم ترون في هذا التنظير برهاناً على نيته الحربية ،  
 اذن ، وأكراماً للمنطق ، اعتبروا استطرافية مارسيل بول برهاناً على نيته  
 السلبية .

يتقبل إلي ، على العكس ، ان الموقف الراهن للاتحاد السوفياتي ، « وردده »

١ - آرون ، « جبهةنا الأوروبية » - مجلة « يرف » - حزيران ١٩٤٩ .

٢ - افكار عن الأخص بقضية ايران .

والمعنى المزوج لديوماسيت ، قد جرى تجديدها بصورة مثل قبل ثلاثين عاماً  
في مقال لينين في البرلندا في ٢ آذار ١٩٢٣ ( المجلات الكاملة - المجلد الثاني -  
ص ١٠٤١ ) .

« ... لن يكون سهلاً علينا ان نصدق حتى انتصار الثورة الاشتراكية في  
البلدان الأكثر تقدماً ... ان نظام العلاقات الدولية قد بلغ الآن في أوروبا درجة  
اصبحت معها إحدى الدول - ألمانيا - مستعبدة من قِبل الدول المتصرة . ثم  
ان مجموعة من الدول ، ولتحدهم بأنها من أقدم دول الغرب ، تجد نفسها على إثر  
انتصارها ، في شروط تستطيع معها الاستفادة من هذا الانتصار لتقوم بسلسلة  
من التنازلات لصالح طبقاتها المضطَّهدة ، وهي تنازلات ، على تواضعها ، تؤخر  
الحركة الثورية في هذه البلدان وتخلق شبه سلم اجتماعي . »

« وفي الوقت نفسه فإن مجموعة كاملة من البلدان - الشرق والهند والصين -  
قد وجدت نفسها مُلقًى بها نهائياً خارج لتأليدها نتيجة الحرب الامبريالية  
الآخيرة على وجه التحديد . ولقد التحد تطورها نهائياً في طريق الرأسمالية  
الأوروبية العام . وفي هذه البلدان بدأ الاختار الذي يشغل بال أوروبا بأسرها .  
وواضح الآن بالنسبة الى العالم قاطبة انها اندفعت في طريق للتطور لا يمكن ان  
يتخلف عن ايقاع مجموع الرأسمال العالمي في الزمة . »

« نحن نلف اذن في الساعة الزامنة امام هذا السؤال: هل تستطيع الصعود  
بإنتاجنا الفلاحي الصغير ، الصغير للغاية ، وبمخافة الخراب التي يشكو منها بلدنا ،  
الى ان نتجز البلدان الرأسمالية في أوروبا الغربية تطورها نحو الاشتراكية ؟  
لكنها لا تتجز تطورها كما كنا نعتقد في السابق . انها ستنجزه ، لا عن طريق  
« نضج » منتظم للاشتراكية فيها ، بل عن طريق استقلال دول معينة من قِبل  
دول معينة اخرى ، عن طريق استقلال اول دولة مقبورة في الحرب الامبريالية ،  
بالاضافة الى استقلال الشرق كله ... لقد دخل الشرق ... نهائياً في مدار  
الحركة الثورية العالمية . »

« ما التكتيك الذي يفرضه هذا الوضع على بلادنا ؟ انه بالطبع التكتيك

الثاني : إن علينا أن ندلل على أكبر قدر ممكن من القنطة والحذر حتى يمكننا أن نحفظ بحمكتنا العربي ، وإن بقي تحت سلطته وقيادته طبقنا الإسلامية الصغيرة ، الصغيرة للغاية ... وما هو في غير مصلحتنا أن الامبراليين تمكنوا من شق العالم الى كتلتين . وهذا الشق يتعقد بفعل ان ألمانيا ، ذلك البلد الذي بلغ درجة متقدمة فعلاً من الثقافة الرأسمالية ، لن يتمكنها ان تعاد النهوض اليوم إلا بصعوبة ... ومن جهة أخرى لمعان الشرق بأمره ... يجد نفسه في شروط لا يمكن فيها للفواء الفيزيائية والمادية ان تصمد البتة للمقارنة مع القوى الفيزيائية والمادية والمسكونية لأي دولة معها تكن صغيرة من دول أوروبا الغربية .

• فهل نستطيع ان نتلافى الصدام القادم مع هذه البلدان الامبرالية ؟ هل نستطيع ان نأمل بأن التناحرات والتزايدات الداخلية بين بلدان الغرب الامبرالية المزدعرة وبين بلدان الشرق الامبرالية المزدعرة ستترك لنا هدنة للمرة الثانية ؟ كما فعلت في المرة الأولى حين فشلت الحملة الصليبية التي قامت بها الثورة المناهضة الغربية لمساعدة الثورة المناهضة الروسية بتفصيل التناقضات القائمة في معسكر المناهضين للثورة ؟ ...

• يجيل إلي انه يتوجب ان نجيب على هذا السؤال آتفين بعين الاعتبار ان الحل يتوقف هنا على عدد كبير للغاية من العوامل ، وأن ما يسح لنا بعد كل شيء ، بالتبسؤ ، بنتيجة الصراع هو ان الغالبية الساحقة من سكان المعمورة تتلقفها وتربها للنضال الرأسمالية نفسها .

• ان نتيجة الصراع تتوقف في النهاية على كون روسيا والمهند والصين التي تشكل الغالبية الساحقة من سكان الكرة الأرضية ... ومن هذه الزاوية لا يمكن ان يخامراً ظل من شك بصدد النتيجة النهائية ...

• لكن ما يمننا ليس هو البتة هذا الانتصار الحتم للاشتراكية . ان ما يمننا هو التكتيك الواجب اتباعه لتبع الدول الغربية المناهضة للثورة من سطناً . وحتى يمكننا ان نستمع في الوجود الى يوم ينشب فيه الصدام العسكري بين الغرب الامبرالي المناهض للثورة والشرق الثوري القومي الثورة ، بين أكثر بلدان



العالم لدينا والبدان للتأخرة كبدان الشرق التي تثلل مع ذلك العالمية - فلا بد ان يتاح الوقت لهذه العالمية كي تتحضر . ونحن ايضاً نفتقر الى المدنية حتى نتقل مباشرة الى الاشتراكية بالرغم من ان تبشيرها السياسية متوفرة لدينا ... .

( ويلعب ذلك خطط إجمالي لاقتصاد الاتحاد السوفياتي الداخلي ) .

فما الذي نفع منذ ان كتب هذا النص للتحير للاعجاب بما فيه من صحو فحصر ؟

- لقد تصنّع الاتحاد السوفياتي ، لكن الجهود الضخم للولايات المتحدة الاميركية تهدف الى الإبقاء على التفاوت بين إنتاج الغرب وإنتاج الشرق .

- لقد انتهت الحركة التنويرية الصينية الى ثورة . لكن تصنّع الصين لم يبدأ . وقد بقيت الهند خارج الحركة : ومن الممكن ان تولد فيها بين يوم وآخر نزاعات سيستفيد منها الاتحاد السوفياتي . لكن الأمور لم تصل الى هذا الحد بعد .

- لا يتكنا في ١٩٥٢ ان نتحدث عن « الأزهار » كما كانت الحال بعد ١٩١٨ . ولا عن السلم الاجتماعي . لكن الطبقة العاملة في مرحلة جزر والحكومات البورجوازية مصممة على قمع الاضطرابات الاجتماعية بجميع الوسائل . والعمل المركزي للامبريالية الاميركية يمنع مؤقتاً النزاعات القومية والديولية من التفاقم . ويبدو ان الروس اعتمدوا على لزمة اقتصادية في الولايات المتحدة الاميركية ، لم تنشب بعد .

وبصورة إجمالية فإن تفاوتاً حقيقياً ما يزال قائماً بين الكتلة الشرقية والكتلة الغربية . وبالرغم من أن الولايات المتحدة الاميركية والصين هما في حالة حرب عملياً ، الا ان هذه الحربيين يد ما يزال متخطلاً لغاية اقتصادية وبين أكثر الدول الرأسمالية « مدنية » لا تشبه في شيء تلك الحرب التي نلأ بها لينين والتي كان ينتظر ان تنزل ضربات حاسمة بالرأسمالية . وبكلمة واحدة ، اذا ما حاولنا ان تصور ، بالرجوع الى هذا المقال ، ما يمكن توقعه ان يكتبه اليوم عن السياسة

التي يتوجب على الاتحاد السوفييتي انتهاجها ، لبدأ لنا جلياً انه سيكرر المجلس  
الاساسية فيها : « علينا ان ندلل على أكبر قدر ممكن من القفظة والحذر ...  
هل نستطيع ان نتلافى الصدام القادم مع البلدان الامبريالية ؟ هل نستطيع ان  
نأمل بأن تناحراهما سنترك لها هدنة لفترة الثالثة ؟ ... ان الطل يتوقف على قدر  
كبير للقاية من العوامل بصورة لا يمكننا معها التلبؤ بشي . ... لكن لا مجال  
لشك في نتيجة الصراع » .

ولا انصور ان مثاليين اتبع سياسة أخرى . فنحن نرى أولاً الحكومة  
السوفييتية تحترق عصبية الأمم ، تلك الاداة في يد الامبريالية البورجوازية ، ثم  
من اللحظة التي بدأت فيها اليابان و ألمانيا المتفوية تطلقان بالها أخذت تقترب من  
عصبية الأمم ، وتنادي في جنيف بنظرية السلم غير القابل للانقسام ، وتقف  
يحياتب الأمم « المحافظة » ضد الأمم « البروليتارية » . كان ذلك في العصر الذي  
صرح فيه مثاليين : « نحن لا نطمح في بوسة واحدة من أراضي الغير ولن نسبح  
لأحد بالاستيلاء على بوسة واحدة من أراضينا » . بسبل ان الاتحاد السوفييتي  
سيذهب الى حشد توقيع اتفاقية معونة متبادلة مع فرنسا . وحتى مؤتمر  
ميونيخ<sup>11</sup> ، سيلعب لعبة الديموقراطيات ، مكثفياً بتوصيتها بالمزيد من الحزم .  
وموقف الحزب الشيوعي الفرنسي ، منطوراً اليه من خلال صلته بالسياسة  
الخارجية للاتحاد السوفييتي ، بالغ الدلالة . فيين ١٩٣٨ و ١٩٣٠ ، بس برنامجه  
النضالي ، طشيت من اندفاع الدول الرأسمالية في هجوم على روسيا السوفييتية ،  
ضد الحرب الامبريالية ، وحده التدابير الرئيسية الواجب تنفيذها في حالة نشوب  
القتال . ويدهأ من ١٩٣٥ وحتى ١٩٣٨ ، واصام تهديد القاشية الداخلي  
والخارجي ، فكر وتلد فكرة وحدة العمل مع الاشتراكيين . وتحسن لعرف  
خطية الاتحاد السوفييتي وتطهيره بعدد موليخ ، و « محاولات رجعيي السكفرا  
وروما للاتحاد مع فاشي ألمانيا وايطاليا على حساب الاتحاد السوفييتي » . ومن

١ - المؤتمر الذي عقد في ايلول ١٩٣٥ . وضم رؤساء حكومات بريطانيا وفرنسا وألمانيا  
وايطاليا . وقرع على تشكيل كورنغواكيا للتعاون عن جزء من أراضيها لألمانيا .

يؤكد ان الاتحاد السوفياتي قد خشي من التطويق والحرب : وعيناً طلبت  
 الحكومتان الفرنسية والانكليزية التحالف الروسي بين ١٩٣٨ و ١٩٣٩ امام  
 الخطر الوشيك الواقع . ان رية السوفياتيين لن تلقى السلاح : فهم ملتصقون  
 بان ألمانيا على مفرق الطرق ، وبأنها ستهاجم جيوانها في الغرب أو جيرانها في  
 الشرق ، وذلك تبعاً لميزان التحالفات . ويرجع ريننروب<sup>١١</sup> ومولوتوف الخلف  
 الألماني - الروسي . ولقد قيل كل شيء حول هذا العمل ، ولا ريب في انه كان  
 خالياً من الرقة والمراعاة : لكن من يستطيع ان يتكبر ان روسيا كانت تريد  
 ان تحافظ على سلامها امام استحالة المحافظة على سلام العالم ؟ ولم تغير موقفها إلا  
 مع هجوم ألمانيا عليها عام ١٩٤١ ، ويستدل من العمليات الأولى ان الجيش  
 السوفياتي لم يكن مهتماً قام التوشة للصدمة . وبعد ١٩٤٤ ، ايقظ انهيار ألمانيا  
 الصليبية المعادية للسوفييت من جديد . وحسب اول الاتحاد السوفياتي ، يختلف  
 الوسائل ويختلف السياسات ، ان يعنى نفسه . وبدءاً من ١٩٤٧ ، ابعدت  
 الأحزاب الشيوعية الأوروبية عن المراكز القيادية . وكان تصلب سوفيياتي جديد .  
 لقد بحثت طويلاً ولم أجد خلال العقود الثلاثة الأخيرة أي ارادة هدوانية لدى  
 الروس . افا وجدت أمة مرابطة محاصرة ، ما تزال تذكر تدخل الحلفاء عام  
 ١٩١٨ وما تبع ذلك من فرض حجر صحي عليها ، أمة ستؤثر أي شيء كانت  
 على الاسواق ، حتى ولو حرباً عالية ، لكنها تسمى بجميع الوسائل التي فوه  
 هذه الحرب ، أمة غشنة ، أجل ، ومتعالية وغضوبية وشريرة عندما تدعو  
 الحاجة : لكن ابن العجب ؟ ذلك انه افا كان صحيحاً ان الأحزاب الثورية  
 بتبعيتها لها لا تسام البتة تقريباً في تهدئة روع الناس ، إلا ان الشنائم التي ترمخ  
 فيها هذه الأحزاب في الديموقراطيات البورجوازية ، وقمعها سياسياً ، وسياسة  
 الزعماء الشيوعيين في البلدان الناشئة ، لا تشمل من شيء سوى انها تزيد في حدة  
 التوتر . ذلك ان ما يبغضه البورجوازيون في الشيوعيين هو الاتحاد السوفياتي

١ - دور خارجية ألمانيا بين ١٩٣٨ و ١٩٤٥ ، حكمت عليه هيئة نورمبرغ بالاعدام  
 ( ١٩٤٣ - ١٩٤٦ ) . ٥٢٨٥ .

وما يفتنونه في الاتحاد السوفياتي هم الشيوعيون . وما لا مجال للشك فيه ، على كل الأحوال ، هو ان تسلط فكرة العدوان الروسي علينا يتجاوب بدقة مع تسلط فكرة التطويق على الروس .

لكن على بينة من أمرنا : اذا فقد الاتحاد السوفياتي ذات يوم كل أمل في تجنب الحرب ، فسوف يقول بنفسه اطلاق شرارتها الأولى . ومن يمكنه في مثل هذه الحال ان يلومه ؟ لكن قادته لا يفلتون انفساً عن قادتنا . فنته عام ١٩٤٦ ذات مولوتوف يؤمن بجمية الحرب . لكن المسألة اليسوفوسلافية دلت على انه لم يفتح زملاءه قام الاقتناع ، وكان بعضهم ، على ما يبدو ، يفكر بأن الصدام يمكن ارجاؤه الى يوم تلتشب أزمة حاسمة بزعر اركان العالم العربي . المقاومة الألمانية ، التحفظات الانكليزية ، تقلبات الرأي العام في فرنسا وإيطاليا ، تورط الأميركيين في كوريا ، اضطراب العالم العربي ، حرب القيبث - منه : هذه وغيرها اوراق ما يزال بالأمكان القامرة عليها . وكان هذا التصور او ذاك يفرض نفسه ، تبعاً للموقف الدولي ، وربما أيضاً تبعاً ليزان القوى داخل المكتب السياسي ، لكن تصور الأقلية كان يوماً يعدل من كفته .

وقد انعكس هذا التراجع في سياسة الحزب الشيوعي ، واتا في هذا الشأن بقضي ان نضع نظاهرة ٢٨ أيار . فكتبراً ما ربطت هذه التطاهرة بالقتال الذي نشره بييو بعد سقره الى الاتحاد السوفياتي . والحال ان هذا القتال ، وكما يستين ذلك جيل مارغينه في « الأوبسرفاتور » ، يعلن عن عودة الى خط ١٩٥٠ أكثر مما يشكل ، المعطافاً ، في سياسة الحزب . ففي عام ١٩٥٠ ، في المؤتمر السابع للحزب ، وقف توري<sup>١١</sup> يقضح « الحكومات التمرشة<sup>١٢</sup> التي وهبت نفسها للرأسماليين الأميركيين ... و... التي تلجأ في حربها على الطبقة العاملة الى طرائق

١ - موريس توريي ، الأمين لعصام الحزب الشيوعي الفرنسي بين ١٩٣٠ و ١٩٦٥  
٢ - ( ١٩٦٥ - ١٩٦٥ )  
٣ - نسبة الى مارشال الأميركي ومشروعه المعروف .

الاغتيال والارهاب ، . وفي ايلول ١٩٥٦ صرح جاك ديكلو ، على العكس ،  
 في مجلة اللجنة المركزية : « ان ارباب العمل والعمال يمكنهم ان يلتقوا في المعرك  
 نفسه من اجل انقاذ الاستقلال الفرنسي » . وفي ايار ١٩٥٢ عاد بيرو الى موضوعات  
 تورين : « ان الدفاع عن الصناعة الفرنسية لا يمكن ان يتحقق ضمن نطاق  
 « التجسد قومي » بين العمال والطبقات المتوسطة والصناعيين » . وهكذا رجع  
 الحزب الى تصليب ١٩٥٠ ليعود بعد شهر واحد ، مع تقرير فاجون الى اللجنة  
 المركزية ( ١٩ حزيران ١٩٥٢ ) ، الى التجسد ديكلو : ان طبقة ارباب العمل  
 ليست متجانسة ، وان كثير من الصناعيين الفرنسيين مهددون بالافلاس نتيجة  
 سياسة التسليح . ولقد أسيء فهم مقال بيرو ، ولا يسد من التخلي عن التعصب  
 الذهني ، أو مسد اليد الى الجماهير الفلاحية والى الطبقات المتوسطة وإلى المثقفين  
 والى « من يشكون من ارباب العمل من السيطرة الاميركية » . والتسارح هذه  
 المرة أسرع وأوسع نطاقاً : لقد غالى بيرو أكثر من تورين ، وفاجون يغالي أكثر  
 من ديكلو . ويبدو ان النواص قد طاش صوابه . ولقد قيل ان تناوياته كانت  
 تتجاوب مع ايقاع الموقف الدولي . لكن هذا غير صحيح مئة بالمئة : فصحيح  
 ان تورين صرح عام ١٩٥٠ بشأن « السلم معلق بشعرة واحدة ليس إلا » لكن  
 حرب كوريا لم تكن قد اندلعت بعد ( هل كان يعرف انها قريبة ؟ ) وتجديد  
 التسليح الاميركي يرجع تاريخه الى العام التالي ، وفي ايلول ١٩٥٦ لوحظ بعض  
 الانفراج بالنسبة الى شهر كانون الثاني ، بيد ان الاخطار نفسها ما تزال تثقل على  
 العالم : فقد تم تقرير انعاده تسليح المانيا ، ومفاوضات الصلح في كوريا تسير  
 سراً بطيئاً للغاية ، وفوز المحافظين في الانتخابات الانكليزية يؤكد ، ومؤقر  
 اولها على وشك الافتتاح . اما التارجمان الاخير ان فقد حداً في نفس الجو  
 الثور الهدد ، وهذه المفاجأة المسرحية المزروجة لم تتوافق بأي تعديل محسوس  
 في الموقف السوفياتي الذي ظل ملتصقاً بسياق الكفافية . إلا اننا لا نجد شيئاً  
 مماثلًا لهذا في ايطاليا بالنسبة الى الفترة نفسها ، وانه لما يسرع الانتباه ان

تولياني<sup>(١١)</sup> ، بعد بضعة أيام من نشر مقال بيبيو ، قد اقترح على دي غاسبري<sup>(١٢)</sup> عن طريق نيني<sup>(١٣)</sup> جبهة مشتركة ضد الالكين والقاشيين الجدد . وهذا وحده يكفي لاستبعاد فكرة وجود اوركسيرا واحدة لتولي التنسيق بين الحركات الشيوعية القومية<sup>(١٤)</sup> . إن تارجحات السياسة الشيوعية في فرنسا هي خاصية الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يقصد ، لأسباب سأشرحها فيما بعد ، التنازلات الروسية مع تومسها : ووقيرة هذه التارجحات وشدها واتساعها تتعلق بثلاثة عوامل هي الأقل : الطرف الدولي ، الحياة الداخلية للمكتب السياسي ، الحياة الداخلية للجنة المركزية الفرنسية . ولقد تم تقرير مظاهرة ٢٨ أيار في جو من التشاؤم . كانت جهداً أخيراً في سبيل السلم . لكن الحزب كان قد كف عن الأيمان بالسلم ، وهذا ما يفسر ارامة الفشل والوجه إلى العنف . ارت الحزب الشيوعي بتوقع الأسوأ دوماً ، ففي عام ١٩٢٧ قال ستالين : « ما من بلد رأسمالي يمكن ان يمازف بحرب واسعة النطاق إن لم يكن مطمئناً إلى مؤخرته سلفاً ، وقيل ان يكون قد فهم عماله وقع مستعمراته » . ولما اقتنع الحزب بأنه سيحل ، بدأ يفكر بالعودة إلى العمل السري . وتقرر قاجون بلخ صراحة إلى هذه الزعة الأنترامية ، فقد قال : « على جميع نشاطات الحزب ان تستمر علناً في عملها الجماهيري ، وكأنه اراد بذلك ان يطمئن المناضلين وان يستنكر في الوقت نفسه الاستنتاجات المتسرة أكثر مما ينبغي . وحسب قرار المكتب السياسي للمظاهرة ، لم يكن وجه كثير أألا يشارك فيها سكان باريس ، لأنه يعلم سلفاً ان

١ - بليرو تولياني : الأمين العام السابق الحزب الشيوعي الإيطالي . توفي في اواسط عام ١٩٦٤ .

٢ - سياسي إيطالي . وضع الديمقراطية للشيوعية ، وديتس بوروا بين ١٩٤٥ و ١٩٥٥ .

٣ - بيلو لينو : الأمين العام الحزب الاشتراكي الإيطالي .

٤ - في خطابه في شهر حزيران ، وبخطة مهاجمة دي غاسبري ، قرع تولياني بقوية الحزب الشيوعي الفرنسي ، وقال ما خلاصته : « لنا الحياة إلى هذا الحد » . لقد حشدتم شرطسك وفرنسك في شوارع روما لكننا لم نفع في الفع ولم نرد على استغزواؤكم » . ومن السيل ان نستنتج من هذا الكلام رأيه في مظاهرة ٢٨ أيار .

الأمر لن ينفذ<sup>١١١</sup> . وقد قال بيير تيسو في « فرانس سوار<sup>١١٢</sup> » : « كانت  
 المظاهرة عبارة عن عمل منسق قام به فدائيون سائرون ، تنفيذاً للأوامر ، إلى  
 معركة خاسرة سلفاً » . معركة خاسرة سلفاً : هذا صحيح ، فقد كان لا مفر  
 من فشل المظاهرة . لكن من الصحيح أيضاً أن انتصارات البروليتاريا طويصة  
 الأمد وتولد في غالب الأحيان من معارك خاسرة حينياً . وما لا نستطيع ابتداءً  
 تقريباً أن نفهمه ، نحن البورجوازيين الذين لا يريدون أن يحتفظوا إلا بقسري  
 أنصاف انتصاراتهم ، هو صبر العامل الطويل وذلك المزيج من القدرة واللباس  
 والشجاعة الذي يعمد أحياناً ، تحت ضغط وضع لا يطاق ، يدخل معركة هو  
 شبه واثق من أنه سيقهر فيها . إن الحزب الشيوعي بتقريره ذلك « اليوم »  
 العيش بالرغم من عدم وجود أي فرصة للتراجع ، إذا كان يستلهم رغباً عن كل  
 شيء التقاليد العمالية .

لكنه كان يعبر على الأخص عن تروعة الجماهير السامية الشائسة<sup>١١٣</sup> وانتهمكذبون  
 متعصبين حين تهنون العامل الفرنسي على أنه رفض تجنيده خدمة مصالح ليست  
 هي مصالحه . إن واحداً من العمق وأبسط مشاعر البروليتاريا ، إن واحداً من  
 العظيمة البائسة لوعياها الطبقي ، هو فهمها لنفسها على أنها ذلك الوجود المنفي  
 به في الكتل الاجتماعية من غير ما علاقة تضامن معه . أنها غير متديجة بالمجتمع ،  
 بل هي تلقف بجوانبه ، في شبه انفصال يفرض عليها وينتهي بها الأمر إلى الطالبة  
 بسه . وفي فترات التوتر الدولي ، تفرغى روابطها الاجتماعية أكثر أيضاً ، في  
 الوقت الذي تتوق فيه في أي مكان آخر . فكيف يمكنها أن تضع نفسها على  
 مستوى التوتر النفسي والاجتماعي البورجوازية الصغيرة التي تحيط بها ؟ إن هذا

١ - وكيف يمكنه أن يكون على غير ذلك حطاً له . كما يقول دوفرجيه ، « يتبع منهاجاً  
 طبعياً يسمح له ... بمعرفة تقاطع مشاعر الجماهير » ؟ يسأل إن السورلين الحظين لا يقدمون  
 مسودات حذرة إلى السورلين التركيزين . هذا ممكن ، لكن الخطيئة في مثل هذه الحال متعرف  
 لكنها لن تنفي كلياً .

٢ - من كتابات الصحف الجينية الفرنسية .

الطلاق بين انعدام المبالاة وبين الاحتياج العام يجعلها قبل نحو النزعة السلبية .  
والنزعة السلبية هي أولاً وبالتقابل اعادة تركيز العزلة العمالية وسط مجتمع  
استغلالي ، ثم تصبح ، بعد ذلك فحسب ، إعلاناً عن التضامن مع الطبقة العاملة  
في الأمة العدو . وفي الوقت الذي تسقط فيه سائر الطبقات لتضامها الخاص في  
الجانب الآخر من الحدود ، مغيرة اسمه وكصورة شيطانية عن المجتمع ، يسقط  
العامل ذاته امام نفسه ومن غير أن يبدل الاسم ، لأن تقيه لذاته هو طبقة بلاده  
البورجوازية بالذات . وعلى هذا فإن الموقف الأبسط والأقرب من العنوية ،  
الموقف الذي يعبر على الفضل صورة عن مشاعره ، هو النزعة الأنيمية . ولعل  
اولئك الذين تقدمت بهم السن من العمال ما يزالون يذكرون النداء الذي وجهته  
عام ١٩٠٦ اللجنة الاتحادية للاتحاد العام للشغل : « حارب على الحروب . ايها  
العمال ... ان الحرب قد تثشب لأبسط حادث . والصحافة تعلم هذه الأشياء ...  
وتلهم الصمت مع ذلك . هذا لأنهم يريدون ان يرغوا الشعب على ان يسير »  
متذرعين بالشرف القومي وبمجنونة الحرب ما دامت دفاعية . والحال ان الشعب  
لا يريد الحرب ... وليس للطبقة العاملة اي مصلحة في الحرب . فهي وحدها  
التي تتحمل تكاليفها كافة - وتدفعها من عملها ودعما . اذن فعليها تقع مهمة ان  
تقول بأعلى صوتها انها تريد السلم .

ولقد رأينا كيف ان تحول الثورة الروسية الى أمة تسد عقبة الأمور بعض  
الشيء . والحزب الشيوعي ، بطلبه الى البروليتاريا ان تدخل استثناء على مواقفها  
المعادية للنزعة العسكرية ، قد خلق تناقضاً سينتهي به الأمر الى تشويش كل  
شيء ، وإلى حرمان الشعور العفوي من تعبيره . ومنذ ١٩٢٨ وجدت رغبة في  
استغلال القوة المقدسة لبعض الكلمات وبعض المرافق لصالح الاتحاد السوفياتي .  
وبدلاً من ان يشرحوا العامل وروابطه كتضامن الواقعي وغير القابل للانقسام التي  
تربطه بالاتحاد السوفياتي ، جندوا من الاتحاد السوفياتي الوطن الاشتراكي العامل ،  
ومن العامل جندي الاتحاد السوفياتي المحارب من وراء الخطوط . وفي الوقت نفسه  
تقدمت وتطورت اساليب التضال ضد الحرب واخذت بالتالي شكلاً عسكرياً :



وعكذا أراد الحزب الشيوعي ، وقد أخذ درساً من فشل ١٩١٤ ، ان يستبدل اسلوب ، الاحزاب العمام ، المشهور والنهيم ، بأسلوب التخريب والدعاية الازمائية واللائحية ، الخ . وعند ١٩٢٨ - ١٩٣٠ بدت الحيرة على الطبقة العاملة وفشل ، اليوم الاحمر الدولي ضد الحرب ( ١ آب ١٩٢٩ ) فشلاً فريعاً شبيهاً بفشل ٢٨ أيار ١٩٥٢ . واليوم ، وكما كان متوقعاً ، تفرق المذهب الاممي الذي يفرض اصطفاً لأعضاء للجماهير ( انها بجانب بعضها البعض ، تفصلها الحدود ، وليست القيادة لأحد ، وهيئات مثلها برلمانية ) تحت تأثير المركزية . وللمادة ٥٧ ، موضوعة ابول ١٩٢١ : « اللجنة القائدة للحزب مسؤولة أمام مؤتمر الحرب ، امام قيادة الاممية الشيوعية ، يمكن ان تفرجهم ومزياً الى هذه الجهة : العامل وطنان ، وطنه وجمهورية السوفييات الروسية . والحقيقة ان ظهور الأوطان اكل وأنجز عملية الانفصال الاقني . وأصبح للحزب الشيوعي على المستوى الدولي ، تنظيم لا يقل قوة عنه في كل بلد على حدة : ان الأمم شأن اطلاقاً لن تتصل فيما بينها إلا عن طريق اهل حلقات التسلسل . لكن مصلحة البروليتاريا ومصصلحة الاتحاد السوفيياتي تظل واحدة بالرغم من هذه الحواجز الفاصلة المهادفة الى توثيق الأواصر وتدعيم هيبة السلطة المركزية : وبذلك تم التخلي عن صحيح غريغوروف الذي كان لها اعطى الوقع في قلوب التقالبيين . ( « الدفاع عن أرض الوطن ؟ لست أرى مانعاً لكن بشرط ان يكون الدفاع مائلاً لهذه الارض » . تحقيق عن الحركة الاشتراكية ، آب ١٩٥٥ ) . لكن ينبغي ان نعترف ايضاً بأن الدعاية الجديدة تهدف الى تحرير العامل ، والى تويده على القود بوسيلة للخروج من فائسه وبصلة تجاوز مع الآخر - لكن مع الأسف تحت شكل الامر الكفاقي والواجب العسكري . والقصة المستعمة هي نفسها عسكرية : « ان يوم ١٩٢٩ ذلك سيكون بداية انتقال البروليتاريا الى الهجوم المضاد على الجبهة الدولية ... » . لكن خلف لغة البلاغات هذه ، وبكلمات مقتبسة من دعاية دعاء القومية ، استمر فرج من حديث صاحب بيتي بروليتاريا ليست متمسكة بالترعة السلية - بكل بساطة لأن وضعها يفرض عليها ذلك -

وبين متناضلين لبثوا متمسكين هم أيضاً على الأرجح بهذه النزعة من خلف جهازهم الأيديولوجي واللفظي . وباعتصار ، إن هذا احد اعراض ، حجة القسار ، الخطيرة باعتبارها ظاهرة دويجية : فلا اتصال يقوم عن طريق اللغة ، لكن الملائك والتواتر تستخدم ضد هذه اللغة كلمات تكذب ، غير أنها تتفاهم ضمناً لتعبر عن الحقيقة . انهم يعدثون التناقضين القدامى عن هجوم البروليتاريا المضاد فيسمع هؤلاء صوتاً قديماً صادراً قبل ١٩١٤ يمس في آذانهم : « ايها الشيعة ... في فرنسا كما في ألمانيا ، التفاهم الفكري كامل حول هذه النقطة : ان بروليتاريا كلا البلدين ترفض ان تخوض الحرب . ان فلير لهم كل منا حكومته ، ويمتسكاً المشترك والتواقت ، على أخذ ارادتنا بعين الاعتبار ، . وبعنى ما « كان هدف مظاهرات ٢٥ أيار - التي كانت من تدبير متناضلين متعربين اكثر مما كانت مظاهرة عنوية - ان تعطى الجماهير تصوراً مأساوياً عن صيواتها العميقة : كما ان التشيل « المجازي ، في المأساة اليونانية يمسك ، على حد رأي نيتشه ، أعمق فرائز الجوقة .

وخلصة القول انسه يتوجب على سادتنا الرجاء ان يقتنعوا بهذا : ان البروليتاريا ليس لها من داع الى القتال . انكم تشرحون برماً للعامل ان الاتحاد السوفياتي قد خان الثورة . وهذا ما يدعته ، لأنه ما كان يظن ان هذا يمكن ان يسببه لكم هذا القدر من الألم . وحرصاً على الايجاز اقول انه لا يصدق كلمة واحدة مما تقولونه . فاليفارو حين نشر شائعات مطبعية عن السفارة الرومانية ، فإن ما تبشره يسلي حتماً عجائز عليا المجتمع ، لكن هذا لأن عليا المجتمع يحين الخدم والفرشين . اما العمال فلا يحضونهم عباً خاصاً . وحتى لو شامت الصدف المتأخرة ان يكون هناك عامل يقرأ بانتظام هذه الصحيفة ، ذلك نفسه يفتح بالخيانة السوفياتية ، فربما سيكون هذا سبباً كيباً يقاتل في صفوف الجيش الأحمر ، لكنه ان يكون بالتأكيد سبباً ليقابل ضده . لكنكم ستقولون : يسلي اكي يجرم البروليتاريا الروسية التعمية الخط . حسناً . لكني أشعر في مثل هذه الحال ان دعائيتكم لا تضح بعد ، ولا اعتقد انكم ستجنحون

الكثير من الناس اذا طلبتم اليهم ان يستأنفوا الصليبية المعادية لبلانشة التي كان يعظ بها هتلر وان يلقوا الى جانب لسان كاي شيك ضد صيني ماوتسي تونغ ، والى جانب سينغمان ري ضد الشعب الكوري بأسره ، والى جانب قنسة بيوليانيس ضد آباء وأخوة منفي ماكرونيوسوس ، والى جانب أوليفارشية من المعمرين ضد التونسيين والمدشقرين والليتناميين .

لقد امرتكم ، على ما اعتقد ، ان هذه مطالب كثيرة ، وراجعتم عن التشويق والتلفين للشهبي . وحين ترهبون ، لثيرة ذمتكم ، في انتاج بعض اسباب يمكن الفرء بدافع منها ان يموت من أجل الولايات المتحدة ، تنطقون معارض قنسة ومعارضات وحفلات موسيقية ، وباختصار تخوضون ما أصبح يسمى منذ بعض الوقت « حربياً ثقافية » . لكنكم تحرضون على مضاعفة أسعار الدخول : لتأكدوا ، على الأقل ، من انه لن يندس بيشكم غريب . أو تزهون بين باريس ولندن وبرلين سفوداً علق عليه عدد من التلفين الشاحبين والناعمين كآلات صفيرات يلفين الأشيد تعلقها على مقاعد الدراسة الابتدائية حول الثقافة والحربة . لكن من تريدون ان تفتح هذه الأوركسترا النسائية باستثناء جمهور بجملة « الطوليات » ؟ ان الثقافة ليموت موتاً أكيداً حين يشرح الكتاب بالدفاع عنها بدلاً من ان يستعوهها . أما العامل فهو على كل الأحوال لا يبالي بها . وحق يتم بها فلا بد أولاً من ان فتح له ، ولا بد ثانياً من ان تحدث عما يهمه . ان منضدة الصفائح التي تعمل في مصفاة ما ، تشرف عادة على مجموعة من أربع آلات ، وكل آلة تقرأ ثلاثين صفيحة في دقيقتين ونصف . والصفيحة تزن ثلثة غرام . وهكذا فإن العامة تتقل مدة كيلو كل دقيقتين ، أي حوالي عشرين طناً يومياً . فاذهبوا إذن لتطلبوا منها ابناً أو زوجها ، واترحوا لها ان ذلك من أجل تحرير منضدات الصفائح ، السوفياتيات المسكينات المحرومات من حق التعبير عن رأيهن في الرسم التجريدي أو في نظريات لينسكو<sup>(1)</sup> . أهموها ان الولايات

(1) - عالم سوفياتي يولوجي اثرت نظرياته جدلاً كثيراً ، وقد تم عزله مؤخراً من منصبه كرئيس لأكاديمية العلوم الزراعية . - 1978 -

المتحدة ستصنع قنبلة هيدروجينية وهي، خلسة للبول اسبانيا في الأمم المتحدة  
 من أجل ان تتاح الامكانية له منضدات الصداق ، في الديموقراطيات الغربية  
 للاستمرار في التفكير والتعبير عن افكارهن باستقلال كامل . لا تخافوا : انها  
 لن تضربكم ، فهي أشد تعبا من ان تفكر بذلك . وانما انتم الذين ستتناطون منها  
 وستصرفون أسفين وشاكين من ان حسي الحرية قد ضاع في أوروبا . ومع ذلك  
 فإنها تعنى هي أيضاً التحرر . لكن الحرية التي تطالب بها لا تشبه في شيء  
 حريبتكم . واعتقد انها على استعداد للتخلي بكل طواعية عن حرية التعبير التي  
 تشنون بها اجمل التعبي في صالة غاقسو فيما لو حررت من ايقاع الآلات الواخز ،  
 من الاعباء التي ليس لإرادتها دخل فيها ، من البرد ، من ديكور المصانع المكتيب ،  
 وحتى تشمر بأنها حرة ، أكثر حرية من أي وقت مضى ، يكفيا - مؤقتاً -  
 ان يصح في امكانها ، بالنسبة ان الزمن نفسه والأجر نفسه ان تنقل عشرة  
 اطنان بدلاً من عشرين . ماذا تنتظرون ؟ لو فعلتم ذلك لكنتم تعرف خدمة  
 الثقافة . تقولون انكم لا تستطيعون ، وانه لا بد من الصبر ، وان أحلساد  
 منضدات الصداق سيحورم التقدم التكنيكي؟ حسناً : اذا كنتم تريدون الحرب ،  
 فانتظروا ان يولدوا . ولا تعتقدوا انكم تكتمون جدهم إذ لدحون لها الاجور  
 الاميركية المرتفعة وتفرق الحياة المادية في الولايات المتحدة الاميركية . فسادا  
 تهماها المفارقات الدافقة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الاميركية ؟ انها لا  
 تعمل في ستالينفراد أو في شيكاغو بل في فرنسا حيث سلم أو حرب . اما انتم ،  
 أيها القفلون ، فلشدة خسوفكم من النظام السوفياتي ، تفعلون كل شيء لتدوقوا  
 طعمه . ذلك ان هذه الأيام أيام سلم ، والاميركان عندهم والروس في روسيا ،  
 لكن غداً حرب ، وسيكون الاميركان في اميركا والروس هم الذين سيكونون  
 عندهم . والعمال يعرفون ذلك : فمن اللحظة الأولى للشوب القتال ، سيفقدون  
 حتى تلك الاجرة البائسة التي يطلق عليها اسم « الحد الأدنى الحيوي » وهم لا  
 مصلحة لهم في ان « يجتأوا » من قبل أحد ولو من قبل الجيوش الحمراء : انهم  
 يريدون الروس في الاتحاد السوفياتي ، والاميركان في الولايات المتحدة الاميركية .

وإذا كانوا لم يكلفوا انفسهم عناء ما يرم ٢٨ أيار ، فهذا لأنهم كانوا يرون -  
 لأسباب سأشرحها فيما بعد- ان اللعبة لا تستحق مثل هذا العناء . لكن الخلاف  
 لم يتطرق قط الى مبدأ المطاهرة . وسدقوا انهم لا يشعرون البتة تجاه ريديري  
 بمطف خاص ، ولا تجاه أي اميركي آخر . ذلك انكم تعلمون حق العلم ، انهما  
 الجرذان النذبة ، والقيارو نفسها بدأت تشك في الأمر : ان الاميركان رجال  
 دعاية مثازون ، لكن غير دعاية يقومون بها انما يقومون بها لصالح الروس .  
 ج - الحزب الشيوعي والاتحاد العام للشغل يشان العمال بقرضها عليهم  
 تظاهرات سياسية .

لكن هي في حجة جديدة : إن العمال ينحون باللائمة على الحزب الشيوعي  
 لأنه زيف أدائهم الدفاعية الوحيدة حين استخدمها لأموال لم تخلق لها . ولقد  
 دلوا على حسيب السلام وأظهروا المهرضين « العملاء للروس » انهم مصممون على  
 الأبقاء على الانفصال بين ما هو سياسي وما هو اقتصادي .

إذا كنتم تقولون الحق ، فأنهم يكونون قد قدموا لأرباب العمل أجل هدية :  
 ذلك ان أرباب العمل حرصون على هذا الانفصال ، ربما أكثر من حرص رجال  
 ١٧٨٩ على انفصال السلطات . فبعد أن علنا الطهرانيون التجارة والصناعة ،  
 كان لا بد ، في هذا القطاع ، من استبدال اهل بقانون حديدي : فكان هذا  
 القانون ، باعتباره صارماً ، بعيد البراعة الى المستغلين ، ويبرر باعتباره الجأ  
 النجاح . وكان يمكن إقامة الدليل ، بنضه ، على أن الغني صالح والفقير طالح .  
 وكان هذا القانون قانون العرض والطلب الذي هو بمثابة « آلية منظمة  
 حقيقية » تعدل الأسعار ، تبعث بعض المتطلعين الى ان يكونوا باعسة وبعض  
 المتطلعين الى ان يكونوا ثراء . . . تحت على الانتاج في حالة النقص وتنبط عرضه  
 في حالة الفيض والوفرة<sup>١١</sup> . ولقد سمح بالعودة الى التفاؤل ، وبالتالي ارت  
 الحرية متناسبة مع النفع الاجتماعي وارت أفضل ناجر هسو من يبيع بأرخص  
 الأسعار ، وانه بالتالي مصطفى الله والهمسن الى الانسانية . وكان القانون ينطبق

١ - ديور هوس « الأجر » - ١٩٥٢ - ص ٤٠ .

على نحو مدعش على العلاقات بين المستخدم والمستخدم : فالعمل بضاعة والأجر  
ثمنها . ولا أحد يستطيع ان ينهي باللائمة على أرباب العمل : فالأجر هو في كل  
لحظة ما يمكنه ان يكونه ، لا أكثر ولا أقل ، باعتبار ان التوازن يتم آلياً .  
وهكذا أصبح ميدان الاقتصاد ميدان الضرورة ، بينما لبث ميدان السياسة  
ميدان الحرية . وكل شيء يسير على مسأيرهم طالما ان الميدانين منفصلان . ولا  
مانع عند اللزوم من أن يؤثر الاقتصاد على السياسة ، لكن تدخل السياسة في  
الاقتصاد يبطل الوجدانات ويشير الاستهجان : فعمل الرجل السياسي يهدف الى  
إقامة الدليل على ان ميدان الاقتصاد قد لا يكون مستقلاً بذاته ، وأنه يمكن  
تغيير مجراه بالتأثير على عوامل أخرى . واقترح بعض النظريين إرجاع ما هو  
سياسي الى ما هو اقتصادي : لكن البيورجوازية أبت ذلك ، فهي لتفصل الفصل  
والتفصيح . فراق لسد . وجرت العادة بكل بساطة على إطلاق اسم الديماغوجية  
على كل تنازل تسلّم به السياسة للطبقات الفقيرة من غير ان يتفرغ منها انزاعاً .  
فالكرم هو ، من حيث المبدأ ، كرم كلاب . ، إن ذلك الإصلاح ، الكرم  
ظاهرياً . . . . وهذا يعني ان كل محاولة لإحلال نظام إنساني محل النظام  
الميكانيكي مقدر لها الفشل . وليس هناك إلا طريقة واحدة في ان يكون  
المرء صالحاً : هي ان يتلاءم مع النظام الطبيعي ، ان يخضع للقانون ، أن  
يعمل الآخر يعمل أكثر ما يمكن وأن يدفع له أقل ما يمكن . وهو سيخدم  
الانسانية قاطبة إذا ما انتج بأقل تكاليف ممكنة . وهذا الجهد الشكور  
لتحرير الربح هو أصل تلك النظرية المضحكة : نظرية العظيمة الرهيبة التي  
تجدسها لدى كلوديل والدى المتأخرين . فالعامل إذا ما استخدم حفرة التقاية  
ليخلط بين الاقتصاد والسياسة ، قضى في النهاية على كل الميكانيكا الصناعية .  
وكل شيء يسير على مسأيرهم إذا ما وقف العمل النفسي على حماية مصالحه .  
وفي الحقيقة ، لا بد من الاعتراف بأن تواجحات السوق قبل ان تيمس  
قليل الأجر الوسطي مما كانت يسمى بورج في القرن الثامن عشر

والأجر الطبيعي والذي كان تورغوا<sup>١١</sup> يعرفه بأنه « ما هو ضروري للعامل ليتموم بأرود حياته » والنقابة لن تتدخل إلا لتعمل متعاقداً واحداً عمل عدة فائدين . وهي لا تستطيع ان تعدل قوانين الاقتصاد الخالدة . لكنها تتمتع ببعض السلطة لجرد انها تعمل كاحتكار . وهي ساستيبد من هذه السلطة لتدخل بعض التعديل على الأجر الخام ، المتعلق بلعب القوى الاقتصادية وحده ، ولتقريبه مما أمكن من الأجر الطبيعي .

وهكذا فإن الاقتصاد الكلاسيكي يصف ما كان سيحدث لو ان العلاقات بين البشر كانت قابلة كلياً للتشبيه بعلاقات الأشياء فيما بينها . أو هو يقرر ، إذا شئت ، قوانين عالم ، الإنسان فيه لاإنساني بالنسبة الى الإنسان . والنقابة مقبولة إذا ما أخذت مكانها ، بصفتها حالة خاصة ( حالة بائع أوحد وعدة مشترين ) ، في إطار هذه القوانين الصارمة . لكنها لن تكون مقبولة إذا كانت تتطوع الى أنسنة هذه القوانين . لكن بالرغم من ان وجهة النظر البورجوازية واضحة بما فيه الكفاية في حد ذاتها ، فإنني أكف عن قهقهة إذا ما حاولت ان انظر الى الأشياء من وجهة نظر العامل الأجير ، فالفايز بين الاقتصادي والسياسي يصبح غامقاً ومبهماً للغاية الى حد أجد معه مشكلة في الإيمان بوجوده . وبالأصل لست أفهم ما يقصدونه حين يريدون ان يقتصر العامل على حماية مصالحه . فهل للعامل من مصلحة ؟ يبدو لي بالأحرى ان مصلحة العامل هي أن يكف عن ان يكون عاملاً . وقد قال ماركس : « ان اللمحة الواقعية للبروليتاري هي بالضرورة قلب شروط وجوده » . وإني لأرى من الآن مناهض الشيوعية يهز كتفيه : إذ يبدو اني لست جاداً وان هذه الألعاب اليزنطية قد انشاعت فرنسا عام ١٩٣٩ . حسناً ، لتكون جاداً إذن . ان العامل مصلحة خاصة باعتباره عاملاً . اي انه يتوجب عليه كهداية ان يقبل بشرطه في وجوده . وإذا ما فعل ذلك ، أفروا له بحقه في تحسين التفاصيل . وعلى هذا فإن الموضوع البورجوازية ( سواء أبحث

١ - اقتصادي فرنسي ، وزير المالية في عهد الملك لويس السادس عشر ( ١٧٧٧ -

١٧٩١ ) .

شكل الاقتصاد الكلاسيكي الحشن بعض الشيء أم تحت الشكل الحديث للتعاون الطبقي ( تقول إن العامل يجب أن يظل عاملاً، ولا يجب في ذلك طاماً انه خلق ليكون عاملاً كما خلق رب العمل ليكون رب عمل . والأضراب يكون تحريياً إذا كانت مطالب الضربين تستوحى لصوراً عن الإنسان . وحسين يصرح رب العمل بأن البروليتاري بروليتاري بالولادة وأنه ينبغي ان يظل كذلك . فإنه لا يتكلم في السياسة : انما يطرح مبادئ الاقتصاد . اما العامل فإنه ينتقل بالمقابل الى ميدان السياسة حين يريد ان يلغي البروليتاريا . وكل تاريخ التشرييع العالي يكشف ، لدى المحققين البيوجوزيين ، عن اهتمامهم بتبرير الاضرابات الصالحة من الطائفة . ومنذ عام ١٨٧٢ صرح موير ، وهو يدافع امام الجمعية الوطنية عن مشروع قانون يعاقب على الانتها الى الأمية، بأن هدف المشروع «حماية اللغات العمالية ، من كل محاولة إضراب ، تكون نتيجة تفكير سيء، وتأمير ضد النظام الاجتماعي . . . واليوم أيضاً ، وبمسارات مخففة ، يقضي ، مجلس ارباب العمل والعمال المشترك ، ( قرار ٢٩ آذار ١٩٤٧ ) من جديد نظرية « الأضراب الخالف للشرع » : « من المناسب تطبيق هذا الحق ( حق الاضراب ) مع الأخذ بعين الاعتبار المبدأ المطلق القائل ان ممارسة حق من الحقوق يجدها ما يتكهن ان ينشأ عنه من شطط ، وان الحق لا يكون ابدأ غير محدود في مجتمع منظم ، وأنه يجب حده الطبيعي في حال غياب تشريع خاص ، في حقوق الغير والجماعية . . . » . ما أجملها وما أعدها من كلفات : انا المشكل الوحيد هو ان « المجتمع المنظم » الذي يعيش فيه العامل والذي يتوجب عليه ان يحترم قوانينه هو على وجسه التحديد المجتمع الرأسمالي الذي يضطهده . وعلى حسنة فإن القرار البيوجوزي بتحديد حق الاضراب وحده ، بالمطالب المهنية وحدها هو بالأصل قرار سياسي ويستند الى تصور كامل معين عن العالم والإنسان .

حسناً ، حق لو قبلت بهذا التصور ، وحتى لو حددت بالاشراك مع ارباب العمل مصالح العامل ، فإنني لا أتوصل الى ان افهم ما هي هذه المصالح . لنفرض ان مصنعا من المصانع وضع في خدمة جهازه مفسدة : فصلحة الجهل سار هي ألا



يلسد البواب للتفريغ . وبسبب هؤلاء الشغية منساق الى حرب نتيجة سياسة  
 غبية : فصلحتهم هي ألا تقع الحرب . وبين المثال الأول والثاني هذين : نسأ  
 مجال للحياة الاجتماعية بأسرها . تقولون ان المثال الثاني سياسي الطابع ؟ هل  
 هذا مؤكد الى هذا الحد ؟ ففي حالة اشتعال الحرب ، تقدم الطبقة الفلاحية  
 و المصانة البشرية ، وتستفيد بالتقابل من ارتفاع اسعار المنتجات الغذائية .  
 وباعتصار ، ينشأ عنها ليرات من الدم . اما وضع البروليتاريا فعمل المصنوع  
 تماماً : يضائرهما من الحيوانات الانسانية أقل ، ولنا اقتصادياً تنأور . ليس في  
 البداية بل فسيماً بعد ، عندما يسبب التضخم القسط المصانة الثقيلة ومصاعب  
 الانطلاق من جديد من مستوى بدائي الأزمات والبطالة . ففي عام ١٩٣٨ كان  
 بموج الأجر يساوي ضعف بموج الضرائب . وفي عام ١٩٥٠ أصبح بمجموع  
 الضرائب معادلاً لمجموع الأجر . والمعامل ملء الحق في ان يصرح بأن المارك  
 العسكرية تسه في مصالحة المادية . بل أكثر من ذلك : اذا صرحتم ان الحرب  
 واقعة سياسية ، تكونون قد رفضتم التفسير الأشراكي للحرب والحلقة الجهتية :  
 تضخم في الانتاج - بحث عن اسواق - استدامات . وانا لا أقول انكم على  
 خطأ ولا أن هذه النظرية صحيحة : فلا أهمية لهذا هنا . بل أقول فقط انكم  
 تدعون في تعريفكم لها هو سياسي ولما هو غير سياسي احكام قيمة واقتراضات  
 وايدولوجية . يقينا ان النظرية الماركسية عن الأزمات الدورية و اطروحات  
 لينين عن الامبريالية الرأسمالية صحيحة او خاطئة . لكن إقامة الدليل على  
 ذلك مسألة تقع على عاتق الاختصاصيين . ومعظم الناس يرفضونها او يقبلونها بها  
 حتى من غير ان يعرفوها ولا يرب في انهم سيجدون مشقة وعناء اذا ارادوا ان  
 يتناقشوا حولها . ومع ذلك فقد صرح مرهام في شعار طرحه للتصويت في  
 مرشيليا عام ١٩٠٤ بأن : كل حرب ليست إلا مؤامرة على الطبقة العاملة ،  
 ووسيلة دامية ورهيبة لصرها عن مطالبها ، وردد جميع المؤتمرين هذه الصيغة  
 من بعده كما لو انهم قاموها . وقد ردد دعاء القومية متهمين هؤلاء والأنزاعيين  
 بأنهم مباحون العدو كما لو انهم عازفون بذلك . والحق انها تصور ان عن المعامل

مقابيلان ومعارضان ، معاشان ومضمران أكثر منها منكمراً بها . ويبدو ان اي ترفيق بينها مستحيل ، و ، الاصلاحية ، وبوجه خاص تصدر على المطالب العمالية حكماً مباحثاً واعتباطياً يبدو غير مبرر بالمره . واستطيع ان لحكم على ذلك بما جرى عام ١٩٠٨ : قتل عامين من هذا التاريخ صوت أحد المؤتمرات على شعار يدعو الى شن حملة ، دعائية مناهضة للزعة العسكرية والوطنية . وقد جاء ، نيل ، ، وهو نقابي اصلاحي وزعيم الأقلية ، بمرح ووجه نظره في مرسيليا : انه ضد النزعة اللاوطنية التي تجمع سياسياً بين المناضلين . وأيد جانليون وجهه النظر ذاتها : ان ألمانيا التي ستلتزم من غير مشقة ستفرض طرامة سيدفع العمال القسط الأعظم منها . اقرت فقد نيل الى الاعتقاد بأن الخطبين سيقتلان كلاهما أنها ضد النزعة اللاعسكرية لأصحاب ميثاقه . لكن لا شيء من هذا على الاطلاق : فالزعة اللاعسكرية تبقى قائمة ، في نظر نيل ، في المجال النقابي ، هادفة الى النضال ضد تدخل الجيش في الاضرابات ، . وهذا شيء ان يبدو مجرداً ولا لاجياً بالنسبة الى الذين يتذكرون هـنري فورمي ( ١٨٩٦ ) والمارتينيك ( ١٩٠٠ ) وشالون سور مارن ( ١٩٠٠ ) وراون ليتاب ( ١٩٠٢ ) وغرافي فيديو وفيلوف سان جورج ( ١٩٠٨ ) . كان الواجب يقضي بالنضال ضد الجيش طالما ان الجيش يمثل التمتع . إلا ان هذا لا يبدل من حقيقة ان هذا التفكير لا يستند الى اساس من المنطق :فذلك ان تعريض العسكري على العصيان عمل سياسي . واما كان تيسار النزعة اللاعسكرية قوياً بما فيه الكتابة ، هدد بإضعاف الدفاع القومي وتسهيل انتصار ألمانيا وتعريض العمال لدفع تلك القرامة الباهظة التي كان جانتسون يريد ان يمنحها العمال .

كلا ، لكن على فئاعة من الأمر : ان التقاية ليس لها إلا موقفان متلاحقان . فهي إما ان تقتصر على دعم المطالب المباشرة . وإما ان تدافع عن العمال في جميع قطاعات النشاط القومي . لكن العامل الذي يكتفي بالمطالب الأولية ، لا يسه ان تعرف ان يكون قد اتخذ موقفاً سياسياً : فهو لا يرفض الثورة فحسب ، بل يرفض ايضاً على سبيل المثال ، اضرابات التضامن . انه يسلم لصغيره ويخون

## الطبقة العامة .

والحقيقة هي انه يستحيل الاقتصاد على المطالب المباشرة: ولقد قال ماركس ذلك بوضوح : « ان فضلاً من أجل زيادة الأجر انما هو استمرار التعديلات السابقة . انبه النتيجة المحتملة لتقلبات مسبقة في كمية الانتاج ، في قوة العمل الانتاجية ، في قيمة العمل ، في قيمة النقد ، في اسعاج الر كائفة العمل المضغوطة ، في تارجعات أسعار السوق التي تحمي تقلبات العرض والطلب والتي تم تبعساً لمتختلف مراحل الدورة الصناعية . وباختصار ، انما في الوقت نفسه وجود افعال من قبل العمال على الاعمال السابقة للرأسمالي<sup>١١</sup> . لكن العامل في مثل هذه الحال يشتمل بمقدوات الألوان و ، في ٩٩ حالة من أصل ١٠٠ لا تكون جهوده لرفع الأجر غير محارلات للحفاظ على القيمة المغطاة للعمل<sup>١٢</sup> . انتم فحقن يمكن للبروليتاريا ان تحمي نفسها فلا بد ان يكون في وسع النقابة ان تؤثر على الاسباب لا على المسببات . واذما ما انكزتم عليها حلقها في التأثير على الظروف بكل مستلزماته السياسية والاقتصادية والقومية والدولية ، تكونون قد ضبطتم مطالبها إلى مستوى الاندفاعات العمياء ، وجردها من امكانية التوقع والالتقاء الانسانية . انكم تجعلون من العامل معدة جائعة وفماً يصرخ . وبكلمة واحدة : « إن المهمة الواقعية للنقابة هي الضرورة ، ان تطالب وتحصل ، على مستوى التسرع ، على حق المساهمة في الإدارة ، وعلى المستوى القومي ، على حق مراقبة النتائج الاقتصادية للسياسة الحكومية . وهذا سواء أكانت اصلاحية ام ثورية ، اني فقط من زاوية مصالح العامل ، باعتباره عاملاً .

ذلك ان الواقعة الاقتصادية ، شأن الانسان الاقتصادي ، هي من تصورات العقل . او هي رمز يشكّل مطابق الى بعض الأوضاع القصوى التي يمكن فيها للتضطهد ان يعامل المتضطهد كخصامة . فني افريقيا الغربية الفرنسية على سبيل المثال ، تطلق العنصرية وغياب النقابية السوداء بروليتارياً دونساً وطنياً لترغم

١ - ٢ - ماركس ، الأجر - الاسعار والأرباح .

على الحياة في جميع الميادين في مستوى أدنى من مستوى الأبيض الأقل حظاً<sup>١١</sup>. ومن هنا فإن « تعويض العمل بشبه عملياً إلى أن يكون عدداً يقاوم العرض والطلب<sup>١٢</sup> ». وبشعب آخر « أن الأيديولوجية العرقية تسمح بالهبوط بالعامل الوطني إلى مستوى الواقعة الاقتصادية الحالية . لكن ليس فامساً : فلأسباب يمكن تخمينها يحدث السلطة الإدارية أن تحدد نسبة الحسد الأدنى من الأجر . وهكذا تتشاطر عبئاً الضرورة السياسية ( بينهاا التعتية الاقتصادية ) وعقيدة الأنايية<sup>١٣</sup> السياسية ( المزيول - البيروقراطية ) لتحدد مستوى الحياة الذي تقدران انه « عامل » و « كلفة » بالنسبة إلى زبني . والحال ان الاقتصاديين البورجوازيين « في المزيول » قد عدلوا عن إقامة نظرية الأجر على قانون العرض والطلب . كتب موسى : « ليس العمل بضاعة . وليس الأجر سعراً يتكيف حسب السوق ... ومن المستحيل ان تؤكد ان هناك علاقة بين أجر عامل وإنتاجه » بين المستوى المسام للأجور والاستخدام والإنتاج والأسعار والتقد الخ « . انهم يعتبرون اليوم ان مشكلة الأجور قد أصبحت مشكلة تتعلق بتوزيع الدخل القومي بين الأشخاص والفئات الاجتماعية . ومن سيحدد النسبة مجموع معدل من العوامل تدخل فيه التصورات الاجتماعية والقيم والأيديولوجيات

#### ١ - التعويضات العالمية موزعة كما يلي :

- الأوروبيين : الولد الأول ١٥٥ ، الولد الثاني ١٥٠ ، الخ ، الولد السادس ٩٥ فرانك  
 الأفارقة : الولد الأول ٩٥ ، الولد الثاني ٦٥ ، الخ ، الولد السادس ٤٥ فرانك  
 والفرنسيين تعويضات في مختلف أنواع الطوائف . أمسا السود تليس لهم من تعويض إلا في الحالات التي يقع فيها الحادث نتيجة انفجار أو آلة « تحركها قوة غير قوة البشر أو الحيوانات » .  
 والحصول على كسافر واحد من الخبز الأبيض يشطر العامل النيام في ما كثر إلى العمل ١٥٢ ساعة ، بيتا يعمل العامل الباريسي ٢٥ ساعة ، والحصول على ريشة واحدة يعمل أسود ما كثر ٥٩ ساعة بيتا يعمل الباريسي ١٦ ساعة .  
 ٢ - ويلج لوب : « قيمة عمل الأجراء الأفارقة » في « العمل في أفريقيا السوداء » - مجلة « المحضر الأفريقي » - العدد ١٥ - ص ٢٥٢ .  
 ٣ - كل نظام يدرى انه يرعى مصالح الأفرين وبسطي نفسه والثاني نوعاً من سلطة أوروبية عليهم .  
 ٤٢٤٥

وعلاقات القوة بين الفئات والمعطيات الاقتصادية الصرف . كتب موسى : « ان الأجر هو مساهمة ، أكثر منه سعراً ، في محصلة عامسة يستحيل فيها تحديد الأجر الفردي للعناصر التي يتكهن فضلها عن هذا العامل أو فائد . اوربسا هو جزء مقتطع شبه الضريبة في قط القطاعه ونسبه . او هو ايضاً للثروة الذي يفدي الحاجات الفرديّة والعائليّة . و اذا كان هذا هو الواقع فإن مشكلة الأجر تصبح مشكلة علاقات الساية وبيكولوجيا وميزان قوى : وبكلمة واحدة مشكلة سياسية تحدها ايدولوجيات ومعتقدات متعلقة بالمعادلة والاتصاف والتسلسل الاجتماعي<sup>(١)</sup> . » . ورتق قلوب الاقتصاديين ، ويقول احدهم : « لقد انتقلنا من الحياة الى الذهب الانساني » . ويقول آخر : « انتقلنا من الاقتصاد الموضوعي الى الاقتصاد المعياري السياسي » . فما الذي حدث لكل ما حدث هو ان البروليتاريا دخلت في الجنس البشري بطريق الاقتحام . فتحق عام ١٨٤٨ لم يكن عامل العمل ، المعزول ، ناشجاً لامتحان قوة . الخ فهو حيوان . وعلاقته بأرباب العمل تنبج الى أن تكون محض صلة اقتصادية . وخلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، كونت البروليتاريا نفسها كقوة اجتماعية مستقلة . وعلم الفور اعترفت البروجوازية للمال بكرامة الانسان . وبدءاً من هنا وقع اللذهب الانساني الذي كانت فضوراً به الى أبعد الحدود في التناقض : إن العامل انسان لأنه يهيف ، لكن النظام الاجتماعي يتطلب الابداء عليه في شرطه الحيواني . وأصبح التناقض الذي تميته البروليتاريا وبرز تحت تناقض الفكر البروجوازي . وراح كل يقترح حله . وراح كل ، باسم أحسد المذاهب الانسانية التي أخذت تتكاثر بسرعة ( اصلاحية ، تعاون طبقات ، نقابية مهنية ، اشتراكية مسيحية الخ ) ، يبحث عن التداوير التي تسلمح للجموع البروجوازي يضم بروليتاريتيه . كانت المشكلة بسيطة لكن صعبة الحل : فما الشروط التي ينبغي ان تتوفر في خلق له ظاهراً من انسانية حتى نستطيع ان نعطي صلة انسان وان نعامله في الوقت نفسه كحيوان ؟ والحل لا يوجد بعد . وهكذا فإن هؤلاء البشر ، بجرده

١ - موسى ، الأجر - ص ١٢٤ .

حضورهم الصامت والتهديد الهادئ الذي يوجه نظامهم الصارم المريض الى النظام القائم ، يطهرون على حين غرة وكأنهم مجتمع في المجتمع ، ويشربون الاضطرابات في الفردوس ويفجرون المذهب الانساني : انه فعل سياسي ، اكيس كذلك ، بل لعظم الافعال منذ عام ١٧٨٩ . وليس لفة صغوبة في ان نفهم ان كل عمل مشترك يقوم به المشطهدون ، حتى لو كان محصوراً في حدود المطالبة الهتية ليس إلا ، هو بذاته ، وكأ لو انه حدث من نط معين يحدث في مجتمع معين ، عمل سياسي : ذلك انه يكشف عن درجة تلاحم القوى العمالية ومناخها العنوي وقوة واتساع حركة المطالبة ، وهذه القوة ملتزم وتزيد برعبها تقياً أو ستناقض ، والروابط التي تربط بين العمال المنسقين الى التعابات متوثق او متفراخ ، والعلاقة بين ارباب العمل والعمال الأجراء ستتطور في هذا الاتجاه او ذلك ، وذلك تبعاً لنتيجة الصراع . والعمال على أتم وعي هذه العلاقة العميقة التي تربطهم بالطبقة العاملة بأسرها والتي تواليهم على الطبقة البورجوازية . وعلى هذا فإن الاضراب ، مهما يكن موضوعه ، هو دوماً شيء اكثر من مجرد اضراب ومبارك له . ان رابطة عمالية كبيرة لا تقتصر على مواجهة ارباب الصناعة : انما هي تهتم ايضاً بالمستهلكين ، بالجمهور . وهي تهدف الى إشغاله في لبثتها ، وتحرس على ألا تكون غير شعبية ، وعلى ان تجعل بقدر اهميتها في الاقتصاد القومي ، وعلى دفع الرأي العام الى الضغط على ارباب العمل . وفي غالب الأحيان لا يكون تحسين شروط الحياة هدفاً في ذاته للعمل النقابي : انما الانتصار مطلوب من اجل الخطوة ، من اجل الحفاظ على المنسقين ، ومن اجل زيادة عددهم . أما الضرب نفسه فإن المسألة بالنسبة اليه تتجاوز على كل الأحوال مصلحته البائترة وهي شيء آخر غير هذه المصلحة : ان ما يسيره ليس هو الحرج ولا البؤس بقدر ما هو الغضب والحاجة الى التأكيد بأنه إنسان في وجه اولئك الذين يعاملونه كشيء . ولتقل ان النقابية هي طريقة في ان يكون العامل انساناً .

والنقابية ، موضوعياً ، سياسة . فهي تتولج بنفسها كلية الواقعية العمالية .

والتعهدات التي تفرض عليها يرجع مصدرها بلا استثناء الى فكرتها السياسية  
 السبقة . فواضح مثلاً ان الاصلاحى خجول ، محافظ ، منجذب سراً الى  
 البورجوازية ، فالحدود التي يضعها للعمل النقابي لا بد ان تكون ناجحة عين  
 مساومات سرية طالما انها لا تستطيع في أي حال من الاحوال ان تجد تفسيرها  
 في الموقف الموضوعي . وواضح ان ابتعاد نبيل عن كل تطاهرة متاهضة للفرقة  
 الوطنية فكان جذوره في شوقية غير معترف بها . لكن ينبغي ان نضيف ان  
 المناهضين النقابيين وعوا دعماً أهمية النقابية السياسية . بقينا ، لقد اظهروا رغبة  
 تجاه الأحزاب في أيام النقابية - الفوضوية البطولية ، لكنهم لما كانوا عدووين  
 يد شوم معارضة عنيفة للبورجوازية ، . ويقول لنا غرضيولة انهم « يريدون  
 بشراسة ان يتقدم عمل ، . وهم يريدون ذلك على وجه التحديد لأن الرجعيين  
 والاجتماعيين ، هم من طينة واحدة في نظرم . انهم سيفهمون بالثورة بأنفسهم  
 ولقد دعا المؤتمر نفسه عام ١٩٨٨ العمال الى « الانفصال عن السياسيين ، الذين  
 يخدعونهم ، والى وضع أعماهم في الاضراب العام الذي ، يستطيع هو وحده  
 ان يتقدم الى تحررهم ، . ويمكننا فيما بعد ان نلاحظ في قلب « الاتحاد العام  
 للشغل » بعض التناوب بين الاصلاحية والتناحية الثورية . لكن المناهضين من كلا  
 الفئتين منقادان على تطور العمل النقابي في جميع الاتجاهات . ان العامل ، في نظر  
 الثوري ، هو بعد ذاته التناقض الأكبر للمجتمع البورجوازي ، وهو تقي نظام  
 الملكية . وسيكون لطالباته هدف مزدوج : فهي ستحسن وضعه في حال  
 تحطيمها مؤدية في الوقت نفسه الى زهزعة النظام الرأسمالي تدريجياً . وسيأتي  
 الاضراب العام ليقوضه نهائياً . والاصلاحى لما ينشد في الحقيقة الهدف النهائي  
 نفسه لكن عن طريق تقدم متصل . وعلى كل الاحوال سيكون ، في كل مكان  
 تطرح فيه مصالح العمال على بساط البحث ، وسيطالب ، بالمساعدة المباشرة وعلى  
 جميع المستويات في الواقع الاقتصادي ، .

ولقد كان كلا الاجتماعيين سيوافقان بلا تحفظ على برنامج الاتحاد العام للشغل  
 المسمى « برنامج ١٩٤٩ » ، والذي جاء فيه : « ان الشرط الاساسي لنيل تجربة

الخطوة الأولى للتحديث والتجويد وتجربة ما طرأ بعد تدخل مشروع مارشال ..  
 ينبغي ان توضح الاتفاقات العسكرية المعقودة بين الكتلة الغربية \* ان تعيد  
 العلاقات بين الدول الى حالتها الطبيعية ، ان تطالب بدفع التعويضات لنا ...  
 والى غير ذلك من المستلزمات التي تشرط تطبيق البرنامج الاقتصادي النهوض بالبلاد  
 اقتصادياً واجتماعياً \* هذا التطبيق الذي يشرط بدوره تحقيقها الكامل ... \* .  
 ذلك ان حقدكم على الشيوعية \* ايها الجردان النيفة المزودة \* قد أساءكم انها  
 متعلقة بالنسبة إلى حملات الإفارة في ذلك العصر . فبين ١٩٠٥ و ١٩١٠ كانت  
 آياكُم يعيشون في خوف دائم من اهتزاز قلب الأوضاع بالقوة . ومع اقتراب يوم  
 ١ أيار ١٩٠٦ طارت رؤوس أموالهم الى حيث قطع رؤوس أموالكم اليوم . ولم  
 يمد الذهب والثقة إلا بعد اختراع مؤامرة وإلقاء القبض على عدد من الثقابين .  
 ان شيوعيتنا فوميو النزغسة \* لا تفنوا ذلك . إتهم ضد سياسة معينة لكنهم  
 ليسوا ضد الدفاع القومي . إننا نحكم بالسجن خمس سنوات على هنري مارثال \*  
 لتوزيعه منشورات تفضح حرب الفيتنام وقيامها الذيه \* لكنه لم يجرس الجنود  
 على المصيان . وعلى العكس من ذلك كانت الدعاية المناهضة للزعة العسكرية  
 يومية . لقد علا صياح كثير لأن بعض قادة الحزب الشيوعي صرحوا علناً بأن  
 البروليتاريا لن تقاتل ضد الاتحاد السوفياتي . لكن الثقابين الفرنسيين سبق لهم  
 أن صرحوا علناً هم أيضاً \* وكل ظنهم أنهم على اتفاق مع العمال الألمان \* وأغفوا  
 البلاد فاطمة عن طريق الاعلانات التي لسفوها على الجدران \* انهم سيلجؤون الى  
 الاضراب العام لمنع الحرب . وإذا ما افترضنا اللحظة واحدة \* بالرغم من أن هذا  
 النوع من التوهم لا قيمة له \* ان قريفيوله ومرهايم وجدا نفسيهما في موقف مماثل  
 لوقتنا \* فلن يكون لة مجال للشك في أنها كذا سيجران المؤثر الاقتصادي الى  
 إدانة كل صليبية معادية للسوفييت سلفاً . وهكذا \* حين تتكلم صحفنا الصالحة  
 يحنن عن عصر ذهبي كانت الثقابات تقدم فيه لأرباب العمل مطالبها كما لو أنها  
 تهتمهم بعيد رأس السنة \* فإذا هي تحلم . إنها تريد ان تذر الرماح في القيون حول  
 وادة الاستقلال التي لا تتيب أبداً عن أنظار الثاصلين الثقابين . إن الثقافية \*



في نظر هذه الصحف ، سلاح أعطاه أرباب العمل بله إرادتهم العمال حتى يمكن المناقشات أن تدور في جو من المساواة . لكن العمال يفعلون جيداً أن منظماتهم قد منعت وحوريت . ويعلمون أن هدف النقابة الأول ، سواء بمساعدة الحزب الشيوعي أم بدونها ، هو ، تغيير العالم . وسوء التقام الطاهري هذا هو الذي يضي على الواقعة النقابية التباساً . لكن أرباب العمل لا يندفعون بها ، وهم يعرفون كيف يعرفون لحين متباينين . فعين لتظاهر منظمات الطبقة العامة بمعارضة إعادة التسليح أو سياسة الحرب ، يقطنون حواجيمهم ، وأخذون سباً الدعشة الثالثة . ويقولون : « كيف ؟ أهكذا تشكرونا ؟ ليس لسياسة من دخل في النقابة ، لكن حين يفلتهم أو يخرجهم إضرابها ، وحتى لو كانت اقتصادياً صرفاً ، فإننا باسم السياسة برحمتهم يمحطونه . ففي عام ١٩١٠ ، توقف عمال السكك الحديدية عن العمل وأمر برين<sup>١١</sup> باعتقال لجنة الإضراب . وحين استجوب من قبل الأشرافيين صرح بقوله : « أنه حتى يعلم على الحقوق كافة ، أنه حتى مجتمع قومي في أن يعيش في استقلاله وعزته . والحال أنه مسا من بلد يستطيع أن يظل مفتوح الحدود . كلا ، هذا غير ممكن ... ولو توجب علي أن ألتجأ إلى اللامرعية لأحافظ على الأمن لما ترددت . » وهكذا أرسيت أسس البدء : إن أي إضراب يمكن أن يمنع باسم مصالح عليا . ولا يحق للنقابات أن تقاوم الحرب . لكن من الممكن باسم ضرورات الحرب أن تلغى النقابات . وفي ١٣ كانون الثاني ١٩١٥ صرح ميوران<sup>١٢</sup> أمام مشعوبي « المعادن » : « لم تعد هناك حقوق عمالية ، لم تعد هناك قوانين ابتغائية ، لم يعد هناك غير الحرب . » وهكذا ألغيت الحقوق النقابية باسم حرب لم يكن للنقابات حتى في

١ - أوسلييه برين ، سياسي فرنسي ، رأس الوزارة إحدى عشرة مرة ( ١٨٦٦ - ١٩٣٢ ) .  
 ٢ - تيتين ميوران ، سياسي فرنسي اشتراكي ديموقراطي وزير الخريصة بين ١٩١٥ - ١٩١٥ ، ثم رأس الجمهورية ( ١٩٢٠ - ١٩٢٤ ) واستقال أمام معارضة « كورتل اليسار » ( ١٩١٩ - ١٩٢٤ ) .  
 ٣ - ١٩١٥ - ١٩٢٤ ) .

رفضها<sup>١١</sup> .

يقول في عهد الشيوعية مستكراً : « كان لها الحق في ذلك . كان لها الحق . قبل كانت تصوت ، أنعم أم لا ؟ » . وقد عاد إلى هذه الحقبة ، بكل برادة قلب ، « إذ وافق من ذلك ، السيد نيبو المحرر السياسي لصحيفة «فرانس سوار» ، « لقد جرت انتخابات حرة ، بعيدة عن أن تعرفها الجئات الموسكوفية ، في جميع بلدان أوروبا الغربية منذ توقيع معاهدة الحلف الاطلسي . وقد أعلنت غالبية الناخبين رأيا بوضوح في كل مكان ، وأنه لفش وخداع ان يدعي المحررون الشيوعيون انهم يتكلمون باسم الشعب الفرنسي الذي حسده موقفه بجلاء » .

لست اعري إن كان ينبغي علينا ان نراه نمعاً أم كثيراً حوار الصم<sup>١٢</sup> هذا الذي تتابعه الكتل والطبقات منذ سبع سنين والذي يلفه جميع البشر تقريباً في أنفسهم بعد ان يفلتوا صحتهم . ذلك ان السيد نيبو لا يأمل في آخر الأمر بأن يزيل افكار إنسان ماركسي بمجرد استشهاده بحجة الانتخاب العام . واذا كان يعتقد فعلاً ان حجته حاسمة لا جواب لها ، فإنه سأذكره بهذا النص اللينين الذي اخبرته صدفة من بين مئة نص آخر مشابه : « إن البرلمانات البورجوازية إذا ما تبعتها البورصة والمصارف كلما تطورت الديمقراطية . وهذا لا يعني انه لا ينبغي استخدام البرلمانية البورجوازية ، ولقد استخدمها البلاشفة بنجاح أكثر من أي حزب آخر في العالم . . . . . انما هذا يعني ان الليبرالي هو وحده القادر على لسان ضيق ونسبية البرلمانية البورجوازية . ففي الدولة البورجوازية الأكثر ديموقراطية تصطم الجماهير المضطهدة في كل مرة بتناقض صارخ بين المساراة الشكلية التي تتادي بها « ديموقراطية » الرأسمالين ، وبين

---

١ - ينبغي ان نضيف بأنه إذا كان من غير المنطوق في الاقتصاد الليبرالي قصر العمل النقابي على حماية الصالح الهيبة ، فإنه من الغياب اليوم الامرار على إيهام هذه التفسيرات في الوقت التي تولت فيه الدولة وظائف اقتصادية واجتماعية جديدة . فكيف يمكن ليد السياسي من الاقتصادي في الوقت الذي ستكون فيه علاقة العامل مع الدولة ؟

آلاف التضيقات والحدود المصطنعة الواقعية التي تجعل من البروليتاريين أرقاء  
مأجورين .<sup>١</sup>

بين عامي ١٩١١ و ١٩١٧ ساعد الحزب الشيوعي الطبقة البورجوازية على  
إعادة بناء جهاز دولتها ؛ وذلك لأنه كان يفكر باستخدام البرلمانية للاستيلاء على  
السلطة ، ومن ثم ليحولها . لكنه لبث وفياً للمذهب الميخيني القائل ان قسوة  
الطبقة العاملة لا تتجلى حقاً إلا على صعيد صراع الطبقات . ومنذ عام ١٩١٦  
وجد نفسه ممزقاً بين سياسة البرلمانية والماركس الاجتياحية ؛ فقد كان وزيراً في  
الدولة البورجوازية يبدون وكأنهم يحض رهائن ، وفي داخل الحزب ظهر من  
جديد ، تحت شكل ثور متزايد بين ثوابه ومناضليه ، الصراع بين الطبقات  
المالكة والبروليتاريا . وبعد اقتضائه عن الحكم ، سقط جهاز الدولة بأسره في  
أيدي البورجوازية التي استبدت الشيوعيين في جميع المناصب الحساسة  
بصناعتها . واصبح مجموع المؤسسات الجمهورية يعمل ضد الحزب . ومن هنا فإن  
الحزب سيكون زحمان الارادة الشعبية على صعيد آخر ، صعيد تطاهرات  
الشارع .

هذا على الأقل ما سيصيب به الشيوعي . لكن هذا الجواب لن يفتح السيد  
ثيتو بقدر ما ان سؤاله لم يبلبل أفكار السيد فاجون . وسوف أحاول ان أعرض  
الرفائع بعيداً عن كل روح مذهبية ، وان أبين بكل بساطة أنه يحق للعامل اليوم ،  
إذا ما صوت للشيوعيين ، ان يعتبر صوته لاغياً .

سأذكركم عابراً بما صنعتم منه : مواطناً من الدرجة الثانية . فماذا كان يقرر  
التصويت الحزب الشيوعي ، حتى تعرض سوليه لأخطاط غمامض قضائت  
بالتالي قدرته الانتخابية عن قدرة صوت جاره . للإرسال ١٠٣ شويهيين  
الى البرلمان ، يلزم ٥ ملايين صوت كصوته . وللإرسال ١٠٤ اشتراكيين لا يلزم  
سوى ٢٠٧٥٠٠٠٠ صوت ، وللإرسال ٩٥ نائباً من الحركة الجمهورية الشعبية ،  
يكفي ٢٠٣٠٠٠٠٠ صوت<sup>(١)</sup> . والحزب الشيوعي يخسره ١٠٠٠٠٠٠ صوت

١ - معروف ان القانون الانتخابي الفرنسي موزع تدور لدى الحزبيين والتفكرات التي

عشر ٧٩ مقعداً ، أما الحزب الاشتراكي فيربح خمسة مقاعد بخساره ٦٠٠,٠٠٠ صوت . وبالإجمال - بالإجمال تماماً - يساوي صوت عامل المرفأ نصف صوت القنصلت ، أو نصف صوت صهره ، مكروير البلدية . ويتبقي أن نعرف بأن حزب « تجمع الشعب الفرنسي »<sup>(١)</sup> « مكروه النظر هو الآخر . لكنه بـ ٩٠٠,٠٠٠ صوت أقل من الحزب الشيوعي فال ٦٥ مقعداً زيادة عليه ؛ وليست هذه والصفحة الكبيرة الحسارة . لقد نفذت العملية ببراعة ضد الحزبين المتطرفين ؛ لكن أحدهما أكثر تطرفاً من الآخر . ويقول عامل المرفأ : « إذن فأنا إنسان دون ؟ » . أجل ؛ انه « ضعيف العقل سياسياً » والصدفة وحدها هي التي شامت ان يكون عاملًا . أو أه ا أمري : السألة شرعية « وليس ثمة ما يقال . إن لا بد ، أليس كذلك ، من وجود قانون انتخابي ؟ ثم لم يكن على الحزب الشيوعي ، بعد كل شيء ، إلا ان يتحالف مع غيره . والبيان الانتخابي لثورة الحركة الجمهورية الشعبية « يعلن بحلأ : « أولئك الذين يرفضون احترام القواعد الديمقراطية كما يرفضون احترام مختلف الأسر السياسية يستطيعون أنفسهم بأيديهم من هذا الاتحاد ويتحملون وحدهم مسؤولية ذلك . واختصار ، إذا كان هناك شخص « حرمان » ، ففرحى له ! لكن مع من كنتم تريدون أن يتحالف الحزب الشيوعي ؟ أمع الحركة الجمهورية الشعبية ؟ أمع تجمع اليساريين الجمهوريين »<sup>(٢)</sup> ، أما بصدد التقارب مع الحزب الاشتراكي « الشعب الفرنسية من الأمية العالية ، فإن السيد غي موليه قد قطع الطريق بحزم : مع حزب شيوعي فرنسي ، وحسدة محل . وعلى الفور . أمع مع الحزب الروسي ، فينأنا ! والخلاصة أنها سبعة ناجحة : فني إطار مؤسسات الديمقراطية العامة تم

« يتكلم عنه ماركو وين حدد نواب الحزب وبين عدد الأصوات التي بلغا يرجع الى الطريقة التي طبقها هذا القانون في تقصع الدوائر الانتخابية وفي تفرز النتائج على أساس القوائم لا على أساس الأصوات الفردية . » م.م.م .

١ - هو الحزب الشيوعي . م.م.م .

٢ - هو التجمع الناتج من التمازج الحزب الراديكالي مع عدد من الأحزاب الصغيرة .

م.م.م .

الافتراق على قانون غير ديموقراطي يستهدف بصراحة حزباً محدداً ، واني لأقولها لكم فيها بيتنا ؛ هذا عمل كان يجب ان يقابل بالزول الى الشارع وتخطيم بعض التواجيات وبعض الوجوه . فنته قرن واحد بالضبط ، ٣٦ أيار ١٨٥٠ ، تم الاحتيال على عمال الموانئ ، برمذاك بتركيبة مماثلة . لم يلق الانتخاب العام ، كلا ؛ بل اشترط فقط ان يكون الناخب مقيماً في دائرته منذ ثلاثة أعوام ، ولما كان العمال قد تنقلوا كثيراً ، بحثاً عن عمل ، في أعوام أزمة ١٨٤٧-١٨٤٩ ، فقد كانت نتيجة هذا التدبير حرمان البروليتاريا الصناعية من حقها الانتخابي . وبخبرة فلم تم القاء ٣٦٠٠٠,٠٠٠ ناخب . وأسلوب ١٩٥١ أكثر تطوراً بكثير ؛ فقد تم إقصاء ٢,٥٠٠,٠٠٠ ناخب لأن انتخاب ١٠٣ نواب يتطلب ٥ ملايين صوت شيوعي . وكل ما هنالك انه ما من أحد يعرف من الذين ستعبر ووقتهم يبيضاء من بين هؤلاء الملايين الخسة . ومن بين كل ناخبين شيوعيين ، يسقط دوماً صوت أحدهما ، لكن لا يعرف أيها . ثم ان البروليتاريا غير مسجلة بصورة جلفة عن طريق صفات خارجية ؛ ان الحزب الشيوعي يسمى نفسه بنفسه على أنه حزب الأثرياء إذ يرفض ان يتحالف بالناخب يسمى نفسه بنفسه بروليتارياً إذ يصوت للشيوعيين .

لكن عامل المرفق يحتفظ بشيء من الأمل . فالحزب الشيوعي بعد كل شيء هو حزب فرنسا الأول . ولعل نوابه الـ١٣ والثلاثة سيؤدون عملاً طيباً . بلينا ، انهم لن يدخلوا ابدأ في ائتلاف حكومي . لكن للمعارضة دوراً طيبه ؛ انها تثبت ، تحت حق الاحتدال او تحرض ، انها تؤثر . ولعلها ستشجع الحكومة على ان تقول لا لواشنطن احياناً . والمؤسف ان حال المعارضة كحال اعضاء الحزب الشيوعي ؛ ففي البرلمان معارضانها اعداها لها حسابها والأخرى لا حساب لها . ان ه لجمع الشعب الفرنسي ه يؤثر عن بعد - على السياسة في الهند الصينية على سبيل المثال - والحزب الشيوعي لا يؤثر . واصوات نوابه مجردة عملياً ؛ ان الحكومة لتدخلها كعدد نائب ثبت في حساب غالبيتها . انها تعدد بعض الشيء القوية البرلمانية ، ولا بد من اخذ الاحتياطات قبل طرح المسألة لتفنة ، لكن هذا

كل شيء : فبدلاً من أن يلعب إيطالكا الجليار الكلاسيكي يلعبون الجليار الحديث  
 المسمى بالترافكت . وهكذا فحين يلوم السيد بروك ديكلو على لجونه الى التعريض  
 بدلاً من أن يعرض رأيه في فيرمانه ، وحين يمتن السيد بولي جهاراً في (الأورور) :  
 إن كل مواطن فرنسي له الحق في اقتناع الآخرين ، اعتقد انها افكار بريدان ان  
 يضحك . وإلا فليقولوا لي مع من يستطيع جاك ديكلو ان يتناقش في الجمعية  
 الوطنية ! تصوروا ان وحيأ جليارياً جعله يرتقي اللير . انه يخطب : يتعجب :  
 يا أحم ! يسيل دموع اللسار . ثم ماذا ؟ انه سيحني تصديق الصارح الرقيب  
 وشئام خصومه الأكثر رغبة أيضاً . أم يمس اذن لوثر قلوب التواب ؟ كلا ، ولا  
 واحد : فهم لا يصقون . لقد حدث في التاريخ فيرمان في ان أسقط خطاب احد  
 المعارضين وزيراً . لكن هذا لأن الاعتقاد كان ما يزال صالحاً بأثر المعارض  
 يمكن ان يتطرق بالحق . اما اليوم فعروف أن المعارض كذاب : طامسا انه  
 شيوعي ، لا اكثر ! إن أكبر حزب في فرنسا مفسول عن سائر الأحزاب بمجاز  
 غير منظور . ولواب البروليتاريا لا يتخفون أبداً عن الادلاء برأيهم بصدق  
 المسألة المعروفة : لكن المسألة لا تعد ان تكون اكثر من مسألة طمس عرض .  
 وعن هذا فإن احد عاملي المرفأ الذين يتزهان معاً على أوصفة المفاخر لا حق له في  
 التصويت ، والآخر قد صوت على لا شيء . قبل تعتقدون ان الحزب الشيوعي  
 كان بعيداً عن التعبير عن رأي ناخبيه عندما أعلن بصورة إجماعية : غداة  
 الانتخابات ، عن مظاهرة ٢٨ أيار بقوله : « هل الحزب ان يلجسأ الى الشكل  
 الخرى في المعسل لا مفر من التجرد اليها للفضال ضد الحالية رجعية شرسة » .  
 وقد قررت الحالية : لتعاقب لواب الدرجة الثمانية هؤلاء ، ان تحرهم من  
 حصانهم الثمانية .

لكن صاحبنا عامل المرفأ لم ينته بعد . فقبل خسة عشر عاماً ، كان ما يزال  
 يوسد ان يأمل بأن حكومته ، بفعل التناقض استقلال او كبرياء مساسية ،  
 تتكشف عن السير في ركاب الانكسار . اما اليوم فهو يعرف بصورة قاطعة ان  
 « استمرارية سياستنا » هي استمرارية العبودية الزائدة . ونحن لا نظهر الحزم

إلا مع المدخشفين والتونيين . فهل نحن مباحون ؟ كلا ، ولا حتى هذا : فالأمر أهمل وأنكى . لقد تمكن منا الأمير كان واشفرونا مقابل لأشبهه . لإقفا ما تذكر عامل الرقأ في هذه الأونة عبارة لينين : « في الدولة البورجوازية الأكثر ديموقراطية تصطدم الجماهير المضطهدة في كل مرة بتناقض صارخ يسبق المساواة الشكلية التي تنادي بها » ديموقراطية « الرأسماليين » وبين آلاف التطبيقات والحدود المصطنعة الواقعية التي تحصل من البروليتاريين أرقاء مأجورين ، « وإذا ما قال في نفسه عند ذلك : « ان لينين ، مرة أخرى ، على حق » ، فقل من سئلت مسؤولية القلطة » بأسرة بينش وبينور ولاسي وبيناني وأنسابهم الكبيرة ؟ وفات يوم سأخذ الملل والضمير ، وكذلك رقبته . وبدلاً من ان يفرغ الرشايات الأمير كنية ، سيطفغان بها إلى الماء . وسوف يقول لهم رجال الشرطة الذين سيقتلونهم : « يا عصابة الأسمال ! إذا كنتم ضد الخلف الاطلسي ، فلماذا لم تقولوا ذلك ، بدلاً من ان تلتقوا العتاد ؟ ان الناس جميعاً احرار ، في بلدنا . ولناس جميعاً حق الانتخاب . »

د - « الحزب الشيوعي يحرم العمال الى طريق اللاشعرية والعنف . »

كانت مظاهرة ٢٥ أيار مظاهرة غير مشروعة عن سبق قعد وبشكل وقاحة ؛ يأتي تعال أورا ان يطفوا الاقن بها ل فقي يوم الاربعاء ٢٧ أيار أرسلت مديرية الشرطة الى الصحف بالبيان التالي : « لما لم يقدم اي طلب سماح ، فإن كل تجمع في الطرق العامة يظل ممنوعاً . » وفي الوقت نفسه كانت الحزب الشيوعي يدعو بكل اطمئنان الباريسييين ، عن طريق اعلانات الجدران ، الى « ان يطبوا جماعياً نداه مجلس السلم . »

أقول ان هذا الأزمراء الصريح بالقانون لا يشير قطبي البتة تقريباً ؟ ان هذا الاقرار انما مسأقرأه بعض المثكرين المحترمين في الولايات المتحدة ، فارت له اعصابهم . « ضعف الوعي الديموقراطي لدى المثقفين الأوروبيين » ؛ هكذا يشخصونه . بيد انهم سيواجهون بعض الحرج اذا ما طلبوا من المثقفين الفرنسيين ان يدهشوا لتصرفات الحزب الشيوعي غير المشروعة ، في الوقت الذي طالبت

فيه الاممية الثالثة ، منذ عام ١٩٢٠ في ، بيان ٢٦ قور الوجه الى اعضاء الحزب الاشتراكي الفرنسي ، ، بأن ، قارس الضعابة بصفة غير مشروعة حيث تراجعها المصائب نتيجة قوانين استثنائية ، . وبضيف النص : ، ورفض ذلك سيكون بمثابة خيانة للقواجب الثوري ، . والاشراكيون آنذاك لم تحفهم لا الكلمة ولا المضمون ، ولقد قام ليون بلوم بتعيين مدير للفضول في هذا الموضوع في مؤتمر نور : ، ديفتاً ، ليس هناك اشتراكي واحد يقبل بأن يجس نفسه في الشرعية... لكن اللاشعرية شيء والعمل السري شيء آخر ، . وحتى الآن لا ارى من مشكلة : حزب من الاحزاب يصرح بأنه سيلجأ الى اللاشعرية اذا لزم الأمر . وتغزله الديمقراطية ذلك باسم حرية الفكر . وينظم هذا الحزب مظاهرة متنوعة : فيعارضها البوليس بالقوة ويقف المظاهرين الذين يقاومونه . هذا كله شيء طبيعي ، السيد كاشان لم يكن قد ولد بعد حين وقع أول صدام بين المظاهرين وبين شرطة الجمهورية الثانية . وبالغابيل سوف يصعب عليهم ان يدفروا في ال إعلان اسفي بكل طيب نية على لاشعرية المظاهرة الشيوعية من غير ان أفضح في الوقت نفسه احتباطية القمع التي لا تقل استرخاء للانظار عن هذه اللاشعرية . فما الذي يدور اعتقاد ديكلو ؟ أجرمه الشهود بتأمره على أمن الدولة ؟ ان هذا شيء لا وجود له . وعلى فرض انه معقول ، فكيف يمكن ان يكون هناك جرم مشهود بعد ساعتين من المظاهرة ؟ أحمل أسلحة مخطورة اذن ؟ ياله من اعتراف : نائب يحمل في سيارته مقعدة ومسدساً ، ولهذا اللجنة لوقفونه بالرغم من حصانته النيابية وترعون به في السجن ولثبوتونه فيه حتى من غير أن تفكروا باطلاق سراحه مؤقتاً ؟ كفى ، دعوكم من هذه الأضاليل اللند اوقدم السيد ديكلو لأنه كان يقوم بهام الامين العام للحزب ولأن الحزب نظم المظاهرة : لقد خلفت الحكومة عن جميع الاحتياطات التي اتخذها منذ قرنت

١ - من سوء الحظ ان اللاشعرية لا يمكن ان تقوم لما قاله اذا لم تتخذ القرارات في السر . وعلى كل الاحوال ، وفي الحالة التي نجحنا هنا ، لم تقم اللاشعرية على السرية ، بسبل كانت على العكس علنية ، متصرفة .



ونصف قرن لكفاءة ورجال القانون ايضا واصفة غلاتية على النار العمام ،  
ورجعت الى أحسن وأغلب مفهوم عن المسؤولية ، واهتمها التقليل بتبرير  
أفعالها يمت على التلق أكثر أيضا ، كلا ، ليس هو الشلف العربي الذي تقصد  
نظمه بالجمهورية ، بل هو المجتمع بأسره . وأن يؤكد الحزب الشيوعي منسدة  
ثلاثين عاما ازدهاره بالشرعية البورجوازية وأن يفعل ذلك من غير ما عقاب ،  
فهذا ما يبرهن على قوة مؤسساتنا ، ومباح لَكُمْ ، حسبما يحاول لَكُمْ ، ان تجدوا في  
ذلك فرصة لإبداء انجابكم بعبطة الديمقراطية أو لنضح تناقضاتها . وأن يلبس  
السيد ببناني يشي من القنطرة بالمؤسسات الجمهورية وان يحازف بإتلافها ، فليس  
في هذا ضرر عظيم ، فهذا السيد ليس بشخص ذي أهمية ، ولم تقض على شهرته  
اسابيع قليلة ، وسوف يرسم الجهاز الحكومي بعد ان يرجع ، كما كان ، مقهوراً .  
لكن أن تكون فرنسا قد فاجأت رئيس وزارتها في الجرم للشهود وهو ينتهك  
القانون ولم تنتهض مع ذلك ، فهذا دليل على ان الجمهورية متدهورة الصحة الى  
درجة خطيرة . وبما للحجج التي تحتلق لتبرير ذلك الاعتقال انظروا الى  
السيد روبيته وريسون<sup>١١</sup> : لقد شرح السيد مورفجيه<sup>١٢</sup> بكل هدوء في  
صحيفة « لوموند » انه قد لا يكون هناك من داع للإسراع في حيل الحزب  
الشيوعي . وعلى إثر ذلك ، قد صبر هذين السيدين وانضما عليهما بعضانه :  
« مؤامرة ! أي مؤامرة ؟ إن الحزب الشيوعي بأسره مؤامرة ! وهو  
يتباهى بذلك منذ ثلاثين عاما ! فما يريد أكثر من ذلك ؟ » .  
قد تقولون : الحسن هاتين الشخصيتين الكبيرتين مطالبان بالتهباج  
سياسة معاوية السوفيت ، هجومية ، ليكن . لكن السيد مورفجيه ، كما  
أعلمنا في مقال جديد ، قد تلقى عدداً كبيراً جداً من الأجوبة يثبت ان الرأي  
العام لدى قراء « لوموند » الراضين معادوا كلياً للديمقراطية . « هم تشكروا لا  
تقع الحكومة من تنفيذ سياستها : فهي تخلصنا من ديكلو ، أو : « يجب ان

١ - بيير ريسون ، رئيس تحرير صحيفة الديمارو .

٢ - موريس مورفجيه ، من كبار المحققين الفرنسيين ، وسطي الأقدام .

يدفع الزعماء الثمن كما تدفع جماهيرهم . . . أو أيضاً : « لقد كان بينناي على حثي  
 طالما ان الشيوعيين لم يشعروا . . . أو : « ليس هناك لا شرعية تجاه الممارسين  
 على القانون . . . والحق ان السيد موفرجيه لا يذكر الأجوبة هذه الألفاظ : إنما  
 أنا الذي حررها ، لأنها وجهت إلي ولأنني تعرفتها في مقاله عاراً . إنما تحطير  
 صادم للحزب الشيوعي : فهذا كله يثبت أنه بث الشعر في قلب البورجوازية  
 الصغيرة والطبقات المتوسطة . وبالفعل ، ان التفكير السائد لدى هذه الطبقات  
 هو ان أرباب الصناعة لا يبتاعون بالحرث الديمقراطية : مما قد تريدون أن  
 يتفعلوا بحرية الفكر ؟ إنهم لا يشتمون بها ، حين تتوفر لهم ، أكثر مما تشتمع  
 بها متشددة صفائح في مصفاة : بل هم يتأجرون موهجين ليشتعوا  
 بها بدلاً منهم . ان الحرية التي يطلبونها ، الحرية الوحيدة ، هي حرية  
 توجيه معارك الانتاج حسبما يحلو لهم : إنما تدعى الليبرالية . وميزة بينناي  
 على ويقول في نظرم هو انه يوه الحريات من غير ان يمس الليبرالية بأفني ،  
 في حين ان الديمقراطيين ، إذما صدقنا السيد فالون ، يفكرون  
 « باستبدال الاقتصاد الأعمى باقتصاد واع » . وبين البورجوازية  
 الكبيرة التي تطالب بالقدرة العينية على التصرف والتملك والبيع والبروليتاريا  
 التي تطالب قبل كل شيء بالحق في الحياة ، تنف البورجوازية الصغيرة  
 وحدها لتدافع عادة عن حريات ديوقراطية الشكلية : بينما ، إن  
 هذه الحريات ملية وتعددية ، تفصل البشر أكثر مما توحد بينهم ، لكنها هذا  
 السبب على وجه التعديد تحمي النظام القائم وتسمح ببعض التلذذ ، وتوجد زعماً  
 من التفاوت داخل مجتمع يزده اندماجاً يوماً بعد يوم . انها البورجوازية الصغيرة  
 التي عجلت بتقرير مبدأ الانتخاب العام ، وهي التي اعطت ، في غالبيتها ،  
 الجمهورية الثانية إطاراً المعارضة ، وأعطت الحزب الراديكالي والراديكالي -  
 الاشتراكي جهازاً بعد عام ١٩٤٠ . لقد صنعت هذه الطبقة الجمهورية ، وعسا  
 هي المؤسسات الجمهورية تنصّب على جمع وبصر منها ، ومع ذلك تلزم الصمت ،  
 قبل هي خاتمة الى هذا الحد ؟ سوف تعود الى هذا الموضوع . لكن مما يبدو

واضحاً ، على كل حال ، هو ان النظام الديموقراطي لم يعد اليوم سوى واجهة ؛ ان جميع المارك الحقيعية تدور خارجاً عنه . ودورجيه ، في مقاله الأخير ، يحسن طرح المسألة : بلغة الاحصائيات . فهو يقول لئلا ان الحزب الشيوعي عندما يحصل على خمس أو ربع الهيئة الناخبة ، يظل في وضع خصومه ألا يهلجوا الى الفاشية ، بالرغم من أن الحياة في ظل الجمهورية تصبح حياة تقدير . لكنه إذا ما جمع من ٥٠ الى ٥١٪ من الأصوات ، قد لا يبال للابقاء على الديموقراطية وتصبح المسألة مسألة اختيار الأنظمة التي ستتوهمها . والحزب الشيوعي في فرنسا يتمتع بغالبية الأصوات العمالية : إذن فطبيعة النظام السياسي تتعلق فقط بالأهمية التي تستطيع منظمات البروليتاريا ان تأخذها في حياة الأمة . انها لعبة برودج ذات «مناطق خطيرة» : إذا ما تجاوز حد معين كانت الرجعية والفاشية . لكن إذا ما تم اجتياز «النطقة الخطرة» بسرعة ، استلمت الأحزاب العمالية السلطة وشكلت «ديموقراطية شعبية» . ان ما عسب اللاشرعية ، كما نرى ، لا يس جهز المشكلة . وكل ما هنالك اننا نلج عند عبثة النطقة الخطرة ، وهذه المناوشات حول الشرعية القديمة هي في الوقت نفسه اولى بشارت شرعية جديدة سواء اقامت على سيادة الجماهير ام الأعيان ام الحزب .

والواقع المستمر تحت تلك الاستنكارات هو صراع الطبقات . ولو كنتم فوهم ذلك ، فلربما وجدتم بعض المرح في تأنيب الحزب الشيوعي على عطفه ولا شرعية تصرفاته : ان كل عطف يأتي اليوم ، بصورة مباشرة او غير مباشرة ، من البروليتاريا التي ترجع لنا ما اعطيناها اياه . ان جميع الحقوق العمالية ، بما فيها الحقوق «الممنوحة بحرية» ، قد توجب على البروليتاريا ان تنازعها انتزاعاً بفضل نضال شاق . وهذه الحقوق تبدو وكأنها حديثة نعمة وسط الحقوق الخاصة بالفئة البروجوازي . كما ان الحجر يفرض عليها ، والحقوقيون يتكلمون بحذر عن حق الاضراب بالرغم من ان دستور ١٩٤٦ يقره بصراحة . علام تريدون ان تقيموه؟ أعلى سمو الطبيعة البشرية ؟ في مثل هذه الحالة سيكون حسراً لا طائل تحت . أعلى الحرية ؟ لكن القسرب يمارس إكراهياً . أعلى المساواة إذن ؟ لكنه ، على

العكس ، اعتراف صهي بالامساك . ، إن من حق الاضراب ، من حيث تعريفه بالذات ، ان يؤذي . انه سلاح اكثر منه حقاً . ، انتمطرون انتم بعض الناس الحق في ابداء غيوم ؟ ، انه حق الدفاع الشرعي مطبقاً على جماعة . ، المبدأ ان عدوان ؟ إن مجتمعتنا لا يستطيع ان يبرر الاضراب قبل ان يعترف اولاً وجهاً بأنه مجتمع الظهادي . ، منذ نصف قرن من الزمن وتطرح حتى الاضراب مطروح باستمرار على بساط البحث بنسابة كل موجة جديدة من النزاعات الاجتماعية . ، بالعدالة انهم يعترفون بهذه الممارسة حتى يتكتمهم لتقنينها ولتحديدتها بصورة افضل . وفي النهاية يعترف احد الحقوقيين متهدداً بأن واقعة الاضراب ظاهرة من نوع الانتحارات البركانية ... عصبية بطبيعتها على أغلظ مكانها في نظام قواعد الحق . ، يا لها من وظيفة غريبة يؤديها العامل : انه منبع غير مشروع للتشريع . في ايار ١٩٣٩ صرح بقوم : ، اني لا اعتبر احتلال المصانع شيئاً مشروعاً ... فهو لا يتفق مع قواعد ومبادئ القانون المدني الفرنسي . ، والواقع انه مساس بحق الملكية . وهذا مصادره عليه توزيع بقول شديد : ، يقولون : لا شرعية اكلاً القامي شرعية جديدة تتكون . ، بيد أنه يمكن الاعتراض بأن هذه الشرعية الجديدة ليست قابلة للتصور في اي نظام لها تفضيل البدأ الاساسي المجتمع البورجوازي ، وفي المجتمع الاشتراكي لسن يكون لها من مبرر للوجود . إن هذه الشرعية ، اللاعقلانية ، المصادفة بعجبة على الممارسة العالية ، لا معنى لها إلا في عالمنا الانتقالي والمتناقض ، انها صورة العامل بالذات ، هي ذاته والمجتمع ، ووظيفتها الواقعية ان تفسد النظام القائم الذي يسحقه يهدمها شرط وجوده الخاص كبروليتاري . لكن العامل ، حين لا يفكر بالتوقف عن العمل ، يعرف أنه يستطيع ان يعطى الاضراب ويعرف ان هذا التهديد الدائم يؤثر على الاجور بصفة عنصر معدل ومنظم . انه هو نفسه هذا التهديد وهو يشعر بعنفه : فلي مجتمع قائم على الانضباط لثة ظلم فائق يريد ان يكون العنف من صنع المظلمة اولاً . ولستكم سيكون كل شيء واضعاً لو كان في الامكان الاعتماد على عدالة المظلمين الخاصة في محاربة المظلمة . لكن

المضطهد هادي، وقوي، ويضع قوته في خدمة القانون. وإذا ما قتل، فعل ذلك شرعياً. والقوانين هو الذي يسنها. ثم إن البورجوازية، كما بين ذلك الجاز، قد خلقت البروليتاريا، دونما تدخل سحري من جانب العنف، وبطرق اقتصادية خالصة. وبضيف: « حتى لو افترضنا بأن كل ملكية فردية تقو في أصلها على عمل شخصي للمالك وبأنه لم يجر من تبادل قط، خلال التطور اللاحق لجرى الأمور، إلا بين قيم متعادلة، غير أن هذا لا يمنع أن التطور التدريجي للانتاج والتبادل يفرض بالضرورة إلى التمتع الزامن من الانتاج الرأسمالي، وإلى حكر وسائل الانتاج وأسباب العيشة بين طبقة قليلة العدد، وإلى النزول بمستوى الطبقة الأخرى، التي تشكل الغالبية الساحقة، إلى مستوى البروليتاريين المحرومين من الملكية». وباختصار: إن العامل مهدد بأن يقع ضحية الخداع. أنه مضطهد، ومهزق بالعمل. ومع ذلك، إذا ما عاد يفكره إلى تسلسل الأسباب، لم يجد لا سرفة ولا إكراهاً: فقد تم كل شيء برفق وخلسة. يسأل أكثر من ذلك: لقد قبل من تلقاء نفسه بشرطه، وعمل الأقل لفترة من الزمن: « طالما أن نطقاً معيناً من الانتاج ما يزال في مرحلة صعود وتطور، فإن من يشعرون بنمط التوزيع المقابل له هم انقسم الذين يطالبون به. وهذا هو تاريخ العمال الانكليزي في أيام ولادة الصناعة الكبيرة». وحين تأتي الأزمة ويبدو نمط التوزيع ظالماً على حين فجأة، فمن يكون المسؤول؟ إن العامل، منها أرغل في تأمل ماضيه، يجد نفسه منخرطاً من البدء في مجتمع له قانونه وطقه، وله حكومته ومفهومه عن العدل والظلم، والأخطر من ذلك أيضاً أنه يشاطره ايدولوجيته غفياً<sup>١١</sup>. انهم يفرضون عليه مصيراً وحدوياً، ويجعلونه بهام جزئية ونصف آية يفلت منه معناها وقانونها، وبأمراض مهنية. وهم يشطون همة، بالتمب والبؤس وبارغافه على أن يكرر ألف مرة في اليوم حركة واحدة، عن ممارسة صفاته الإنسانية، ويجيسونه في عالم التكرار لتفه العدم المعنى.

١ - « التطور الطبوي للحركة العمالية يؤدي بسرعة إلى إلحاقها بالأيديولوجية البورجوازية » ( لينين، « ما العمل » - المؤلفات - طبعة موسكو - ١٩٢٥ - المجلد ١ - ص ٢٠٦ ) .

ورويداً ورويداً يصبح شيئاً . لكنه حين يفشل عن المسؤولين ، لا يجد أحداً ، كل شيء عدل ، وحقه مستوفى . لقد رفض كثير من العمال الأميركيين عام ١٩٣٠ الأكتئاب في صناديق البطالة التي تم اوجعها بسرعة : فقد كانوا خجولين من بطالتهم ويظنون انهم مذنبون . اما العامل الأوروبي ، الاكثر بقلعة فيعيش في اللاتماس هذا الوضع الذي لا يطاق ، وهو بالتأكيد يرفضه بكل ما في طاقته من قوة ، لكنه يقبل به رهنياً عنه لأنه ولد فيه وبقدر ما يكون هدفه تحسينه ليس إلا . ان العامل نصف المختص يهد نفسه ليكتسب مثل ما يكتسبه العامل المختص ، اي ليعوض بالتساوي عن التفاوت الهين ويشعر بأنه انسان ، لكنه لا يتوصل الى ذلك إلا اذا اشتط في تشيؤه . ولقد سيفضل العمل الجزأ ، وسيضن بدعمه على الشعة التقليدية التي قد تحاول تحديد ايقاع العمل او تنظيمه . وحين يهد نفسه وجهاً لوجه مع عمله ، منبهك القوى ، خاضعاً لقوانين آتية من الخارج ، يصطدم رفضه العنوي ، غير المعبر عنه لكن الدائم المستمر ، لأن يكون مجرد قطعة في آلة ، يصطدم رفضه هذا بإرادته الحقاظ على نط في الانتاج يدير عليه قدرأ أكبر من الدخل . والخلاصة انه لا يعرف في البداية إن كان مسؤولاً عن هذا المجتمع الذي ولد فيه والذي يتخلى من المؤسسات التي تحميه والذي يقتصر الى الكلمة القادرة على نسبة الضرر الذي ألحقه به . وتتحمل الطبقات الأخرى بشجاعة يؤسه وتشرح له ان هذا البؤس ضروري لتوازن الجماعي . وهو موضع رعاية الدولة التي تقدم له أجراً إضافياً ولعموميات . لكنه لا يستطيع مع ذلك ان يقتنع بأنه متضامن كلياً مع مجتمع يصدر يوماً ، وسراً ، أحكاماً بالمرث لدواقع اقتصادية ، ويترك اثنين من اولاده الفقير يوفان في حبيبل ولد واحد من اولاد الغني (١) . انه

١ - : نسبة وفيات الامتداد في عام ١٩٣٩ :

نسبة الوفيات بين ١٠٠٠ طفل ولدا احياء .

ولم يملوا تماماً واحداً من العمر .

أ - فيوجوروا في الكبرياء ، كبار الموظفين ١٢٦١٥  
الحكام .

ب - المزارعون ، المستخدمون ، الموظفون ١٥٠٠٠

يريد ، هو نصف المتواطئ ونصف الضحية ، هو التضامن والشهد ، ما لا يريد ، ويرفض بكل جسمه ما يقبل به بكل ما فيه من ارادة الحياة . انه يفت ذلك المسخ الذي حوّلته اليه المكتنة ، لكنه يعرف مع ذلك انه لا يستطيع ان يكون غير ما هو عليه اذا لم يغير العالم . والتناقض لا يكن فيه هو وحده ، الفسا هو يفرض عليه فرضاً ، والانتساج الكثيف يتطلب ان يكون متناقضاً . انسان وميكانيكي معاً : لهذا فانهم لا يلجأون الى شذماته إلا عندما يكون بنسائه آلة موجهة اوتوماتيكياً امرأ بالغ الصعوبة او كبير الكلفة . كما ان تقدم الآلية لا سيغني عن الحاجة اليه . وهكذا يطالبونه بإضافة نوع من التيقظ المبهم الى توازنه الفكري ، وبأن يكون حاضرأ وغائباً معاً . انسان الى حد معين فقط : ذلك ان الصناعين لن يجدوا حرجاً في ان يقولوا لكم ان التلمع العمام يضرب بمروده العامل نصف المخصص ومع ذلك لا يمكن بعد استبدال عقلية البشريين بخلايا فوق - كهربائية . وعلى هذا ، ليس العنف الأول هو الاضطهاد لأن هذا الاضطهاد يخطاط بالفعل مع العدالة والنظام . انه الاضطهاد المستعطن ، الاضطهاد المعاش كصراع داخلي ، كإكراه يمارسه نصف ذاته على النصف الآخر . العنف الأول هو العنف الذي يمارسه العامل على ذاته ويقدر ما يجعل من نفسه عاملاً . ان جوع العساطل عن العمل وقلته لا يكونان في البداية عنفاً مكابداً منه . وهما يصبحان كذلك حين يأخذهما على عاتقه ويتواطأ معها ليرغم نفسه على القبول بعمل أجره دون التعرّف التقابلية . لتفرض ان رب عمل يحساجة الى ضاربة على الآلة الكاتبة ، وأن البلاد تفر بأزمة : فتتقدم ثلاثون فتاة على نفس الدرجة من الكفاءة وهن يحملن نفس الشهادات . ويستدعيهن جميعاً معاً ويسألهن أن يذكرن

= للتوسلون ، صغار التجار

ج - الصناع ، العمال المخصصون [٤٤٠٤]

د - العمال الصناع المخصصين [٤٤٠٤]

هـ - العمال غير المخصصين [٦٠٠٤]

٦ - اقتراح هذا المصطلح كقابل لفظة ( Gybernetique ) وهو علم حديث يدرس علاقة

الانسان بالآلة ، وآليات الاتصال والرقابة لدى الكائنات الحية وفي الآلات . ص ٥٣ . ٥٤

التعويض الذي يرغب فيه . وآنذاك تبدأ مناقشات رهيبية : ان رب العمل -  
 في الظاهر - لم يفعل من شيء سوى انه ترك قانون العرض والطلب يباشر عمله .  
 لكن كل ضاربة آلة كاتبة ، بطلبها أقل الأجور ارتفاعاً ، تمارس العنف على  
 الآخرين وعلى ذاتها ، وتساهم في جو من المهانة ، في تحفيض مستوى حياة  
 الطبقة العاملة أكثر ايضاً . واخيراً سيتم استخدام تلك التي ستطلب - نظراً إلى  
 انها تتنعم بتدخل آخر طفيف ( نفقة أرملة - أو فتاة تعيش مع أسرتها )  
 تعويضاً هو دون الحد الأدنى الجبوي ، اي تلك التي ستبارس على ذاتها وعلى  
 الآخرين العمل الخدم الذي مساكن لبشران عن موارثه بنفسه . أن يكون  
 الانسان عاملاً ، فهذا معناه ان يرغم نفسه على ان يكون كذلك بحسب الشرط  
 المهني شرطاً زاده قسوة الحياة فيه أكثر فأكثر بالنسبة إلى ذاته وبالنسبة إلى  
 الجميع . والبعض يتظاهر بالاعتقاد بأن العنف يولد على حين غرة لحظة العصيان  
 او الاضراب . لكن هذا غير صحيح . وكل ما هناك انه يبرز الى الخارج  
 في فترات الأزمة . ويمكن التناقض : كان العامل يرفض في ذاته الانساني يرم  
 كان مستملاً للوداعة ، اما الآن ، وقد ترد ، فإنه يرفض الانساني . وهذا  
 الرفض هو في حد ذاته مذهب انساني ، ويتطوي على تطلب عدالة جديدة .  
 لكن طالما ان الاضطراب ليس جبرية متطورة ، وطالما ان ايديولوجية الطبقة  
 السائدة تحدد العدل والظلم ، وطالما انه لن يتكبد الحصول على شيء ما لم يحطم  
 بالعودة النظام القديم ، فإن توكيد العامل لواقعه الانساني يقبدي لعينه كتظاهرة  
 عنف . وبالاصل ما يكاد يرفع أصبعه ، حتى يجتهد المجتمع قواه البوليسية ، ويغير  
 الديكور من حوله ، ويهيء له عنقه ، وبضطره ان ان يدفع بهذا العنف الى  
 أقصى مدى له . ان على استيائه ان يتحول إلى إضراب ، واضرابه إلى مشاجرة  
 والمشاجرة إلى جناية قتل . وبعد ان يكون قد وقع في الفخ ، وعندما يستسلم  
 يذهول كيف قامت المطالبة السياسية بحقوقه كإنسان الى ان يضرب ويتسلسل  
 اناساً آخرين ، يبدأ الفخ . ولن تكون العودة إلى الهدوء سكونية بل عودة إلى  
 العنف الأولي . ويعاود التناقض الأصلي الظهور لكن بعد ان يكون تعق



واحتد ، فقد ذاق الحسرت عنف المجتمع المضاد ، وهو ما يزال يؤثر فيه ، فيريد عليه بشعورين متناقضين ، الخوف والحقد . ولقد اكتشف في الوقت نفسه ذاته وهو يعرف الآن ان العنف هو قانون عمله . بيد ان البورجوازية تتأمل بتخوف وتقفز هذا الانزعاج المباحث الذي يعكس لها ، بكلمة واحدة ، الاستطهاد الذي تمارسه . ويحتمل هذه الطبقة السياسية للغاية والتنددية للغاية ان العنف يتبع من الضطربة بالذات وأن سببه يمكن في مجيئه . ويصح التعامل في نظرها العنف الذي لا يسير له محور والذي تحول إلى موضوع. والتعامل لا يجعل ذلك ، ويعرف انه يخيف البورجوازيين ، ويدافع من رد فعل جديد على الشخصية الاستطهادية التي تسبب اليه بطالب باعتزاز بهذا العنف الذي يؤخذ عليه . لقد كان هدف هذه الملاحظات أن تظهر التماس الشرط المعالي : فذلك ان البروليتاريا خاضعة لحكم حق تاريخي غير موجود بعد وقد لا يوجد أبداً . وعنها ، إذا ما نظرنا اليه من وجهة نظر مجتمع قادم سيرى النور بفضل جهوده ، هو مذهب انساني انجيلي<sup>(1)</sup> . اما إذا نظرنا اليه من زاوية مجتمعا الراهن ، فهو جزئياً حتى ( اضطراب ) وجزئياً جريمة . والواقع ان الذهب الانساني والعنف مظهران غير قابلين للفصل من مظاهر جهوده لتجاوز شرطه كضطربة .

\* \* \*

ان الجرفان الذهب ذات طبيعة رقيقة حسية والعنف يشير اشتراهما: وهل في هذا ما يدعته طالما انها بورجوازية ؟ والشكل هو انت فيها ميلاً ملحوظاً الى الطبقة العاملة . وحتى تخرج من التناقض ، اختارعت أسطورة الأم المعالي : لتسد ظهر العنف في العالم مع ظهور الأمية الثالثة . بانه من تزوير غريب : ذلك ان الشيء البديهي والسليم يسه في النهاية هو أن العنف المعالي يشكل قوام الحزب الشيوعي وقوله بالذات . فقد التقط الحزب هذا العنف ، وهو يتغذى به ، وإذا

١ - وليس وسيلة لإفراح اللعاب الانساني . ولا عسق شرطاً لازماً . لكنه هذا اللعاب الانساني نفسه من حيث انه يؤكد نفسه ضد « القتل » .

كان النادة مبهومين من قبل العمال فهذا لأنهم يشكلون لغتهم . بينما ، ان هذا العنف يفقد ، مع الحزب ، صفته كقوة مباشرة : انه يصبح ، متوسطاً ، واعياً ، ويتحدد بصورة ذاتية . والحزب الشيوعي إما هو الإرادة القطن عنها ، المؤقتة<sup>13</sup> . وليس في هذا من خطورة : فحق لم يوجد شيء من التفاوت بين إعلان العنف وبين العنف الأصلي الذي يتبثق منه هذا الإعلان ، فإن هذا ان يتبع مع ذلك الطبقة العاملة من أن تتعرف نفسها في الخبرات القوة التي يجرها الحزب باسمها .



ماذا أردت ان أثبت ؟ ان تظاهرة ٢٨ أيار كانت بارعة ، ناجحة جدية بالثناء ؟ بالرة . بل أردت فقط ان أثبت انها تحمل مكانها في إطار التظاهرات الشعبية . تتولون : ، لو أنهم حلوا الحزب الشيوعي ، لكننا وضعنا ، يساراً حقيقياً ، مكانه ، يساراً أنيساً ، جامعاً ، مستعداً للتمييز والتعقيدات الناعمة ، يحسارب الرأسمالية ويتصف الأشخاص الذين لا يرفضون العنف لكنهم لا يستخدمونه إلا كوسيلة أخيرة ، ويؤجج في الوقت نفسه حماسة البروليتاريين الكريمة ويحميهم عند اللزم من شططهم . إنه ، وليم الحق ، برنامج جيد بالاعتجاب : كل ما هنالك ان هذا اليسار إذا ما خلطته لكم ضربة عصا سحرية ( فالأ لا تصور كيف يتكلم الحصول عليه بقدر هذه الطريقة ) ، لا أعطيه أنا سوى ثلثة أيام لينتج : وآتذاك متجدون بعضاً من أعضائه في كتلة البرلمان الاشتراكية أو في أسرة تحرير ، فرانس - فيرور ، بينما يتظاهر السابقون في الشوارع ضد ريدوي .

تقولون : ، إن مهاجمتك جميلة للغاية . لكن فيها نقطة ضعف واحدة باعتبار ان الطبقة العاملة لم تزج نفسها في ٢٨ أيار وان التظاهرة الجماهيرية جرت بدون جماهير . وتضعك الجرذان الذهبية . حسناً . فلترجع الى الوراء وقرأ .

١ - من الانوم . والأتمة لبريد ينظر إليه خطأ ط أنه واقع . \* \* \* .

لقد نظم الحزب الشيوعي تطاهرين في ٢٨ أيار و ٤ حزيران . فإذا كانت ينتظر منها ؟ وما كانت دلالتها الحقيقية ؟ وإذا كان صحيحاً أنها فشلنا فشلاً ذريعاً ، فما الذي أفسدها ؟ وأي معنى ينبغي أن نعطيها هذه الفريضة المزجوجة ؟ وما ستكون نتائجها ؟ وإذا تبين أن هذه النتائج شؤم على الطبقة العاملة ، على المجتمع الفرنسي بأسره ، وعلى السلم ، فهل هناك من وسيلة لتلافي ذلك ؟ هذه الأسئلة المتشابكة هي التي أود لو أحاول أن أفصل بينها وأجد الجواب لها .

ماذا كان في وسع الحزب الشيوعي أن ينتظر من ٢٨ أيار ؟ وحتى يكون رجال الشرطة متجهين بأعداد كبيرة ، فعم يمكن للصراع أن تعلن الهم إلا عن هوامها<sup>١</sup> بكل معاني هذه الكلمة ؟ وطالما أن السلطة تحظر التطاهر ، فكيف السبيل إلى أن تتطاهر الجماهير الهم إلا إذا استولت على السلطة ؟ لقد حدث أن دلع السخط الباريسيين إلى الشوارع ، فكافوا يسعون ويستولون على أحمد الثاني أثناء مروههم ، ولقد وضعت ثورة شباط<sup>٢</sup> الحكم بين يدي بورجوازية أطاش الحزف بصوابها ، أما اليوم فقد اتخذت التناهي لتجنب التطورات غير المتوقعة ، لقد بلغت الحياة السياسية درجة من الجدية لم يعد يستطيع معها حزب من الأحزاب أن يسمح لنفسه بأن توجه الأحداث إلى السلطة ، ولحمأ عنه . إن أقتسى ما يمكن لمطاهرة شوارع في عام ١٩٥٢ أن نعطيها هو علامة قرء - بشرط أن يكون هناك اتفاق مسبق على ذلك - لا أن تعجزه من حيث لا يدري أحد .

إن هذه المسيرات المنقطعة ، الواقعة دوماً في منتصف الطريق بين الفتنة والاحتفال ، بين الاستشهاد والتجدي ، استدعي العنف لكن لتتجه وتعاين منه ، أنها مسالك فاشلة ، حركات تريد لنفسها غير مجددة ، وعدم جدواها بالذات

١ - Passions . ومن معانيها اقوى والمناطفة الشديدة والغامة والعلاب . الخ . ص ٢٠٥ .

٢ - هي ثورة شباط ١٩٤٥ التي أطاحت بلكية لوي - فيليب وأدت إلى قيام الجمهورية الثانية . ص ٢٠٥ .

شهادة . انها تظهر للجماهير طاقاتها الهائلة وعجزها المؤقت . وهذه الحفلات الصاخبة إذ ترهبها من عمل التنظيم الصابر تجعلها تفدرك ضرورتها . وباختصار ، مسرح الشارع ، الذي كان يقنناه آرتو<sup>11</sup> : إن دور السكان الباريسيين يؤديه عادة السكان الباريسيون انفسهم الذين يأخذون على عاتقهم ان يستعرضوا امام النظارهم مصيرهم الماجد وبخاصة علوية الضائقة . إن كل شيء بعد كذا يتوهوا انهم ما يزالون تلك الجموع السخيفة القدم التي سارت وقاومت في ساحاتها طوال القرن الماضي . وانهم كذلك بالفعل فيما عدا ان التظاهرين مدهورون سلفاً ومنظفون ومسيرون ، وانه يحظر عليهم ان يسوا زجاج الواجهات وان يستولوا على أي شيء حتى ولو كان الباستيل .

انه لمن الضروري ان تنتهي المظاهرة المخطورة بفشل : لكن هذا لا يعني انه يتوجب عليها أيضاً ان تبدأ من هنا . والحال ان التنظيم كانوا يتوقعون هزيمة مرعبة لا هزيمة رمزية على الاطلاق : كانوا يعرفون ان الجماهير لن تجسم نفسها عندها ولن تتحرك . كانوا يعرفون ذلك : فالصحافة ، من صحف ومجلات منظمات اليمين الكبرى الى جرائد المعارضة العمالية ، تنوء وتعلق ، منذ عامين ، على « فتور همه العمالي » ، فكيف يمكن للكتيب السياسي ان يكون هو الوحيد الذي لم ينته الى ذلك ؟ تصفحوا دفتر جاك ديكلو<sup>12</sup> : انه ، بالطبع ، غير واضح العبارات ، لكنكم ستفرون كلمة « اشرحوا » تتكرر مئة مرة : اشرحوا لعمال مرفأ مرسيليا ... اشرحوا للشعبة ... لم تشرحوا بما فيه الكفاية ... وستشعرون بتعاطف الفلق والرفيسة في « تأجيج المعركة » ضد بعض ترددات الرأي العام العمالي ولاحطوا كيف انهم يرجعون دوماً الى نفس الاهتمامات والى نفس المواضيع : إن هؤلاء الناس واعون قانماً لمصاعبهم . ستقولون : لم اقترب يدعون الباريسيين في هذه الظروف وفي هذا الوقت الى تظاهرة سياسية ؟

١ - انطونين آرتو : مثل وشاعر وكاتب فرنسي معاصر . ١٩٠٥-١٩٣٧ .

٢ - عندما احتفل ديكلو بمرور مئة أوراثة الخاصة وتشرت بأخبارها ، والتسقى من

المؤامرة . ١٩٣٥ .

وسأجيبكم : لأنهم كانوا مرشحين على ذلك . نتفرض ان لجنة استقالات أعلنت  
 عن مواعيد قبل زمن طويل من مواعيد : انها ولا شك ستجد مشقة وحرجاً في  
 الاعلان عن إقفاله حتى ولو فسد الطقس . والحال ان المطاهرة ضد ريدوي قد  
 جرى الاعلان عنها من شهر طويلة : وعلى وجه التحديد منذ يوم المطاهرة ضد  
 ايزنهاور . فيوم احتج الحزب على هذا الجزال ، تمهد خنياً بأن يحتج على جميع  
 خلفائه . إن حزياً جماهيرياً لا يستطيع ان يكتفي بالمشارة الرأي العام : بل  
 عليه ان يعنى ميوله المتزدة وان يوضحها وان يبرزها للنور . وعليه أخيراً ان  
 يحكمها الجمهور : وهل هناك من جهاز إرمان خير من الجماهير نفسها ؟ انسه  
 سيرها ان ان تكون بنفسها تصوراً موضوعياً عن ارادتها ، والى ان تضعها  
 جميعها في الفعل لتجاوزها وتسوقها الى أبعاد أيضاً . وإذا كان السكان الباريسيون  
 ضد الحلف الاطلسي ، فلا بد ان يموا هذا العداء : والحال ان عملاً عينياً فيه  
 مخاطرة هو وحده الذي يستطيع ان يجعلهم يعونه . الباريسيون ليسوا على  
 قدر كبير من الحماسة في هذه الأونة ؟ اذن فهذا سبب إضافي لتقرر المطاهرة  
 الشعبية . إن صفة حزب من الأحزاب بالجماهير ، شأنها شأن كل علاقة واقعية ،  
 صفة ملتبسة : فهو من جهة أولى يقتدي بها ويلتقي أثرها ، ومن جهة ثانية  
 ينظمها ، ويحاول « تربيتها » . ولما لم يكن المطلوب تغييرها بل مساعدتها على  
 ان تصح ما هي عليه ، فإنه يكون تبعيها ومثالها في آن واحد . وحسين  
 يتوجه إليها في بيانها ، يستخدم نارة صيغة الأمر ، وطوراً صيغة المستقبل ،  
 وطوراً آخر صيغة الحاضر ليشير الى الواقع نفسه ، الى الحركة التي هي واقعة  
 وقيمة معاً : « سيتذكر الشقية الفرنسيون ... الجماهير الكلاصة لن تخدع بهذه  
 الشائرة المشوذة ... انها العمال ، طالبوا بتحرير ، الخ . إن ما يشبه لأنظارها  
 انها مطامها ، ميؤها ، ارادتها ، لكن بعدد ان يكون قد حتمها ، أي  
 دفعها الى أعلى مستوى من القاعلية . وزارة لتبسمه وطوراً تجره ، لكن من  
 الممكن أيضاً ان تظل في المؤخرة . لكن لا أهمية لهذا : فهو اذا كان والناس من  
 ان يتكلم باسمها ، واذا كان يرى ان حادثاً عرضياً ما هو وحده الذي ينشأ من

ان تتبعه ، فإنه يفتد السير الى الأمام ؛ انه يعمل من أجلها وبإسمها ، ان الجماهير محل وهوى معاً ؛ صحيح انها ستغير العالم في النهاية ، لكن العالم يحفظها في الوقت الراهن . ان اندفاعها يمكن ان يكون غير قابل للقدرة أحياناً ، لكن الجهد والجوع والقمع البوليسي قد يتمكن منها لبعض الوقت ؛ اما الحزب فهو محل محض . عليه ان يتقدم أو يتخلف . انه قوة العمال الذين اشرفوا على الإنهاك وأعمل الذين استولوا عليهم اليأس . ولقد كان التراجع عن مظاهرة ٢٨ أيار يعني « خطورة التي وراءه » ؛ ما كان يستطيع ان يأخذ بعين الاعتبار لعب العمال بدون ان يعارف بزمامته ويدفعهم الى الاستسلام . ولعل المكتب السياسي فهم من تلك اللحظة ان عليه ان يقصر تكتيكه ؛ لكن هذا لم يكن ممكناً ، في جميع الأحوال ؛ إلا بعد المظاهرة . إن الجماهير لن تعرف لديها ؛ بل هي ستظاهر عسن طريق اشخاص وسطاء . وسوف تم تغطية لخافها بعنف المشاجرات ، وسوف يظهر لها عملها كما كان يجب ان يكون . وسوف يُعهد الى فرق متخصصة بأن تنفذ امامها حركات العنف ، وسوف ترى هي عنفها الذاتي حياً ومثلاً عنها ، وسوف تشهد من ضواحيها قتال المتظاهرين ضد الشرطة كرمز سهيل اصراع الطبقات .

والخلاصة ؛ ماذا كان يريد الحزب حين أرسل مناضليه ليحاصروا ساحة الجمهورية ؟ الاستيلاء على السلطة ؟ اغتطاف ريديري ؟ إسقاط الوزارة ؟ لا شيء من هذا كله ؛ كان يريد ان يجعل موقفاً ليس إلا . ويمَ كان يعارف ؟ إذا جرت الأمور كما هو معتاد ، وسوف تعلق الصحافة البورجوازية على الأحداث دونما حماسة وسوف يعود كل شيء الى نظامه السابق .

ان السيد بيتاني<sup>(١)</sup> لا يلهم المسألة على هذا النحو . أمر يؤمن إذن بالجماعة ؟ أتصورون ان كل ما هنالك أنه يخلو خلو أولئك الوزراء الضخام الذين أطلقوا الأمة بلا مجر حق يسيطروا أنفسهم بلا مشقة بمسألة الجهد نظراً الى أنهم أعادوا

١ - الطوان بيتاني ، رئيس الوزارة الفرنسية عام ١٩٥٢ . ص ٥٥ ، ص ٥٦

الطمانينة إليها . نحن نرّوج الحكومة لـ « القرصان » ، تلجأ إلى وسيلة كلاسيكية : أنها تحرف لصالحها دعابة المناقش . أنظروا كيف تزجج المناقشة وكيف تمه بغيره على الجدالات بينما مسرحية قايان بلا مبرر . وهذا الجرم من المنصف قدس خلقه أشخاص غامضون راحوا بقباعلون مع المثاليين الضربات على الطريقة الأميركية . وسرعان ما يدور المجلس بأن الوزير قد استلم لضغط السفارة الأميركية : أسلوب اعتلاني متنازل . فزبان و القرصان و القادمون يميون ان يحدوا اصبح الله في كل شيء . وحتى في التفاصيل : إذا كانت الولايات المتحدة قد تنازلت ، في مثل هذه الظروف الناقية ، لتحمينا من تساعنا الحرم ، فإذا استعمل إذن في الظروف الجلية ؟ وكان الانفعال قد أخذ يسكن روحه حين جاءت زيارة ريدوي لتقدم موضوع الحملة الاعلانية الثانية . وقد بدت هذه الحملة باعتقال أندريه سليل ، والمكر في الموضوع هو ان اعتقاله كان اعتباطياً بصورة لا تدع مجالاً للشك : ان البورجوازية الفرنسية الكبيرة نفتت الجمهورية وترتاب في الفاشية ، لكنها مولعة بالتمصف الاعتباطي الذي يبدو لها اوستقراطياً والذي يقدم لها في آن واحد صورة الفوضى التي تمنع حيا وصورة الهيبة التي تحلم في ان تكون لها في نظر الآخرين . إنها ترفع رأسها وتلساقل بتروا إن لم تكن قد وضعت بعدها على ذلك الطائر النادر : شخص لبيروالي حديدي القبضة . وبأني يوم المظاهرة . وينظم السيد بايو والحكومة الوجب : فذاك يؤكد أن الجماهير لن تتحرك ، وهذه تؤكد أنها على طريق مؤامرة لدعونا إلى قياس مدى أهميتها بعدد رجال الشرطة المكلفين بقمها . وهدف المتآمريين ؟ كيف تريدون ان يعرف طالما ان تيقظ الوزارة قد أحبط مشاريعهم ؟ وينضم الحظ للسيد بيناي . فكل شيء يتقدمه ، يا في ذلك الدم السلوك . فرجال الشرطة قد أطلقوا النار ، كما هو معروف ، في الهواء . وقد اصطدمت رصاصة في السماء وسقطت من جديد بين الجموع : هل منصيب قرصياً ؟ كلا : ان اصبح الله متحولاً في اللحظة المناسبة إلى جزائري . وأنتم تعرفون كيف استقل

الموضوع : كان هناك إذن عرب قنبرون في صفوف الانتصاليين ! وماذا كانوا يفعلون هناك ؟ لو استخدموا في كتابت القرنية لقم المدغشقرين ، فلا تقرب : إنهم وطنيون ضد وطنيين . لكن لا بد ان يكون المرء عبداً لفرسا حتى يدخل عرباً في منازعات بين فرنسيين . واختصار ، حين أسدل الستار ، كانت قوات الأمن قد ربحت الجولة . جولة صغيرة للغاية ، انتصار صغير للغاية : جثة واحدة وكاهنان مشحنان بالجراح ، وهذا شيء لا يكفي أبداً للترويج لشروع القرص .

انتهت المظاهرة . وعاد الناس الى بيوتهم ، غاضبين ، متعبين ، خائبي الأمل على نحو مبهم . وفي الأحياء العالية ، كانت الأنياب قد وصلت سلفاً : قتل آخر . ويرين الصمت ، وتحقق المرارة والحزن تحت قناع المزاج المتعكر . وهذه هي اللحظة التي اختارها السيد بيناي ليعمل على اختطاف زعيم شيوعي من قلب أحد الشوارع . ولحين تعرف الحراسة الوردية التي نشرتها الصحف في اليوم التالي : لقد قبض على ديكلو في الحرم المشهود ، ولقد تردد رجال الشرطة في البداية أمام نتائج اعتداله غير المحسوبة ، ثم قرروا أن يقبضوا عليه بدافع القنوة على الوطن وحب الشرعية المتجردة المرء . لقد كان من الممكن تصديق هذه الحراسة لو كانت هناك قوانين تطلب الحماية ، لكن لم يكن هناك وجود لمثل هذه القوانين : إنما كان هناك مواطن عائد الى بيته في سيارة ، وكانت الظروف تحرم شرعياً المساس بسد . ياله من حب قريب للقانون ، حب يعرفه لأقرب إهانة بحجة ان حرمة قد انتهكت . يقال لي هذا : أنت لا تفهم : انها حالة اضطرارية ، وقد أرسلت الشرعية في إجازة لأن الجمهورية في خطر . مؤامرة أنصوريون كم هو يؤمن بالمؤامرة ، السيد بيناي والسيد بيلين والصحافة الليبية : اطر حرا عليهم السؤال ، أسألهم عن طبيعة المؤامرة ، ألحوا حتى تحصلوا على أداة او على بعض معلومات على الأقل : انهم سيجيبونكم بتعالق ان الحزب الشيوعي مؤامرة دافعة وأنه كان من الواجب حله غداة مؤتمر نور . كلا ، ان رائحة المتاردة الثلثة تجرح الأنف : فقد استخدمت الحكومة ، بعكس



ليوني<sup>١١</sup> ، قوتها حتى تستطيع ان تطهرها . ولم أظهرها ؟ وان الحق : لزلزلتها  
القادمين .

إذا نظرتم الى عملية بيناي بدون حكم مسبق ، رأيتها عبثاً : أما أنها  
فعل عطف مبيهي في النهاية الى القضية التي يزعم انه يتقدها، فهذا ما لا يشك فيه  
أحد : فالبورجوازية توجب كل دعائها الى الحريات الشكلية ، وأذا ما قدمت  
هذه الحريات بينها فعمى سترهم أنها تدافع ؟ لكن إذا أمعنا النظر في تفاصيل  
ظروف الاعتقال ، نشوش كل شيء . فلماذا أمام سيناريو كتبه بالتعاون  
مؤلفان ، أحدهما ضيقت والثاني أبده . فإذا كانت الحكومة قد أرادت ان تطهر  
قوتها ، فما منعها من اطلاق سراح عيكتو فور فشل الإضراب ؟ أكان حقاً من  
الضروري ان لسمع أوروبا كلها رنين الصفعات التي أهال بها القضاء على ضرورة  
الوزارة ؟ ولم تكذب بصدده ساعة التوقيف ؟ وبصدده جهاز الراديو ؟ ولم تلك  
السفاجيات حول الحمام الزاجل ؟ ولم الجوع الذي ذلك القفو الموقر عن المطاردة -  
البالغ من العمر مئة وعشرة أعوام ؟ ولا يبدو ان الصحافة الليبيرالية قد تحسنت  
هذه التساؤلات : فقد كانت ما تزال لحسب السيد بيناي آنذاك باريسيان<sup>١٢</sup> .  
لكنكم اذا كنتم لا تلبسون هذا الرأي ، فربما شعرتم بأن قرار الوزراء قد اوسى  
به اليهم ما كياقبلي مسا ، وانهم وجدوا القسم في النهاية أمام نتائج تتجاوز  
طاقاتهم . أما عن ما كياقبلي فأنا ، بالطبع ، لا أضمن وجوده : ففي هذه العملية  
البارعة والطائشة جاء الطيش من الوزراء وجماعت البراعة من مصدر آخر . لكن  
قد لا تكون المسألة سوى مسألة ظروف .

كان السيد بيناي يتابع فكرته ، وكانت فكرته ، القرص ، وبعد بضعة  
أيام من الحادثة ذكرت إحدى الصحف هذه العبارة الصادرة من اعماق القلب :

١ - ماريتال فرانس ، دور الحرية بين ١٩١٦ و ١٩١٧ ، نشر في الأكلوية الفرنسية  
( ١٩٢١ - ١٩٢٤ ) ، ص ٢٠٥ .  
٢ - يعقل لمرراً مشهورة لفاخر ، مثال السبعي المستند للتضحية بكل شيء ، ص ٢٠٤ .

« لقد انتهت المظاهرة بالفشل والملائم تبشر بنجاح القرض : ففي أي جانب يقف الفرنسيون الصالحون ؟ » . انه كلام واضح : ان الفرنسيين الصالحين يكتفون في القروض ولا يسكنون في الشوارع : والسيد بيناني لا يتنظر مكافأة من الشارع ، بل من الدكان والمصارف والجمعية الوطنية . وما كان يعد له العدة باصرار كبير لم يكن حل الحزب الشيوعي بسبل خبطة صفوفه ، لجمع الشعب الفرنسي . . . وانما كان حاول ضرب المعارضة اليسارية ، فذلك ليكمّ قبح المعارضة البيبيلية ، وانما كان أبقى أسيرة السبب لإخراج في السجن ، فهذا بكل بساطة ليضغط على زملائه : ولقد رأينا ذلك حين قرع الكفة على الجمعية الوطنية التي ظم لهاها الشعب : ان مكاني لكم . لكن الذي سيأخذكم ، سيتوجب عليه ان يأخذ معه اميري . . . وفي ذلك اليوم ، انقل السيد ديكنو الوزارة .

« باختصار ، لقد توقعوا في فرع الخطر الأحمر : وهذه خدعة لا يعود تاريخها الى الأمر بل هي ما تزال محافظة على قيمتها الى اليوم . كل ما هنالك ان السيد بيناني لم يعطها شكلها الكلاسيكي ، بل لقد كانت مرطقة من جانب ان يلجأ اليها في هذه الظروف على حسب قول الخبراء : فهم يرون ان نجاح هذه الخدعة يقتضي عبادة ألا يكون هناك خطر أحمر . خلدوا الاميركان : لا شك في أن حسيب النظري بالدعاية كان كبيراً جداً ومعرفتهم بأهواء القلب البشري عميقة للغاية حتى امكنهم ان يرفعوا الى مستوى الكمال تلك الطريقة الخسنة بعض الشيء التي جازتهم من أوروبا . وهل تعتقدون انه كان في وسعهم ان يتغلخوا منها أداة دعائية مدعشة ، أداة عبادة الشيوعية ، لو كان هناك شيوعيون في الولايات المتحدة الاميركية ؟ فلو كنتم تلتقون بناضلين من الحزب الشيوعي يوماً او حتى شهرياً ، فكيف ينكتكم انتم متوا بأنهم يأكلون الاطفال ؟ لكن انما لم يسبق لكم قط ان رأيتم مناضلين شيوعيين ، فكيف تستطيعون ان تبهنوا هل انهم لا يأكلون الاطفال ؟ ثم لا نلصق ما يبلع ذلك من اقتصاد في الجهاز : انما لم يكن احد « ستالينياً » ، يكون كل الناس مثلها في انه كذلك . وبزودي

Average man<sup>(1)</sup> كلا الدورين ، انه واشرف مع الجميع ، ومرش به عندما يكون بفرده . والضحايا بالطبع لن يبرهنوا ابدأ على برامجهم طالما ان الاتهام لا يعرف ما يأخذ عليهم . والسيد بيناي ، بتطبيقه المبدأ دولاً تيز ، مهدد بأن يدين على حساب الخاسر بأن هناك شيوعيين في فرنسا .

لكن لا : لقد جرى كل شيء كما لو انه لم يكن هناك شيوعيون . فهل ينبغي ان نؤمن فعلاً بأن ثمة ما كفافيل ما يسدي النصح إلى الحكومة ؟ ان هذا التسير مقبول لكنه ليس ضرورياً . فتلك العملية القصيرة المدى التي قد جاءت في حينها في معركة ناشبة منذ التحرير ، عرفت فيها البورجوازية كيف تأخذ المساعدة وتحافظ عليها . ان الماكيايلية كانت في الأشياء : فيها فعل السيد بيناي ، فإن عهد الذي تدعوه وتخدمه وترعاه وتقومه مناووات اخرى أغشى عن الانظار واهتمق ، لا بد ان يمكن ذلك مستعاراً . ان الحرب عندما تبلغ لحظة معينة ، وعندما يكون احد الخصمين متفوقاً على الآخر ، فإن كل شيء يتخدمه ، وحتى عامل الصدفة يتدخل لصالحه . لقد اوقف السيد بيناي طيش ديكلو في الوقت الذي اصبح لوقفه فيه مناسباً وبارعاً . إن لأحداث 28 أيار معنى موضوعياً قد لا يكون تبدي لأي طرف من الأطراف التي ساهمت في صنعها ، لكنه يعطي العمود بعدما انقضت تلك الأحداث : انه يصبح رمزاً الستراتيجية بأسحاوول تحديدها في الفصل التالي .

ان لوقيف ديكلو ، اذا ما نظرتا اليه من هذه الزاوية ، غير شرعي على وجه التعديده لأنه كان يتحتم ان يكون كذلك . فلو كان شرعياً ، لاحتفظ الحزب بخراج : كان في وسعه ان يخرج عن طريق صحافته ، وبقامته المهرجانات الخطابية ، ضد التية مملاً في الوقت نفسه وضوحه امام شرعية الفعل الشكلية . لكن الوزير ، باختطافه ديكلو ، قد سد جميع المنافذ : انه برجه تحديداً علياً إلى الشيوعيين ، وهاجمهم على فشل المظاهرة ، وحين يضطرون إلى التفتير برهمهم على قبولهم بامتحن قوة في المكان والزمان اللذين اختارهما ، على مرأى ومشهد

١ - الرجل المتوسط او العادي . « د م »

من العالم اجمع . الاحتجاج ؟ مواجهة الحكومة بالدستور ؟ هذا شيء يمكن ان يُفعل وقد افعل : فقد قدم ويكفو شكوى ضد لاشريعة اعتصاله . وبالطبع انضمت صفتنا موقف الشرطة : « اذا كانت قوانيننا موضوعة ضدك » فلم تحتجوا عندما تنتهك ؟ وانتم الذين تحرقونها برميها ، بأي حق لصرخون عندما يكون تحريفها صاعراً هنا ؟ انكم مع الجمهورية او ضدها حسب مصلحتكم الآنية وانتم لا تظنون خضوعكم لسلطانها إلا لتقيدوا بقوانين انتم انفسكم لا تراعونها . إن هذه الحجية لاذنية ، وسوف نتاح لنا الفرصة لنعود فننتكم عن علاقات الحزب الشيوعي بالديموقراطية . لكن حق عندما لا يكون له من هدف سوى تشهير هذه الديموقراطية ، يبقى هناك أن البورجوازية هي نفسها التي طرحت شيوعية القانون ضد خصوصيات النظام القديم : فلماذا سيحرم الشيوعيون انفسهم من اتهام الخصم باسم مبادئه بالذات ؟ ستقولون : إذن قالت تدافع عن مورافين ؟<sup>١١٩</sup> على الاطلاق : فلو كان مورافين بورجوازياً يستمد جميع مصادره من المجتمع البورجوازي ، وكان له من الثقافة وطلاقة اللسان ما يعطي الحزبات الشكية مضموناً حقيقياً ، وكان يفهم طبقة لصالح أقلية صغيرة من البورجوازيين . أما الشيوعيون فيتكلمون باسم البروليتاريا التي تسهم في حياة البلد الاقتصادية من غير ان يكون لها نصيبها في الحياة الاجتماعية : فلماذا ما حدث للعامل واستفاد بعض القائدة من القوانين البورجوازية ، إلا أنها ليست قوانينه : ذلك أنها يحاسب الذين يستغلونه . بيد ان الحزب ما كان يستطيع ان يقتصر على عمل شرعي : ذلك ان الحكومة بانتهاكها القانون نعتت تبحث عن الجماهير في ميدانها الخاص الذي هو ميدان اللاشريعة . ولقد تحدثت هذه الجماهير إذ وجهت إهانة علنية الى حزبا : « أروون ماذا افعل بزعيمكم : وإذا كان هذا لا يعجبكم » فلن يتبدل في الأمر شيء . ينبغي إذن أن رد الجماهير على هذا التحدي في هذا الميدان بالذات ، ففي حالة هنري مارلان يمكن الحزب أن يجد دافع الملاحظة

١١٩ - شارل مورافين : كاتب فرنسي معاصر ( ١٨٦٨ - ١٩٥٥ ) . تعاون مع المحتل النازي وحكم بالسجن المؤبد . . . . . ٥٩٠٥ .

لأنها والحكم الصادر جازماً ، لكنه لا يستطيع ان ينقض حق توقيف ومعاقبة جندي أو بحار ضبط وهو يوزع منشورات : انه يقتصر إذت على المطالبة ، عن طريق صحافته او المهرجانات الخطابية أو العرائض ، بإعادة النظر في المحاكمة . وعلى العكس ، إذا ما اعتلت حكومة ذات ميول فاشية تمثل حزب بورجوازي ، فإن هذا الحزب يستطيع اللجوء الى القضاء : ذلك أنه سيرغب في ان يثبت ان القوانين الديوقراطية كافية لمجانبتنا من الدكتاتورية . لكن إذا ما مورس العنف على حزب عتف ، فإن الجواب الوحيد هو العنف .

ان الحكومة والهيئات التمثيلية في مجتمعاتنا تستمد سلطتها من المؤسسات على الأقل بقدر ما تستمدها من ارادة الشعب ، لأن المؤسسات أولا هي التي تحدد الناخب ، وثانياً وعلى الأخص لأن السلطة يمكن ان تظل شرعية بعد ان تكف عن ان تكون معبرة عن ارادة الغالبية بشرط ان تكون فقط مضبوطة من القانون . فبعد انتخابات ١٩٤٧ البلدية ، أمكن لحكومة تيرأت منها البلاد نصف تسير ، ان تحتل بالسلطة ، وان لتتظر انحسار الحركة الديوقراطية وتقتل قارئاً انتخابياً ضمن عودة الغالبية ذاتها الى البرلمان القادم .

ان الحزب الشيوعي يتتبع بريبة تشبه هيبة حكومة . لكنه لما كان يسلأ مؤسسات ، فإن سيادته تأتيه من الجماهير نفسها . تقولون لي انه عميل لوسكوف؟ انه لا وجود للديوقراطية والشمول الحركة ؟ هذا محتمل جداً : بيد ان هذا لا يمنع انه سيخسر كل شيء اذا اعتنعت الجماهير بغتة عن السير وراءه . فهو يشبه ، منها تكن قوته ، أنطيوخس<sup>(١)</sup> الذي كارت لا تعود اليه قواه إلا عندما يمس الأرض . ان الملايين الحسة او السنة من الأصوات التي تنصب على الحزب كل أربع سنوات تكسر اهميته الانتخابية من غير ان تضفي صفة شرعية على عمله الثوري : فالناخبون لا يستهجنون لا الطاهرات ولا الاضرابات السياسية ، لكن ورفتهم الانتخابية لا تسح بمعرفة ما إذا كانوا يساهمون فيها .<sup>(٢)</sup> وانفسا في الشارع يقبس

١ - ملار حوايي ، ابن ليهون والأرض . خلفه مورسل بين فواعيه . لكنه لم يتمكن من ذلك الا بعد ان رفعه عن الأرض بعد أن لاحظ ان قواه تعود اليه كلها منها . ٥٥ ، ٥٦

الحزب الشيوعي مقدار سلطانه ، واتساع التظاهرات الشعبية هو الذي يعطي  
 صفة شرعية على هيئته . وهذه التظاهرات هي ، في وجه نظام الانتخاب  
 المجرم والبالغ الحكمة ، بمثابة تفويض بالسلطات ، عام ، مبهم ، خطر ، قابل  
 للتفويض ، لكنه يرجعنا إلى منابع السيادة بالذات . لكن شأن هذه الاستفتاءات  
 الشعبية شأن الخلق الالهي لدى ديكرارت : انها قيّمة في ساعتها ، لكن لا بد من  
 تجديددها باستمرار . فحق لو اضريت فرنسا بأسرها بالأمس ، فلا شيء يسمح  
 بالتأكيد بأنها ستعاود ذلك في الغد. إذ انه لا وجود لقاعدة لتوسع نطاق نتيجة  
 هذه الاستفتاءات الشعبية وقد في أجلها الى مسا وراء اليوم التي جرت فيه :  
 وهذا مفهوم طالما ان سيل التظاهرين يعبر ، بعنفه بالذات ، عن نوع من ارادة  
 تأسيسية تبطل مفعول القوانين الرعية الاجراء . والبورجوازي لم يتخذ قط  
 بالأمر : ان دوائيه تستطيع ان تعدل الوزارات لكن الجماهير هي التي تعطي  
 السلطة الحقيقية . وما يختصه وينته في « العامة » انسا هو السيادة الوحشية .  
 لكن طالما ان علاقة الجموع بزعمائها مثبته باستمرار ، فهو لا يتقدم في الغد  
 الشيوعيين على كلامهم وإرغامهم على طرح النسيب للاستفتاء الشعبي حين تكون  
 الظروف في غير صالحهم . وإذا جاءت النتيجة معاكسة لهم ، نشرت . وعيناً  
 مبيحون ان المسألة لا تعدو ان تكون أكثر من الخسوف مؤقت عارض :  
 فالحزب الانتخابي يستطيع ان يبقى على قيد الحياة رغم هزائه لكن الحزب  
 الثوري لا يتبين عن الدفاعة قواه الثورية . ويرد الوزير على الشيوعيين حينهم :  
 انهم يحاكون البورجوازية باسم مبادئها بالذات ، باسم مبادئهم ثم سيرتهم  
 على كشف اورقهم . ان السيد بيناي متأفف من سيادة الشعب الوحشية ، لكن  
 بينه وبين نفسه : فهو يعلم حق العلم ان غالبية البلد ليست وراءه ، لكن الغالبية  
 لا يحق لها سوى ان تقيم الصمت طالما انها غير معدة بقانون انتخابي . بيد انه  
 يعلم حق العلم ايضاً بالمقابل ان الحزب الثوري لا يحق له ان يتراجع ويضاطره  
 الرأس : فهو يختطف السيد ميكلو وينتظر ، فالتحدي لا بد ان يلقى جواباً .  
 والواقع أن المكتب السياسي قد رأى الفخ (ولو لم يره لكافيت معارومات ومحاطات

الاتحاد العام للشغل كتيبة بإدارة الطريق امامه ) لكنه سيدير اليه بحني الرأس :  
فان تفرك للفاضل فذكرى هزيمة خير من ان تفرك له ذكرى هرب و تحاذل .  
وهكذا أعطي أمر الاضراب ، والحكومة على أتم استعداد لمواجهة : اذا ما  
تحركت الجماهير سحقها ، لكن يخيل إليها ان تتحرك . وفي ١ حزيران  
كان في ٢٨ أيار كان التطابق بين توقعات المكتب السياسي وتوقعات الوزارة تماماً .  
وخلاصة القول انه لم يكن هناك شيء منتظر ، ولم يحدث شيء ، وعلى هذا  
الاشيء بنى السيد بيطاي مجده . ان يوم ١ حزيران تاريخي من حيث انه يشبه  
سائر الايام . ولقد قرأنا في صحف اليوم التالي ان الشوارع حافظت على منظرها  
المعتاد ، وان المرقر كان يسير كالعتاد . لقد كان ذلك اليوم واحداً من تلك الايام  
المكرمة للعمل التي تحولها نعمة فريدة من نوعها الى اعياد صاخبة في نظر استبداء  
النظام .

كنت في بلاد الغربة ، وكانت علاقتي بالشوعيين طيبة لكن غير مستطابة  
التيبة : كانوا قد كفروا عن اهامي بأنني أجعل من الانسان حيواناً لكنهم كفروا ما  
يزالون يتهنونني بأنني عملت جاسوساً على المقاومة لحساب البوراجوارزية الفاشية .  
وأخيراً فإن مطاردة ٢٨ أيار لم تبد لي انها جاءت في وقتها ، وكنت أخشى من  
وقوع مشاجرات جديدة وقتل بلا جدوى . وكانت هذه وغيرها اسباباً كافية  
لتجملتي أنتفى نيا فشل الاضراب بلا مبالاة إن لم اقل باوتياح . والحال ان التبا  
كان له علي وقع معاكس : فاحتجاج الصحف المحترمة لم يتمكن من تغطية حمت  
فرنسا الغربية ، ولقد أحسبت بأنني تلبيت لبا هزيمة صغيرة للانسان . لم أكن  
أعرف آنذاك ان هناك عدداً كبيراً من الناس ينظرون الى الاشياء مثلي . ولقد  
كتبت الصحافة البورجوارزية فيما بعد اننا كنا خائفين . لم لا ، بعد كل شيء ؟  
ان الحرف هو احدى الكلمات النادرة التي تستطيع صحفنا ان نقهها . لخصن  
هم الحسوف ؟ من النظام البوليسي الذي تسبح في الأفق نذره ؟ من الهيمنة  
الأميركية ؟ من مطاردة الساحرات <sup>١١</sup> ؟ من الحرب المهددة بالاندلاع ؟ هذه

مواضيع باعثة على القلق اراما معقولة جدا . لكن يبدو أنني لم افهم : نحن ضائكون لأن الطبقة العاملة قد تيرات من الحزب الشيوعي . اذا لم يكن الأمر غير هذا فكيف تم عناء ولها . ذلك اننا مطمئنون كلي الاطمئنان : فالحزب لن يفتني وشيكاً وليس صحيحاً ان الطبقة العسامة قد اعلنت برامتها منه : ففي ٤ حزيران لم يُعلن عن شيء ولم تكن هناك طبقة عاملة . هذا هو على وجه التحديد ما اخافنا اذا كنتم تريدون ان تعرفوا ذلك . وانا اكتب هذا المقال لأحاول ان افهم ماذا قصت فرنسا .



يبدو انها غير صائفة ، وأنها تصيح بأزدهارها في وجه السيد بيناي . وخلاصة القول ان الحزب الشيوعي « على ما يقال » سينتفض فشل الأضراب « المرحوم » ، فنكون قد خفنا بلا داع . وللد كان يتوجب علي ان أفرح ، لكنني لم افعل شيئاً سوى انني استبدلت مما بهم : انه سمعي الذي يسبب في التم الأت . انني ألح السيد كايوا بيستم ، ويقول في نفسه : هذا هو مال من ينلني بالدفاع عن الشيوعيين من خارج مبادئهم . هل يعتقد سارتر انه ينال إعجابهم إذ يتن بصوت عالٍ يصده هزيمة لا يقرون بها ؟ - كلا ، لا اعتقد ذلك . ومن ذا الذي سيبلغ به الجنون جداً يريد معه ان ينال إعجاب التاضلين ، سواء أكلوا شيوعيين أم غير شيوعيين ؟ وما الداعي الي ان يسعى الي ذلك ؟ وأي فائدة سأجني اذا جعلت نفسي هذه الشقة ؟ مصافحة مختلطة مع رجل مطارد ؟ ابتسامة شاحبة على شفهي مناقش لمسائل ؟ ان قلبي لا يتحقق لأشياء كهذه . كلا : إن الحزب الجماهيري إما ان يتأقحه القراء ، وإما ان ينتسب اليه ، وإما ان يتفاهم من الخارج مع مثليه حول أهداف مشتركة . ولا بأس إن كان العمل هو الذي يحمده المواطنين ، فقد كان المذهب الفردي البورجوازي يرجعها الي تقلبات المزاج ، ولا علينا إذا نحن أحببنا الإنسان بكامله أو مقتناه من خلال أعماله . إن هدف هذا المقال « هذا صحيح ، ان اعلن اتفاق مع الشيوعيين محسول مواضيع محددة



وهددرة ، انطلاقاً من مبادئنا لا من مبادئهم . وسوف أبحث السبب . ولقد حدث مرة منذ مؤتمر نور ان اعلن افراد أو جماعات ، يسارية ، اتفاقهم العملي مع الحزب الشيوعي منوهين في الوقت نفسه باختلافاتهم المبدئية . وعندما كانت مساعدتهم تبدو للحزب مرجوة ، كان يقبل بهذا التحالف بالرغم من الاختلافات . ويخيل إلي اليوم ان الموقف قد تبدل ، بالنسبة اليه كما بالنسبة اليها ، بحيث بات واجباً عليه ان يتبنى مثل هذه التحالفات بسبب الاختلافات جزئياً .

لما الواقعة نفسها ، فهل يمكننا ان نقول ان الحزب الشيوعي يتنقضا ؟ نعم ولا . انه يقر بأن الاضراب لم ينجح لكن همه الأول على ما يبدو هو ان يبريه الطبقة العاملة من المسؤولية ، وهو لا يترده ، في سبيل ذلك ، في ان يأخذ الخطأ كله على عاتقه . تهور ، نقل سيء للأوامر ، فقدان التنسيق ، الشطط في المهجة . ان ما يقوم عليه نفسه معروف لدينا . والحق ان في هذا نوعاً من التهور . ان الحزم يفسر أحداث ، حزيران بالجوهر : انها طبيعة الحزب الشيوعي الحبيبة التي كان لا بد ان تلعب في النهاية اخترازا الطبقة العاملة . والحزب الشيوعي يعترف بالوقائع لكنه يفسرها بالعرض . لقد احتفظت الطبقة العاملة بطاقتها التضالنية ، وكل ما هنالك ان بعض الافراد اخطأوا ولم يعرفوا كيف يدعونها في الوقت المناسب . واليك مما قاله السيد ديكلو في الجلسة الأخيرة للجنة المركزية : « لقد كانت الطبقة العاملة العنصر الحاسم في النصر . ولقد كانت في غالبيتها الساحقة مع حزبنا ضد المتأمرين . لكن هذا لا يعني ان هذا الموقف قد ترجم دوماً وفي كل مكان في اضرابات أو تظاهرات أو عرائض . وخطأ الحكومة ومخلائها هو بالضبط اعتقادهم بأنه حينئذ لا يكون هناك اضراب أو تظاهر تكون الطبقة العاملة لامبالية . لقد فهم العمال ان الوأمره المناهضة للشيوعيين هي تهديد لهجوم عنيف على شروط وجودهم ، على حقوقهم المكتسبة ، على الحريات الديمقراطية وعلى السلم . ولا مجال للشك في ان عمل الطبقة العاملة كان مدعواً الى تحقيق تطورات جديدة للغاية لو لم توجه الحركة الشعبية ، مسع

التحرير الذي تم في أول تموز ، ضرورة أول صارمة ان اقتامرن<sup>١</sup> ،  
 إنني متفق مع الحزب الشيوعي حول نقطة واحدة ، ألا هي استحالة اعتبار  
 صحت الجماهير قبولاً بالقمع . سيقتال لي ، لا يمكن . لكنك لا تستطيع  
 للأسباب نفسها ، ان تعتبره استهجاناً ، . أنا لست متأكداً من ذلك ان هذا  
 الحد ، يقينا ، انه لن يصعب فك لفر إشارة سالية . لكن من الصعب أيضا أن  
 نعتقد بأن عتفاً موجهاً ضد زعم حزب عمالي ، على إثر مظاهرة - وإن تكن  
 غير شعبية - يمكن ان يقابل من الجماهير بلا مبالاة . ان العمال يعيشون تحت  
 التهديد الدائم للأفات الثلاث التي تسمى ارتفاع الأسعار والبطالة والقمع . ومها  
 يمكن المستقبل البعيد الذي يحلمون به أو يمتدّون العدة له ، فإن مستقبلهم  
 القصير الأمد قائم دوماً ؛ إنهم يعرفون عداء الطبقات الحاكمة ، ويعلمون ان هذه  
 الطبقات مندفعة في « تكريبات » نتائجها شوم في غالب الأحيان عن البروليتاريا ،  
 لكنهم يحلمون تفاصيل المناورات فتصيبهم نتائجها في غالب الأحيان من غير ان  
 يكونوا قد أحسوا بأسبابها . وفي هذه العتمة غير الأمانة الجانب التي يسر فيها  
 كل ما يعاقونه من خلفاء نفسه الى الأسوأ ، تكون التغييرات المفاجئة مشقومة  
 الطابع . هل تذكرون سنوات الانعطاف تلك التي كنا نتكهن فيها بأن ألمانيا  
 تستعد للحرب ، من غير ان نستطيع ان نفيس مدى جهودات تسليحها ، هل  
 تذكرون قلنا الدائم والذائق الكثيب لتلك الأيام ؛ كان هتلر يتحرك من حين  
 الى آخر ويلقي خطاباً فنشعر بأن الحرب قد اقتربت أكثر قليلاً أيضاً عن ذي  
 قبل . يقينا ، ليست المقارنة دليلاً وحجة ؛ لكنني حين أريد ، أنا البورجوازي  
 العملي نسبياً من الأزمان ، أن أفهم مناسخ الضواحي العالية ، ذلك الجو الثقيل  
 وذلك المستقبل السود ، فإننا أيضاً ان تلك الحقبة من تاريخنا ان البورجوازيين ،  
 باعتقادهم سيكون ، فقد بلغوا البروليتاريا أبناءهم ، ولقد كانت هذه الأنباء  
 منكدة ، ومسالماً نفس حقد العمال للتأصل على الشرطة ، ومصاعب حياتهم  
 اليومية ، وعدم استقرار ميزانياتهم وجراحاتهم القديمة الباقية أبداً ندوباً ،

١ - دلفند الجند - العدد ٢٩ - ايلول ، تشرين الأول ١٩٥٢ - ص ٣٥ .

فكيف يمكننا ان نتقي أنهم لم يروا في الإجراء القضائي الذي اتخذ ضد الحزب الشيوعي تدبير اضطهادات جديدة ؟

والآن هل ينبغي ان نشبه ذلك الفلق الأصم بحركة ؟ وذلك المزيج من التشاؤم والحسد ، هل يمكن ان يعتبر حلاً ؟ لا أظن ذلك . ان السيد ويكسبر يرى ان الحكومة أشطأت إذ أسامت بتدبير مقاومة الجماهير . وأنا أابعه على افتراضه هذا . لكن إذا لم يكن السيد بيناي قد عرف كيف يرى غضبها ، فعل من إذن أمكن هذه المقاومة الباطلة والحرساء ان تؤثر ؟ وكيف السبيل الى اعتبار إطلاقات السراح التي تمت في الأول من نوز استصاراً شامياً ؟ لو كنت شجاعاً لحفظت الجبل لونتسكيو أكثر منه للبروليتاريا ؛ ذلك ان إجراء الوزير القومي قد عرفه لبضعة أشهر مبدأ فصل السلطات البروجوازي . ان قضاء موسوس الضمير وفخراً بزيابه قد رفض بكل بساطة التخلي للسلطة التلقائية عن الاستقلال الذي هو مبرر وجوده وعن الحصص التي ترجع إليه من السيادة . يقال ان الحركة الشعبية قد فشلت من إحياء ضمير القضاة ؟ لكن من أين جاء هذا الافتراض ؟ وطالما أنها لم تعبر عن نفسها ، لا في اضطرابات ولا في تطامرات ولا في هرائض ، فكيف أمكن لأولئك القضاة البروجوازيين ان يتعرفوها ؟ الواقع ان فرنسا زمت السكون والسكوت ، وإفا في جو يخيم عليه صمت كبير اتخذ القضاء قراره . وذهب الحكومة في رأي ليس في كونها أسامت بتدبير الاستنكار الشعبي ، بل في كونها لم تتوقع قراراً متوقعاً كهذا : فالقضاة لم يفضح لأوامر أحد منذ الجمهورية الثالثة<sup>(١)</sup> . فما الداعي لأن يقبل بسادة له ، ولا سيما إذا كان هؤلاء السادة يدعون ديلو وبيناي ؟

اذن فن غير الصحيح ان الجماهير قد ضغطت على الوزراء ، كما انه من غير الصحيح انها وقفت اللامبالاة . والواقع انها استنكرت لكنها لم تسجل استنكارها . وهذا ما يبدو باعناً على الشبهة : فإذا لم يسع استيائها الواقعي جداً الى التعبير عن نفسه ؟

١ - كتب هذا المقال عام ١٩٢٠ .

« لأن كراميتها كانت جارية » ولأنها كانت تمدن السياسة الشيوعية ولأن  
الفرصة أتتحت فما لتظهر ذلك » . عن طريق هذا القلب الجارح حوكت الصحافة  
البروجوارزية غياب رد الفعل إلى رغبة في عدم الرد . لتقبل بذلك : لكن عم  
لتكلم هذه الصحافة ؟ أعني ٢٨ أيار أم عن ؟ حزيران ؟ يقال لي إنه لا فرق  
بينها ، وإن النشل الثاني ليس إلا تركيهاً وتناقضاً للأول . وأنا لست مقتنعاً  
بذلك البتة : فالبرهان في نظري يختلفان اختلافاً عميقاً .

وبكلمة واحدة أقول إن تطامرة ٢٨ أيار لا يحسن أمرها : إنها لا تخرج  
سواء أفضحت أم فشلت ، عن الروتين و « المسائل الجارية » . كما أن لها على  
الأخص طابعاً سهلياً . لقد درس القادة الشيوعيون الموقف القوي ، وقنعوا  
القوى الموجودة ، وارتأوا بأن عملية محدودة النطاق يمكن أن تنجح ، ولو في  
أبسط الحدود ، في تعديل ميزان هذه القوى . وما فعلوه هم ، يشطبح غيرهم  
أن يريد فعله حسابها الخاص : إن كل إنسان يشطبح أن يفتح سياسياً عملاً سياسياً  
مسا . وإفان لم يكن في وسعي أن أعتقد - سأشرح السبب فيما بعد - بأن الطبقة  
العاملية قد تطامرت ضد المظاهرة ، إلا أنني أقبل عن طواعية - لم لا ؟ - بأن  
عددنا لا بأس به من العمال قد استكشف عن المشاركة فيها يتوخ من احتداد هو  
بشابة استهجان : « ما الفائدة منها ؟ أننا لن نحصل على شيء بهذه الطريقة ،  
الج . بل من الممكن أن يكون قد وجد بعض أفراد أراهموا أن يظهروا بغياهم  
أنهم يدينون سياسة الخطورة والنفوة تلك . أصابا بالنسبة إلى الغالبية ، فإن  
الموضوع أبسط بكثير : والمتناضون يعلمون حتى العلم إن المظاهرات ضد الحرب  
تكون سبباً للردود في غالب الأحيان . إن فشل اليوم الأحمر ، في حزيران  
١٩٢٩ ، يشبه من عدة نواحي - سطحيًا على الأقل - يوم ٢٨ أيار : التدهام نفسه  
للجماهير ، أظهرها أنك مصممون على منع الحملة المعادية للشيوعيين ، « والقياب  
نفسه ، المتحفظ جداً ، من قبل الطبقة العاملة ، مع فرق واحد : توريو هو الذي  
استغل آنذاك . إن الحزب يعرف المشكلة قام المعرفة : أنه يعلم حتى العلم أنه لا  
يعد في كل حالة من الحالات من دعم الموقف السياسية بطلبات اقتصادية ، وهو

بمعنى ان يكون قادراً على تحليل الوضع المحلي واستخلاص اسبابه العامة وإظهار  
 روابط الصلحة المباشرة مع الصالح الطبقة . لكننا نسوى ان هذا ليس سهلاً  
 دوماً : إذ يحدث ان تكون إحدى حلقات السلسلة مفقودة أو أن يقترف القادة  
 الخطأ : وفي مثل هذه الحال يقف العمل السياسي وحيداً بلا حماية ، ولا ينجح  
 دوماً في جر الجماهير . وهذا بالطبع لا يرجع إلى ان العمال يعتبرون العمل  
 السياسي خارجاً عن دائرتهم أو إلى انهم يجرمون على انفسهم استخدام اسلحتهم  
 المعادية في فضح الاستعمار أو الامبريالية : انما يرجع بكل بساطة إلى ان الهدف  
 يصور لهم تحت شكل مجرد وبعيد اكثر مما ينبغي . انهم يناضلون من كل القادتهم  
 اذا ما بين لهم ، على سبيل المثال ، انهم يدافعون عن أجورهم يجرعون مرقة  
 سياسة إعادة التسليح ، وبالتالي وبصورة غير مباشرة ، الحلف الأطلسي . أنهم  
 يدافعون عن مصالحهم الخاصة ؟ كلا : بل لأن سيطرتهم على الأحداث تظل  
 مباشرة ، لأنهم يرون التناجح التفصيلية للعمل ، لأن كل ، تربيتهم السياسية ،  
 تسقت ان فكرة ان الأحداث العالمية لتبدى ، على مستوى الأمم والمدن ، تحت  
 مظهر تبدلات محلية وعينية يستطوع عمل محلي وعيني ان يعدل مجراها .

بيد أن اضراب ، حزيران ، على كل الاحوال ، لم يكن سياسياً . ام ينبغي ان  
 نسمي تلك القضية التي حركت العمال الإيطاليين حين علموا بأن جمهوراً اطلق  
 النار على تولياني ، بأنها سياسية ؟ لقد استبقوا أوامر الاضراب ، وزحفوا على  
 المصانع ، واستنقصوا ، وحسبوا ارباب العمل في مكائهم : كان الجميع متلفين ،  
 الشيوعيين واللاشيوعيين والعهدة الشيوعيين ، وكان مداً هائجاً عاصفاً . وطوال  
 يومين خيل للحكومة انها فقدت السيطرة على الموقف . وما كانت أهداف هذه  
 المظاهرة - سياسية كانت ام لم تكن ؟ الاحتجاج ؟ ضد من ؟ ضد من ؟ ذلك  
 انه ما كان أحد يعتقد - آنذاك - ان الحكومة أو احزاب اليمين غيبة إلى حد  
 تقدم معه على اقتيال زعيم شيوعي في وقت كان فيه الحزب الشيوعي يسيطر على  
 ثلث وثلث من البلاد . أما ، ضغط ، الجماهير ، فإن من كان يمكن ان يوجه اليهم  
 إلا إلى الإله الأب ؟ بيد ان الحدث كان له صدى كبير : فقد أكدت الطبقة ذاتها

عليا ، وبالتفاح مهروس ، لجساء الأمة ، لجساء أوروبا . فقبل محاولة الانتفاضة كانت الطوائف تدل على أنه ليس هناك سوى لجمعات صغيرة تتجاذب أو تتناذب ، تتحاذى أو تتداخل ، من أسر وروابط ومؤسسات وأبرشيات الخ . وبعدما على النور تطايرت الحواجز وظهرت البروليتاريا . وهذه الانتفاضة العنيفة ، لا شيء آخر ، هي ما كان ينتظره الشيوعيون من العامل الفرنسي . لم يكن المطلوب كما في السابق بلوغ أهداف بعيدة إن قليلا وإن كثيرا وبطرق ملتوية إن قليلا وإن كثيرا : إنما كان المطلوب مرجعيا إلى الطبقة العاملة في واقعها اليومي المباشر وعلى حلوقها الأساسية ، وعلى مرأى منها ثم اعتدال القامة الذين اختارهم لنفسها ، فطلب منها التكتب السياسي - بلا أمل ، قلت ذلك - وقد فعل مباشرة وحاسبا . لم يطلب منها أحد أن تحطم زجاج مبنى رئاسة الوزراء ولا أن تضرم النار في قصر الاليزه : إنما كان جل الشيء أن تظهر نفسها لا أكثر . ولم تظهر نفسها .

يجيب عضو الشيوعية : « هذا يثبت أنها تريد أن تهز نير الحزب الشيوعي . تقولون إن هذه المظاهرات وسامات مجيبة وأنه في الشارع تجدده البروليتاريا لفتها في زعمائها . النتيجة واضحة إذن : حين تكون الشوارع مظلمة ، فهذا معناه أن البيعة قد سقطت عن الزعماء ، »

لا داعي لي مثل هذه السرعة في الاستنتاج . فمثل عام ١٩٥١ بدت عن الجماهير علامات الأنيك واضحة ، ومع ذلك صوت ٥ ملايين ناخب للشيوعيين . وقد جرت بعد ٤ حزب ان انتخابات فرعية لم تدل على تراجع يذكر عن نسبة العام الماضي . وغداة الأضراب الحبط حطت القوة العمالية ، في مصانع رينو نجاحا طلت له وزمرت الصحف المحترمة . وهذا الكسب الذي لا مجال للتفاش فيه يشهد على الأقل على تفكير المزاج العمالي ، لكن مما لم يشر إليه البعض إلا نادرا ، وما يبدو لي أبلغ دلالة ، هو ان الاتحاد العام للشغل كان ما يزال يحتفظ بـ ٦٠ ٪ من الأصوات بمسند خمسة عشر يوما أو أقل من فشله . إذن فهناك في مصانع رينو غالبية من العمال مما يزال تعضه لفتها مع احتفاظها لنفسها بحق

عصيان أوامرهم . كما ان في البلاد أربعة أو خمسة ملايين ناخب يصوتون لتواب  
 الشيوعيين من غير ان يحرروا الصبغ للدفاع عنهم حين تنتهك حرمة اخصائهم  
 النيابية . صحيح ان الحزب الشيوعي في سبيله الى خسران ذلك النوع من السيادة  
 الذي يولد من العمل ، وهذه للاحظاظ تبدو وكأنها تشير ، لوهمة الأولى ، الى  
 أزمة تعاني منها سلطته الثورية . لكنه أيضاً حزب كلاسيكي وبرلماني . وطلنا  
 أنه يسيطر عملياً على الاتحاد العام للشغل فهو منظمة نقابية : انه يحافظ ، تحت  
 هذين المظهرين ، على سلطته وتقوته ، و ٦٠ الى ٧٠٪ من العمال يقبلون بأثر  
 يدافع عن مصالحهم المادية ، و ٢٥ الى ٣٠٪ من الناخبين يقبلون بأن ينظم في  
 الجمعية الوطنية . وبعد هذا تأتون لتقولوا لي ان الطبقة العاملة تتبرأ من ديكلو :  
 يودي ذلك . لكن يبدو لي وانها أنها لا تستطيع ان تتبرأ منه من غير ان  
 تتبرأ من نفسها . على رسلكم ، اني أقبل بكل ما تريدون : ان العمال قد شعروا  
 الوصاية الشيوعية وبيع وقرابية الحزب وخضوعه لوسكو . وهم يأخذون عليه  
 ألف مأخذ ويعلمون استنكارهم يرمياً للاتحاد العام للشغل . ثم ماذا ؟ ليس  
 المطلوب منهم ان يقدموا برهاناً تاماً على جبههم المكتوب السياسي ، بل ان يردوا  
 على تحدي وعلى إهانة وعلى تهديد . إن الحكومة ، بالأمس ، باعتقالها ديكلو ،  
 قد أتت بحجة قلم انتخابهم . وهي اليوم ، باعتقالها لولياي ، تفتري بظاقتهم  
 الانتخابية . التبرؤ من ديكلو في مثل هذا الوقت ؟ وإذا ما فعلوا ذلك فإنا لا  
 يتوجهون ايضاً بالشكر الى السيد بيناي الطيب الذي خلصهم من طاعة ؟ أم  
 فاعتقدون صادقين ان بوليتارياً كالتهمنا مئة وخمسون سنة من التضال ، وتعي  
 تقاليدنا وعظمتها ، سنأتي لتعلن أمانتنا والابتهامة للبع على شفتيها : « اني  
 لست راضية كثيراً على لقادة الذين اخبرتهم نفسي ، ولهذا لست أرى في  
 اعتقالهم سوءاً ، ومع احتفائي بتقني فيهم حول بعض النقاط لا أرفض أن  
 تنتهك حرمة القانون ببعض الشيء ، إذا كان هذا ضرورياً ، لتخليصي منهم ؟  
 وان يجب معلقو الفشارو الطبقة العاملة عذراء مجنونة ، فهذا شيء طبيعي  
 ونظامي . لكنكم ، أنتم الماركسيين ، المناولين السناليين ، ، أنتم الذين تعتقدون

على سداد بصيرتها لتخلصوها من قاداتها الحاليين ، كيف يتكلم ان قلبوا بأن  
تكون قد فتحت الباب بكلطمشان للقمع البوليسي ؟ لقد قلتم وردتم ذلك  
بعد ماركسي ، وبعد لينين : البورجوازية فرضت على نفسها قوانين تخلفها ،  
ومصلحة الـ وليتاريا هي ان ترحمها على احرامها . كنت تقولون : علينا ان  
نشور على كل مظاهر سوء استعمال السلطة . فهل مستضيفون اليوم ؟ إلا عندما  
يكون السالطيون هم الذين يدفعون التمن ؟ أعرف : أنكم تستطيعون ان  
تسمحوا لأنفسكم بكل شيء ، لأن مواقفكم لا تؤثر على الجماهير . وقد عدتم مع  
الوقائع معاهدة عدم تدخل : فهي تحدث من غير ان تزعجكم ، ومن غير أن  
تزعجكم ، ومن غير ان تؤكد صحة نظرياتكم او يطلانها . وللمقابل تمهدتم بعدم  
التدخل البتة لتعديل مسارها . لكن ردود فعل القوة العمالية ، و « الاتحاد  
الفرنسي للعمال الشيوعيين » تبدو أكثر مدعاة للقلق . فالمنظمات النقابية ، سواء  
أكلت اصلاحية أم ثورية ، مستقلة أم موجهة ، تشترك جميعها في كونها قد  
تطورت في إطار الديمقراطية البورجوازية وفي كونها تستخدم جميع الأسلحة  
التي تمنحها ايها الشرعية . وإذا ما انتهكت الحكومة القانون او بدلته ،  
استمكت نتائج ذلك عليها جميعاً ؛ فحتى تنق الطبقة العاملة في قوتها ، ينبغي  
ان تراها في وضع النهار . ولقد حدثت اضطرابات ١٩٣٦ على سبيل المثال في  
ورواي مرابا . تصوروا عودة مياقتة للعمل السري . ان عمل الانتصار في مثل  
هذه الحال هو الذي سيظل ممكناً ، لا عمل الجماهير ؛ وبذلك تكون قد فتحت  
عيننا شمشون . تقولون ان الأمور لم تصل بنا الى هذا الحد بعد ؟ هذا طبعاً  
صحيح . لكن لم ترض فترة طويلة بعد هل خرجنا من السرية ؟ ولدينا جميعنا  
ذكريات يقترض فيها أنها تجعلنا حاسمين بموضوع الاعتقالات التعمية . ستقولون  
لي : « بل ! لكنك تتكلم عن ذلك على هواك : قد تكون أشتت واقربي  
عليك لكنك لم تضطهد . أما مناضل « القوة العمالية » فهو واقع ضحية اضطهاد  
منظم متواصل : فهو أشتت ، ويهجر عليه ، ويغرب عليه محمد ، ومن حين الى  
آخر يهاجم ويضرب . ونحن نعدده أحد من الشيوعيين ، قبل تشكك أنه يفكر



بالزعة الانفصالية ، بالمسكرات ، بالبروقراطية ، بالتبوية ؟ عينا دعك من هذا ! فهو إنسا يفتكر : « لِمَ أذاقوني ، أو تلك الأذكال ! انتظروا قليلا حتى يتغير الوضع وسوف أضيفهم بدوري من مثل ما أذاقوني » . وعلى كل ، ما كان أسهل الأمر لو لم يكن على الحزب الشيوعي إلا أن يطلب الهدنة حتى يسرح ضحاياه جميعاً الى نجدته .

هذا صحيح : إن انتصارات الطبقة العاملة قد جعلت الحياة مستحيلة ولا بد بالنسبة الى الكثيرين من العمال . أما عن الاحقاد فهي موجودة : هذه حقيقة واقعة . لكن ما كان المطلوب منهم ؟ ان يتناسروها ؟ ان يعيدوا الوحدة النقابية ؟ ان يدرو ايديهم الى الحزب الشيوعي ؟ بالمره : انما كان المطلوب منهم أنيشتركوا في اضراب محدود المدة ورمزي القبول للدفاع عن الطبقة العاملة وعن منظماتهم بالذات . وكان من السهل عليهم ان يدرو تحفظاتهم وان يعلنوا على سبيل المثال : « نحن لم نلسن خلاقاتنا لكننا نضمها جانباً ولو لمرة واحدة . ومبها لكن عميقة فلن نسمع ابداً بأن تتعدى اطار الطبقة » ونحن نرفض مرة واحدة ونهائية المساعدة اللطيفة التي ابدتها الحكومة وأرباب العمل مها كان الشكل الذي جاءت به : وحتى اذا بدا ندهظهم في البداية وكأنه يعمل من شأننا على حساب خصمنا ، فنحن نعرف ان نتيجة ستكون في النهاية وبالاً علينا جميعاً . إن اي انسان يمارس عنفاً ضد اي فئيل كان للعمال ، انما يمارسه ضدنا جميعاً ، وسفرتقع وحدة البروليتاريا في وجهه .

ولم يحدث شيء من هذا . فلو كانت الحركة « عفوية » و« جارية » لشارك فيها قادة « القوة العمالية » بلا ريب حتى لا تضيق عليهم فإرهاها . لكنهم قنوا ، لتوقعهم فشل الاضراب ، ان يكون تجربة حاسمة بالنسبة الى الجماهير وان تكشف لها بصورة ساطعة عن عدم اتفاقها مع الحزب . فهل كان هذا حساباً سليماً ؟ لقد وقع القتل ، فمن استفاد منه ؟ بورجوازيون أو وزير الوزم .

ان احد المرمرين « المبهدين » في مجلة « أدلة » يتهمني بأنني أثير مشاكل كثيرة بسبب مسألة لاقية : فهذه الأحداث من التاريخ القديم وأأ الوحيد في فرنسا الذي

ما يزال يتذكروها . التي اجيب باننا على الأقل انسان ما يزالان يتجان بالفضية :  
 ان ما يعيدها ان فاكرني باستمرار هو ان السيد بيتاي يوهن برميا على انه لم  
 ينسها . فلو كان الاضراب ليج ، لأوقفه الحال : كانت . وزارته انتهت وما كان  
 لولياب سيدخل السجن ( ان أعقب ان حد القول انه كان سيحدث العكس ) .  
 أما وقد فشل ، فقد علمه ، ان أي حد يستطيع ان يدفع ال أبعد مما بلقي .  
 ولهذا السبب وحده ، وهو سيب ولفح ، لقول ان الضراب ، جز ان ما كان  
 يخدم المصالح الشيوعية فحسب بل مصالح البروليتاريا والأمة بأسرها . من أين  
 خطر لكم ان البروليتاريا قد وجهت لوما ان قادتها الشيوعيين ؟ ونحن تتواطأ  
 نقابة عمالية ضمناً مع العدو الطبقي لإقصاء نقابة مزاحمة لها ، فإني أقول ان  
 البروليتاريا تكون قد غادرت المسرح .

- ان من الذي رفض القيام بالاضراب ؟ - حسناً ، انهم افراد وإن كان  
 عددهم كبير جداً ، ولنقل اذا شتم غالبية العمال العظمى - أليس هذا ما يسمى  
 بالبروليتاريا ؟ - كلا ، ليس هذا . لقد نشرت الصحافة اللاشيوعية ، بعد  
 الاضراب ، شهادات عن الحالة المعنوية التي كانت وراء الفشل ، فلماذا لا نرجع  
 اليها ؟ أنا اعتقدنا صحيحة - جزئياً على الأقل - لأنه أمكنني أولاً ان العطف من  
 صحة بعضها ، ولأن الوقائع المروية ثانياً تظل متجانسة تقريباً عبر تباين الآراء ،  
 وثالثاً وأخيراً لأنها تعاكس مصالح الذين يروونها ولأنها تظهر عكس ما يراء لها  
 ان تثبت . إنه ما من سبب من هذه الأسباب يفتح وحده ، لكن اذا ما اخذناها  
 جميعها معاً ، فإنا لا نستطيع أن ننكر ان لها أهميتها . ان هذه الشهادات  
 تسرعني الانتباه أولاً بما فيها من نقص . واذا بحثت فيها عن رفض قاطع لعدو افعه  
 السياسية ، فسوف تجيب الملك . ان اول سكير يأتي ال الحانة ، في الاحياء  
 البروجوازية الصغيرة ، يحسب نفسه الهيئة الناجية ، الأمة . ويتخذ موقفاً ضد  
 الحلف الأطلسي او معه ، ويشرح ما يتوجب على حكومة ، جذيرة هذا الاسم ،  
 أن تنفذ في تونس : ان احكامه لها قوة القانون ، وهو يتكلم باسم الجميع ويطالب  
 الجميع بالمصادقة على رأيه . لكنكم لن تجدوا ، في الموضوع الذي ندرسه هنا ،

شيئاً مشابهاً لهذه الثقة الهيبية التي يشعر بها الناخب الغربي بمحقوقه : فالعامل  
 يقتصر على رفض المشاركة الشخصية ، وهو لا يصدر حكماً ، كما أنه بعيد عن ان  
 يريد ، شأن كانت وسكيري الجمهورية الرابعة ، وإزال مبدأ عهد متزلة القانون  
 الشعبي ، بل هو يبذل جهده على العكس ليحتفظ له بطابع خاص . وبالطبع ،  
 إذا ما لأمه رفاقه وعاملوه كالواژه واصفر<sup>(١)</sup> ، واختصار إذا كانوا هم السابقين  
 إلى محاولة وضعه من جديد في الظروف التاريخية ، وسوف يدافع عن نفسه في  
 الميدان الذي اختاروه ، وسوف يحاول ان يثبت لهم انه على صواب سياسياً وأنه  
 كان عليهم ان يتصرفوا كما تصرف . لكن على العكس ، إذا ما تردد آراؤه وأقل  
 ما شعر بأن قراره يمكن ان يوجد حركة استنكاف عامة ، فإن الحوفه يستولي  
 عليه ، ويروح يؤكد ان قة مواقف اخرى ممكنة ، وان موقفه لا يلزم احداً  
 غيره : انه اذا بلغ بخاصة على المظهر المتفرد طاقته . ترى أهر رافض في صومعه ؟  
 انه سيلتول بالأخرى ، على ما يبدو ، انه لا يستطيع ان يطبع : « انت ( التي  
 لا يواجه اعباء عائلية كأعبائي او الواقف من احتفاظه بعمد ، الخ ) انت حر في  
 ان تفعل ما يحلو لك . أما انا فوضعي مختلف . . . » ان يقرر ألا يقوم  
 بالأضراب ؟ ألا يتأرجح بين هذين الموقفين . انه لا يعلم اذا كان يرغب حقاً في  
 ان يخذل مشاله في فرنسا قاطبة او في ان يرحل به من غير ان يقتنيه اليه احد .  
 انه يخشى في آن واحد مظاهرة ستقوم بدونه واستنكافاً جماعياً يمكن ان تكون  
 له نتائج خطيرة . اجل ، إن الشعور المسيطر هو الشعور بالمعجز . إن الأوامر  
 التقابلية تفرض نفسها عادة كواجبات ، والشديون يبذلون جهدهم لإقناعه بأنها  
 قابلة للتنفيذ : يجب عليك ان فانت تستطيع . اما اليوم فهو يحسبهم : لا يجب علي  
 لأنني ما عدت أستطيع . « اتم تعرفون جيداً اننا لن نتوصل الى شيء ، واننا  
 سنفقد أجراً مقابل لا شيء . » أو « القوة المعالية لن تتحرك : اذن سنكون  
 وحيدين . » أو : « أتشيرون مشاكل ولم يبق على موعد اجازتنا المدفوعة سوى  
 شهر واحد ؟ ليس في هذا ذكاه . » أو ايضاً : « لا أستطيع لأن عندي ثلاثة

١ - لقب يطلق على العامل المناصر لآراء اولئك العمال .

أطفال ولأن زوجتي قد وقع لها حادث ، الخ . فأني هذه الطبقة بمن الصالح  
الطبية ؟ اتنا نتلخ من خلال هذه الأجوبة المتشافة عودة الى تلك النزعة القدرية  
التي لا تقي تهدد المضطربين ، والتي تسمى الطبقات الساندة التي تمنعها باستمرار  
والتي لم يكف التوربون قط عن مهارتها . ان فتور الحقبة هذا يولد من الوحدة  
والعزلة ويولدها بدوره : فالطبقة العامة لم تركه ذاتها إلا عندما حطمت الحظوة  
وتقاؤل المتاضلين الشيوعيين القسري بعض الشيء . يعبر عن رغبتهم في انقاذ وقت  
البروليتاريا ، الأمل . واولئك الذين يقولون انهم لن يسعروا لأن « القوة العمالية »  
ترفض ان تسير ، كيف يمكنهم ان يظنوا بوضوح أكبر ان الطبقة العامة متقسمة  
على نفسها ؟ ومع ذلك فإن المنظمات غير الشيوعية لا تضم الا خمس العمال المنتخبين  
الى النقابات على اقصى تقدير . وما أهمية نسبة ٢٠٪ من المعارضين في قلب منظمة  
وحيدة واحدة ؟ انها بدون أهمية تقريباً : المارقون الى سلة المهملات ، والقالية  
ستجاوزهم وتعلن عن نفسها بأنها الإجماع . واذا ما تنظم هؤلاء ، النقابات ، فيما  
بينهم ، فإن كل شيء يتبدل عندئذ ، فلا يعود ذلك الاجماع الممجب بنفسه الذي  
كان يحسب ذاته الطبقة العامة بكاملها الا نقابة لها القالبية . وبالأمس أيضاً كان  
الاجماع يعتبر نفسه معصوماً عن الخطأ وكانت قراراته هي الوحيدة الممكنة .  
ولم تكن البروليتاريا في كل لحظة سوى ما يمكنها وما يتوجب عليها ان تكونه .  
وكان هدفها و عملها التاريخي مرصدين لها بصورة نهائية وجليسة في ظروف  
حياتها بالذات ، . وكان كل رد فعل من ردهد افعالها يعبر عنها بتأنيها . اما اليوم  
فان قرارات ، الاتحاد العام لتسفل ، نقل عارضة : أم يثبت ان هناك قرارات  
أخرى ممكنة ، واحياناً غير أمنها ؟ وليست البروليتاريا التي نظمت هذا  
الاضراب وأمرت به بلسان زعمائها : اتنا هر طريقة معينة في الرد على تحدي  
التزوير . وبكلمة واحدة ، ان قرار القادة لم يعد يلزم أحداً غيرهم . يمكنهم ان  
يكونوا زعماء صالحين لكن هذا بالذات يعني انسه يمكن ان يكونوا طالحين :  
وسوف قيل الجماهير الى اعتبارهم سلاطين مستبدين يفكرون والتياية عنها ، من  
غير أن يكونوا ارتكبوا خطأ ومن غسيع ان يكونوا تبدلوا . ومعهم انني لا

اعراض هنا ، وفي الوقت الراهن ، يد ، الاستبدادية ، و ، البيروقراطية ، التي  
تؤخذان على الحزب الشيوعي : انما اذكر فقط بنتائج الاشتقاق التقني منها يمكن  
هذا الاشتقاق . إن العلاقات العنالية تؤدي الى ظهور نوع من الاستقالة لدى  
الجماعير التي تجد نفسها متفاداة الى الاختيار بين عدة سياسيات ذات طابع احتيالي  
بدلاً من ان تركز ذاتها في رد فعل إجماعي . إن أعضاء و الاتحاد العام للشغل ،  
المضطرين في عمل يتبرأ منه رفاقهم ، يشعرون وكأنهم يقاتلون وجانبهم  
مكتشف . وآنذاك لا تكون نتيجة العملية هي وحدها غير المؤكدة ، يسأل  
العملية بالذات : فهي لا تنكس ، بعد ان ياتك فقيرة ، تحميلة ، معدودة ، غير  
أرواه بعض الاختصاصيين . واما كان هناك اختصاصيون في الصلحة العامة ،  
فكيف تدعش اذا حال العامل الى الاهتمام أولاً ، و مصلحته الخاصة ؟

ذلك أنه هل بيننا أخيراً من يعتقد بأن مضربي ١٩٢٠ و ١٩٣٦ و ١٩٤٧ كانوا  
جميعهم عازبين وبلا أولاد ، وأنهم يشعرون بتأمين عياني ضد البطالة ، وأنهم  
مزودون بدفتر اشراك في صندوق الادخار ؟ ام هل هناك ، على العكس ، من  
يعتقد بأن عامل اليوم قد فقد حظ ذكرى مصالح الطبقة العاملة ؟ هل يبدو له  
الاستغلال الرأسمالي أكثر عدلاً و إنسانية ؟ وهل يقبل بقلب مفتوح بالاستعمار والحروب  
الأمبريالية والقمع البوليسي ؟ وهل سيضحي برحمته كنيا يقرب من أرباب عملة ؟  
قوموا بالتجربة بأنفسكم : اتصلوا بر احد من الذين رفضوا المشاركة في الاضراب ،  
وكلسوه بظاهر من صراحة وعدم كلفة ودسوا خلسة في كلامكم بعض أسهم  
مسيومة ضد السياسة الشيوعية : من يدري ، فرما كان من رأيكم ، إلا أن هذا  
لن ينه من قطع العمالة على الفور إذا تعرف العدو الطبيعي تحت الانتماءات .  
وخلصة القول ان الميل ، اليوم كما في امس الأول ، يعيشون الاهتمامات نفسها  
والاهداف نفسها والوفاء نفسه . ومع ذلك نجد بينهم من كان يجازف بالسوت  
عام ١٩٤٢ ، ثم لم يعد ، بعد عشرة أعوام ، يجازف حتى بأجره عن يوم واحد .  
فما الذي تغير ؟ المواقع ؟ الميول ؟ كلا : انما الذي تغير علاقتها ونظام التسليم .  
وما الذي افضى الى هذه التغيرات إن لم يكن مجرى العالم ، اي التاريخ الذي

يصنع كل يوم بيومه ؟ ان المجموع التاريخي يبت في كل لحظة في قدراتها ويضع حدوداً لحساب عملنا ومستقبلنا الواقعي . انه يشرط موقفنا ازاء الممكن والمستحيل ، الواقعي والخيالي ، الكينونة ووجوب الكينونة ، الزمان والمكان . وبدءاً من هنا نبت بدورة في علاقاتنا مع الآخرين ، اي في معنى حياتنا وقيمة موتنا ؛ وثانياً في هذا الاطار تظهر أخيراً ، أنا ، اي تلك العلاقة العملية والتلقائية بين هنا وهناك ، وبين الآن وبعدها ، بين الأمل والقد ، بين هذا والكون ، وذلك الفرار القابل للرد باستقرار حصول الأهمية والتنسبية لا يسمى اصطلاحاً به ، الصلحة الخاصة ، و به الصلحة العامة . . . وإذا ما أخذنا الحالات القصوى وجدنا ان أعضاء مجتمع من المجتمعات يلتجئون الى العناصر المباشرة او يعلقون آمالهم على مستقبل يتد إلى ما وراء موتهم ، يقتنعون على القليل يتكفون او يهازفون بكل شيء من اجل قضية لم يروا انتصارها بأعينهم ، ينظمون مشاريعهم على أساس حاجاتهم او يقررون حاجاتهم تبعاً للشروع ، وذلك حسب اذا كان المجتمع الذكور يتعمل بجري العلم او بسام في قلبه . والتاريخ هو الذي يظهر الخارج لأولئك ويجعل هؤلاء يتفكرون لعام أبواب مسدودة . ان العامل ، شأنه اليوم كما في عام ١٩٥٠ ، لا يملك أدوات عمله ؛ اذن فالطبيعة المعينة لمطالبات لم تتبدل . لكن تنظيم المجتمع الرأسمالي لم يكف عن التطور كما لم يكف وضع العامل عن التبدل ؛ فنحن نجد ، حسب الأزمان ، يلتصق ، بعمله السياسي إن كثيراً وان قليلاً او يتكسر على حياته الهئية ان كثيراً وان قليلاً . وصلاته بالنظريات الطبقية تتوثق او تتراسخ ، والامسافات الكبيرة المقترحة عليه - اصلاحات او ثورة - لا يم - تبدوا له واقعية واحياناً في متناول يده او بعيدة واحياناً خيالية . وإذا مسا فقد الأمل ، يستطيع اي خطاب ان يعيده اليه ؛ لكن يكفي ان يأخذ العمل حتى يؤمن ؛ فالعمل هو بعد ذاته ثقة . ولم يأخذه؟ لأنه ممكن ؛ انه لا يقرر ان يعمل ، بل يعمل ، فهو عمل ذات التاريخ . انه يرى المصلحة النهائية ، ويلبسه لمسأ ؛ ان المجتمع اللاتطبيقي سيتحقق في حياته . وما الواقع المباشر إلا المستقبل . وما الصالح الخاصة ، إذا

ما نظر إليها من المستقبل ، إلا ظلال مجردة . والموت نفسه لا يخيف : انما هو حدث معين شخصي . جسداً لا بد ان يقع له وسط ذلك المستقبل الذي يملكه بالتشارك مع الجميع .

ومراراً عند انتهى العمل بكارثة : وآنذاك تحسول المعال الذين كانوا ذات التاريخ الجماعية الى مواضيع إفرامية له . ويغير العامل جلده ويرى العالم بعين معارة ، فقد انطقت بدييات أمس ، واضاعت بدييات اخرى ، اقرب وبعيدة وكربية : النضال طالما انه لن يتغير شيء ؟ انما كان المرء يأمل في أن يتكسب ، وإذا لم يكن لديه شيء يخشى ان يفقده ، فإنه سيقاتل . لكن اذا بقي لديه شيء يخشى ان يفقده - ولو كان أجراً تافهاً - وانما ما نحصل عن كل أمل في الكسب ، فإنه يلزم جانب الدعة والسكون . وأولئك الذين كانوا يحاربون بحياتهم حتى من غير ان يفكروا بذلك ، يحاربون الآن الجماعة ويقولون : ولا يزيد ان ندلس جوعاً . . حين كان كوستلر قد اسقطت اللابهاية دعواه ولم يتغير بعد ان يكون صغراً<sup>(١١)</sup> ، روى لنا قصة ذلك الراعي الاسباني الذي كان يحارب من اجل ان يتعلم القراءة : انه لشيء معقول جداً ان يحارب الانسان بحضه من اجل ان يتكلم ، لكن بشرط ان يكون له حظ في الفوز . وحسين ضاع شيء ، وحسين قرر التصبر ان يعموا الأمية وأن يشيدوا حكمهم على الجبل ، اصبح الجوع حليفاً متواطئاً معهم : طالما انه كانت ما تزال هناك فرصة ، فقد كان راعينا يأكل اذا أمكنه ذلك ، يأكل ليقاقل . وحتى يقاتل فإنه يشيل بالأكل . لكن عندما انتهى كل شيء ، امسى يأكل يعيش ويعيش لياكل . بيد ان الحاجات قد تولد ارادة اتحاد ، وليس الجوع دعواً ولا حق في غالب الاحيان مساعد السلطات : فحق يتقدمها ، لا بد ان يكون هناك ثقب بالوعنة تضاق . ان الجوع سيجد الى محض انقباضات حشوية اذا ما سد المستقبل بعناية : فالاستقبال يولد من العمل ويرقد عليه ليعطيه معنى ، وانما ما أرجع العامل الى

١ - روبرت كوستلر ، كاتب مجري صامت - بدأ يسارياً وانتهى يمينياً - وكان كتابه «الصفير واللابهاية» نقطة تحول .

الحاضر المباشر وحده كلف عن ان يلهم تاريخه . لقد كان يعلمه وهو الآن ينظر  
اليه وكأنه التمثل به دوماً ، ولا يرى فيه سوى عصفان وحيد ، معاود دوماً  
ومسحوق دوماً . الانهزام ؟ مع من ؟ انه يحكموم عليه . منذ الغزوة ، بتلك  
العزلة العربية الدوارة التي يرفضها كل انسان ويماني منها باعتبارها عاقبة عزلة  
الآخرين : « انا على استعداد للسير ، لكن الآخرين لن يسعروا » . ولما كان قد  
أرجع الى جسمه المهزىء ، الى الزهري اليسوعي الكئييب لانهاكة ، فإن الموت  
يزداد في نظره عبثاً كلما تضاعفت حبهاته معنى ، ويوحى اليه بخوف أكبر كلما  
ازداد لعباً من الحياة : ولا يعود ثمة شيء يتشاه ارباب العمل - لا ترد ولا ازمة  
يد عامة - طالما ان العامل لم يبق لديه من سبب الحياة سوى الخوف من الموت .  
وإذا اراد ان يحول نظره عن نفسه ويتطلع إلى الخارج ، وجد كل شيء معسماً  
ليعكس له عجزه : انه يحتاج وسط جموع مرابطة شوارع ثقت بصورة القاروم  
معها التصيان ، ومنظر المسانح والضواحي المزور يقدم له صورة نظام صارم  
ولا انساني . وبذلك يكون قد نصب حسوله فيكور الاسلام القنع . الحس  
السلم وحسابات الاحتمالات المعقل ، كل شيء يحس به بأن دعك وتخلر التضال  
ضد اعداء منهم السلاح والجيش والسال والآلات والعلم . ان مصيره لم يتحسن  
وكذلك سادته : افامم الأفوى ، هذا كل شيء . وهزينة لا تحطتة : انسا  
تثبت فقط ان العالم شرير . يقيناً لقد وجدت آمسال اخرى ، حطيفة اخرى :  
فقد تحولت الأوراق المالية على حين غرة الى اوراق ميتة ورفضت القوات ان  
تطلق النار على الجموع . لكن هذه الحفساتق لم تكن حية وعيية إلا من خلال  
التضال : فالعمل هو الذي كشف عنها ، وحين يصبح العمل مستحيلاً لا يقى  
منها سوى ذكريات مبردة . ان الجمهوريين يعيشون على يدوية خاصة :  
الانسان غلطة .

وواضح ان فشل حزب ان ينفسر بفتور الهمة : لقد ارادت الصحف المعاقبة  
ان تصور لنا البروليتاريا قائرة على زعمائها ، ولقد شعرتا على العكس بأننا نشبه  
انهارها الباطني . إن العامل ، يرفضه للهدم المدى السياسي للاضرباب ، قد



وضع نفسه بإرادته ضمن نطاق مصالح طبفته ، وزاد من عزله بالواقف التي  
تلتزم بها ليبرز نفسه ، وقطع صلته الجماعية ، وفقد الاتصال مع قاداته : إذا  
كان الاضراب لم يتم ، فليس ذلك لأنه أمين باندفاع اجماعي بل لأنه أبغض ملايين  
من اشتراكيات اراكت ان يفسر فردية . إن العاليت الجماعية والقمع والنيل العليا  
لم تكن : لكنها تامت ووقفت بعيداً عن المناول . والنضال مرفوض لأن  
الجزية مؤكدة : لقد فقد العامل الثقة في قدرات الطبقة العاملة ، وبخيل اليه  
انها قدمت سيطرته على الأحداث وان التاريخ يصنع بدونها . الحرب ؟ انه  
ضدها بالطبع : « لكن اذا كان الاميركان يريدون ان يشتروها فليس العامل  
الفرنسي هو الذي يستطيع ان يمنهم » . العمل السياسي ؟ يقيناً « انه لمن  
العدل ان يمكن للعامل أن يفرض رأيه : « لكن علام حصلنا منذ خمسة اعوام ؟  
لقد نظاهراً منة مرة ضد حرب الحشد الصينية ضد الحلف الاطلسي وقد  
اعادة تسليح ألمانيا : فما كانت النتيجة ؟ اننا عاجزون حتى عن تحقيق مطالبنا  
الاقتصادية : فالأسعار ترتفع والأجور « بالرغم من جهودنا » لا تلتحق بها ابداءً .  
الثورة ؟ إن ميشيل كولينه يزعم ان الأجيال الجديدة تجهل معنى هذه الكلمة .  
هذا شيء غير قابل للتصديق كثيراً ، ولا سيما بالنسبة الى قرائه مما دام يبلغ  
بقوة « من جهة أخرى « هل اتساع نطاق الدعاية الشيوعية . وما يبدو اقرب  
الى الحقيقة هو ان موقف العمال الفرنسيين قد تغير تغيراً عميقاً خلال نصف القرن  
هذا . كان كثيرون من العمال « قبل الحرب العالمية الأولى » يعتقدون بأنهم  
قريبون من الحدك : كانوا على ثقة من انهم معبرون « الاضراب العام » . وقد  
حييت الحرب وسياسة القادة الاشتراكيين آمال الجماهير « لكن أيام اكتوبر  
اعادت اليها الثقة : لقد تكوئت الامية الثالثة في جو من رؤيا يوحنا<sup>11</sup> : إن الثورة  
ستبدأ في ألمانيا وستعمد الى أوروبا قاطبة . واليوم يقال لعامل ١٩٥٢ ويكرر  
على مسامعه « يطاح شبه مشبهه « انه سيرى مجيء الاشتراكية : « ليس أولادنا

١ - الكتاب الأخير من « العهد الجديد » مؤلف من سبع روى « وفيه مثلاً للقدس يوحنا  
انتصار المسيحية بعد الفجار اعداء المسيح . . . ٥٦ . ٥٥ .

هم وحدهم الذين سيتفعون بالإشراكية إما شتمع بها نحن انفسنا<sup>١١</sup> ، . لخصته  
 على وجه التحديد ما عاد يؤمن بذلك : انه يعلم ان دكتاتورية البروليتاريا لن  
 تقوم غداً . هل هذا معناه انه ينتقل الى الاصلاحية؟ على الاطلاق . ان الافوات  
 يتقدم بها العهد ، وازداد العمل ياقون على مالتوسيتهم ، وصناعتنا متخلفة ،  
 واعادة التسليح والحروب الاستعمارية لضر بالاقتصاد القومي<sup>١٢</sup> . وتكفي هذه  
 صغيرة حتى تنهار الآلة المرمة منه مرة : وفي مثل هذه الشروط - وحسين لا  
 يكون المطوب سوى تحسين وضع العامل فورياً - كيف يمكنه ان يثق بعمل  
 بطيء ، معتدل ، تدريجي ، وبلسوبات ؟ انه اذا كان يريد ان يحقق أبسط  
 اصلاح فلا بد ان يقلب كل شيء رأساً على عقب ، يبدأ من السياسة الخارجية الى  
 المفاهيم الاقتصادية : ذلك ان كل شيء يمكن في هذه الحزمة السينة الربط . انه  
 يعرف ذلك ويتعلمه يربياً ، فهل نطلق صفة « التورية » على هذه القناعة - وإن  
 اليهمة - بأنه ينبغي الاطلاق من الكل الى الاجزاء ومن التغييرات في البنية الى  
 الاصلاحات في التفاصيل ؟ قد لا نسميها كذلك : فهي تثير الحماسة في العميل  
 لكنها تثبط الحمم في فقرات التوقف . وعلى كل حال ، فانها مذهب جندي .  
 وتتضاف الى هذا بالنسبة الى البروليتاريا الفرنسية دوافع خاصة جداً :  
 فقد وثقت مرة واحدة في تاريخها ، مرة واحدة لا غير ، في ارباب عملها ،  
 وبالطبع خدعها هؤلاء . كان ذلك في الوقت الذي حاول فيه ارباب العمل ان  
 يظفروا في فرنسا منافعاً ملائمة ، للثورة الصناعية الثانية ، فقد جردوا المقاومة  
 النقابية من سلاحها إذ وعدوا باستخدام التقنيات الجديدة لزيادة الانتاج . وقبل  
 المبال أنصاف الاختصاصيين بتعب اضافي بأمل رفيع مستوى حياتهم . من يدري؟  
 لو لم ينكث ارباب العمل بعدهم ، لو لدت وازدهرت نزعة اصلاحية جديدة .  
 إغواء في المنتع ورقاء في البيت : لقد كان هذا النظام ، في الولايات المتحدة

١ - خطاب لوكور حول المؤتمر التاسع عشر للحزب الشيوعي السوفياتي ، في ٢٩ تشرين

الأول ١٩٥٢ .

٢ - كتب هذا المقال عام ١٩٥٥ .

الأميركية ، غير مساعد لأرباب العمل . أما أرباب العمل الفرنسيون فقد فضلوا ان يتصوا الكاليفهم ويحافظوا على مستوى أعمارهم ؛ ومن أجل ان يستتب النظام يلتجئون الى الطرق القديمة الصالحة ، أي الى طلاقات البنادق . انهم يعمون اليوم بوقاحة مستأناة ، كما يحصل للتفيد الكسلان طرطوره ، والزواج المدعوم قرينه ، القرب الذي اطلفه عليهم الأميركيان ، والرأسماليون الأكثر تحلقاً في العالم . أما العامل فان عمله لا يقل شظفاً عن عمل رفيقه الأميركي ، لكن اجرتة الواقية اقل من اجرتة عام ١٩٣٨ ، ولا تكاد تزيد على اجرتة عام ١٩٢٠ . انه لوضع ملتبس : فهو ينهك نفسه في أداء مهمته لكنه يرمي الاضطهاد . وليست المسألة في نظره مسألة فضل قيمة وعمل جهد الخ فحسب ، فهذه الأصل مفاهيم صعبة لا تعني شيئاً بالنسبة اليه دوماً ؛ لكنه يعرف ان شروط العمل التي تفرض عليه توازي في مجتمعات وأحوال أخرى ، مثل البلدان الاسكندنافية والولايات المتحدة الأميركية ، قدرة شرائية أعلى من قدرته هو ؛ وعلى مستوى فائه مسروق مرتين . ولهذا السبب يجدد ألا يجدته أحد ممن تعاون الطبقات ونقائهم وقضامن الرأسمال والعمل . ولا شك في ان ويكولو عبر بقولة عن رأي ناخيه العمال عندما قال ان مثل هذا الاتحاد سيكون « الحساد القادرين والقدورين » . وبالأصل ، كانت نتيجة هذا « التفتين » ، زيادته عدد غير المحرفين وبصفتهم آخر بنى البروليتاريا الداخلية<sup>(١)</sup> ، تكويم الجماهير وإبعادها عن تأثير « التبعية » العالية وتحريكها الى مادة عديدة الشكل نسبياً وحتجانية كل التجانس . وهذه طريقة مؤثوقة لدفعها نحو الجذرية : فقد كتبت عن ان تكون موجهة من قبل ، استقرابية ، معتدلة نسبياً ، وهي الآن تشهر وجهة نظرها الخاصة ، أي المطالب المستهجة أكثر من أي مطالب أخرى ، المطالب التي لا تتفق البتة مع استقرار نظامنا الاجتماعي .

ولهذه الأسباب كلها - ولأسباب أخرى أيضاً - حافظ العامل الفرنسي على

١ - عن سبيل المثال تلك الأوف المولفة من الأنظمة الشمسية ، عمل ميلامون بيوردوت حول عامل مختص .

تصلب شبه استثنائي . لعله لا يعرف ما هي الثورة : لكن كيف سلسلون ذلك  
المنف الجامع ، وذلك الأزدراء بالانتهازية ، وذلك التقاليد البيطوية ، وذلك  
المنصب الأماسوي الذي يضع أمه في انقلاب أكثر مما يضعه في تقدم غير محدود ؟  
التي أرى في هذا ، من جهتي ، الملامح الرئيسية لموقف ثوري .

لكن على وجه التحديد : « ما الموقف ؟ حمل ما تكاد ترمس ملاحظه الأولى  
حتى يتوقف . وإذا لم يعبر عن نفسه في الفعل ، وإذا لم يتدمج بممارسة جماعية ،  
وإذا لم ينحصر في الأشياء ، فما يلقى منه ؟ لا شيء : مجرد استعداد سلبي .  
والمستقبل اليوم مسدود بسور دمار . والعامل قطع على وقائه لمعتقداته ولتقاليد  
لكنه ثوري بلا ثورة . انه لا يزعم ان هذه الثورة لن تحدث أبداً ولا انها  
استطورة ، شأن « الاضراب العام » في نظر سوريل<sup>(١)</sup> . كما انه لا يجعل منها قيمة  
أو فضيلة . لكنه لا يتوصل الى ان يرى فيها النهاية الضرورية ( « ما قبل  
التاريخ » ) ولا واقع البروليتاريا بوجه خاص : انها في نظره حدث عارض  
جزئياً لا بد ان يقع في تاريخ غير معلوم لكن حتماً بعد موته . وسوف يقوم  
بها آخرون يساهمون الانطلاق من نقطة الصفر : وعامل ١٩٥٣ فقد حتى الثمور  
بأنه يهد لهم الطريق . إن في التاريخ ، بين حين وآخر ، انقطاعات في التيار ،  
فيوقف كل شيء . ولا تنتج أي نتيجة عما نعلمه طالما ان التيار لم يصل من جديد :  
لقد ولد عاملنا ولا بد انهاء العطب . وإذا ما حدث له ان قال في نفسه وهو  
ينتظر الى بعض الاطفال : « هم سيرونها - وليس أنا » ، فهذه على الاخص طريقة  
في التفكير بوجه ، شأن صاحب الدكان الذي يحلم : « لو نذهب الى القمر لكن  
اطيانا سيذهبون » . وفي اللحظات الحاسمة من التاريخ العمالي لم تكن الثورة لا  
حدثاً مستقبلاً ولا معتقداً ، بل كانت حركة البروليتاريا بالذات ، الممارسة اليومية  
للمجموع والفرد . لا نهاية تكنية لقاهرة ما ، بل كانت محض القدرة على صنع  
التاريخ . لا لحظة مستقبلة ، بل كانت الاكتشاف الباعث لمستقبل بالنسبة الى

١ - جورج سوريل : عالم اجتماع فرنسي ، مؤلف « الأعمال في المنف » ، كان من المبدئين  
للانثراكية الغاشية ( ١٩٥٧ - ١٩٦٥ ) .

اولئك الرجال المثقفين في حاضر غير قابل لان يعيش فيه الانسان . لقد كانت الثورة مهمة ، مهمة البروليتاريا اللامتناهية ، وكانت تحرير المطالب الفردية والبيد الشمولي لكل ساكن خاص ، واختصار كانت صفة مستعرة بسين الفرد والطبقة ، بين الخاص والعام . وكانت لكل مرحلة من مراحل النضال دلالة مزدوجة ، فكتيكية وسفرائيجية ، وكانت ترجع الى نظام مزدوج من الاحالات : فغير الهدف المباشر كان يفتح الهدف البعيد . اما بالنسبة الى العامل المعاصر فإن الرابطة بين هاتين الدالتين هي التي انقطعت : انه ما يزال يستطيع ان يدافع عن مصالحه ، وان يطالب ، وان يحصل على زيادة في أجرته ، لكنه لا يفتح أي علاقة بين هذا الانتصار اليومي الصغير وبين مصير البروليتاريا ، ولا يدركه المدى الثوري ، لطالباته : انا يجهل اليه ، على العكس ، انه فقد القيادة ، انه يدافع عن نفسه شعراً فشيئاً ضد الرجعية . وبالتقابل ، وسواء ألبس ام لم يلبس الأوامر السياسية ، وقام ام لم يقم بالأضراب ضد حرب فينتام او ضد الحلف الأطلسي ، فإن هذه المظاهرات لها في نظره نوع من اللاواقعية . ان السلام في الهند الصينية سيخضع مصالح البروليتاريا ، إنه متأكد من ذلك . بل لعله يرى صلة ما بين السلم العالمي وهي الاشتراكية . لكن اعماله تبدو له ملطخة بالانفعالية : لقد فقد سيطرته على التاريخ وهو لا يستطيع ان يغير مجراه .

أما الدوافع التي كان يشلخ بها قبل اضراب ٤ حزيران ليبرز رفضه الاشتراك فيه ، فقد قلت انه لم تكن بينها دوافع عامة . وهذا غير صحيح تماماً . فبين حين وآخر يصدر تصريح يمكن ان يعتبر تقريباََ عاماً للموقف : إن العامل يعترف بأنه ضاق ذرعاً وعل . لكن مم ؟ أمن الحزب الشيوعي ؟ أمن الاتحاد العام للشغل ؟ أمن موسكو ؟ كلا : من السياسة . وليست هي سياسة الحزب الشيوعي التي تقرره بل كل نوع من انواع السياسة . انا نسمع اليوم عمالاً يقولون : السياسة وجع رأس ، او نساء يظنن الأزواجهن : ، غير لك ألا هم بالسياسة : فما الفائدة منها ؟ . ما الفائدة منها ، طلقاً انه لن يتغير شيء ؟ وليس هو النشاط السياسي بشكل عام الذي يوجه اليه اليوم : فقد يكون معقولاً في بلدان اخرى او في

أونة أخرى أو بالنسبة إلى رجال آخرين . أما عام ١٩٥٢ الفرنسيون فمعظم عليهم ، السياسة لم تخلق للصفراء ، . ومثل هذه الانقلاب لا تحدثها في الوقت الراهن إلا على السنة النساء - وبعض الرجال . لكن هذا لا يمنع انها علامة ، فإضراب حزيران كان يجب ان يكون أولاً لتظاهرة تضامن لا مناصرة : كان على الطبقة العاملة ان تتجمع حول قادتها المهدين . وفي اليوم الذي سيطلق فيه العمال اسم « السياسة » على كل ما يتجاوز اطارات مصلحتهم المباشرة ، ستكون نهاية البروليتاريا . ان الطبقة العاملة ، في الاوقات التي تلي فيها قوتها ، لا يتخطر لها ان تضع حدوداً لعملها . بسبل على العكس : إن أبسط الشعائر وأضيقها نطاقاً يأخذ من ثلثها نفسه طابعاً جديداً ، والعمل المحلي يعيد خلق الحركة في مجموعها . لكن حين يقتصر العمال على الدفاع عن الأجور كل يوم بيومه ، يتركون المبادرة لأرباب العمل ، ويتخذون موقفاً دفاعياً صرفاً ، ويتخلون عن فكرة الربح حتى لا يجازفوا بالمسارعة ، ونظراً إلى أنهم لا يؤثرون على جميع عوامل الحياة الاجتماعية بجملة ، فإنهم قد ينعون الخفاض الأجور الاسمية ولكنهم لا ينعون ارتفاع الاسعار . وهذا فإن الحد الحقيقي ، الحد الوحيد الذي يعترف به العامل لأفصاله هو حد فعليتها : فهو اذا كنت يحبس نفسه اليوم في مصلحته الشخصية فهذا لأنهم ينعونه من الخروج منها ، واذا كان قد أمسى لا يريد ان يشتغل ، في السياسة ، فليس ذلك طاعة منه لتصور نظري عن العقابية : انما بكل بساطة لأنه ما عاد يريد ان يشتغل فيها . وأن تقتصر البروجوازية فهذا شيء طبيعي . لكني أوجه مرة أخرى إلى جميع اولئك الذين يزعمون أنهم ماركسيون ومعادون للشروعية معاً والذين الشرححت صدورهم اليوم لأن الطبقة العاملة ، في سبيلها إلى الافتراق عن الحزب الشيوعي ، ، وافصحهم بعبارة ماركس التي قرأوها واعادوا قراءتها وشرحوها مئة مرة : ان البروليتاريا لا تستطيع أن تتصرف كطبقة إلا إذا كونت نفسها في حزب سياسي متميز ، وأسألهم ان يتخلصوا منها النتائج : فما يمكن تفكيكهم به « السالبيين » ، وحتى لو كانوا يرون ان الجماهير مخطئة او مخدوعة ، فما الذي يقضي على انسجامها ؟

وما الذي يضمن فعالية عملها إن لم يكن الحزب الشيوعي عينه؟ و « البروليتاريا  
المكرثة نفسها في حزب سياسي متين » ما هي « في فرنسا اليوم » إن لم تكن  
مجموع الشغية التنظيم من قبل الحزب الشيوعي ؟ إذا كانت الطبقة العاملة تريد  
أن تفرق عن الحزب « فإنها لا تملك سوى وسيلة واحدة : أن تتبدد هباء .

والسيد برييه لم يحمي انتصار البروليتاريا « لتبعه فيما بعد الصحافة كلها »  
إلا ليخفي عن الجماهير هذه الحقيقة القلقة . إنه احتياط جدير بالاعجاب :  
فالعامل « بشرائه » باري بريس « لو » فرانس سوار « في حزيران » يطلع على  
رأى الطبقة العاملة : لقد قدرت هذه الطبقة أن الاضراب معاكس لمصالحها  
الطبية وتبرأت من قاداتها . ويضع الصحيفة جانباً وهو متحير « ويتساءل إذا كان  
قد فكر بهذا كله يوم « حزيران » : إنه يتذكر مع ذلك أنه لم يرفض الاضراب  
حقاً ولم يصدر حكماً على سياسة الحزب الشيوعي « وأنه آثر مصلحته الخاصة  
لأنه لم يستطع أن يتعرف ويؤثر مصالح طبئته « وأنه عاهد إلى بيته متردداً ، لا  
فضواً كثيراً ولا سعيداً كثيراً . والحال ها هي ذي الاجترارات تتحول ، وقد  
تضاعفت « وتصبح حكماً مقدماً أصدره البروليتاريا . ألا مصاً غرب فضيلة  
الاحصائيات : ان استنكاف العمال الليكارديين والبروفالسيين يكشف له عن  
دلالة استنكافه التواحد الصغير . لقد كان يعتقد بكل بساطة انه تهرّب « وكان  
موضوعياً يشارك في استنكافه . انه يتأمل بدمعة في هذا الرأي الذي علم به  
لنوه « والذي هو رأيه ورأى الجميع في آن واحد . ولعله قد أخذ يفكر  
بالوقف الواجب اتخاذ ازاء « حزب تتبرأ منه الطبقة العاملة » . لكن لا : انه  
لن يسر . لقد بدأ يشك في أنهم يريدونه ان يحسب القناويل الحائسة مصابيح  
ساطعة وكثة اللامضرين غير المنظمة تلك الجماعية المنظمة التي ينبغي ان تكونها  
البروليتاريا .

إننا نضع اصبعنا هذه المرة على لب المشكلة : إذا كان يتوجب على الطبقة  
ان تستطيع التبرؤ من الحزب « ينبغي ان تستطيع إعادة بنسء وحدتها خارجاً  
هذه وضوء . فهل هذا ممكن ؟ حسب الجواب الذي سنعطيه لهذا السؤال «

سيكون الحزب الشيوعي قابلاً للاستبدال بغيره أو غير قابل لذلك ، وستكون سلطته مشروعة أو منتزعة . إن الوقائع لم تسمح باكتشاف حضور واقع جماعي في قضية « حزيران » . بل أكثر من ذلك : فنحن لم نر الطبقة تنتصب في وجه الحزب لحسب ، بل نستطيع أيضاً ان نبين ان مثل هذه المعارضة غير قابلة حتى للتصور . إنه ما من أحد قد عاد يؤمن بالبروليتاريا - الضم ، ذلك الكيان الميتافيزيقي الذي هو بمثابة استلاب العمال . ان هناك بشراً ، وحيوانات ، وأشياء . والبشر كائنات واقعية وفريدة تشكل جزءاً من مجموعات تاريخية ، وغير قابلة للتشبيه لا بقدرات ولا بتجارب عضوية ما . أم متحدون ؟ متفلسون ؟ الشيطان معاً . فلا وجود لاتصال لا يكون نشطاً من النشاط الحضور ولا لرابطة معها لكن سلبية لا تطوي على غياب سرّي . وإذا كانت الطبقة موجودة ، فوجودها أشبه بتجاوز جديد بسين الفرد والمجموع ، بنشط حضور يتحقق من خلال القوى الاتقصادية وضدها : انها ستخلق وحدة العمال وسفطة مذهب عداة الشيوعية تكن في انه يلجأ الى طريقتين متناقضتين : فحق يجرده الشيوعيين من فضل توحيد الجماهير يبدأ بتحويل الطبقة الى فرج من وحيدة سلبية ، ثم ينسب الى هذه الطبقة عذوبة غامضة سرسية حتى يعرضها عليهم . اعتقد إذن أنه من الضروري ان أذكر بعض الحقائق التي كانت معروفة من الجميع والتي تبدو وكأنها منسوبة بما فيه الكفاية . ولقدو بأنني لا أطمح الى وضع أو إعادة وضع نظرية عن البروليتاريا : إنما أريد فقط ان أبين ان الوحدة الطبقية لا يمكن لا ان تُكتسب سلبياً ولا ان تولد عنوماً .

١ - لا يمكن ان تُكتسب سلبياً .

ان وحدة العمال لا يمكن ان تولد ميكانيكياً بفضيل تشابه المصالح أو الشروط .

والسألة يدور بها بالنسبة الى المصالح : فتشابهها يولد المناقشة والتنازعات . اما بالنسبة الى الشروط فالسألة تختلف . ولما كنت لا اضع هنا نظريات ، ففسد



أخذت هذه الكفة لأشهرها بصورة عامة إلى نط العمل وتعرضه ، وإلى نوع الحياة ومستواها ، وإلى العلاقات الاجتماعية . إن هذه المعايير كافية في الممارسة اليومية : التي قدر على تحديد وضع هذا التفاضل الجديد إذا ما قبل لي كم يكسب وماذا يفعل . لكن هل هذا كافي إذا كان المطلوب تحديد انبثاق الطبقي ؟

إن عالم الأحياء يكتبني بذلك . انه لا يريد إلا الرفاهية . ثم انه لا يقبل بها جميعاً . فقد كانت أيام حزب ان ١٩٤٨ ، والكومونة ، واضرب فيكازيفيل وقائع : لكنه لن يأخذها بعين الاعتبار . أوقع فيها قتلى ؟ ثم ماذا ؟ هل الموت من أجل الطبقة دليل على وجودها ؟ إذا كانت البروليتاريا موجودة فلا بد ان يكون لوجودها موضوعية علمية كاملة ولا بد ان توجد كموضوع هامد ينظر اليه العالم من الخارج . وإذا كنتم تستطيعون ان تقيموا البرهان على ان بعض العوامل الموضوعية تحدد شرط العال البيولوجي ، وإذا كان هذا الشرط واحداً بالنسبة إلى الجميع ، وإذا كان كل فرد يتصرف فيه تصرفات متشابهة ، تكونون قد أفقتم الدليل على واقعية البروليتاريا . العوامل نفسها ، الأوضاع نفسها ، رمود الفعل نفسها : هذه هي الطبقة .

ويعد هذا حيث البعض ، بالطبع ، ان هناك طبقات ( و نظراً إلى اننا أقمنا الدليل بتامع صارمة على الصفات النوعية للطبقة العامة ، فنحن نعترف لها بقيمة الشيء الواقعي ) ، وسيثبت البعض الآخر انه لا وجود للطبقات ( و نظراً إلى ان الاستقصاء الحدي الصارم لم يسمح باكتشاف صفات موضوعية خاصة بالطبقة العامة المترجمة ، نخلص إلى القول بأنها وهم ) . اني لا أزيد رأيي كلا الطرفين ؛ فجدالاتها الجامعة تخفي تواعلاً عميقاً ؛ فالبعض يزعم ان البروليتاريا شيء واقعي ، والآخرين يزعمون انها شيء متخيل ، والطرفان متفقان على شيء شئياً . . والنتيج الأكثر مرادة هو المنهج الذي يعلن عالياً عن وجودها ليفحص فيما بعد إلى وجود كيمس من البطاطا . سخدوا أخبارهم : لقد تناولوا المشككة دونما افكار مسبقة ولجأوا إلى الاحصائيات البعدوا تجريبياً الصفات العلمية . اننا سلاط ان البروليتاري ، حتى إذا ما استثنينا النشاطات المفروضة

من قبل الانتاج ، وحتى في المجالات التي يبدو وكأنه يتمتع فيها باستقلال نسبي ، يتميز عن سائر البشر بمالكة . فشرطه يعطيه طبيعة ، أي « عادة اولي » . وبعبارة هاركية : الانتاج ينتج للتحج . ان الدراسة المغارة للبيولوجيات على سبيل المثال تسلط الضوء على بعض ثابتات<sup>(1)</sup> نوعية في الاستهلاك العمالي . وينتهي الأمر بالفقير بالاستقصاء ، عندما يدون أبحاثهم الى نطاق اللغة والتشكيل الأيماني والجنس الخ ، الى ان يقرروا بصراحة علمية وضعية . . . ما يشب الى العميون وثأياً . ولقروا الآن هذه الثابتات من بعض الثابتات الاجتماعية ، وليفهموا علاقات وطيفية بين هذه وتلك ، بل لينهضوا الى ابعد من ذلك فينتكروا من السكوني الى الديناميكي . ويسلطوا الضوء على انعكاس الصعوبات الاجتماعية التي في سبيلها الى التطور على تصرفات البروليتاري . فهل يكونون قد اكتشفوا اخيراً الطبقة ؟ انهم يقولون ذلك لكني اعتقد بالأحرى انهم يكونون قد حولوا البروليتاريا الى نوع حيواني . واذا كانوا يعاملون اعضاء فصيلة اجتماعية كالو انهم نتائج سالية قابلة للاستيعمال فيما بينها لمعامل عامة ، وإذا بدأوا باستبعاد جميع التأثيرات التي يمكن طؤلاً الافراد ان يارسوها على بعضهم البعض ، فإذا يأملون ان يحدوا في النهاية ، غير النوع ، تلك العزلة التي بسلا أمل والمكررة دوماً ؟ كنا نعتقد اننا امام علماء اجتهاد . لكننا كنا خططين : فإم إلا علماء حشرات . ولقد سبق ان عرفت بعضاً من علماء الحشرات . ولا سياً واحداً منهم وقف نفسه على سراطين البحر . كان يحصل التعرقات التي لا تهم غير السراطين نفسها ، وكذلك علاقات السرطان بالسرطان . ومن هنا كان يخلص الى القول دوماً جيد بالتشابه الطلق بين جميع مثلي النوع . وبعد ذلك ، كان يضع أجهزة محكمة ليدرس تأثير تغييرات التناوبية على الآلية النفسية للسرطان الأزلي . وكيف تأخذنا الدعشة من ذلك طالما انه حكم على قطعه البالغ عددها ثمانية عشر ألفاً بالا تكون سوى ثمانية عشر ألف نسخة من النموذج واحد ؟

والأمر مقبول أيضاً لو ان المسألة كانت مسألة سراطين بحرية فقط : لكننا

ستكون أقل تشابهاً تجاه أولئك الذين يطبقون النهج نفسه على بشر مسترقين  
 والذين يستبدلون جنود وحدة مقاتلة بنتائج هامة لعوامل موضوعية . ولقد  
 بدأت أرتب في ان علماء الاجتماعيين قد ضلوا بعض الشيء : فقد استبدلوا كل  
 تصور بغيره - بديل يشبهه ويثبت بدقة عكس ما يزعم هذا التصور انه يقدم  
 الدليل عليه . وباسم الموضوعية استبعدوا جميع البراهين التي تثبت وجود ممارسة  
 عمالية ، ووضعوا محل هذه الممارسة أحداثاً كاذبة تسقط هباءً اذا ما مسح المرء ،  
 كما ان الوحدة الخادعة لمعدلاتهم الوسيطة تحجب عن الانظار التثقت اللامتناهي  
 للحوادث العارضة التي يدخلونها فيها . ان العامل يستعمل كثيراً من اللحم ! ومن  
 نوعية رديئة ! لكن ماذا ؟ قد لا انكر ان نكس القطع الرديئة من اللحم تظهر  
 برميها على الموائد في فيري وسان - دوني ، لكن شيئاً سلسون ال اقتناعي بأن  
 هذه الوجبات الألف حدث جماعي : فأنتم لا تفعلون شيئاً سوى انكم تكفون  
 ردود أفعال متوحدة قد يرجع سببها الى ضرورة موضوعية واحدة ، لكنها  
 لتثقت في غبار الضواحي الصناعية كألف قطرة من نغمة واحدة . انكم  
 تزعجون انكم تروننا وقائع انسانية وتدونون ملاحظنا وقائع فيزيائية . تقولون ان  
 العامل اليدوي ، المحروم من الترفاه ، المنفي من حضن المجتمع المتطاب ،  
 المنكسر على تبعية الطبيعة بفعل التعب والحالات الأولية ، يسيل إلى الفضيل  
 الكمية على النوعية . حسناً ، ماذا تكونون قد فعلتم ؟ لقد عرفتم بشراً بعة  
 ثانية وبعمل الحاجة الميكانيكي . فلماذا انكم تعطوننا وصلة لصنعهم .

هل يقال ان التحليل غير جدي ؟ انهم يعددون لنا حشداً من عطل لا رابط  
 بينها ، وانهم لا يربطون العامل بنظام الانتاج ؟ ماذا صحيح . لكن ليست  
 المسألة مسألة تغيير العوامل : انما ينبغي تغيير الموقف السابق . انظروا : إليكم  
 تعريفاً لبوغسارن وقعت عليه في كتاب السيد غولدمان<sup>11</sup> : « انت الطبقة  
 الاجتماعية جماعة من الأشخاص يلعبون الدور نفسه في الانتاج ويلعبون علاقات  
 انتاج متباينة مع أشخاص آخرين يساهمون في عملية الانتاج » . ان الهمزة مركزة

١ - ل . غولدمان : « العلوم الانسانية والفلسفة » .

هذه المرة على الإنتاج، لكن ماذا استفدنا؟ وزيادة القول ان التعريف غبي وليس فيه من الماركسية إلا الشيء القليل، فهو يريد بالفعل ان يعرف الطبقة بتشابه الأشخاص، فهم يلبسون البور نفسه، ويلبسون العلاقات نفسها مع الأشخاص الآخرين. فهل يكفي ان نسميهم «جماعية» حتى يشكلوا فيما بينهم طبقة؟ لكن هذه الجماعية إما ان تكون حشداً، وأتذكركم ان تكون قد عبداً الى التسرع، وإما ان تكون كلية، لكن كان ينبغي في مثل هذه الحال ان يتضمن التعريف نفسه المبدأ المولد. اجل، لقد قال ماركس ان الإنتاج ينتج المنتج، لكن حين تحول العميرة الانتاجية الى عبة وحيدة فإساحة تنتج منه ألف تجسيد للجماعية العمالية فإن وحدة العملية لن تستطيع ان تضمن وحدة النتائج التركيبية. وإذا لم تكن البروليتاريا تحسب نقابة التصنيع الهامدة، فإنها ستنتهز وتلبد خباراً من جزئيات «مبتلة». ان الوحدة الحية لـ «العميرة» الرأسمالية يمكن ان تسميها العمال الذين تختلفون، فهي إنكارها في وسط هامد غير متناسق تضاعف وتصح تشابه التنوع الشكلي؛ إن الأمر لا يستطيع ان يوجد الأمواج، ونشئت الأمواج هو الذي ينشر الأمواج على البحر كند. وخلاصة القول التي لم اعرض وغارين ثقي: تعريفه ميكانيكي القزعة شأنه شأن تعريف السادة سوروكين وغورفيلش وهالفاكس.

لقد وعدنا جميع هؤلاء العفاد بأن برونا وحدة طبقة، فأرونا تشابه قطع مجردة من المجموعات. والحال ان الوحدة والتشابه ميدان متضادان يعقد أولها روابط عملية بين الأشخاص، ويعقد الثاني روابط مجردة بين الحالات. وهكذا فإن منهجهم، برغم انه بعيد بناء البروليتاريا، يهدم كل إمكانية لعلاقة واقعية بين أعضائها؛ فتشابه المادية يتطلب، حتى يظل غير مشوه، الانفصال المطلق بين الوجودات. لو كان عامل لانس وعامل إيمانس يستطيعان ان يتعارفا، ولو كان كل منهما يصنع الآخر إذ يصنع نفسه، واختصار لو كانا يساهمان في المركة نفسها، لكان كل منهما يرتبط، في واقعه الحي، بالآخر ولتضام التشابه بينهما كلما تلاها في اتحادهما. وإنما في شركة العمل لا في العزلة يصبح كل منها

شخصاً ولا تبنى امام عالم الاجتماع لا الوسيطة ولا الترميمه ليدرس المسالك الفردية  
كلا منها على حدة باعتبار انها ترجع كلها في مثل هذه الحال الى الشروع الجماعي  
وتتحدد به<sup>11</sup> . وانما كان على العكس قد استبدل وحدة الطبقة بتشابه الشرطه  
فهذا ليقنعنا بأن العمل الجماعي علم مستحيل . فإذا كان العمال مصنوعين قبل  
المحارمه ، فإن الاتحاد لن يعود قادراً على صنعهم . فثمة عوامل خارجية قد  
اعطتهم طبيعه . ومهما تكن علاقاتهم الانسانية فإنها تتناسب من الآن فصاعداً  
عليهم من غير أن نترك أروأ فيهم . ولقد كتب هنا بالذات في الشهر الماضي  
بروليتاري ما يلي عن البروليتاري : « انه قابل لأن يُعرف بين ألف . فكل ما  
فيه مشيز ، اللغة ، المشية ، الحركات ، الظل الشدور ، طريقة الأكل والشرب  
والتلهي والحب والكراهية » . هكذا ما يبرر احصائياتكم ، لكن مع تحفظ  
والحد : ان العامل الموصوف لنا يناس نهائياً . وهذا ما اردت ان اصل اليه : ان  
علم اجتماعكم لا ينطبق على العامل إلا اذا ألقى به اليأس الى احضان اليأس ، وهو  
انما يُرجع اليه استسلامه ، سلبيته ، دجرائته : وهذا أيضاً ما يريد السيد روبينه  
العالم الاجتماعي عن غير علم منه ، ان يعكسه البروليتاريا . فثلث الطبقة المنتصرة  
التي حياها بروفه ، اذا كانت حشداً من حالات اليأس والعزلة . وما صوره لنا  
على انه رد فعل جماعي انما كان المعدل الوسطي لحالات فتور الهمة . وما كان  
مقتضاباً لدى جميع هؤلاء البشر المنهكين هو ارادتهم عدم الاتحاد . يث السيد  
روبينه قد اعطى الطبقة العامة حق ابداء الرأي حتى يتمكنها أن تعلن جهاراً انها  
غير موجودة .

وبالواقع ماذا يضع الفيفارو ان تعترف لعمال بهذا التنوع من الانسجام السلبي  
الذي يتبعه تشابه الشرط : فالصحافة اليورجوازوية قد قررت منذ زمن طويل  
انه ليس هناك وحدة معطلة . إن التمرد غياب روابط ، أي قابلية لامتناهية  
للقسمة : فلا يبد من العدد ، ورمم الخطوط ، والسعي باستمرار الى المحافظة على

١٠ - ما يصل الاثبات مشبهة أكثر أيضاً من أن علم اجتماع البديلين يوماً ينجز من هذه  
المناعة . فهو انما يدرس مجموعات ذات طيفية .

التصال عناصر غير متلازمة في سبيلها الى الانفصال . وغلاصة القول ان الوحدة ليست إلا الوجه المعكوس للعمل التوحيدى . انظروا اليها عن قرب اكثر ، تلك الطبقة التي ينفذها السيد روبيته : انها لتفسخ . وماذا تجدون مكانها : هوامات جزئية ، تعدد من زعم الفصال لامتناهية الصغر تشد من أثر بعضها بعضاً او لتتلفن وعصلتها قوة فيزيائية اكثر منها انسانية . انها الكتلة . الكتلة ، اي بالضبط الطبقة المتلية : فالكتلة خارجية باعتبار ان المعنويات التي تنتجها تكون عليها دوماً خارجياً عنها في وفرة متلازمة من المسالك الصغيرة المتناهية ، ولا يمكن أن تكون لها حاجات ولا مشاعر ولا إرادة ولا مسالك : فذلك ان الأفراد ، يترجم أمرهم كلاً لذاته ، لم يتوقفوا ولم يريدوا النتيجة العامة لإرادتهم الخاصة المثة ألف . انها جزء من الطبيعة التي في حضن مجتمعاتنا . وبالطبع انها لا تعرف غير الجسم : فالبنا يتطلب على الأتمل وحدة المنظمة او الشروع إن لم يتطلب وحدة الشخص . وهي الخيراً تتألف من عناصر غير مسؤولة : والحق ان العمال لا يعرفون ، بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ما يفعلونه ما دامت افعالهم المتفرقة تسقط لتتلقم بعيداً ، ولتضاف الى اعمال مجهولة ، وتعود اليهم في النهاية تحت شكل عراصف حفااء . الأيام الثورية ؟ انها ليست سوى لحظات زهر شعيد : فالجوع او الخوف يطردان الحيوانات من جحورها ، فتقوم في المدينة ، والحطم ، والحرق ، والتهب ، ثم تعود من حيث أنت . الحقد الطبلي ؟ متكيف يمكن لهذا السدم من الجزئيات ان يحب او ينكره ؟ كل ما هنالك انت حالته الميكانيكية ونفسه الدائم يهدان بأن يجعلنا ترى عسدياً للاتسان حيث لا يكون هناك سوى طبيعة ميكانيكية في قلب الطبيعة المضادة .

انهم يريدوننا ان نحسب رد الفعل العمالي على اضطراب ، حزيران إيدانة طبقية . لكن السيد روبيته مقتنع ، في اعماق نفسه ، بأن المسألة لا تعدو ان تكون اكثر من زعم جماهيري . فجميع الصفات المميزة لهذا الذعر ماثلة : فالنتائج في مجوعها لم يتوقفها الأفراد ولم يثمنوها ، وهي ذات طابع سلمي ، ولا تغير عن اي لية جماعية ، ولم تؤد الى تقارب العمال بسبل زادت على العكس من عزلتهم ومن

المسافات التي تفصل بينهم . فما معنى هذا ؟ أمعناهُ ان الطبقة غير موجودة ؟ هذا بالتأكيد ما يراد لنا ان نعتده . لكننا نعلم حق العلم ان العام العمالي ليس رقصة ذرات صاخبة ؛ فحق في ا حيز بران غاض العمال عملاً مشغراً بصدده نقاط اخرى كثيرة واهداف اخرى . إن ما نعلمناه هو ان الكتلة حالة قصوى من الوحدة والعزلة والمجران ؛ فقد لا يكون العامل سقط فيها قط ؛ لكنه يقرب منها في كل مرة يخرج فيها على الانضباط وعلى منظراته . ان الشرط الموضوعي البسيط للمنتج يحدد الانسان العيني وحاجاته ومشكلاته الحيوية واتجاه فكره وطبيعة علاقته مع الغير ؛ لكنه لا يبت في أمر انبثائه الطبقي . ولو انقطع وقت التضامن لبقى العامل منتجاً ؛ كادماً بدوياً ؛ اجيراً ؛ لسته سيكف عن ان يكون بروليتارياً بكل معنى الكلمة ؛ اي عضواً فصلاً في البروليتاريا . ان الطبقات غير كائنة ؛ بل هي تُصنع صنعاً .

من يصنعها ؟ يقول البورجوازي : لست انا . وهذا صحيح . ففي ظل العهد القديم كانت الارستقراطية والملكية مما اللتين تحافظان على نظام الطوائف والمراتب ؛ وكانت الطبقات مؤسسات رحيمة لها انتظمتها الصارمة . وليس لثة شيء اوضح من هذا ؛ فصاحب الامتياز يتمسك بتسلط هرمي يعلى من شأنه ؛ والمضطهد يريد ان يفسد الأسوار التي تحبس عليه اقتضاه . لكن صاحب الامتياز هو الذي ينفي اليوم ؛ عن طريق انقلاب عجائلي ؛ الطبقات ؛ والمضطهد هو الذي يتمسك بالاعلان عن وجودها . ان البورجوازية لم تفكر قط بفرض نظام طبقي صارم على العمال ؛ بل عمل حقوقها على العكس على تطوير القوانين والسياسات بسرعة من كل ما يمكن ان يشبه لامساواة مبدئية . يقول الشيوعي : « إن المجتمع اللاطبيقي الحقيقي هو المجتمع الرأسمالي » . واني لأعتقد ؛ بالفعل ؛ ان المثال الأعلى البورجوازي هو مجتمع لا طبقي واضطهادي - اي مجتمع يسبل فيه المضطهد بالاضطهاد . والعملية التي تتابها البورجوازية منذ مني عمام ؛ معتمدة في ذلك على موارد لامتناهية ؛ انما هدفها منع العامل من ان يصبح بروليتارياً بتجريدته من الوسائل التي فكرته من ان يكون انساناً ؛ وهي تسعير في

سبيل ذلك الى ابقاء الأفراد في حالة عزلة والجموع العامة في حالة تسيب، طالما ان الاضطهاد يمس الى ان يصبح برهان نفسه والى ان يجعل من المضطهدين صنائع ليس لها من وظيفة إلا ان تجرء : ولهذا يتوجب ان تنهم البورجوازية بمحاولة دائمة دائمة لتحويل العمال الى كتلة متسببة . وبالتقابل ، انما ضد هذه المحاولة تكون الطبقة العامة نفسها وتعيد تكوينها باستمرار : انما حركة العمل ، ودرجة اندماجها تقاس بشدة النضال الذي تقوم به ضد الثورة البورجوازية . ان الطبقة ، التي هي وحدة واقعية للجموع والجماعات التاريخية ، تتجلى عن طريق عملية منطلقة من تاريخ محدد وترجع الى نسبة . انما غير قابلة البتة للفصل عن الارادة العينية التي تثبت فيها الحياة ولا عن الغايات التي تنشدها . ان البروليتاريا تصنع لنفسها بنفسها بعمليها اليومي . فهي دوماً في حالة فعل ، بل هي فعل . ولو توقفت عن العمل لتفسخت .

أنا لا أقول شيئاً جديداً : فما ذكرته موجود لدى ماركس . فقد انه وشرح بأن تشابه الحاجات يعارض الأفراد بعضهم ببعض : « ان تنظيم البروليتاريين في طبقة ... يحطمه في كل لحظة ... تنافس العمال فيما بينهم » . وما يسمح للعمال بالتغلب على تناقضاتهم انما هو النضال ضد أرباب العمل : « ان البروليتاريا تمر بعدة مراحل من التطور ، ونضالها ضد البورجوازية يبدأ مع وجودها والمات ، وفي البدء يخوض النضال عمال منعزلون ... وفي هذه المرحلة يشكل العمال كتلة متناورة في طول البلاد وعرضها ومنقسمة بسبب التنافس » . فعاداً يستطيع ماركس ، في هذا النص ، ان يتكلم دوننا تفريق عن البروليتاريا وعن « الكتلة ... المنقسمة » المتناورة « يشير الى موضوع واحد ؟ هذا لأنه يحسد لدى العمال تجاروا للوضع المين لهم وكفاحية ستفرض بالضرورة ان التحامهم . ان العامل يجعل من نفسه بروليتارياً بقدر ما يرفض حالته . وأولئك الذين يلبون الى الخنوع بفعل الجوع والانهك والظروف ، يعاملهم ماركس بكلمات بلغة القسوة : فهم « بداء » و « بشر دونت » . لكنه لا يلومهم ولا يدينهم : بل يصدر عليهم حكماً واقعياً . ان العامل انسان دون عندما يقبل بأن يصحرف



ما هو كائن عليه - أي عندما وجد نفسه بذلك النتائج المفض للنتاج . وهذا  
 الانسان بدون ان يصبح انساناً إلا عندما « يعي السائتة بدون » . إنش  
 قوامه الانساني لا يمكن في ما هو كائن عليه بل يمكن في رفضه ان يكون كذلك ،  
 أي في « تمرد على الانحطاط » . انه يستطيع « بلا ريب » ان يحاول الافلات  
 من شرطه بواسطة الخاصة « وعبور الخط والاندماج بالبورجوازية . وبذلك  
 يصبح من زمرة الخائنين لطبقتهم . ووجود أمثال هؤلاء الخونة هو الذي يقود  
 ماركس الى أن يحدد بأن التمرد يجب ان يشتمل على مبدأ اتحاد: فما البروليتاري  
 إلا العامل الذي يريد الحصول على تغيير نفسه كما لجميع أقرانه على حد سواء .  
 وإنسا أنشد فقط « ستكون مهمته الواقعية قلب شروط وجوده » . وبدءاً من  
 هنا تختلط مراحل النضال بفترات التوحيد . فالبروليتاريا « في حالة حركة دائمة  
 بفعل نتائج أعمالها » . والحركة هي التي تحافظ على ترابط العناصر المنفصلة . وما  
 الطبقة إلا نظام متحرك : إذا توقفت ارتد الأفراد الى عطلتهم وعزلتهم . وهذه  
 الحركة الموجبة والقصدية والعملية تتطلب تنظيهاً . ولهذا أمكن ماركس ان  
 يتكلم عن « تنظيم طبقي » « وهي صيغة تقودنا بعيداً عن تعريف بورخاوين .  
 فالطبقة هي أولاً شيء ينظم . لا تتمتع بنفسها بل لتبلغ أهدافاً معينة . ان  
 التعريف الذي يعطيه ماركس عن الشيوعية يمكن ان ينطبق أيضاً على  
 البروليتاريا : « انها ليست حالة مستقرة » ليست مثلاً أعلى بتوجب على الواقع  
 ان يتلام معه . . . بل هي الحركة الواقعية التي تلمي حالة الأشياء الرافضة » .  
 ويمكننا بدءاً من هنا أن نفهم لماذا يحدد ماركس على حين ثورة الطبقة بممارستها:  
 « البروليتاريا ستكون ثورية لو ان تكون » « ولماذا يرفض في النهاية ان يميز  
 بين العمل وكتابة العوامل والجهاز الذي يجمع بينهما : « لا تستطيع البروليتاريا  
 ان تتصرف كطبقة إلا إذا كونت نفسها في حزب سياسي متميز » . بينما « ان  
 نظام الانتاج هو الشرط اللازم لوجود الطبقة . والتطور التاريخي بأكمله  
 وضرورة الأعمال ودور العوامل في المجتمع البورجوازي هي التي ستتمتع

البروليتاريا من ان تكون حشداً اعتبارياً من الأفراد . لكن هذا الشرط غير  
 كافٍ : إذ لا بد من الممارسة . ومن غير المهم ان تولد هذه الممارسة الديالكتيكياً او  
 بصورة ديالكتيكية من الشرط البروليتاري : فخاصة الديالكتيك انت فراقته  
 تتجاوز وتحتفظ في نفسها القدرات السابقة . والعامل ، بالجزء مهمته الواقعية ،  
 يظهر البروليتاريا ويجعل من نفسه بروليتارياً : وانه لما يسرعى الاقتناء انت  
 ماركس حين يقدم فرعاً من وصفه فينومينولوجي للعامل المكافح يجد له خصائص  
 جديدة كلياً تولد على وجه التحديد من تضال : فالبروليتاريون ، يعملون من  
 نشاطهم الثوري أعظم أفراح حياتهم ، ، وعالم الاقتصاد يخطئ خطأ قاصداً  
 إذا مسأ ظن أن العامل يحسب حساب كلفة الاضراب : ، ( يكون بذلك قد  
 تجاهل ) ان قلوب العمال سحابة . . . . وهذا يعني انهم يضعون واقفهم الانساني  
 في الممارسة الجماعية أكثر مما يضعونه في حاجاتهم الشخصية . ، حين يجتمع العمال  
 الشيوعيون فإن هدفهم الأول اللذهب والدعاية الخ . لكنهم يخلقون لأنفسهم من  
 هنا بالذات حاجة جديدة ، حاجة الاجتماع ، وما كان يبدو وسيلة أصبح هدفاً .  
 والعامل بالتقاله من الكتلة الى الطبقة يبدل جلده : فإذا ما قاده ضغط الظروف  
 او الهزيمة او الانهالك الى أن يولي مصالحه من جديد الأهمية الأولى ، سقط من  
 جديد غارح الطبقة وعاد ما سبق ان كانه . تقولون ان الطبقة العاملة أظهرت  
 للحزب الشيوعي استهجانها . فمن أي طبقة تحدثت ؟ عن تلك البروليتاريا  
 التي عرفها ماركس تنوره ، بإطاراتها وجهازها وتنظيماتها وحرزها ؟ لو كان هذا  
 صحيحاً لكان توجب ان تؤكد وحدتها ضد الشيوعيين ، وان تتكشف كطبقة  
 من خلال تبرؤها من الحزب الشيوعي . لكن من أين لها القادة والمشورات  
 والشعارات ؟ ومن أين تستمد ذلك الانضباط وتلك القوة التي يميزان طبقة  
 مكافئة ؟ وهل يتصور أحد الطاقة التي ستحتاجها منظمات سرية حتى تحسن  
 أداء هذه المهمة وحتى تحرص جميع الشفيلة ، من ليل الى حاتون ، على قادتهم ؟  
 إن جزء الجماهير ، الى التبرؤ الجماعي من الحزب الشيوعي عملية ضخمة لا

يستطيع ان يقوم بها غير الحزب الشيوعي نفسه<sup>(١)</sup>.

### ٢ - وحدة العمال لا تولد عفويا

« بالتأكيد . لو جاء هذا التبرؤ نتيجة تحريض ، لنضال سرورثا به . فما حاجتنا الى تطاهرات موجبة ومرحى بها ؟ اننا لا نتمنى ان نضع على رأس الجماهير طغاة جدد ، انما نتمنى ان نعيد اليها الحرية : ان رد لعسل ، حيزران ليست له في نظرها تلك الأهمية الكبيرة إلا لأنه كان عفويا .  
ثمة شائعة تقول ان عدو الشيوعية ادرك هدفه : فنذ دعوى روسو والعفوية تحطى بتأييد مسبق : فالحركة الأولى هي الصالحة ، والانطباع الأول هو الانطباع الذي يظل سائداً . وبأي كبرياء صيغانية طائشة نظهر أكثر حقائقنا سرية لأنظار جميع الناس : « أجل انني انا » وهذا من فعلي أنا ، هذا انا « انني هكذا » . وفي هذا المزيج من الطبيعة والحرية تخضع الحرية للطبيعة : فالمرء يتكرر نفسه على ما هو كائن عليه « والاندفاع العفوية « المقطوعة الصلة بالمعادن والاصول ، والمتلافة مع الظروف من غير ان تكون محددة بها ، هي بداية « هي بداية « لحظة « لكنها تعكس لنا ما هيئتنا المنفردة . وهذا معناه ربط العمل بالكيثونة « العمل بالعاطفة ، التطور بالامتطور . والسان « التفرة الأولى « يفلت من تلك الضرورة القاسية التي تحتم عليه ان يوحده باستمرار ما يفكر به وما يحبه وما يقفه : فوحدة شخصه سابقة الوجود ، وهي تتفتح كوردة في الديابجير ، والمؤرخون سيكشفون في أفعالها وحدة اتجاه سرية . وبدلاً من ان يصنع نفسه ، يترج عنها أوراقتها ويتشققها . وهذا يكفي : فالذات قد أوحث بأدب بالغ الأهمية « والرجوع اليه قد يثير الاشتراكي لكنه مشر .

١ - في التبرج التالي - كانون الأول ١٩٥٦ ، عند الاستفتاء التعلق بالاضراب العمال « حدثت معارضة . لكنها لم تكن فعالة واجمة إلا في المصانع التي لا يوجد فيها نظير ايدى للاندفاع العام للتشل ( التعلبات السجعية ، الخ ) .

والجديد - ليس جديداً للغاية : قرن واحد - هو ان العفوية تستخدم لأغراض سياسية . ولقد تم ذلك تلقائياً . فقد كانت الوقائع الاجتماعية تعامل كأشياء ، فأصبحت تعامل كأناس : فإذا بالجماعير تصبح من قوات القوة الأولى ! ان عفوية الجماعير ، الخيرة ، العادة ، الأصبية ، تنال عطف جميع الناس ، وحكمها لا استئناف فيه كحكم الكلاب والاطفال . والحكومة التي شعارها هي حكومة مجتونة وشريرة حقا . انظروا : لوئيت في تونس ، هذا اذا لم نشأ ان نأني بشاك من بلد ابعد ، لو ثبت ان السكان يشنون عفويا رحيلنا ، فما من شك في ان رأيكم سيكون الرحيل فوراً . لكن الحقيقة المزعومة هي ان الانتقادات قد افشلت . ولقد هم الحكمة العقلية : إن التنظيم يفتق انتقادات التلب الطرة ، ان فالعفوية الحقيقية لا تشمل ان تكون منظمة . ان فالعصيان لا يمكن ان يكون عفويا : على وجه التحديد لأنه لا وجود لعصيان بلا رئيس . تسألون ما العفوي ؟ انه واضح : الدبول الحر بالانسطها . وإياكم والاعتقاد ، بالأصل ، ان الاحزاب الجماعيرية تفكر على غير هذا النحو : فما نقصد ، في هذا النظام من الأفكار ، هو العفوية المرجية . وهي لا تفرده في ان تصور الظواهر العدة ، الموطرة ، الحالية من الحاجات وكأنها سبل هانج . لكن ما تبغضه ، على سبيل المثال ، هو اللامتوقع وجميع تلك الفورات القبية التي تتجاوز الزعماء وتفرقهم : ان مثل هذه الفورات انما يقتلها الحضم . وإلى اليوم أيضاً ما يزال الناس يعتقدون بمرح قراءة صحف تونز ١٩٣٦ : كانت الجماعير ما تزال تعتقل بانتصار الجبهة الشعبية ، فيخطر لها ان تحتل المصانع . ونظر كل الى نفسه وتساءل : من الذي يشد الحياوط ؟ وقسال أرباب العمل : انهم الشيوعيون . وقال عامل شيوعي لسيمون ويل<sup>(١)</sup> : انهم أرباب العمل . ولقد تحدث الناس أيضاً عن هتلر والطاير الخامس . كانت المهرم في نظر صحيفة « لو فان » تونز ، وفي نظر تونز ترونسكي . لكن ما كان ليخطر ببال أحده

١ - كلية لورلية كومت حياتها وكتابتها المدة الاجتماعية ( ١٩٠٩ - ١٩٤٣ ) .

آنذاك ان ينسب الحركة الى عقوبة الجماهير : تصوروا الآن ! حركة تولد مسن تلقاء نفسها ، ولا زرعها لها ؟ لا بد أن في الأمر شيئاً .

اصابهم ، حزيران فهو ، على العكس ، مطمئن تماماً : فالجماهير لم يصدرو عنها اي رد فعل البتة . ليكن : هذه هي العقوبة المثارة الخادمة حتماً . ولقد هلت الصحافة المعادية للشيوعيين : « سمحت بليخ : لقد تكلم الشعب ، ، . . . » . ويعترض المرء عليها بالقول ان الارادة الجماعية لا ترجع إلى مجموع العقوبات الفردية . ١٩٤٨ من الاستنكاكات ، أهذا لا يعني في نظركم شيئاً ؟ ألا تحسون بتوعية هذا السكوت ؟ ألا تشعرون بأنه صرخة مزقة ؟ وقد تكون أكثر الصرخات التي سمعتها الأذان البشرية بأساً ؟ ان الوعي العبادي يرب بفكرة تحشب وتصلب . فأين يسكن هذا الوعي الثوري ؟ في اللاشعور ؟ بالطبع . فهو انما هنا ينتصب متنفخاً وغير منظور في البداية ليتشتت فيما بعد في ألف رفض وألف .

اذا اردت ان تصنع طبقة من غير أن تقادر حجرتك ، فالوصفة سهلة : خذ الكتلة - التي هي العدد الخالص - واجعل منها جمهوراً - وهو عضوية بدائية . واجعل من الجمهور شخصاً ، وعلى سبيل المثال متولة ملهمة . فلا يبقى عليك إلا ان تحمل لغز وحيتها . واذ ائمت الصمت ؟ لا تخف : فهناك وسائل كصيلة يجعلها على الكلام . وفي الحالة التي ندرسها هنا ، يبدو عليها وكأنها تريد ان تترجم الصمت : لم تكن لدى اي عامل من العمال الذين رفضوا الاضراب نية صريحة في استنكار موقف الحزب الشيوعي . لكن لا اهمية لهذا : فاليسار المهادي الشيوعي يذكركم بالنسبة بفكرة ماركس : ليس المهم ما يعتقد البروليتاري ان يفعله ، انما المهم ما هو مكره على فعله . ويدهي انه يتكلم ان نعطي هذه الصيغة معنى ذات نزع موضوعية خالصة ، وهذا بالذات ما يبدو ان ماركس فعله : فالأفكار التي نكوتها عن أنفسنا لا تبدل لا منطقها الباطن ولا يلبثها الموضوعية ولا نتائجها التاريخية . لكن هذا تفسير خطر : لأننا لو أخذنا به لوجدنا أنفسنا متفادين إلى الاستنتاج بأن بعض العوامل الموضوعية قد أبقت على العسائل ، يوم ، حزيران ، في حالة تشتت ، وزادت من درجة تحوّلهم الى

كثة . ولو كان علينا ألا تأخذ بعين الاعتبار سوى الفعسال الوعي ومضامينه ،  
 فالأم سؤال اندفاع البروليتاريا الثوري ؟ وما المصير الذي ينتهي إليه  
 كفاحيتها ؟ هل رأينا قط من بروليتاريا بلا كفاحية ؟ أم يمكن ماركس يقول  
 انها إما ان تكون ثورية او لا تكون ؟ والحال انها كانت ، وواجب عليها ان  
 تكون ، وإلا فقد الماركسيون المعادون الشيوعية أمهم ومبرر وجودهم . إذن  
 فلا بد ان يوجد فيها اندفاع ما ، وإن كان غندوعاً ومضلاً ومزعجاً من قبل  
 الاشرار . أليس قمة أثر من هذا الاندفاع ؟ حسداً لأنه ليس يتناول حواسنا  
 مباشرة . ويكفي أن توجه صيغة ماركس نحو التحليل النفسي : ان الوعي  
 كذب . وأكاذيب هي أسباب العمل التي يعطيها لنفسه : فتحليل الأفعسال  
 ودلائها الذاتية يرجع الى العفوية العميقة التي هي مصدرها . وإذا لم تلتوا بهذه  
 العفوية ، استلجتم بكل بساطة ان استكشاف العمال وترودهم وشكوكهم نصير  
 عن حالة إبتاكتهم الموضوعية . لكن افا مسأ بدماً بالتفكير بأن البروليتاريا  
 يجب ان يكون في كل زمان ومكان ثورياً واقفاً ما فهمت موقفه على ضوء رسالته  
 التاريخية ، فمتدعا لا يمكن لتطور الهمة والحول الذين برهن عليها ان يكونا سوى  
 الظهر السطحي والتكاذب لاندفاع عميق . فطالما انه فعال بالضرورة ، فإن  
 سلبته هي شكل العمل الذي اختاره لأنها متلائمة مع الظروف ، وفي لغة العفوية  
 يصبح الاستكشاف لوماً . وفي نظر الماركسي المعادي للثابته لا يمكن لممارسة  
 الجماهير الثورية ان تختلط بالثاورات التي تتفدعا تحت قيادة الحزب الشيوعي .  
 ولما كانت الجماهير لا تتفد من عمل غير هذه الثاورات فإن هارستها الحقيقية  
 تتجمل عن طريق ما لا تعلمه . ولقد رأينا لثوفا الحرية تختلط بالطبيعة ، كذلك  
 يجازع هذا الموضوعي والذاتي ويظهر في النهاية واقع غريب هو في آن واحد  
 وحدة الجماهير الموضوعية التي لا تقع تحت الحواس باعتبار انها كاستنج من  
 نشقتها ، واندفاعها الذاتي اللامتطور باعتبار انه يستخلص من سكنها الثوقت .  
 وهذا المفهوم المتناقض يفرح علينا فسباً بعد باسم الطبقة . فكل شيء  
 يجري كالو انهم يطلقون اسم طبقة على عفوية الجماهير الذاتية المهومة من الخارج

على أنها وحدتها الموضوعية . ولما كانت العفوية تلف خلف الوجدانات الفردية فإن الوحدة الموضوعية ستقف خلف تشتت هذه الوجدانات . والتجربة بالطبع تتابع بلا كلل تقدم القبار نفسه اليها . لكن لا أهمية لهذا : فالطبقة باعتبارها صفة تصورية ، واختياراً سابقاً على التجربة ، ومطلقاً متعمداً ، ووحدة بالقوة والحق لتعدد ، ومبدأً ثورياً يخترق السادة القائمة ، هي التي تنتج وليس البشر الذين ينتجونها . وبذلك يكون الهدف قد أدرك .

ذلك ان هذا ما كانه الهدف . فمنذ عدة من الزمن كتب السيد ثورا<sup>١</sup> بذلك السذاجة التي يوجددها الخلد أحياناً : « إذا ما عزلنا القادة الشيوعيين عن الناس الشرفاء ، وإذا ما قطعنا صلحتهم عن جيل الأمة والطبقة العاملة ، نكون قد اسقطنا في يدهم بسرعة وحكنا عليهم بالعجز . وابتسم أعداء الشيوعية بريرة : قطع الصلة ، هذا تصرع في القول : اعطونا أولاً السكين . » والحال ما هم الناس الشرفاء يتصدون عن الحزب بفعل هزات صغيرة : ان تسلطه على الأرواح بألمه من موافقتها ، ويكفي ان رسم اشارة الصليب حتى يضطر الى الحرب الى الجميع من جديد .

على رسلكم . لكن حسدوا من ان تبرهنوا بالبحث على ضرورة الحزب الشيوعي . تصوروا هذا : إن الطبقة العاملة فيها من الشيطان الرجيع ، فتسطره الروح الشريرة ، وفي اللحظة التي يطير فيها شيطانها تفتح عينيها وتتحطم شر تحطم ! فهل تخيلوننا بلا بوليتاريا ؟ الحق ان هذا الاحتمال لا يتخيف الجناح المبني من اعداء الشيوعية الذي لا يني عن التردد بأن العامل مجنون بحسب نفسه بروتاريًا ، لكن الجناح اليساري لا يستطيع حتى ان يتحمل فكرة ذلك : فالماركسي غير التالي ، مع اعتقاد صهفته الجيئة المدينة الشفقة ، يفقد كل شيء وأولاً شرفه في ان يظل وياً بلا أمل . وانسا لا استعماله الخاص وضع هذا المصوم التخويفي : الطبقة - الاندفاع . فساو نظرتم الى العالم من هذا المنظار ، رأيتم الطبقة في كل مكان وحتى لو كانت البروليتاريا

١ - ثورا : « من الكومستون الى الكومفروم » .

منتقاة شرقتيت . وطالما ان المطلوب لجمريد الحزب من فضل تحقيق وحسنة العمل العمالي ، فسوف يتم وضع البدأ السحري لهذا التوحيد في مكان ما بين نظام الانتاج الموضوعي وذاتية المنتج ، كما توضع العنوية الفردية بين الكيفية والفعل ، والبيدس الفردية بين الجسد والوعي الصاعي . وهذه الجرويلتاريا الطبيعية ، القوية بمرونتها ، تستطيع ان تتناول من غير ان تنقطع أو ان تتكلم من غير ان تمزج ، انها تتمدد وترق ، وتساب عسج فرجات قنصها ، وتجمع في الخارج أو لتضغط وتحرر وتخرق قضبان الجهاز وتذهب لتستعيد جميعها الطبيعي بعيداً ، بين اصداقها الحقيقيين .

ان هذا القو يرضي التناول الاشتراكي كما كانت اليهوانيات حول الطبيعة الطيبة ، يرضي التناول البورجوازي : وهذا سبب آخر من الأسباب التي تدعونا الى الشك فيه ، ذلك ان التناول والشاوم وجهان لتضليل واحد . فعين يرفع نسبة الموت الاختياري ، قبل ترشي لها اصاب و ارادة الانتعاش القومية ، من تصلب ؟ ونحن نتخلص ، فهل ينبغي ان نهى ، انفسنا على تصلب خريزة الحياة القومية ؟ لا نقولوا لي ان الطبقة موجودة وأن الأمة ليست إلا تصوراً من تصورات العقل ، لأن هذا هو على وجه التحديد المطلوب اقامة البرهان عليه . ذلك انكم تمتدنون على نائل الطبقة ( أي على نائل الشروط ) تبرهنوا على عفويتها ، وعلى عفويتها لتقيموا الدليل على وحدتها . لكن دعونا من هنا ، ولنقبل بأرت استنكافات ، حزين ان تعبر عن جماعتي ، ولننظر أين يفردنا هذا .

افتح صحيفة روزنكية تعلق على الأحداث الأخيرة<sup>(١)</sup> . ان اصل الاستياء العمالي ، في نظر أحد محرريها وهو السيد جيرمان ، يعود الى عام ١٩١١ : فبين التحرير ونهاية عام ١٩١٥ اتبعت لتجاهير عدة فرص لاستلام السلطة ، لكنها ارجحت على اضاعة فرصتها . وعلى هذا فإن قادة الحزب الشيوعي قد مارسوا العنف على خريزة ملايين المتاضلين وديناميتكيتهم الثورية . ، ترى هل كانت

١ - حقيقه العمال - نشر في الأول ١٩٥٦ .



ويقول سيحقي الطبقة العاملة ؟ بالرة : هذا ما يجيب به السيد جبر مان الذي  
 يذكرنا به « شلل اليورجوازية التام » يوم التحرير . وبالأصل لم يكن المطلوب  
 إقامة دكتاتورية البروليتاريا . انما كان المطلوب سير غور و القدرة الشعبية على  
 التصير ... وخلق وتطوير بقدر سلطة جديدة شكلتها الجماهير بالأصل من ثلثاء  
 نفسها ( لجان التحرير ، لجان المصانع الخ ) . ولم يستطع المكتب السياسي  
 للحزب الشيوعي الفرنسي ان يطفئ النار حين جاءت سماعته لأن ستالين ضحي  
 بميل أوروبا على حساب رغبته في التعاون مع الرأسمالية الأميركية<sup>١</sup> .  
 ان هذا التفسير يساري اي تفسير آخر . لكن لتلاحظ على كل حال انه ليس  
 فيه من الماركسية شيء . والحق ان الفرونتسكية تعسافي بالرغم عنها من المصير  
 المشترك لجميع الماركسات : ان الحزب الحاكم والقمي المذهب باعتبار انه يؤكد  
 ويؤمن انه يثبت ان الواقمي هو وحده الممكن ، وان السياسة الوحيدة الممكنة  
 البناء هي السياسة التي ينتهجها . اما المعارض فيصرح انه كانت هناك سياسة  
 أخرى واحدة على الأقل وانها على وجه التحديد هي الأحسن ، وهذا ما يُكرهه  
 ولما عن كل شيء ، على اتخاذ موقف مصوبغ بالمثالية ان كثيراً وان قليلاً :  
 فهناك ممتلكات لا تتحقق ، والصيرورة الواقعية تكلف عن ان تكون قياساً  
 الانسان ، باعتبار ان ما هو غير كائن أقرب الى الصحة وأتمتع واكثر ثلاثاً مع  
 المصالح العامة مما هو كائن ، والتحليل التهدي للوقائع يقود الى اللاكينونة ( ما  
 لم يحدث ) وفي النهاية يردد لتفسير التاريخ باستمرار ال فرض ضائعة ليس لها من  
 وجود إلا لأنها مفكروها . وهذا ينطبق على الحالة التي ندرسها هنا كل الانطباع .  
 فحين يكتب السيد ديكاكو : « الحزب الشيوعي ... يعني انه لم يفرك اي امكانية

١ - تريخ كلاسيكي ، ففي نهاية الحرب الأولى تحت الاقلية في الاتحاد العام لقتل بالانه على  
 الاكثية لأنها ضعت مصالح الطبقة العاملة في حساب مصالح الأمة . وكتب غريغوريو : « كانت  
 اليورجوازية لتفقد بأنها ملازمة القبول بتضحيات ثمة لصالح البروليتاريا ... لكنها سرعان ما  
 تالكت نفسها والتصرت » ( شباط ١٩٤٠ ) . وكتب مولوسو في نيسان ١٩٤٠ : « امت  
 الطبقة العاملة هنا . وتمنى ... لكن عمراً اياً والمخرج من مبدأ التعاون في الألمانية في  
 خطر ... » .

تاريخية ثقلت منه ... ولو صار ... في غير الطريق الذي سار فيه ، لا يمكن للقاضي يقول ان يأخذ من ذلك فريضة يسحق ، بمساعدة الأمير كان الطبقة العاملة ... ، يسأل عن السيد جبر مان أن يسخر منه : فريضة ؟ ما معنى ذلك ؟ ان الطبقات الاجتماعية في نظر الماركسي لا تقضي صلوكها على ذرائع ، بل لبعاً لمصالحها وعلاقات القوة التي تسمح بتلويح هذه المصالح . ومع ذلك فإن ذلك لا يظل أكثر وفاء لروح الماركسية من جبر مان : فماركس بعيد عن نفي وجود الممكن ، لكنه يقصد به لحظات العمل المستقل كما تتجلى لنا أثناء الإعداد له . وواجب على القادة والمناضلين معاً ان يتمكنوا من القول وهم يلتفتون نحو الماضي : لقد فعلنا كل ما كان ممكناً ( أي لقد امتد علمنا الى أقصى ما سمحت له بسه الظروف ) - ولم يكن من شيء يمكن غير مساهمة ( فالتحول التي استبعدناها ثبت الحدت انها لم تكن عملية ) . ان هذا الموقف يتجه الى توحيد الواقع والعمل . فكل ما هو واقعي ممارسة ، وكل ما هو ممارسة واقعي . وهذه هي ، بلا ادنى ريب ، البداية التي استلهمها أيضاً فروتسكية . لكن السيد جبر مان ، يصلته معارضاً ، يتطلع الى تثبيت الحقائق التي تنقضي : كانت امام الجماهير في فرنسا امكانية مباشرة لاستلام السلطة : وهذه الامكانية كانت أكثر الامكانيات انسجاماً مع مصالحها وأقصر الطرق الى الثورة العالمية ، وبالخصاص كانت الامكانية التي تلخص في ذاتها أكبر قدرة من الواقعية والفعالية ، ولهذا فإنها الامكانية التي لم تتحقق . ٦ - لو استولت الجماهير على السلطة لما كانت البورجوازية تحركت . ان موقف السيد جبر مان وسط بين موقف المناضل الذي يجعل الوضع الراهن ونسب عليه الفرار الواجب اخذاه ، وبين موقف النظري الذي يستخلص دلالة الأحداث الماضية . وصحيح انه يحق للأول ان يقوم بحرد الامكانيات ، لكن تحليل خاضع لضغط اللحظة ، مهتد بضوء الأحداث ، معدل به الصيرورة التاريخية ، مفهوماً باستمرار من قبل التجربة ، وهو أخيراً يختبر صحته في الممارسة نفسها . والتقابل يستطبع النظري ان يزعم انه يتلفنا حقيقة

موتوفة بشرط الانتصار على صا هو كائن وعدم التطلع الى ما كان يمكن ان يكون<sup>١١</sup>. ان السيد جيرمان يبني رأيه على واقع ميت . وهو لا يستطيع ان يزعم انه لا ينطق إلا باليقين في الوقت الذي يحاول فيه ان يبين النتائج الممكنة لما لم يكن . اما هدف بحثه الذي لم يفتح بوجود فعلي ، فإنه سيكون موضوعاً مجرداً للفكرة من الأفكار . وبكلمة واحدة : انه سيكون لأنه مفكر به . وهكذا ينقل السيد جيرمان عن المخطط الماركسي الصرف طسابق زجعة مثالية احوالية الذهب لتسند استدلالها في غالب الأحيان الى محض تعميمات جريئة . وبالأسفل ماذا ينبغي ان نفهم من هذه الكلمة المثبتة والممكن ، ؟ كان في امكان الطبقة العامة ان تنصر : ليكن ! لكن بأي شروط ؟ كانت علاقات القوة في صالحها ، وكانت مصالحها تدفع بها الى استلام السلطة لكن زعماءها ضمرها . لتقبل بذلك : لكن هل كان في امكانهم ألا يفعلوا ذلك ؟ ما الذي تمنعهم على ما هم كانوا عليه ؟ أخضعوهم للحزب السياسي ؟ لكنكم تقضون هذا الخسوع منذ سنوات كثيرة . بل ان هذا الارتباط يمسكو هو الذي يميز في رأيكم الحزب الشيوعي الفرنسي . فهل كان في امكانه ان يبدل بينه الأساسية عمام ١٩٤٤ ؟ وما معنى هذا ؟ اعرف انكم فيزون - لا اقول انكم على خطأ - تياراً يسارياً في الحزب وانكم تقولون بذلك النظرية الهازلة عن وجود حزب شيوعي ثوري : لكن كيف كان في مقدور اليسار ان يفرض نفسه قيادة التحرير ؟ يوم كان كل شيء ينتظر من الاتحاد السوفياتي ، يوم كانت اليورجوازبة تبدو وكان الأمر أسقط في يدنا ، يوم كان لكثيرون ما يزالون يؤمنون بالزعمة السليبة الاميركية ، اما كان صحيحاً ؟ كما تقولون ، ان قيادة الحزب ما تزال تتجه الى اليوم ، حتى وهي في ذروة تفهوها ، في فرض الصمت على قذمرات القساعة ؟ سياسة الاتحاد السوفياتي اذن ؟ هل ستقولون ان الذنب يقع عليها ؟ ربما : لكن في اي الاوقات كان تغييرها ممكناً ؟ أليست هي انعكاساً لمجتمع محدد ؟

١ - انكم عن النوع الماركسي لا عن النوع اليورجوازي الذي توقع تصوره التغييرية بين اللازم والدمج اللازم . بين الحرية والحتمية على حد سواء .

ببناء الاقتصادية والسياسية ، بفنائه الاجتماعية وتزعاضه الداخلية ؟ هل ينبغي  
 ان يرجع القهري الى فرسخ موت لينين ؟ ان البعض يملك ذلك : فالقضية في رأيه  
 قد نمت واصبحت يحكم الحاضرة منذ ١٩٢٣ - ١٩٢٤ : قلبي حريف ١٩٢٤ ،  
 بعد هزيمة البروليتاريا الألمانية ، تكلم ستالين للمرة الأولى عن « الاشتراكية في بلد  
 واحد » ، وفي ذلك اليوم بكت اللاتكة ، فلنكأنا عبداً الى الخطيئة الأصلية  
 والى مناقشات لا يتر مع آرنو الأكبر<sup>١١</sup> حول القهوية : انت ستالين يصبح آدم  
 الآب الصغير للمصر القوي . وهذه النظرية مقبولة : إذ من الممكن ان نقبل بان  
 الظروف التاريخية تتوافق احياناً لكن بصورة لغوية للغاية بحيث تسمح بعمل  
 الساتي فعال بقرص مصير الاتجاه التاريخي . وانا كنت القرص غير متوفرة ، فمن  
 الممكن الصبر عشرين عاماً ، بل ربعاً نصف قرن ، حتى تعود هذه القرص . وعلى  
 هذا ستكون القروسكية في انتظار . لكن إلامَ نؤول آتئذ ؟ إمكانية ؟  
 ١٩١٤ ؟ كانت اللعبة قد نمت يوماً واصبح مستحلباً على الإرادة ان تدخل .  
 وانا امكن لبعض التحسين ان يستعملوا بأنهم سيفورون الطبقة العاسية الى  
 النصر ، فهذا لأنهم رأوا تفاصيل الموقف من غير ان ينظروا اليه في مجموعه .  
 وزعم آخرون على العكس - ولعل السيد جيرمان منهم - انه من الممكن ،  
 حتى لو كانت القارة فترة ثورة مناعضة ، ممارسة تأثير متواصل على مجرى العالم  
 بشرط ان يظل المرء مستعداً للاستفادة من جميع تناقضاته . وهم في موقفهم هذا  
 يلقون الدعم من ماركس والتجمل الذين كما يبلان باحتيالية التفاصيل<sup>١٢</sup> ، ومن  
 لينين الذي كان يرفض ان يطبق على دراسة التاريخ القومي البادي ، والمتسارع

١ - معروف ان الأشخ الأكبر القروسكيين على الستالينية هو لومغا بنظرية « الانتراكية في  
 بلد واحد » ويظهر حول كغابل هذه النظرية مبدأ « الثورة الدالة » .  
 ٢ - لاهوتي فرنسي دافع عن الجائسليج ضد اليسوعيين ( ١٩١٥ - ١٩١٦ ) .  
 ٣ - اي تعين صارم لكن طريقي للواقعة الخاصة . وليس من المهم ان نقضي هذه الترساتع  
 الخاصة ليا بعد وان يستعيد مجرى التاريخ . الذي أخر لو حرفة حلقة - الجامعة العالم . لكن  
 يظل واجباً بأن نفس الحاضر بالخاص . وليس لسك الحلق في ان نستبدوا الواقعة الى مكانها في التاريخ  
 العام عالم الفكر اعزما بكافة من خلال خصوصيتها .

التي كانت تحدده في حل ألقاز المجموعات الكبرى من التاريخ العالمي . وسمح لهم ان يعتقدوا ان دياجير التاريخ الصغير وفأرجحاته متلاشياً امام نظرة التورخ القبول . ولعلنا متمكن ذات يوم من رؤية مكان ودور الأحداث الزاهنة . ولعلنا ستدرك آنذاك انها كانت الوحيدة الممكنة . لكن طالما ان التاريخ لم يكتب ، وطالما التنازلي الحاص من خلال منظور خاص ، فإننا لا نستطيع ان نفسر تفاصيل سياسة من السياسات والرجوع دوناً لوسطات إلى الاعتبارات العامة . وإذا كان العالم صيرورة دياكتينكية كل حركة من حركاتها المحلية على صواب في حركة المجموع ، فمستطيع التروتسكيون ان يفهموا سياسة ستالين ، لكن كيف سيفعلون حتى يدبونها ؟ فهي ستكون على أساس هذا العرض في كل زمان وفي كل ظرف ما كان عليها وما كانت تستطيع ان تكون ، لا أكثر ولا أقل . ولعله سيوجب آنذاك ان نلاحظ ان ورق اللعب جرى توزيعه بصورة تجعل الاشتراكية مستحبة من البداية . او على العكس ، كما يقول ميرلوبونتي : « ان الطريق الذي يبدو لنا متعرجاً قد يظهر بعد ان تدور عجلة الزمان وبعد ان يتكشف التاريخ الشامل على حقيقته انه كان الوحيد الممكن بل أيضاً أفضل طريق يمكن » . وعلى كل الأحوال يقف الحزب الشيوعي الفرنسي بعيداً عن قلم الاتهام . ولا وجود ولا يمكن ان يكون هناك وجود لممكنات غير متحققة حتى على صعيد ذلك التاريخ التارجع الذي تسأل في الأحداث يوماً متأخرة او متقدمة على الموعد ، وتظل ألقازها غير قابلة لفك جزئياً ، والذي يمكن فيه لزراع من الزراعات أن يظل ، إذا لم تتوفر له عنة موجبة ، دقيقاً معلوماً مدة طويلة من الزمن كقنبلة لأخر انفجارها ، مها يمكن محق أسبابه . والزراع ، في الحالة المدروسة هنا ، موجود : انه صراع الطبقات . وميزان القوى محدد : ففي عام ١٩٤٤ كانت امسكالية عينية لامتلاك السلطة متاحة للطبقة العامة . فما النقص إذن ؟ العلة الموجبة : التجاهل آخر لسياسة الشيوعية .

كل ما هنالك ان المعارض الماركسي يقف متوزع النفس بين اطروحتين :

فحق يبرهن له « الساتليين » عن أخطائهم أو أكاذيبهم يريد ان يأتي بدليل لا  
 يدحض : لذا فهو يستخدم مناهج واعتبارات التاريخ الديالكتيكي العريض ،  
 وحتى يثبت على العكس انه كانت هناك امكانية لعمل آخر في هذا الطرف أو  
 ذلك بلجأ الى الاستدلالات الاحتمالية المذهب . فحين يرفض السيد ديكيوان  
 « بدم قريظة » للفتح ، يتهم السيد جيرمان : قريظة ؟ « منذ متى ينتظر  
 الفاشيون ذرائع لضربوا الحركة العامة ؟ » . وخلاصة القول ان الحزب الشيوعي  
 يبرهن على سذاجته إذ يعتقد انه كان ممكناً ان يقول ان يتصرف على غير الصورة  
 التي تصرف بها ، وان هذا العمل لم يتحقق نظراً لأنه لم تتوفر له المناسبة !  
 ويحيب السيد جيرمان : « عندما تكون علاقات القوة متعددة ، فمن السهل  
 دوماً إيجاد « قريظة » مناسبة » . انظروا كيف تقوم الشاعة : ان يقول  
 يتضاهل جميعاً بشكل شبه مليون ويقتد ملاحه الخاصة ، وفي البدء يصبح  
 الفاشي - وما الفاشي إلا الاستخدام التام للسلطات التي يملكها لصالح المصالح  
 التي يخدمها . ثم يدوب في طيبته فإذا بنظراً يعانق البورجوازية نفسها . ثم لا  
 تضرب الحركة العامة ؟ لأنها لا تملك القوة التي تشكلها من ذلك . ان كل قوة قيل ،  
 من تلقاء نفسها ، إلى إظهار أقصى حد من مفعولها الخدأ بتسخير الاعتبار القوي  
 الأخرى التي تمارس قاطعتها على التلطة نفسها : والحديث « حصلة القوى الثابتة »  
 هو دوماً كل ما يمكنه ان يكونه . اما عوامل التاريخ المحلي فقد تبخرت  
 واستبعدت : أصل وطابع الجهاز الحاكم ، البنية الواقعية للبورجوازية عمام  
 ١٩٤٤ ، المصالح الخاصة ، الآراء المسبقة ، المعتقدات ، الأيديولوجيات ، ضرورة  
 السياسة اليومية . ان يقول يعتبر فاشياً عام ١٩٥٣ ، بل قد كان فاشياً ايضاً  
 عام ١٩٤٤ . فويل كان في وسع هذا الجنرال ، القليل التأيد بالتأكيد للجمهورية  
 لكن الذي وعد بإعادة توطينها ، ان يترك نفسه في تلك الفترة بتناقضات  
 شخصية ؟ ان هذا شيء لا تأخير له على مجرى الأشياء . وهل كانت في وسع  
 البورجوازية ، غداة احتلال بالغ الضرر ، ان ترى ان من الأفضل لها التواني  
 وعدم الجوء إلى العنف مع بقائها دوماً على استعداد لاستخدامه ؟ لا أهمية لهذا .

فطالما ان الطبقة البيروقراطية قد فعلت ما فعلته ، فهذا معناه انها ما كانت تستطيع ان تفعل غير ما فعلت . حسناً .

التي اطبق هذه المفاهيم على الطبقة العاملة : فانا لم يصل الى علمي انها استلمت السلطة لكن يقال لي - واعتقد ذلك - انه كانت لها مصلحة في استلامها وان علاقات القوة كانت في صالحها : اذن فلا بد انها استفهت من غير ان يعرف أحد بذلك . يقول السيد جيرمان : على الاطلاق ا كان في وسعها ان تستلمها ، لكنهم قادتها الذين منعوها من ذلك . عجباً ! ومن هم هؤلاء القادة ؟ و انهم من بين قادة الحزب الشيوعي الفرنسي اولئك الذين يتسكون باسمه بالامتثالية البيروقراطية ، أي أولئك الذين هم دوماً على استعداد للانجساء بيناً أو يساراً تبعاً لحاجات دبلوماسية الكرملين والذين هم على استعداد للتضحية بمصالح الجماهير الجمهورية لحساب هذه الحاجات<sup>1</sup> . - بالأمرار ! لكن ما السبب في انهم هكذا ؟ لقد فهمت لتوي ان الفاشي هو التعبير الصرف عن طبقتك وادائها الفعلى . كما انني انهم ان « البيروقراطية » السوفياتية ، عندما قرأ تروتسكي أو « الخليفة » انما تعبر عن مصالح بعض الفئات الاجتماعية ، وانها مشروطة بالمجتمع المتبسط عنه بالذات . بل انني أعظم الملاحظة التالية التي وردت في « الثورة المدورة<sup>2</sup> » : « ان المجتمع السوفياتي الراهن لا يستطيع ان يستغني عن الدولة ولا حتى - الى حد ما - عن البيروقراطية . وليست هي بقايا الماضي البائسة التي تخلق هذا الوضع بل هي ميول الحاضر القوية . » والسبب ما يطمئني تماماً بصدده المكتب السياسي : ان شخصية اعضائه او ارادتهم الخاصة ليس لها من اهمية. انما هو الاتحاد السوفياتي ذاته الذي يعطي نفسه بهم وعن خلاصهم الجهاز الذي هو بحاجة اليه في المرحلة الراهنة<sup>3</sup> . لكن بيروقراطية الحزب الشيوعي

١ - اقتبست هذا التعريف من مقال السيد فونانك .

٢ - كتاب شيور تروتسكي فوضع فيه البيروقراطية السوفياتية .

٣ - لا يزعم السيد جيرمان - لتكون عادلين - انه كان ينبغي استلام السلطة ؛ « فلي هذا مغامرة » . انما يقول ان الطبقة العاملة كانت تلك القوة والانسحاق للآزميين للاستيلاء عليها . لكنه لو كان قائداً ، فيسلم أي شيء كان يسلحها به ان يتكون قد جرحها على هذا الطريق ؟

الفرنسي من أين تأتي ؟ انها لا تستند الى الجماهير طالما انكم تهيمون الكتب السياسي ، بتضحية مصالحتها الجمهورية وبممارسة العنف على طرائزها الثورية ، ولا الى بلية مجتمعا طالما انه مجتمع بورجوازي والحزب الشيوعي لا يلعب فيه دور حزب حاكم ، ولا الى ميزان القوى طالما ان الميزان كان في نظركم ، في صالح العمل ؟ اما عن التبعية للاتحاد السوفياتي ، فواحد من أمرين : إما ان تبينوا انها لازمة اليوم لحزب ثوري - وأنتد يخلفي كل - ممكن - ولكون قد ربطتم بأيديكم مصير البروليتاريين بصير الجمهوريات السوفياتية - وإما ان تقولوا : كما فعل بورديه ، انه من الممكن التملص من هذه الهيمنة : وفي مثل هذه الحال يتسخر خمول الحزب الشيوعي بأخطاء فردية وبعدم تفهم الموقف وبعبوب في الطباع ( امتثالية ، جبن ، الخ ) . وذلك الذي تتميزون له<sup>11</sup> قد كتب : « ان الثورة لا يمكن ان توجد بمرسوم ، انما يمكن فقط اعطاء قواعدها الداخلية بتسيير آسيباً<sup>12</sup> » ، ومع ذلك تقولون بأنه قد امكن لجم الطبقة العاملة وهي في ذروة اندفاعها بفعل التأثير القوي لنادتها . وخلاصة القول انكم لتكثرون على البورجوازية الأسباب المسببة وتسلمون على البروليتاريا . وذلك لسبب واحد ، ألا وهو ان الأثم هو بالضرورة مسبب ( Occasionelle ) فقد كان يتدرج أمره بشكل أو آختر مع قدرية العصور القديمة ، لكنه مرغم ، مع ضرورة المحدثين على الاختفاء : والحال انكم بحاجة الى مذنب<sup>13</sup> .

ومن هذه القسوية الوسطية بين الضرورة والاحتمال ، بين الحتمية واللاتعين ، بين الكينونة ووجوب الكينونة ، ولد تصوركم عن العفوية . و «الفريزة الثورية» التي تفرون بها للجرائم ليس لها سوى وظيفة واحدة : ان تشيع في النطق الى ما

١ - يقصد روسكي . - ص ٤٢٤ .

٢ - الثورة الثالثة - ص ٢١٧ .

٣ - ان السيد موزر يربط الجساش عنده تصير الجماع : انه الاستطفا ( من تيسل البرودقراطية الروسية بالطبع ) الذي خلق في فرنسا وتوجداً من الانسان جميع بين حفلات القربى الحذر والسياسي القرباني الرافغ والحطوب الغرة الشعبي وعرض الجماهير الخوف . وبالطبع ان هذا التدرج يتجسد في القيايدي الشيوعي . ألا ما أنت هذا الكلام !



كان يمكن ان يكون . وانتم على استعداد لأن قبلوا حتى بوجود قانون صارم ستر  
بحري الأحداث منذ تشرين الاول ١٩١٧ ، ومن يدري ، ربما منذ الخطيئة  
الاصلية الاولى ، اذا ما سلم لكم الآخرون بأن الغريزة الثورية تظل ، بين هذا  
القدر الكبير من التقلبات ، ثابتة لا تتزعزع . ان من الواجب ان تظل في احمق  
القلوب ، شعوراً ابدياً تلمي الظروف من حوله حجاباً ، لكنها لا تستطيع لا ان  
تدمره ولا ان تخلقه ، ذلك لأن هذه الغريزة هي الواقع العميق للبروليتاري ،  
والحكم الذي تصدره الرأسمالية على نفسها ، وباختصار مطلب لا يرحم بتفرجه  
موضوعياً في ضغط ممارس على الحزب والقادة وليس له من موضوع غير الثورة  
الدالة . وانتم في الوقت الذي زودتم فيه البروليتاريا بغريزة ثورية ، تتلقون  
فيها عدوى معارضةكم . وبالفعل اعتبرتم العمل السياسي للحزب الشيوعي غير  
عادل وغير مناسب ، وزعمتم انه كان من الممكن والواجب انتهاز عمل آخر .  
لكنكم لم تكتشفوا ، وانتم تنظرون من حولكم ، إلا علاقات قوة ومصالح  
وأعمال ، أي ، باختصار كينونات ووقائع . ولم تكتشفوا قط وجوب كهنونة .  
والغالبات الواجب لشداها ، أولاً ، من الذي يطرحها ؟ انكم غير مؤهلين ،  
بصفتكم القومية ، لتوم الحزب الشيوعي على تحليه عن الأهداف الثورية ، إنما  
يلبغى إيدائه باسم الجماهير . لكن ما الذي يثبت أنكم تتكفون باسمها ، أنتم  
الذين لا تجدون طريقاً إليها ؟ وهذا على وجه التحديد لأنكم تقتصرون على حل  
ألغاز وسائل غريزتها الثورية وان كنتم لا تريدون ان تحققوا لها معادتها بالرغم  
عنها . ولم كانت هذه الغريزة موجودة ، لكانت المطلب الذي يحدد أهداف  
ورؤية الوصول إلى الجماهير : وهي بالفعل لا تتكشف كطلب إلا إذا تجلت  
كممارسة . فلجماهير قدرة عفوية على الخلق والتنظيم تبيجتها الامراع يجيء  
البروليتاريا : وهكذا أوجدت من تلقاء نفسها عام ١٩١٤ جان التحرير ولجان  
الصنع : وكانت هذه الخطوات الأولى لتحديد الطريق ، ولم يكن على الحزب  
الشيوعي إلا ان يتابع الحركة . وطالما ان هذه الخطوات العفوية كانت تشير إلى  
الاتجاه الواجب السير فيه ، فأنتم تستطيعون ان تدبوا القادة الذين لم يسعوا

قية ، فالقرينة الشعبية تظهر ما كان يتوجب فعله ، وما كان سيفعل لو توفر  
 قادة آخرون . إن القرينة تولد المكتنات : فالجماعير بتصلبها ونضاليتها وحيدة  
 مطالباتها هي التي تخلق امكانية استلام السلطة ، والاستعانة إنفا قائل من القادة .  
 لكن ليس للقادة من أهمية ، إذ يبدو أنه يمكن تغييرهم على الفور . أما الجماعير  
 فهي كل شيء ، فحاولوا إذن أن تغيروها ! إن عنويتها لها صرامة الديبالكتيك  
 التي لا تلبس لها قناعاً ، طالما ان الانتاج هو الذي ينتج المنتج . وهي في الوقت  
 نفسه حرة طالما انها تعبر عن الماهية المتحركة للبروليتاريا . انها نقل للقرينة الثانية  
 في التاريخ - في وجه الخطيئة الأصلية التي أورثنا إياها جميعاً - الطبيعة المدعومة  
 بالنمعة . ويلبغني ان نقروا أيها الثروتسكيون بأن هذه النعمة تنفدكم . فبدونها  
 أراكم واقعين في الأرتباك : ماذا يحدث لو كانت « ديناميكية » الجماعير حنوطه  
 بعوامل خارجية ؟ افترضوا أنها تتمثل تبعاً لحالة القوى ودرجة إنهاد المكافحين  
 وذكرى النضالات القديمة والمخارج المتوقعة وسياسة القادة<sup>11</sup> . افترضوا أن عمل  
 الجماعير العفوي لا يبدو ان يكون أكثر من عاقبة من عواقب الماضي بدلاً من أن  
 يستهدف المستقبل . افترضوا ان مطالبها عشة سريعة العطب كالحلم بدلاً من أن  
 تكون قياس قوتها . افترضوا ان هذه المطالب تملق بتعبها وبأمل كاذب :  
 السلام عندئذ على النشؤ الجماعي المتواضع ، السلام على العنوية . وسوف يظل  
 في وسعكم أن تعارضوا ستالين باركس ، لكن لن تستطيعوا استدعاء البروليتاريا  
 الى الحكمة للشهد ضد قادتها : سياسة القادة ومزاج الجمهور فأبعسان كلامهما ، في  
 هذه الفرضية ، لظروف خارجية . وأخير أمأان كلاً منها يؤثر على الآخر ويعدله  
 ويتلاهم معه ، وفي النهاية يتحقق التوازن والتطابق المتبادل وتطير المكتنات :  
 فعل شبه القادة يكون الجمهور ، وعلى شبه الجمهور يكون القادة . مصير  
 البروليتاريا ؟ لعل النتج الماركسي سيسمح لكم بالتكهن به ، لكن لا يصنع :

١ - برود الحزب الشيوعي بصواب كبير ان الجماعير كانت تتجاهلها تيارات قومية قوية اغلبها  
 وتوجهها أنطورية ، ويقول زعيم القائمة « - والله كان من الواجب في البداية القيام بعملية واسعة  
 لإبطال سحر التخلييل .

متكونون عرفين ، وعلى كل الأحوال تكون قد سقطت عنكم كل أهمية :  
 ستقولون : « لكن هذا التصور ليس ديككتيكياً » . لماذا ؟ انه على كل حال  
 تصور الجواز : « التاريخ يتم بصورة تكون منها النتيجة النهائية منوطاً بالزواج  
 بين العديد من الازدادات الفردية التي تتحدد كل منها بكمية معينة من الشروط  
 الخاصة : إذن فهناك قوى عديدة تتصالي ، ومجموعة لامتناهية من تنازلات  
 الأخلاق ، والحصة ، أي الواقعة التاريخية ، يمكن أن تعتبر نتاج قوة تعمل ، في  
 مجموعها ، بلا وعي ولا إرادة . ومما يريد كل فرد يقاوم من قبل الآخرين ،  
 فتكون النتيجة شيئاً لم يرده أحد » . ومن خلال هذا المنظر تبدو لنا ، القوة  
 اللاواعية واللاإرادية ، وهما مناسباً ، اما العفوية فما من أثر لها .

انظروا : انكم تتوجهون اليوم الى الحزب الشيوعي وتلقونه أمر اقتراح  
 وحدة العمل على القادة الاشتراكيين . ان هذه النصيحة السياسية هي - في الوقت  
 الراهن - معقولة تماماً ولاغية تماماً . معقولة : لأنه من المؤكد انها لو لبست  
 لتغيرت فرنسا وأوروبا ولتباعدت الحرب . ولاغية : لأنكم تعرفون ان الحزب  
 الشيوعي ان يقوم بهذه الخطوة ( خطاب لوكور يشهد على الانتصار المؤقت الذي  
 يريدون أن يبقوه معزولاً ) ، وحتى لو ارادها لرفض الاشتراكيون رفضاً قاطعاً ،  
 تقولون : لكن فشل هذه المحاولة سيفتح عبون مناقضي الحزب الاشتراكي : وانتم  
 بهذا تدلون على سوء معرفتكم بهم وعلى سوء تقديركم للعقد الذي يكونه الحزب  
 الشيوعي : انهم لن يفرقوا حزبهم ، وسوف يتنون القادة على إحباطهم المناورة .

ولو وضعت نصب أميتكم ما يمكن ان يحدث حقاً ، ليست لكم نصيحتكم أمنية  
 ورعة لا أهمية لها وبلا اساس من الصحة . لكنكم تلعبون على العكس : ان هذه  
 « الجبهة المشتركة ... ليست لا طوبائية ولا مشهورة » . لماذا ؟ لأن هناك ملايين  
 العمال والموظفين والصناع وسفار التجار وصغار الفلاحين ممن يريدون ان يتبدل  
 وضع الأشياء هذا<sup>(١)</sup> . وبكلمة واحدة نقول ان الهائسة العقلية البروليتارية

١ - هذا صحيح ، لهم يريدون هذا التبع لكنكم تسيئون لتدبير الاضرار في احتياها راحة  
 عمال الشيوعية في صفوفهم .

نجد ضمانتها الموضوعية في ارادة الجماهير . ان كل فكرة حقيقية يجب ان تكون  
 « في نظر لماركسي » عملية طالما ان الحقيقة عمل . والفكرة التروتسكية تستظل  
 تجر بدأً صرفاً لا تلب فيه حياة ، واحتمالاً لا متوقفاً مثالياً - لأنها لا تنتج مفعولاً  
 من تلقاء نفسها . لأنها تشير الى طريق تعرف هي انه لن يُنتج - اذالم تتكفل  
 الجماهير ، بسماها ومطالبها ، بإعطاء هذه القامع الذاتية الحاصلة بداية تحقيق .  
 وليس ذلك لأن الفكرة ، تؤثر عليها : إذ ان هناك تسجيلاً مسبقاً . ان التروتسكي  
 يقرر ان خطابه هو التعبير القمطي عن العقيدة الجماعية . انه يلف في جبهة «  
 والبروليتاريا في الجبهة الهابطة : انها لا يتبادلان الكلام مطلقاً ، لكن بين نظام  
 الأول الفكري والاندفاع الذي يمر الثانية الى تجاوز شرطها البأس » يقوم  
 اقتناع عميق وحملي بصورة القرافية من وراء ظهر المسائل الشيوعي الذي  
 يكفي « هو : بغضاطة العمال حقاً ويتوجبه حركتهم فعلياً . إن غلبان الجماهير  
 الحيوي وغير القابل للرقابة هو ضمانته تضيض عاجز » او ان التروتسكية اذا  
 شئتاً لشيد مذعب ممارضة عقلياً مجرداً على مذعب ذواتي غير عقلاني . واضح  
 بالطبع ان الصبوات العقودية للجماهير الكادحة لا تجتد هنا إلا لتنتهك . وبذلك  
 تعود الى المخطط الذي سبق ان وصفناه : ان صفة العقودية تطلق على الترم السري  
 الذي توجه فئة ما الى الفسادة الذين اختارهم لنفسها ، وعلى التواطؤ الصامت  
 لمجتمع مندمج مع المارخين الذين تقام .

تعد الى « حزيران : هل هي العقودية المعالية التي ثرأت من الحزب الشيوعي؟  
 اشك في ذلك غاية الشك . فلا ماركس ولا لينين أولاً آمننا بدوام « العزيمة  
 الثورية » لدى الجماهير . اما تروتسكي<sup>11</sup> فهو يلج على العكس على « زرعها  
 المحافظة العميقة » التي تسدوله عاملاً من « عوامل الاستقرار الاجتماعي » .  
 و « لتحرير المستأجرين من ضيق الفكر المحافظ وجبر الجماهير الى التمرد » لا بد من  
 توفير ظروف استثنائية . وفي هذه الحال تكون عاطفة الجماهير سلبية صرفاً :

١ - الذي ضرب لكم على كل حال مثلاً والذي اعاد بناء الثورة الروسية نظرياً بطور حركة  
 الجماهير العقودية كدامل اساس في التاريخ . لكن الصورة يظل الغنى واحد با لا يخلص من اسوداد .

فالقيادة لديهم خلط وبرايج ، لكن الجماهير تشعر فقط بأنها « ما عادت تطبق  
 نير النظام القديم » . والساعدا عندما يجرها الحدث فقط تقوم بتجربتها الثورية  
 « مهتدية بنهج التقريبات المتتامة » ، ومتجهة نحو اليسار أكثر فأكثر دوماً .  
 وعندما يتحطم اندفاعها على صخرة « طبقات موضوعية » يبدأ الجزر الذي  
 يقضي إلى الرجعية : « إن الهزائم الكبيرة مشبعة للهمم لمدة طويلة من الزمن .  
 وتقلد العناصر سلطتها على الجمهور . وتعاود الصعود إلى سطح وعي هذا الجمهور  
 آراء مسبقة وخرافات لم تخر تصفيتها جذرياً . وأثناء ذلك يفرق القادمون الجدد  
 من الأرياف ، وهم كتلة جامعة ، الصفوف العمالية » . وبكلمة واحدة : إن الجماهير  
 تكون ثورية حين تكون شروط الثورة متوفرة . ومن الواجب تدقيق اندفاعها  
 وطاقتها على أساس شروط الموقف الميئية ، بدلاً من تقويم هذه الامكانيات على  
 أساس قوة « الديناميكية » الثورية . وإذا كانت « خرجتها » المزعومة ، بوجه  
 خاص ، هي من نتائج الظروف ، فإن خلفها ليس دليلاً على ان طاعتها واجبة .  
 وروتسكي هو الذي يكتب أيضاً : « إن الجماهير لتدخل في الأحداث لا تبعاً  
 لتعليقات المذهبيين بل وفقاً لقوانين تطورها السياسي الذاتي . لقد كانت القيادة  
 البولشيفية ... تدرك بوضوح انه يتوجب عليها ان تعطي القوى الاحتياطية  
 الضخمة الوقت اللازم لاستخلاص نتائجها من العاصفة ... لكن الفئات المتقدمة  
 كانت تزحف نحو الشارع ... والحال ان التجربة كان يمكن ان تتحول ، بفضل  
 النظر عن ارادة الجماهير ، إلى معركة حاسمة » وبالتالي إلى هزيمة حاسمة . وأمام  
 هذا الموقف كان الحزب يفضل أن يبقى خارج المعركة ... ولقد كان « يقيناً »  
 على حزب الجماهير هذا ان يقبع الجماهير إلى الأرض التي وقفت عليها حتى يبذل  
 لها المساعدة ، لكن من غير أن يشاطرها في أي حال من الأحوال الوعاصية » .  
 وروتسكي نفسه يتطالب للحزب بحسب تدقيق « الديناميكية » الشعبية على ضوء  
 الموقف العام ، وهو لا يتردد ، في بعض الحالات ، في إطلاق اسم « أوهام » على  
 دوافع هذا الهيجان والانتقالات المبالغت - والسيد جيرومان ، « روتسكي » ، يلوم  
 الحزب الشيوعي على عدم ثقته بفرجة الشعب . انه سيقول : هذا لأن الموقف

كان مختلفاً . هذا صحيح ؛ لكن إذا رفضنا الأيمان بمصومية الجماهير ، فما ينبغي ؟ تصور " مذهبيان - تصور الحزب الشيوعي الإيطالي وتصور الحزب الشيوعي الفرنسي - وطريقتان في التفكير وتقسيم ان " عليان " الموقف .

ولنفترض ان ثيريز ، حزران ، هذا الذي يتخذون منه غارة وثيقة وطوراً شهادة ، لتفترض انه موجود وأنه يختلف وراء تعب العمال ومهتهم الشبطية . فهل يكون قد تقدمنا ؟ وما الذي جرى التبرؤ منه ؟ أمباعدة ٢٨ ايار التعبية ؟ أساسية الحزب الشيوعي الفرنسي منذ عام ١٩٤٨ ؟ منذ ١٩٤٤ ؟ منذ مؤتمر تور ؟ ام البيروقراطية ؟ التعبية لوسكو ؟ السياسة السوفياتية ؟ ولم لا نقول الماركسية بالذات ؟ من الذي سيقرر ذلك ؟ تقولون ان هذا كله وارد : فحين يكون القوم منصباً بصراحة على جانب لتفصيلي ليس إلا ، يكون التسلسل صارماً يشكل بطرح معه كل شيء على بساط البحث . لكن هذا غير صحيح : فحين امام مسألة تتعلق بالتاريخ المحلي واليومي ، للقيم ، الاحتمالي جزئياً ، والصلة بين الحدود ليست وثيقة ان درجة يستحيل معها تنويع بعضها ضمن نطاق معين من دون ان يطرأ بالضرورة تعديل على سائر الحدود . لقد كنت اقرأ ، بالأمس القريب ، ان البروليتاري ضاق ذرعاً بتدخل الحكام السوفيت في شؤونه الداخلية . وكان المقال يقول : ليس ذلك لأنه يعين مباشرة هذا التدخل : فهو في الواقع لا يشعر به ولا يابه له ، لكنه ما عساه يطبق ، وبيروقراطية ، الحزب الشيوعي التي هي النتيجة الواضحة لهذا التدخل الذي يستهجنه البروليتاري . لكني لبنت متشككاً : فعن أفتتحع ، كان ينبغي ان يثبت لي أولاً انه لا يمكن مكافحة هذه البيروقراطية إلا ان قطعتم الصلة أولاً بالاتحاد السوفياتي ، وان يثبت لي قائماً ، والمقابل ، ان الحزب الثوري غير التابع للاتحاد السوفياتي غير مهده اليوم بأن تجره ظروف التضال الى مهالك البيروقراطية . ونظراً الى عدم توفّر هذه الايضاحات ، لست ادري كيف أحّد مدى هذا القوم المقترض . انني مدرك ان الحزب الشيوعي يعترف بأنّه لا تقترف غلطة ومدرك أيضاً انه يحصرها في اللحظات التي سبقت الاضراب مباشرة :

هذا لأنه يريد ان يخرج منها بأفضل خسارة ممكنة . كما اني ارى بورجوازيين ملتفتين بأن الجماهير قد ادانت ماركس : هذا لأنهم معادون للماركسية .

اذن فأنا اجعل دافع الادانة . لكنني « ركازو ان هذا لا يكفي » ، « ما هذا لا اعرف أيضاً القاضي الذي اصدرها . ذلك اني التقيت نوعين من اللوم : اللوم الذي توجهه طبقة ثورية باسم الثورة الى القادة الذين يريدون ان يوقفوها ، واللوم الذي توجهه طبقة متهمزة « عطلة » خائفة « باسم الديدولوجية الطبقة المنتصرة » الى الثوريين الذين يريدون ان يحرروها في مقاسرات جديدة . في الحالة الأولى ، انما هي ذات التاريخ التي تدعى خائفاً والادانة لتسجل في التاريخ الذي تصنعه . وفي الحالة الثانية ، انما هي طبقة لشمر بأنها تمرد لا كانت كتلة ، وبأنها ترجع « مع اغلاها القديمة » الى « آرائها المسبقة » والى « خرافاتها » التي لم يجر تصقيتها جندياً » . وتستخدم هذه الآراء والخرافات لتدين مجدها الذاتي . فأمام أي من القاضي الفف « الثوروسكيون يؤكدون انه الثوري :

« لقد جرت التضحية ... بالطبقة العاملة الفرنسية ... وبالرغم من جميع التبريرات تقفز هذه الغلطة المجرمة الى عيون الجميع . وفي المناسبة القليلة لمن يكررها أي عامل » .

كيف اصدمهم « اللهم إلا اذا محضت ثقتي عفوية العامل غير القابلة للتمسح . ثم انني « بكلمة واحدة » اجد ردود افعال هذا الثوري هزيلة بمحض الشيء : فلفظ جرت تضحية طبقتي « وهو يعرف ذلك » ومع هذا كان ثأره الوحيد انه قاطع اضراباً جاء في غير حينه ؟ إن نظر الانسان لا بد ان يكون حديداً دائماً حتى يرى فيما يملكه ، ولا بد ان يكون القوي ايضاً حتى يكتشف ضعفه . مارسه الجماهير في أحداث « حزيران » .

اما في نظر الصحف المحترمة « فلم يعد « على العكس » ثمة وجود للثوريين . بل أهم وجدوا فقط ؟ ان التاريخ لم يعمل شيئاً سوى انه قام بالقرص الذي كانت يقرض نفسه : فوضع اللصوص الى يساره والناس الصالحين الى يمينه . واستدكاف العامل انما ينبغي نسبة الى حكمته « اي الى قدرة الميساديء الصالحة على التقليل

والافتتاح : لقد شجع من أعمال العنف اللاهيدية تلك ، وهو لا يطلب إلا ان يعمل في سلام ، ولا يرى الحياة سهلة جداً بالأصل حتى يبذر المال في حماقات . وزبدة الكلام انها البيورجوازية التي تتبرأ ، من خلاله ، من الحزب . واترك ليكم ان تحكوا بأنفسكم إن كان ارباب العمل راغبين مسرورين : فصدفهم العامل الطيب قد شقي أخيراً ، وكل شيء يدل على انه قد تم نهائياً توقيف العمل للنكر الذي كان يترق مجتمعاتنا الحديثة . الطبقات ؟ لم تكن إلا كلباً : لو منح لقب البيورجوازي ، كما يقضي المنطق ، إلى كل فرد يشكل جزءاً من مجتمع بيورجوازي ، لما عاد هناك غير بيورجوازيين في القرب ، بعضهم بانس والبعض الآخر غير سناء كثيراً .

لو كان هذا صحيحاً ، لأمكننا التكهون بأن الحزب الشيوعي الفرنسي ستأخذ دةسة عميقة من لامبالاة الجماهير . لكن حيشيات تبرؤها ستفركه في مثل هذه الحال بارداً .

\*\*\*

ان عدو الشيوعية ينظرني عند التعطف : « إننا فالجماهير لا تستطيع أن تحك على الجهاز ؟ » . وأنا أجيب بأنه يحدث لها ، عندما تكون نائرة ، ان تدفع بقادتها أمامها<sup>(1)</sup> . لعضته يعاود السؤال : « لكنها في غير تلك الاحيان لا تستطيع ان تحك عليه ؟ » . آه يا سقراط ، اني عدرك ابن تجرني . على رسلك ، اني أقر : انها تحك على قادتها حين يبعوتها لكن ليس عندما لا تبعهم . ويتنصر سقراط : « انت مدين البيورجوازية بحرية الكتابة » وتستخدمها مع ذلك لتنتع عن الشعب حرية التفكير ، . وهكذا يكون الحكم قد صدر : ازدراه الشعب ، مزاج سفسطائي ، تعلق غير بأشكال الحكم الاوتوقراطية . وعلاوة على ذلك

١ - تذكرنا على سبيل المثال اضطراب ايار ١٩٤٥ في شركة رينو : لقد شق العمال ضد السواريين عن نقابة الصانين التابعة للامراء العام لشغل لأهيم . وقرأ في ربه عميل الطلاب . وسرعان ما فهم الحزب الشيوعي القروس .



اعطى الحزب الشيوعي ، من قبيل الشطط في المهانة والذمالة ، أكثر بكثير مما طلب على مر الزمن : انه يزعم انه يتهدى برأي الجماهير ، ولا يبالي بتبرير الميمنة المطلقة التي فرضها عليها : بل يخفيها .

حين أستمع ، ألقى من قبيل الشطط في المازوخية ان يكون ذلك لأسباب معقولة . ان سوف نقول ماذا احد اسباب عدو الشيوعية رديئة .

انا اولاً لا اهتم بما يمكن ان يكون مرجحاً ولا بالعلاقات المثلى التي يقيمها الحزب - في - ذاته مع البروليتاريا الخالدة . انني أسعى إلى فهم ما يجري في فرنسا ، اليوم على مرأى منا . لقد اراد اصدقاء طيبون أن يلقنوا انكليزي إلى وجود نقابات الكتو - ساكسونية وسكندنافية : وفي زعمهم ان هذه الأجهزة هي « من أكثر من زاوية » أكثر تلاءماً من اتحاد العمال للشغل مع الأشكال المتقدمة للرأسمالية (1) .

جانتر : لكن ماذا يثبت هذا ؟ أوجب الأسف على اننا لم نتلقى سويديين ؟ التي

١ - هل كل منا الذي هذه الامثلة للضرورة ؟ هل ثبت ان الزعمار الذين « التقدمية » لا يقومون على بؤس الآخرين ؟ وهل هذه الجذات صورة مما ستؤول إليه ، ام هي استنفيد من اللامسواة الرابعة ؟ اريدون أن تتسوهي بدمه بالعرضية الأولى لكنكم لا تترهون عليها ، وعلى كل حق لم كانت صحيحة فليس لة ما يدعو ال انتمواصكم : فلو وعت التسلطات الاميركية واجباتها السياسية ، خلوت انتم تضع العرقيل في وجه مسبات الحرب بدلاً من ان ترسل إلى الفرنسيين الجوايس وعثماني الدفاعية . وانما ما حدث واطلق التاريخ ذات يوم على الحكومة الاميركية لقب « مجرم حرب » الذي نكتفي حتى الآن بإطلاقه على الآخرين ، فإني اشئى أن يعتبر العمال الاميركيون ، الضلمون من قبل نقابهم « التقدمية » ، متواطئين معها عن غير ارادة منهم كما كانت البروليتاريا الاثالية - المدعرة او السحققة - متواطئة مع الامبراطور هشام ١٩١٤ - ومع النازيين عام ١٩٣٩ .

حين هل استطيع ان الأكرم - فالتعليق يجب ان يعاقب بتعليق مسائل - بأن البشرية عليه استى في حالة سوء نظمية ؟ وانما كان ضرورياً - من قبيل الصدفة - ان ينطق عامل اقتدار أو روبا فالمر القم حتى يستطيع الصناعات الاميركية ان يحافظ على مستوى أجوره المرتفعة فإن حقيقة وضما الراهن ان تكون مصانع فورد اركايزر يسيل الجوع الذي يحتاج العام . وفي هذه الحال ليست حقيقة الممارسة للعب الاصلاحى العقل لعمال حسنى التظلية لكن « مبدلين » . بسبب العمل الشك ويقبل دعابة لا لكل ولا في : بل ستكون النشاط الثوري .

أرجع إلى بلدي الذي لم يشتهر بأنه من بين أكثر الديمقراطيات البورجوازية  
« لقدماً » . وأجد ان ارباب العمل الفرنسيين قد أصبحوا أضحوكة العالم : لو  
طبقتنا مثلهم حتى النهاية ، لرأينا أن لدينا الصراع الطبقي الذي ننتأله .

اذن فالشروط المفروضة على العامل في فرنسا ، اليوم طالما ان الفلقة واجبة ،  
تخطر عليه استخدام الحقوق الشكلية المسلم له بها . وانتم تعلمون ذلك ، انتم الذين  
عملوا على ألا يكون في مقدوره استخدامها في إطار مؤسساتنا : فلم يثور غيظكم  
حين يتخلل عن هذه الأسرية ليناضل ؟ وانتم الذين تناهون بالويل والثبور حين  
يُروى لكم ان أحد الانتخابات النيابية قد تم برفع الأصابع ، قد زورت القانون  
لتحكما بالسمت على تلك الهيئة الناخبة . تنهون الحزب الشيوعي بأنه يدافع  
ويهاجم بالنسب الحريات الديمقراطية حسب مصلحته الآنية ، لكن هل  
تعملون انتم شيئاً آخر ؟ حين يكون القصد انتقاء الشيوعيين لطالبون العامل  
بالحريات كاملة ، اما حين يستهدف انتقادكم فتجربونه منها .

ليس هذا لب المشكك : فهو أمعن النظر في المسألة لرأينا ان حريتنا قد  
جرت تصورها من قبل بورجوازيين ولبورجوازيين ، وان العامل لا يمكنه ان  
يشتمع بها إلا إذا أصبح بورجوازية بدوره . ان هذه الحريات لا معنى لها إلا في  
نظام يقوم على الملكية الفردية ، ولا نعدو أن تكون أكثر من احتياطات  
يتخذها مالك الثروات ضد تعسف الجماعة . إذن فهي تفترض ان الجماعة موجودة  
سلفاً . والواقع ان البورجوازية فلينا منذ متى عمام برويلستة<sup>11</sup> اسمها  
« المذهب المزي الاجتماعي » . لكن ماذا إذا تفضل الطبقات الفقيرة ،  
فالبورجوازية تشكل في حد ذاتها جماعة قوية الاندماج تستغل تلك الطبقات .  
يقال أننا نولد أحراراً ومتوحدين ؟ واننا نكون المجتمع بارتباطنا تعاقداً ؟  
واننا نهب حريتنا كي نعداه إلينا من ضعف من غير ان تتخلل كل التخلل عن  
وحدتنا البدائية ؟ فلنتظر ان أنفسنا بالأحرى : ألمنحن متوحدين ؟ من نلتهم

١ - نسبة الى رولان كوردر ، توضح الفرد البورجوازي الذي هو أشبه ببقعة تصور في  
مدارها من غير ارتباط بالذات الأخرى . « هم »

الى الوحدة إن لم يكن ذلك أثناء وجودنا بصحبة الغير ؟ أحرار ؟ أجمل :  
 أحرار في ان نارس بعض النشاطات العيية للغاية التي لستمد منها ، بصورة  
 عاملة ، من قدرتنا الاقتصادية او من وظائفنا الاجتماعية . حرّ هو الصناعي  
 الذي يستطيع أن يصرّح صراحةً ببيع جهازه ، حرّ هو الجفّال الذي يستطيع  
 ان يقرر شن هجوم محي . وحرّ هو الحاكم الذي يستطيع ان يختار الرأفة أو  
 القسوة . ارت الحرية البورجوازية الحقيقية ، الحرية الإيجابية ، هي قدرة  
 الإنسان على الإنسان . والجمع بيت في أمرها قبل ولافتنا : إنه يحدد مسبقاً  
 طاقاتها والزاماتها ، وباختصار يحدد مكانها ووضعها . وبذلك يوطئنا بالآخرين :  
 فأفقه حركلتنا وأبسط سمات طبيعنا هي في الواقع أعمال تركيبية تخلف في  
 ظروف خاصة وحيدة للطبقة البورجوازية . وكل مسلك من مسالكنا يظهر  
 انتمنا الى هذه العصبية او تلك من الفصائل العائلية أو المهنية ، وبإم في  
 اندماجنا فيها أكثر فأكثر<sup>١١</sup> .

الإمّ تؤمّي بعد هذا تلك الحقوق السالبة للعبية التي تزعم الديموقراطية  
 البورجوازية انها تحميها بأكبر رعاية ؟ إذا كانت لا تقينا تقريباً ، فهي لا تهدد  
 بأن تقفوا . إنها مثل فقط كفاءة قدراتنا العينية . فهي تقع بين كل واحد منا  
 وبين الجماعة مسافة طفيفة ، ولتحول بيننا وبين ان نثور اشتقاقاً . لكن واضح  
 ان الواقع البورجوازي يسقط خارجاً عنها . فصناعيتنا لا يفكر بأن يحدد نفسه  
 بالحقوق التي يتفاسها مع الجميع ، إننا يريد ان يحدد نفسه بالقوة التي لا يارسها

١ - فنقولون ان هذا الصناعي سيبد . لكن ما الاستبداد ؟ أمومة من حسان الطابع ؟  
 كلا ، أو ليس مياصرة على الأقل . انه أولاً حق عيني : فالصناعي يملك معدة ، ويشغل مشة  
 عامل . ويستطيع وأن يحدد العمل ان يطلب منهم بعض المسالك . وبإرادة هذا الحق عمل ، انه  
 بأمر ، « يسيّر » المنبع . والعمل التكرور يصبح كفاية : « انه الرجل الذي نحتاجه » فبقوته  
 حديدية . « وأخيراً يتحدد هذا كده في قسم نفسه نفسه : « ماكون رأياً » . وبمسلك كده  
 أيضاً يعني ان يبين خطابه الحساس وان يوجد الفعل علاقة الأعمال والعمل المبردة ، أي  
 استقلال الإنسان من قبل الإنسان . ان استبداده لا يقع في قسم من قصوس دماغه . إننا هو في  
 الخارج . في الأثبات . وكل ما هنالك انه يكتبني باستبداده .

أحد غيره . الـ Habeas Corpus ؟ انه لا يباني به تقريباً : فما من أحد يستطيع باعتقالي ، وحرثته الحقيقية نظر البحر : انها الآلة التي اشتراها من الولايات المتحدة الأمريكية . السياسية ؟ انه يستطيع أن يبني نفسه بالتصويت للرايبيكاليين ، ثم يجرهم الى « الحركة الجمهورية الشعبية » ، ثم يرجع إليهم : إنه لن يشوه ماهية شخصه . وشخصه إنما هو مصنعه « أسرك » مشاريعه . إن الرباط السياسي في مجتمعاتنا - في الأيام العادية - أوهي الروابط وأكثرها عشاقاً : فهو يتقطع عند أبسط هزة . وليس ما يدعش إذا انتقدت الأحزاب بحرية : فالانتقاد تراجع ، وقوف خارج الجماعة أو النظام ، والنظر إليها كاشياء . والحال إنما حتى لو كنا أعضاء في تشكيلة سياسية فإننا لا نحس في داخلها أبداً . لكن رب عملك ، مديرك ، رئيس مكتبك ، هل انتقلوه فقط مواجهة وجهاراً ؟ ولا غرو فأنتم تشكلون جزءاً من التسرع ، ومتدهون به : إذا طردتم منه ، فقدمتم وسائل عيشكم وسلطانكم وهدف حياتكم في آن واحد . ولا بأس إن عبر الإنسان عن رأيه في السياسة بحرية لأنها تبدو وكأنها ترجع الى نشاط شكلي خالص . والحكومة السبعالية تشبه « مطعماً » مبدأ الهوية : انها تسمح لكل فرد بان يكون ما هو كائن ، وبأن يملك ما هو مالكه . لكن عندما تكون المسألة مسألة شغل ، مسألة ممارسة ، واغتصاص مسألة نشاط وركيبي فإمره جماعة متدهجة ، فالسلام على حرية التفكير . والحال ان السياسة البورجوازية هي أيضاً عمل وركيبي ، عمل طبقي . وفي أوقات الازمة ، حين تكون البورجوازية مهددة من قبل الشعب ، تسرع هذه السياسة عن وجهها الحقيقي : قد « تزلات » النواب لم يكن لها من هدف غير تلبية الجمهور ، وانقساماتهم المزعومة إنما كانت تخفي وراءها حزياً أوحده « حزياً طبقياً » لا يقل استبداداً وصرامة عن الحزب الشيوعي ، أجهزة هي البوليس والادارة والجيش ، ووظيفته سحق مقاومة الفراء . وفي مثل هذه الحالات لا يفر البورجوازي فرار حتى يلقى الى البالوعة بحرية لتفكيره . إذ ما حاجته إليها ؟ انها ساعة ليلان الانقسامات ، ومصيره الهلاك إذا لم يقصفر كسائر الناس .

الانتقاد ؟ انه ليس منحوناً الى هذا الحد : فالقد يد يد بثبات وحسنة  
الصف ، وبإسراع عمل الحكومي . وهكذا يتخلل عن حقوقه لفريق من  
للتطبيق يضمنون له بالمقابل سلطاته الحقيقية وأملاكه .

لكن السياسة لا يمكن ان تكون ، بالنسبة الى العامل ، نشاطاً مغزياً : انها  
مدافع الوحيد والوسيلة الوحيدة التي يملكها للاندماج بجموع ما ، إن البورجوازي  
متدمج أولاً ، وعزلة ليست إلا نوعاً من الظرافة والدلال . اما العامل فوحيد  
أولاً ، والسياسة هي حاجته . الأول إنسان يدعم حزباً ليبارس حقه كموطن ،  
والثاني ، إنسان دون ، يدخل الى حزب ليصبح إنساناً . الأول يرى بالتمتع واقع  
السياسة ، أي صراع الطبقات ، والثاني يتفعل أولاً بصراع الطبقات ، ويعتاني  
منه كموضوع له ، ويخاسره الشعور أحياناً بأن في مقدوره ان يارس العمل بدوره .  
بالنسبة الى البورجوازي ، كل شيء موجود خارج السياسة . اما بالنسبة الى  
العامل ، فلا وجود لشيء خارجها ، لا شيء سوى تلك ، الكتابة العالمة ، التي  
يقول ناقيل ان العمل هو السبيل الوحيد للخروج منها . الكتابة ، أي الوحدة .  
لكن لا نستطيع ان هذه الوحدة طبيعية : وحتى يقتننا البورجوازيون بذلك  
اشكروا ومنعهم الذي الاجتماعي . لكن يكفي ، حتى نفهم معنى كل هذه  
الفلسفة ، ان نرجع الى الاسباب الموجبة لقانون لوشاوليه عن مصالح العمال  
المشركة الزهومة . كلا : إن وحدة العامل لا تأتي من الطبيعة . انها هي نتيجة  
انتاجاً . إن العمل والتعب والهؤس ورعاية البورجوازية الصالحة قد خلقت  
العمال ، اذا جرؤت على القول ، حالة طبيعية ، اصطفاية . وهي ما يسمى  
بالكتلة . وسأفصل فيما بعد طرائق التحويل الى كتلة . والمهم هنا هو ان هذه  
الطرائق تهدف جميعاً الى فرخ الوحدة - لا الاختفاء الكامل للعلاقات الاجتماعية  
بل نحوها الى علاقات ميكانيكية . والمحقق الديمقراطي ، في هذه العملية ،  
هو اساسي : فلقد رأينا انها لا تثلل إلا قوائمه ومزايا بالنسبة الى بورجوازية  
مندمجة ، اما بالنسبة الى المتوحدين ، المصطفيين باستمرار بقوى الالتئال ،  
فالطرائق الشكلية الفلال وقبود . انظروا الى العقد الحر ، وهو قطعة اساسية في

هذه الميكانيكا : لكم هو موفق في الجمع بين تهديد الموت وحرية العمل ا فالعامل  
 إنسان يرفع بحرية تحت طائلة الموت . وفي هذه المفهية من الضرورة والاستقلال ،  
 تقع الضرورة العامل الأجير من المجادلة في أجره ، وتجعل الحرية مسؤولاً عن  
 الأجر المفروض عليه . فبأي حق يشكو : كان في وسع ان يرفض . والمقد  
 الحر ، بصورة عامة ، يرغم العامل على ان يلتزم لحسابه الصغير الذي يُصنع له .  
 ان يرتضي مصيره ويسلم به : أهو رب العمل الذي سعى اليه ؟ أم يسع بنفسه  
 الى التعاقد ؟ أم يقبل بهام إضافية ، ألا يحاول ان يحسن مرموه انتاجه ؟ ألا  
 يزيد بإرادته من استطار المرض أو الحوادث المؤسفة ؟ أليس هو الذي أنقص  
 مطالبه ، بصورة بخرمة ، حتى يسرق مكان جاره ؟ وبعد هذا ، من يجرؤ على  
 الكلام عن التضامن : انما هو قانون الغاب . صراع طبقات ؟ بالرة : انما صراع  
 من أجل الحياة . وزيادة الكلام انه هو الذي فعل كل شيء ، هو المثلث المسؤول  
 عن كل شيء ، هو الذي يطالب بالبرؤس والوحدة والعمل التسري . قبل التعاقد  
 كان ضحية ليس إلا ، وبعد التوقيع اصبح متواطئاً . وجبناً بالأصل يقيد نفسه  
 بالأغلال : فما من أحد مدب له بشيء . وبعد ان ينتجز العمل ويتم الدفع ، يعود  
 المتعاقدان حرتين كما كانا . كلنا يهملان بعضهما بعضاً بالأسس ، ولن يعرف احدهما  
 الآخر في الغد . ويكفي أن يسجل انخفاض في وول سحرية<sup>11</sup> او تحدث هزة  
 صغيرة حتى يسرح الجهاز . إن العقد الحر يحول العامل الى جزئية قابلة ذوماً  
 للفصل . وحين خطر للبرلمان الانكليزي ، في أواسط القرن التاسع عشر ، ان  
 يذرع على أول القوانين العمالية ، تعالت في كل مكان صيحة واحدة : احسوا  
 النساء والأطفال ، انما كنتم تصرون على قائلك ، لكن ليس الرجال ! فهم  
 والشدون ، عاقبون ، احرار : في وسعهم ان يحسوا انفسهم بفردهم . هذه هي  
 الكلمة المهمة : بفردهم . ان حرية العامل هي وحدته . وما من أحد يستطيع  
 ان يتدخل لصالحه من غير ان يهاذف باسترقاقه ، والحكومة ستكفل حرية  
 العمل بصورة أحسن كلما عملت على حماية العمال من كل حاية ، ولو كانت حاية

١ - شارع المال في نيويورك . - د.م.م .

تدابيرها الخاصة .

وسأني حق الانتخاب لينتهي المسألة : ان العامل لا يحدد في عمليات الجمع الكميائية تلك التي تسمى بالانتخابات اي أثر من التضامن الذي يشده . انما المطلوب منه ان يصرح ، على حدة ، على برنامج ليس هو واضعه ، اطلع عليه في العزلة ؛ والغلبة انما هي لعدد الأكبر من العزلات ، تحت اسم الغالبية . لكن الصكرة الفائرة لا توجد البتة : انما متشابهة في كل فرد ولدى الجميع . وتشابه الرأي لا يقرب بين الناس . فهل سيتركهم يقتنعونه بأن السياسة كلها تتردد ان هذه اللعبة الجماعية ؟ إن اليورجوزية ، بحجة فتح سبيل الثقافة اليه ، ستدفعه بالمذهب الفردي ، ومع حرية الفكر والتعبير ستجرعه مذهب الاحتمال والتسامح والريبية الموضوعية ؛ ان جميع الآراء أهل الاحترام ، وكلها تتأهل في القيمة . فلم يختار هذا بدلاً من ذلك ؟ وهكذا يجري تضييعه . والحريات الديمقراطية تضلني سنة شرعية على عملية التحويل الى كتلة وتعطي العامل حالة كتلوية حقوقية . وهكذا يصبح الاتعزال الواقعي عزلة بالحق<sup>(١)</sup>

حرية النقد والشك والانتخاب والموت جوعاً : أتصدقون ان هذا ما يشده ؟ لو كان هذا صحيحاً ، لكان مجنوناً حقاً ؟ ان يفرض في العزلة في الوقت الذي لا يريد فيه شيئاً غير الاندماج ؟ ان يفصل عن الرفاق ، ويترامع ليتقد العالم في الوقت الذي لا يريد فيه سوى ان يتحد معهم في جو من الثقة ؟ وما حاجته الى الريبية التي تشوش الأفكار وتبيد دالات العالم في الوقت الذي يشكو فيه على وجه التحديد من عبث الواقع اليومي وفي الوقت الذي يتمنى فيه بجرارة ان يكون للحياة والموت معنى ما ؟ ان الشك واللايقين هما ، على ما يبدو ، صفتان فكريتان ، لكن عليه ان يناضل ليغير شرطه ، وهاتان الوهبتان

١ - قبا بعد ، ويبدو ان يتدمج بالطبقة . يطالب بنفس هذه الحريات ليؤدي عمله الطبقي . لكن هذا البسيط في الوقت الذي سترد فيه اليورجوزية ان للثبنا . وانما كان يطالب بها . بالأصل . فلما غاب الشك ان فيه ، لحساب عضو الحزب العالي ، لا لحساب الانسان العزول الذي كتبه .

العقلية لا يمكن إلا أن تشل العمل : أسأله أن يطرح على بساط البحث من جديد القضية التي يفتدسها ، أو أن يموت من أجلها ، لكن لا تسأله كلا الشئين في آن واحد معاً . أن عملاً له بعض الأهمية يتطلب قيادة موحدة . وهو بالضبط بحاجة إلى الإيمان بأن هناك حقيقة . لكن لما كان لا يستطيع أن يفردها بفرده ، فلا بد أن يكون في وسعه الوثوق بما فيه الكتابة من العمق بقادته الطبيعيين حتى يرضى بتلقيها منهم . وخلاصة القول أنه سيطيع ، عند أول مناسبة ، هذه الحريات التي تختلف : وليس ذلك لأنه لا يريد قوة الطبقة العامة واستقلالها ، لكنه يضع هذه القوة وهذا الاستقلال في الجماعة . أنه لا يفكر بممارستها إلا بصفته برويلتارياً .

لكن ماذا يستطيع ؟ لا شيء : لا يستطيع حتى أن يتصور تلك الجماعة الكفاحية التي يفترض أنه سيأخذ مكانه فيها . إن يمكنه أن يهد ، هو المسوق من قبل القوى البرجوازية ، المرفق بشعوره ، بجزءه ، المنفى ، بسدرة تلك العفوية التي كنتم تفسونها إليه لنوكم ؟ أن العمل يستطيع أن يأخذه ، أن يقبله رأساً على عقب ، أن يغير حاله ، لكن من أين سيولد العمل ؟ أن المسألة ليست بالنسبة إليه مسألة انتقال تدريجي من الضليل إلى الكثير ، فالمرء لا يصبح ثورياً إلا عن طريق ثورة باطنية ، وهو لن يصبح انساناً آخر إلا عن طريق نوع من انقلاب . وهذا الظهور المفاجيء لعالم آخر ولأنما أخرى ، ذات التاريخ ، لا يمكن أن يشعر به طالما أنه مسوق على صطوته : كيف يمكن السلبية أن تتحول الايجابية ؟ ليس من الصعب أن يكون المرء بورجوازياً ، يكفي أن يضمن اختيار رحم الأم حتى يوصله هذا إلى أميته . وليس أصعب بالتقابل من أن يكون برويلتارياً ، لأنه لا يؤكد نفسه إلا بعمل جاحد وشاق ، متجاوزاً التعب والجوع ، مزهقاً حياته ليولد من جديد . وحتى يكون العمل ممكناً في كل لحظة ، فلا بد أن توجد الممارسة في اعماق الجماهير بالذات كئداء ، كنوع من التصور لما يمكن أن يكون . واختصاراً ، لا بد من تنظيم يكون تجسيدا خالصاً للممارسة . ستولون : حسناً ، لم لا يكون هذا التنظيم التفاضلي ؟ سوف أتبين السبب في القسم الثالث من هذه الدراسة . لكن المهم الآن أن المنظمة التي ترسم الخطط



وتفقد ولجميع وتوزع المهام - سواء أكلت نقابة أم لم تكن ، وسواء أكلت نقابة  
تورية أم حزبية أم الاثنين معاً - لا تستطيع ان تعقل نفسها ، بفعل ضرورة  
الموقف بالذات ، إلا كسلطة . انها بعيدة عن ان تكون النتائج المريدة للمقويصة  
العملية ، بل هي تفرض نفسها على كل فرد كآمر . انها بمثابة قنطرة يفرض النظام  
ويصدر الأوامر . اما الكرم ، والحماسة فيأتيان فيما بعد ، هذا إن أتيا ؛ لكن  
الحزب يمثل أولاً بالنسبة الى كل فرد الأخلاق الأكثر ترمناً : لأنه وسيلة للمرء الى  
حياة جديدة بعد ان يتجرد من شخصيته الزائفة . واذا كان متعباً ، أمر بأن  
يتعب أكثر ايضاً . واذا كان عاجزاً ، أمر بأن يلقي بنفسه مطأطياً  
الرأس على سور صخري . وطالمسا انه في الخارج ، قارب المارسة ، اي  
المدخل الى الطبقة ، تتمثل له تحت شكل واجب . لكن اذا كان لا يسد من  
تجبر وجود جهاز أمر وكثير الطالب دوماً ، فانهي سأرجع الى ضرورته  
أكثر مني إلى أصله ومنشأه : فهو انه كان عقوباً لما كان له هذا القدر من السلطة  
والطبيعة ثم من ثبت لنا ان غير الاندفاعات هي أوائلها ؟ وبالعالم فإن الحزب ،  
مهما يكن منشؤه ، يستمد شرعيته من كونه يلي أولاً حاجة . فبدونه لا وحدة  
ولا عمل ولا طبقة . يقيناً ، إن الغالبية الكبرى من العمال لا تدخل اليه : هل  
النضال يمكن بعد عشر ساعات من العمل في المصنع ؟ لكنهم يولدون الطبقة  
عندما يطعمون جميعهم أوامر القادة . ومقابل الانضباط الذي يتقيدون به ،  
يحقق لهم ألا تبليلهم بعد اليوم ، الثمرات ، - المعادن نقابيان ، حزان عماليان  
أو ثلاثة ؛ وكل منها يضعف الآخر . وحين لا يكون العامل منتصباً إلى أي منها ،  
فكيف يحزم أمره ؟ وبالتالي يبقى في الخارج . زعمون ان الجماهير لا تتطلب  
الحزب الأوحده ؟ معكم حق : فالجماهير لا تتطلب شيئاً البتة لأنها ليست سوى  
تشتت . اما الحزب هو الذي يتطلب من الجماهير ان تتجمع في طبقة تحت قيادته .  
وشعار ، الحزب الأوحده لم يطلقه الحزب الشيوعي الفرنسي ولا حتى لينين .  
بل طرح من قبل بلانكيين - خارج نطاق الماركسية بالذات - من امثال طايان .  
وكان المؤتمر القومي الأول للحركات الاشتراكية قد حدد نفسه هدفاً ، عمام

١٨٩٩ ، هو تحقيق ، التطوع السياسي والاقتصادي للبروليتاريا في حزب طبقي  
للاستقلال على السلطة .

وإذا لم تكن الطبقة لا مجموع المتكلمين ولا الاندفاع الفيلسوفي الذي  
يحررهم ، فمن أين تريدون ان تتبع إن لم يكن من العمل الذي يارسه البشر على  
انفسهم ؟ ان وحدة البروليتاريا لنا هي صلتها بباثر طبقات المجتمع ، وبمصلحة  
واحدة لعضائها . لكن هذا النضال لا معنى له ، بالمقابل ، إلا بالوحدة . فبمثل  
عامل يدافع عن نفسه ، من خلال الطبقة ، ضد المجتمع كله الذي يسحقه ،  
وبالمقابل تظهر الطبقة الى الوجود عن طريق هذا النضال . ان وحدة الطبقة  
العامية اذن هي صلتها التاريخية والمتحركة بالمجاهدة من حيث أن هذه الصلة  
تتحقق بفعل توحيد تركيبي يتميز بالضرورة عن الكتلة تيز العمل الصرف عن  
المهوى . وعندما لا تكون المسألة سوى مسألة تحويل التعارض والمزاوجة الى  
جامعة من المصالح المشتركة فإن هذا يتطلب ، اللهم الا اذا افترضنا ان النعمة  
متحلل على جميع الشفوية معاً ، وجود مبدأ رابط يارس عمله في عدة نقاط في  
آن واحد ويضمن لل فرد صدق المجموع . وهذا لا يعني بالطبع ان المفاضل لا  
يخرج من الكتلة : لكنه اذا ما اخرج منها تيز عنها ، وهذا من حيث ان انسان  
الكتلة ما يزال مثقلاً بمصاحبه الخاصة ، ولا يسد من فصل عنها ، ولا يد لجهاز  
الربط من ان يكون عملاً صرفاً . ولو احتفظ هذا الجهاز بأبسط بدور الانقسام ،  
ولو ظل مشتملاً على شيء من السلبية - تنافل ، مصالح ، آراء متباينة - فمن  
سيوجد آتتة الجهاز الواحد ؟ والمثل الأعلى هو ان يكون هذا الجهاز علاقة  
خالصة ، رابطة تليجس ايذا المجتمع عاملان معاً <sup>(١)</sup> . وبكلمة واحدة ، ان  
الحزب هو الحركة التي توحد العمال إذ تجرهم الى استلام السلطة . فكيف تريدون  
اذن ان تتبرأ الطبقة العامة من الحزب الشيوعي ؟ صحيح انه ليس شيئاً خارجياً

١ - اقول المثل الأعلى . والواقع ان هناك بدور انقسام في الحزب كما في كل مكان والأصل ،  
وإن تعرف النضال الشاق الذي يقوض باستمرار ضد العمل ، الاقتصادي ، ، وسوف رجع فيها  
بعد الى كل هذا التحليل .

عنها ، لكنه إذا ما اختلفت تساقطت هباء .

هل ينبغي ان نضم ان العامل سلمي ؟ الأمر بالمعكس تماماً . انه يتحول إلى عمل عندما يدخل في الطبقة ولا يستطيع ان يؤكد حرته إلا في العمل . لكن هذه الحرية قدرة عقلية وإيجابية : القدرة على الابتكار ، على الأفعال التي ما هو أبعد ، على المبادرة ، على اقتراح حلول . وهذه الحرية لا تستطيع ان تفسيه إلا بتجاوزها الموقف باتجاه حركة المجموع . اما حرية الفرد ، على العكس ، فإنها لا تجعل قائد الحلية او التدوير التلقائي وحدهما يقطبان الحواجب : فكل واحد يخاف منها لدى الآخرين ، وهي تذكر بالعزلة السابقة والتفاني . ولتفهم على كل حال ان الانتقادات ، حين يكون مسموحاً بها ، لا تصدر عن عنوية او غريزة ، تورية ، فالعامل ، الذي حوّلته التنظير الى ذات ، يجد واقعه العملي بدءاً من تحوله . ومهما فكر او فعل ، فإننا يفعل ذلك بدءاً من انقلابه . وهذا الانقلاب يحدث بدوره في الاطارات الحالية لسياسة الحزب . ان حرته ، التي هي محض قدرته على تجاوز المعطى - وبعبارة أخرى ، قدرته على المعسلي - تتجلى الآن في قلب ذلك الواقع المعطى الذي هو التنظير . فهو يكون أفكاره يصعد المشاكل التي يطرحها الحزب عليه . وانطلاقاً من المبادئ التي يعطيه إياها الحزب . وغلاصة القول انه لا يحكم على الحزب باسم سياسة يقال إن مبادئها منقوشة في لا شعوره ، وباتيجة عن رد فعله العفوي او عن تنساقض المجتمع اليورجوازي : ان حرته ، هو الذي يربيه الحزب وكونه ورفعه فوق ذاته ، ليست إلا قدرته على ان يتجاوز بالأفعال ، داخل التنظير بالذات والاتجاه الهدف المشترك ، كل موقف خاص . ولتكن الحزب ، بكلمة واحدة ، حرته . ان العامل لا يستطيع ، في فرنسا اليوم ، أن يبر عن نفسه ويتحقق ذاته إلا في عمل طبقي موجه من الحزب الشيوعي . والمحاكمات العقلية للحزب الشيوعي وايدولوجيته ومبادئه هي التي تكونته . ولو أراد ان يقبلها ضد السياسة الشيوعية ، لراحت من تلقاء نفسها تبررها . وإذا اعترف خطأ فادعياً او تعرض إلى هزيمة قاسية ، فإنه لا يملك من أدوات ليقيم معانها ولا تحسسات ليتكهن به .

وكل ما هنالك انه برخي الزمام ، ويتحطم مجوده ، ويعاود السقوط في حقل  
الجدائية البورجوازية . وبذلك تنفت الطبقة . لكن عندما يسقط ، فهناك لا  
يسقط إلا ليجد من جديد ، تحت تأثير القوى المدوة ، بأمر وجهته وشعوره  
بالمعجز . اما الحزب فيكون قد تكوّن بعيداً عنه ، وبات عصي المثال ، كأمر  
لا يهاكم ، انما يشعر المرء ببساطة انه انساني من التعزم ولا انساني ، بالمعنى الذي  
يمكن به ان يقال عن اخلاقه ، كانت ، انها لا انسانية . وهذا يعدل القول بأن  
كل عمل طبقي قد أصبح مستحيلاً .

يقول عدو الشيوعية : « باختصار ، قلنا إن الطبقة العاملة تبرأت من الحزب .  
اما انت فتقول انه أسلم العمال إلى اليأس . وليس عندما مزاج متابعة هذه  
المناقشات البيزنطية ونحن نصرح انك ستلت لنا بكل ما كنا نطلبه . »

انني لا أسلم بشيء . إنما لاحظ ، كسائر الناس ، فتور همه الجماهير ، لكنني  
لست أدري بعد ان كانت سياسة الحزب الشيوعي هي المسؤولة عن ذلك . ثم  
انني أرى بين تعليقتنا هوة . واذا كنتم لم تجتمعا بينها سوى اختلاف لفظي ،  
فهذا لأنكم تسخرون من الطبقة العاملة . فلو ان بروتشاريا طليعة معاقبة الكامن ،  
غضة طرية ، تبرأت من الحزب الشيوعي وشكلت على الفور حزياً جديداً ( المتم  
تعلون ، فانا أقصد ذلك الحزب الشيوعي المشهور الفرنسي حقاً الذي سيتبرهن  
الحزب الشيوعي الفرنسي باستقلاله والذي سيعلم عن طابعه القومي بعينه الاممية  
الطليعية ) ، ولو ان مثل هذه البروليتاريا كانت موجودة ، فلا بد من أن تؤخذ  
ارادتها بعين الاعتبار : هل هناك أحد غيرها في مثل هذه الحال يستطيع ان  
يقرب ؟ ولو أن البروليتاريا عادت الى الدرجة الطبيعية من الزعقة الثرية ، وإن  
ظلت تقسبي وعن استعداد دائم لإعادة تكوين نفسها ولاستئناف النضال ،  
فستطيعون ، يحصر الأمر ، أن تأملوا في بيئنا بضاعتكم الرديئة ، بل ان تقدموا  
فها ، من يدري ، حزياً بديلاً . لكنكم تعلمون حتى العلم ان البروليتاريا تهاجر ،  
انها تقيس مدى عجزها ، وانها تجازف بأن تلم رجالاتها اللابيين بدون حماية الى  
مطارق البورجوازية . وتعرفون ان كل شيء سيستخدم في الشهور القادمة لزيادة

العزلة والاستسلام والمسافات بين البشر لتحويل البروليتاريا الى أرخبيل، وعندما يحشرون العمال قد وصلوا الى الدرك الأسفل من المرارة والاشمئزاز، قبل تمتدودون حقاً انه سيحكم ان لجمعهم بأخضون بشعواتكم ؟ لقد قلت لكم : اذا زالت لغتهم بالحزب الشيوعي ، فسيأتم سيرابون في كل سياسة وسيرابون في طبقتهم ، وسيصبح العالم كله بورجوازيًا . واذا كنتم فأمونون في ان تصعدوا المنحدر من جديد ، فاعلموا ان الحزب الشيوعي هو وحده الذي يستطيع ان يساعدكم على ذلك . واذا ما استعالموا الحادهم ، فإننا ليجتمعوا حول الحزب الشيوعي . واذا ما استرجعوا كفايتهم ، فإننا ليطيعوا أوامره . وهأنذا اصبح من الآن محكم : ه أنت مجنون ؟ أنتنى يساراً مستقلاً ومرتبطة بالحزب ؟ أتريد انن ان يسارحج تفوز على الجماهير ؟ ومع الأمور على ما هي عليه ، ومع التفسخ يتابع عمله : وذات يوم سينتفجر الحزب وينتظر . ان الأمور لم تصل الى هذا الحد حسن الخط ؛ لكن حتى عندما مقتدهور وتنحط الى الدرك الأسفل وتكونون انتم الخصم الصلب للحزب ، فإننى لا أستطيع أن أضع نفسي من احتقار اولئك الذين ينتظرون التفسخ الشيوعي من بأس العامل . يقال لي إن العامل سينالك نفسه ، واننى أسهل قدرة البروليتاريا القوية على الانتفاض . إن وجهها ، واج الحق ، سيكون سيكولوجياً ، فهي قد عرفت بسياها الشنوي المتبوع ببقطات مباحثة . انظر بالأحرى الى ١٨٤٨ ، ١٨٧٠ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٨ . اننى أنظر : لكنى لا اكتشف في هذه المعارك اصمال عطف ناجمة عن مزاج الفجاري بقدر ما اكتشف تأثير عوامل محددة . وفي ه السبات ، الذي تلاها ارى تأثير القرية والارهاب . فالقوة العمالية قد أهدت في كل مرة ، واقتضى الأمر منها سنوات طويلة حتى تعيد لتكون نفسها . ولو صدقناكم لما كان علينا ان نقلق للربى . فلي مسمى عشرين عاماً ، في مدى الحين عاماً ، منشهد من جديد ظهور بروليتاريا حمية طرية العمود . وما علينا إلا ان نصبر : فالحياة بعد كل شيء ليست سينة للنهاية ونزعة عداء الشيوعية لزعة والجمعة .

على رسلكم . سننتظر انن . عشرين عاماً ، اذا شتم . المهم الا اذا اندلعت

الحرب العالمية الثالثة في مدى ستة أشهر . وإذا ما وقع هذا فإننا نجازف بالآ  
نرى أحداثاً عند الموعد : لا اتم ولا انا ، ولا البروليتاريا الناجية ، ولا فرنسا .

### ٣ - الأسباب

لقد بينت ان فتور همة العمال لا يمكن ان يعتبر اوانسة ولو ضمنية لسياسة  
الشيوعية . يبقى ان نعرف السبب . وهذا هو الهدف الذي أخذته على عاتقي  
اليوم<sup>(١)</sup> .

من الممكن ان نعالج المسألة بطريقتين نتمسدان كلناهما على السفسطة نفسها .  
فعدو الشيوعية ، اليساري ، لا يريد حتى ان يسمع اي كلام عن تعب العمال  
ومأمهم : فهو يظهر لنا بروليتاريا فولاذية خارقة حتى رأسها في الجيفة  
البورجوازية . اما عدو الشيوعية ، اليميني ، فيرىنا البورجوازية تحت إهتاب  
مادة غنية تحمل بين ذراعها بروليتاريا هتفزة . والقصد ، في كلنا الحالين ،  
التفاضي عما يمكن ان يشبه عملية شرط متبادل ، أي باختصار نفي الصراع  
الطبيعي .

ان عدو الشيوعية ، اليساري ، يتردد على البورجوازيين الفرنسيين . وهو  
يقر عن طواعية بأن سماتهم القومية قد اتجنتها الظروف . اما البروليتاريا  
الفرنسية بالمقابل ، فإنه ينفي بكل بساطة وجودها ، اما الموجود فقط بروليتاريا

---

١ - هل يقال ان فتور همة هذا عارض؟ التي في استمداد المحافظة عن ذلك عن طواعية.  
لما اذا اذم ان تصيخوا ان المراتب آت ، ١٩٥٠ ، تكثر ببقية الطبقة العاملة - فإما ربحاً يأتي  
ست والثقا بذلك مثلكم . ان المراتب الموقوفين لك تساهي الانتباه بإساعها . وما اضطر عليها  
هوية بلغة هو انها كانت متساوية للثغاب الضربين في صعيد القاعدات . لكنها لم تكن الصناعات الكبيرة  
الحاصيا . أثر تجريبياً . ثم ان قلنا ، الأعداد الفرنسي العمال المسيحيين ، و د القوة العاملة ، قد  
للموما واضطرها حتى لا يرموا عن تخلفين وحدة العمل مع الأعداد تمام الشغل . نفي امالك  
صيراً وألا تنعمول بالتفوق والتمرف عند استجابك سليبة ، فلأ لا انوي ان اسرد محضر عجز  
بل اطلع الى ان البيت ان الجبهة الشعبية هي وسعدنا القادرة على إعادة الحركة العمالية الى سابق  
قوتها .

في ذاتها تملن عن نفسها في جميع الامم الرأسمالية في آن واحد . كيف يمكن مثل هذه البروليتاريا ان تتعب ؟ واي علاقة تزيد ان تكون لها ، هي النتائج التصوري للرأسمالية في ذاتها ، مع بورجوازييتنا التي هي مع الأصف البالغ تجريبية ؟ لقد تكونت البورجوازية رويداً رويداً تحت تأثير عوامل عارضة وبالكافي قابلة للاممال ( ومنها على سبيل المثال ثورة ١٧٨٩ ) . أما تاريخ البروليتاريا للتحده بتناقضات الرأسمالية لا غير ، فيكتفي بعكس التحولات المتتابعة التي تطرأ على الصناعة الكبيرة . إن بورجوازييتنا قد سر وبطيش صوابها ثم تسرد شجاعتها ، تخطئ ، ثم تصحح اخطاها ، تسيّر اعمالها بصورة حسنة او رديئة . أما البروليتاريا فلا تريح المعركة أبداً ولا تحصرها ، لا تقترف اخطاء أبداً ولا تكتشف ابدأ حقيقة خاصة ، انها في حالة نضج دائم ، عديم الشكفة ، هي التي لا تقاوم ، لا تقبل الضغط ، لا تهزى . انها ألد اعداء الرأسمالية - في - ذاتها . أما الضرر الذي يمكن ان تلحقه بالبورجوازية الفرنسية فلا وجود له : انها لن تلحق بها أبداً .

كان يحسن هذا التصور ان يفتي عن تفسير تاريخي - وربما عن كل تفسير - لو لم يضع أنصاره في رؤوسهم فمضرة فطرح جرائم الحزب الشيوعي خلاوة على ذلك . فلو لا الحزب الشيوعي لما عرفت البروليتاريا الفرنسية تاريخياً تجريبياً : لخصن الحزب أرقام في الطبقة العاملة كما أقامت حبة الرمل في مثانة كرومويل . ما الأمر إذن ؟ أمرض اصاب البروليتاريا - في - ذاتها ؟ سوف يجيبونك بأن البروليتاريا - في - ذاتها عالية من المرض : فهي لا تستطيع لا أن تمزق ولا تسرع الحركة - في - ذاتها التي تبث فيها الحياة . كلا : ان مصائبها تأتيها من تحايل تاريخي محض لادائها . فلو ان قلب ستالين كان أصغر حناياً ، لكان تغير وجه العالم . ولا تسألوا كيف يمكن لتناضلي الحزب الشيوعي التجريبيين أن يخطئوا موليب البروليتاريا التصورية : فعدو الشيوعية مرغم ، ما دام قسده بدأ بطره التاريخ ، على إعادة إسخاله في النهاية تحت أشد أشكاله عيناً ، كسلية من الصدق ، ليضمر التباين الذي يفصل الواقع عن حساباته .

أما أنا فأعتبر أن تطور الرأسمال ، التطور إليه في عمومته ، يفسر المظاهر  
 اشتراك بين الحركات العمالية كالفئة . لكن هذه الاعتبارات المبدئية لن تقصر  
 أبداً وحدها السمات الخاصة الصراع الطبقي في فرنسا أو في إنكلترا في هذا  
 التاريخ أو ذلك . إن كل واقعة عمالية هي ، على طبيعتها ، التمسح المنفرد عن  
 العلاقات العامة . لكن لا يمكن أن تقصر في تفرداتها إلا بأسباب متفرقة :  
 والإنسان يضيع وقته وجهده إذا أراد أن يستنبطها من معرفة مطلقة لحسن  
 فارقة أو من مبدأ تطور تحسلي . فالحقيقة إن هناك دبالكتيكات ، وهي كانت  
 في الواقع ، وعلينا نحن أن نستخلصها لا أن نضعها فيها . لقد تكلمت عن تطور  
 العمدة : فإذا أردتم أن تبهتموا على أنني مخطئ ، يجب أن تقيموا الدليل  
 بالشهادات على أن العمال قد استفظوا به كفايتهم . وحتى لو أثبتتم ذلك  
 فستظل هذه الشجاعة المحفوظة آفة خاصة ومتطلب لتسيار خاصاً شأنها شأن  
 تطور العمدة . إن البروليتاريا الفرنسية واتسع تاريخي تجسلي تقوده ، في الأنواع  
 الأخيرة ، غير موقف معين : وليس على أن أبحث عن مفتاح هذا الموقف في  
 حركة المجتمعات العامة ، بل في حركة المجتمع الفرنسي ، أي في تاريخ فرنسا .

ويصل أعداء الشيوعية ، الشيوعيون ، إلى النتائج نفسها عن طريق محاكمة  
 عقلية معكوسة : فهم يعارضون العمال الذين من لحم وعظم بفرنسا الحالدة ، أنهم  
 تعرفوا ، تلك التي اشتهرت بانتفاضاتها الرائعة الجمال ، تلك التي ينقذها دوماً  
 في اللحظة الأخيرة رجل أرسلته العناية الإلهية . فرنسا الفتاة ، الحبيبة ،  
 الرشيدة ، الفشيطة دوماً ، السامية دوماً ، الشبيهة بالاندون<sup>11</sup> . ففرسان  
 الصناعة<sup>12</sup> والنجار والبير وقراطيون والريفيون وجميع الناس يغنون ، وجميعهم  
 يشاركون في الضياع . لقل واحد ميت : البروليتاريا . وتلفت فرنسا قلقة :  
 من ذا الذي يمنع عمالي من السير ورائي ؟ . ومن تريفون إن يكون أليم إلا

١ - ألقية شبيهة كان يشتدوا الجارة فرنسيون في الحرب العالمية الأولى . « عدم »

٢ - فرسان الصناعة كتابية ، في الفرنسية ، عن الأثمين والمخالفين . وواقع ملخص ساور من

هذا التلاعب اللطفي . « م . م »



الحزب الشيوعي ؟ فطالما انه يعد العدة هلاكنا ، فلا تندعشوا إن كان قد شرع في قبيلد العامل الفرنسي . وبقينا ، ان هذا العامل لم يقع ضحية الجذاع نهائياً : فهو بين القينة والقينة يسيرة حس آهانه السليح وبفهم أن مصالحه متضامنة مع مصالح أرباب العمل . والحقيقة انه ما كان ليطلب سوى ان يعمل ليأخذ حصته العادلة من الدخل القومي . لكن الشيوعيين شوشوا أفكاره : وإذا كانوا يخفون في إثارته على سادته الصالحين ، إلا أنهم أقوياء يا فيه الكفاية ليحولوا بينه وبين الانضمام إليهم . وهكذا يحدد عنده نوع من التركيز<sup>(١)</sup> لتوزعه بين الرية التي يوحى بها إليه رب عمل . ألا أي تقدم كنا سنحققه ، وفي أي نوع كنا سنعيش لولا ان جرفومة الستالينية الراشحة قد سرت الى طبقتنا البروليتارية !

ابتها الجرفان الجميلة ، هل تأملون في ان تجعلونا نصدق ان فرنسا غاشدة ؟ هل تعتقدون انكم ستكتفون عنا مدة طويلة من الزمن كونها تقتصر ؟ إن الداء الذي يشل البروليتاريا قد بدأ بالسريان الى المجتمع قاطبة . وانتم ، يا من تهللون ، هل انتم أحياء الى هذا الحد ؟ إن ذنبكم ما يزال يتحرك عندما تذكر امامكم كلمة « الشيوعية » ، لكن جسمكم رهو وغامد الحركة . وهو يزاد هوداً يوماً بعد يوم . والآخرون ؟ جميع الآخريين ؟ اين آمالتنا الكبار ، أين مطالعنا العظام ، أين مشاريعنا الضخام ؟ إن الفلاح يبيش الأرض بيديه ، والصناعي في سبيبه الى الأنتان ، والصارف تتحول الى صناديق ادخار . اتنا نحيا حياة رديئة ، رديئة للغاية : فنصف الفرنسيين لا يتجاوز اجرم الحسد الأدنى الحيوي ، والشبية تخنتق أو تهاجر زاعمة انه ليس في فرنسا ما يفعل . والحكومة ؟ هل تحكم ؟ تسمية الشقاق بالأكاذيب ، زور القانون الانتخابي ، حبس المعارضين ، منع ابناءهم من دخول المدارس العالية ، اشادة دكتاورية الضعف المرئية ذات الوجيهين على الانقسامات ، بذل الوعود لعمال الدولة والموظفين ثم الخنت بها ، سحق البلاد تحت وطأة نظام ضرائبي متهافت سخيف : أيمكن ان يمتيز هذا كله سياسة داخلية ؟ غطف الزعماء المدغشقرين بالطائرة لإلقائهم من السماء على اسطحة

قرايم ، العراق الفيتناميين بالتنام وتحريب الفيتنام ، خوزقصة التوسيع على  
زجاجات ، اطلاق النار على العمال المغاربة : أيمن ان يعتبر هذا كله سياسة  
كولونبالية لتبذير المخابرات في حرب معروف سلفاً انها خاسرة ، حرب تتابع  
لعدم توفر الجرأة على وضع حد لها ، وعدواها تسري من وزارة الى وزارة  
كالهدري ، ولتساجرة بالسيادة الفرنسية ، والقبول بسيطرة الولايات المتحدة  
على نصف العالم وبالهيمنة الالمانية في أوروبا، أيمن ان يعتبر هذا سياسة خارجية ؟  
أم رجال دولة أولئك الكاثوليكيون الذي تشبه اعصابهم اعصاب النساء والذين  
يلعن عليهم فسوق البشر ، ويندسرجون تحت طاوولات السآدب ، ويحسون  
التقسيم ريشيليو لأن ايديهم ملطخة بالدم ، وأولئك الاشتراكيون الذين يأمررون  
بإطلاق النار على عمال المناجم القريين ؟ وأولئك الوطنيون الكبار الذين لا  
يتورعون عن بيع الوطن بقرش واحد ؟ وللك الوفرة من الخدم الجبهة المنتخين  
المستعدين دوماً للحس الاحذية أو للكشف عن مؤخراتهم بشرط ان يقبضوا  
الشم ؟ اذ كان هؤلاء الناس ما يزعجون في سدة الحكم فهذا لأنه ما من احد في  
فرنسا البورجوازية يبالي اليوم بالسياسة : تذكروا كيف ان الصحف عام ١٩٥٢  
راحت تهمل بالنصر لأنه لم يخصص في الانتخابات سوى خمسة ملايين مستنكف .  
انكم تتحدثون عن القرف حين يقاطع العمال مظاهرة : فاذما ستقولون عندما  
يقاطع الناخبون الصناديق ؟ ان الطبقة العاملة هي وحدها التي تقف الياسوم في  
فرنسا مذهباً ، هي وحدها التي تتسجم ، خصوصيتها ، تمام الانجم مع  
مصالح الأمة . وثمة حزب كبير يتلها وهو وحده الذي اندرج في برنامج مبدأ  
الحفاظ على المؤسسات الديموقراطية واعادة توطيد السيادة القومية والدفاع عن  
السلم ، وهو وحده الذي يتم بالالبعات الاقتصادي ويزيادة القدرة الشرائية ،  
وهو وحده أخيراً الذي يحيا ، الذي تقبض عروفه بالحياة بيما تقبض عروق  
الآخرين بالديدان : ثم لتسايلون عن المعجزة التي تدفع بالعمال الى السير وراء  
معظم شعاراته ؟ اما انا فأطرح السؤال العاكس ، والسائل عما ينعمهم من السير  
وراءها دوماً . ولا مجال للشك في الجواب : اذا كانت تصغر عن الجروليتاريا

أمارات الانهك فهذا لأن عدوى فقر الدم قد انتقلت إليها من الأمة . وتضال ضد الداء الفرنسي - فذلك الداء الذي يصفوه أوتياً كلنا جميعاً - لا يكفي ان تكف بجانب الطبقة العامة : انما ينبغي أن نعرف المرض من اسبابه . والا نترك فرنسا الخالدة المشيكة في صراع مع البروليتاريا - في ذاتها ، وانطلق الى تفسير بعض الأحداث المحددة لتحديد صارماً في الزمان والمكان ببنية اقتصادا المتفردة المحددة بدورها ببعض أحداث تاريخنا المحلي .



اننا نعيش عيشة ضنك لأننا ننتج قليلاً وبأسعار مرتفعة . تسألون : الغلظة غلظة من ؟ على وسلك ، انما غلظة الألماني الذي اعلن علينا حربين مدمرتين ، غلظة الروسي الذي يعرف من موسكو اعادة البناء ، غلظة المستقلين من الولادة الذين يحرموننا من زبائنهم القادمين بأياهم الولادة ، غلظة القسلاحين المتأخرين الذين لا يهزمون أرمهم على الاختفاء ، واشيراً غلظة باطن الأرض الذي ضلت فرنسا إذ خارت تحت أقدامها . واختصار ، ان جميع الناس مذنبون باستثناء الطبقة الحاكمة .

وهذا بالضبط ما يعجزني : خوثة كثيرون ! ومثل هذا القدر من العمل التي لم تربط فيما بينها ربطاً حسناً انما يسمى الفاق صدف . فهل تحتضر فرنسا من قبيل الصدفة ؟ انما صنعوا إلى العامل الموسكوفي لتدرس حالتها بتعمق وقلق . لكن كيف تصور ان الحرب العالمية تعملان مسؤولية جهونا ؟ بين ١٩١٣ و ١٩٢٩ ، وبالرغم من اثنين وخمسين شهراً من الاجتياح والتخريب ، ازدهار الانتاج الفرنسي ٣٠٪ . ثم حمد حتى يومنا هذا ، أي طوال ربع قرن من الزمن : وفي تلك الفترة نفسها زادت انتاجها بنسبة ٥٠٪<sup>(١)</sup> . بل اننا نزوج في مكاننا منذ عام ١٩٢٩ : لكن منها تتكون الأمداء التي ترهقنا ، أفليس من القوي الباطل البحث عن سببها في آفة سابقة بمشرفة اعوام على أول تظاهرات

- طروجه التعديد من عام ١٩٢٩ الى ١٩٥٢ .

أعرضها ؟ ان مثل هذا القدهور المتواصل لا بد ان يكون مشلوه واجمسا الى عيب في البنية .

أهو باطن الأرض اذن ؟ فلتدعه لعفانه وطيوانات الشجر . نحوها باللائحة على الفحم ، نحوها باللائحة على البترول ، نحوها باللائحة على المعادن غير الحديدية لأنها لأدت بكتف البلدان الأجنبية راضية بصيرها كبرؤوس اموال مبتذلة في حين ان اسحقفاقتنا كانت توجب عليها ان تندفن تحت مواطنه اقدامنا ؛ فلن تكونوا قد تقدمتم . الطبيعة تحوننا ؟ هذا مؤسف . لكنها تحون في الوقت نفسه أوروبا قاطبة ومع ذلك انظروا ؛ بالرغم من التساري في الحياة يعيش البيجيكويون والسويسريون والسكندنافيون خيراً منا . امسا الانكليز ؛ فعند نهاية الحرب الأولى اتاحت لهم فرصة جيدة ليصبحوا ؛ اقتبسوا على الطائفة اية بيديا كانوا يدبرون ظهورهم هجرهم زمانهم الجاحدون الناكرون للجميل ، وراحوا يشفرون الفحم الأميركي ولتظن الياباني والفرنلاند الألماني . ولو فطنت التفكيرنا آنذاك ما نعلم اليوم ؛ فطلت قابضة في منزلتها لتشهد خرابها الذاتي ولتلتصق به لكن من غير ان رفع اصبعها لتلافيه . كانت لها جميع الأعداء ؛ كانت صناعتها القديمة الماحدة تبدو وكأنها هيكل الأمة العظمي ، فهل يمكن للمرء ان يغير عظامه ؟ ومع ذلك حطمتها ؛ فطالما أنت الأسس القديمة لتفوقها الصناعي قد تحربت ؛ فهي تزيد ان تتغير لتبقى هي هي وان تحافظ على توازنها بطلبها انتاجها رأساً على عقب . وهكذا رأيناها تبدل في مئتي عشرين عاماً لتشريحها وفيزيولوجيتها ، وتقلب التيارات الديموغرافية ، وتعيد تصنيف وتوزيع يدنها العاملة ، وتغير آبار مناجمها لتصنع المنتجات العالية الاختصاص . فهل تختلف معضلتنا عنها اختلافاً كبيراً ؟ كان علينا ؛ نحن أيضاً ؛ ان نلف حول صعوبة ما كان في مقدورنا ان نواجهها من الأمام ؛ وان نزيد التناجس عن طريق تقويم اقتصادنا . لكن لفة دعابة ملهمة ؛ لتنعنا بأن تكونينا غير قابل للتبديل لتجعلنا نعدل ملكاً عن محاولة تغييره ؛ فاعظام فرنسا رخوة ومصابة بمرض بوت<sup>(1)</sup> ؛ وعليها بوجه

١ - جراح انكليزي اشتهر بأبحاثه عن مرض العمود الفقري ؛ تعرف باسمه . - ص ٢٠٤ -

خاص ان نطلب واقعة : فعند اقل جهد يبذله المريض لتحطيم فقراته . وباختصار يراد لنا ان نطن الحبيسة قبة والطبيعة قدراً . لكن لا تصدقوا شيئاً من هذا : فالطبيعة تخطط الورق وتوزعه ، لكنها لا تحدد طريقة اللعب به . انها تطرح الاسئلة لكنها تجهل الاجوبة . توجه الاقتصاد لكنها لا ترويه . بل اكثر من ذلك : ان الاقتصاد هو الذي يصنع الطبيعة بقدر ما تصنع الطبيعة الاقتصاد . ويمكن للتصنيع ان يأخذ اشكالا شتى ، وندرة الموارد الطبيعية لا تسلبها جميعاً قليلاً : فقد كان معروفاً سلفاً ان قرصاً ، بخلاف انكفرتا للتشجرة ، لا تستطيع حتى ان تحاول بمرء محاولة لحاق إنتاجها بكامله بصناعاتها الانخراجية ، فهل كان عسراً عليها ان تشجع صناعتها التحويلية ؟ اما كانت في وسعها ان تخصص ؟ وأن تنمي معاً وبالتفاعل استيراد الموارد الخام وتصدير المنتجات المصنوعة ؟ لقد تم الاعلان بسرعة عن ان المشكلة لا حل لها ، لكن ماذا تعرف عنها طالما اننا لم نكتشف النقاب عنها حتى الآونة الأخيرة ؟ اننا نستطيع ان نبرئ ساحة عالم الجهاد : فهم بشر الذين صنعوا الاقتصاد الفرنسي ويصنعونه يوماً . والحطاطنا الزاهن ، شأن عظمتنا الماضية ، مغامرة انسانية ، ونحن في آن واحد ضحاياها وصانعوها .

ماذا لو ألقينا بكل شيء على كاهل المستهلك ؟ ماذا لو زعمنا أن ضيق سوقنا الداخلية يجسب الانتاج ضمن نطاق معين لا يعود بعسده لتصرف المنتجات مضموناً ؟ فكرة جيدة ! وميزتها الرئيسية انها ترجعنا الى المعطوف البشري . ثم إن الفلاح يستهلك قليلاً ، هذه حقيقة واقعة : على الأقل في النصف الجنوبي من البلاد . لكن كل ما هنالك هو انني لا ارى كيف يمكننا ان نعتبر ضيق اسواقنا علة اولى الهم إلا اذا آمننا بفراسا الحسالة ونخلود ، الصفة ، الفرنسية . أنكون امه شحيحة ؟ انتم ولا شك تهزلون . ولما كان المزارعون لا يؤدون ، واجههم الاجتماعي كمشاكلين ، على الوجه المرام ، أفليس السبب بالأحرى كونهم يعيشون من منتجات أراضيهم ؟ وما يرغمهم على ذلك ؟ انه ، واج الحق ، الانخفاض المستمر لقدرةهم الشرائية . وهذا الافتقار التدريجي ، أريدون ان تعرفوا

مصدره بدوره ؟ ان مصدره ، بكل بساطة ، هو ان اعمال الحقل مساعات  
لدى . وهكذا نكون قد رجعنا من الاستهلاك الى الانتاج . هل متقولون انها  
غلطتهم وانهم يشيخون برويتهم بدلاً من ان يشقوا جرارات ؟ هذا صحيح .  
لكن عمليات الشراء في المجتمعات ، كما في نظام الآلات الارتكاسية ، تكونت  
معلوماً وعبءاً معاً أو عبءاً هي في الوقت نفسه معلول معلولها . ولنتفكر باتجاه  
عقارب الساعة : مبيع الجرارات قليل ، إذن فانتاجها قليل ، ولما كانت الأسواق  
سابقة لا تغطي نفقات إعادة التجهيز فإن مصانع الآلات الزراعية لا مصلحة لها  
في تجديد نفسها . والنتيجة : الجرارات تباع بسعر مرتفع لأن الملاحين يقاطعون  
المكننة . إن هذه الحماكة العقلية صحيحة ، وكيفية علاوة على ذلك بتشجيع  
المورد والمطالبة الى حد معين : اذا اغترتم مرة واحدة ونهائية المزارع كتنحول  
مستقل تكونون قد جردتم انفسكم فرضاً من كل وسيلة لتأثير عليه . ونصي  
عابرين هذا التال الجميل من التشاؤم الرجعي : الشح والروتين هما من الطبيعة  
الفلاحية بالذات ، إذن فاقنصادة لن يتغير ابداً .

ولنتفكر الآن بالاتجاه العاكس : طالما ان نسبة الأسعار الصناعية ستظل أعلى  
من نسبة الأسعار الزراعية ، فلن تتوفر للمستثمرين الربيعين الصغار وسائل تجديد  
استثماراتهم وتحديثها . واذا كانوا يقاطعون المصنعة ، فهذا لأنها هي نفسها  
تقاطعونهم ، ولا أمل في قهر روتينهم قبل ان توضع الآلات في متناولهم . وهذه  
النتيجة الثانية ، التي لا تقل مشروعية وقبراً عن الأولى ، تنبذ علاوة على ذلك  
بكونها عملية : انها تفتح المخرج الذي سدته الأولى . لكنكم متقولون : ألا  
يتضابق الفلاح نفسه من اختناق السوق الزراعية ؟ بلى ، بالتأكيد . لكننا نتفكر  
من جديد ، على هذا الصعيد ، بتداخل الماعيل والمعلل نفسه . ففي اتجاه عقارب  
الساعة يقال : لا يمكن تصريف القلال ، إذن ففرنسا تنتج من القمح كميات أكثر  
من اللازم . وفي الاتجاه العاكس يسأل : الفرنسيون على مستوى منخفض من  
التغذية ، إذن فهي لا تنتج ما فيه الكفاية من القمح . إذن فطالما ان الدوران  
واجب ، فلنقدر . لكن من أين نبدأ ؟ هل الأولوية للمرعى ام للطلب ؟ هل

مسألة تتعلق بما نغنيه بكلمة « مستهلك » . هل يفكر منتجوا زيون الأيس لام زيون القدي ؟ ومن ثم أولئك الشراء المرغوبون الذين يتفرون من واجبهيم : الأغنياء يفتكرون ام فقراء لا يقدرون على الدفع ؟ في القرن الماضي كان صاحب العمل يباهي بأنه يخلق الحاجات لبيها ، وكان يقول : « في نظام المزاخمة ، يزداد الإنتاج لإنقاص التكاليف . وضيق الأسواق ليس إلا حدثاً عارضاً : فالسوق تفتتح أو تخلق . وطالما إن هناك ٤٠ مليوناً من الفرنسيين ، إذن فلدنيا ٤٠ مليون زيون . صحيح إن معظمهم مستهلكون عن غير علم منهم ، لكن لا أهمية لهذا : أننا نتجمل منهم ثبارة علبتين . وسنذهب عند الحاجة للبحث عنهم في منازلهم ، ومهما كانت قدرتهم على الدفع زهيدة ، فنستطلب منهم أقل أيضاً ، وباختصار ، يميل الينا إذ نسمعه ان الإنتاج كان منوطاً بالآلات وكلت بشرط الاستهلاك ، وكان الطلب يتبدل تبعاً للمرض . وانما على المهتمه الأمة التواصل كانت الرأسمالية تقيم تفيرها الوحيد ، اسطورة لتقدم الكبيرة . وفي البدايات الأخرى وجدت حركة الاقتصاد القزاعي نهايتها النظرية في الإنتاج المتسلسل الذي يستهدف عامة الزبائن والذي تحتلظ السوق بالنسبة اليه ، نظرياً ، بجموع الأمة »<sup>١٩</sup>

حسناً . لكن ماذا يقولون اليوم ؟ إن الطلب في فرنسا ١٩٥٤ يشترط المرض ؟ كان هذا صحيحاً أيام الحملات الصليبية : فقد كان هناك مجتمع طبقي منتج توهم على اقتصاده الزراعة ، يقدم زبائن ثابتين ودايين لصناع كثيراً يعملون وفق طرائق متوارثة . فهل يريدون ان تقولوا اننا قد عدنا من جديد الى ذلك العهد ؟ وهل سيب ذلك أن أرباب العمل عندما عادوا يؤمنون بالتقدم ؟ وفي مثل هذه الحال ، ما سيطهم ان يغير امتيازاتهم في نظر أنفسهم ؟ إنهم يشكون سلباً ، ومنذ خمسة وعشرين عاماً ، من ان الاستهلاك ثابت جماند .

١ - صحيح انه يكد من لقاء نفسه عدده : فالغد الاقل من الإنتاج لا يتطابق مع الحد الاقل من الربح . والمزاخمة لعمى امام التفاعلات . لكن عسله اللاتقومية ، مما تكن ضارة ، لا تشبه في شيء ما التوسيتا .

ما أجمل من عطر : إننا نعيش على ما هو موجود ! لكن يوم سيضنا الجوع يتابه  
 جيماً ، فكيف سيكفنا ان نأكل أكثر طالما ان كمية الطعام لا تزداد ؟ صحيح  
 ان الأطفال لن يناموا الجوع الذي سكنها الآباء . لكن أين يريدون ان يذهبوا  
 طالما ان البناء متوقف ؟ ليس القدر ولا الطبيعة الإنسانية مسؤولين عن اختناق  
 السوق . والانتاج ، مهما يدل عنه ، لا يكف عن تنظيم الاستهلاك : لكنه بدلاً  
 من ان يدفع به الى امام عندنا يضع في وجهه العراقيل . لقد سمع الجميع عن تلك  
 اللاهي القليلة التي تكلف فيها الشماليات بؤبؤ العين لأن الإدارة تريد ان  
 تصطفي زياتها . وحالة فرنسا اليوم شبيهة بهذه اللاهي : فالنخبة هي التي  
 تستهلك والأسعار مدروسة بإمعان حتى لا يندس بيننا غريب . لا يحسن لمن لا  
 سكن لهم ، ولا طعام لمن يفتسون جوعاً ، ولا أحذية للحفاة . وتقريب حسو  
 اليوم الذي يتعلق فيه هذه الألفاظ على واجهات الحجاز : القياس اللائق ضروري  
 لشراء الحجاز . هذه هي الحقيقة : حتى عندما يتطلب الاستهلاك نصف  
 المنتج ، على الإنتاج ليخلفه بدوره ، فإن الانتاج هو الذي يبدأ أولاً . وإنما فيه  
 يمكن العيب التكويني لاقتصادنا .

\* \* \*

إن هذا العيب ينفأ العميون ، لكن بشرط أن تبحث عنه حيث هو موجود :  
 انه يدعى التثقت . ففي الولايات المتحدة كانت المعامل التي يعمل فيها أكثر من  
 ٢٥٠ عاملاً تقتل ، منذ عام ١٩٣٠ ، ١٤ من مجموع المصانع واستوعب أكثر من  
 نصف اليد العاملة . أما عندنا فإن الاستثمارات التي تعطى للعمل لأكثر من ١٠٠  
 عاملاً لا تستوعب سوى ١٤٦ من اليد العاملة ولا تقتل إلا واحداً بالثمة من الصناعة  
 الفرنسية . وحول عدد زهيد من المصانع الضخمة ترسل المصانع اللامتناعية  
 الصغر : ففي باريس ، وفي صناعة المادون التحويلية وحدها ، يوجد ١٨٠٠٠٠  
 مشروع تضم ١٠٠٠ و ١٠٠٠٠٠٠٠ عاملاً . وفي التجارة يستفحل التثقت : فالمؤسسات  
 التي تستخدم أكثر من ١٠٠ عاملاً تستوعب ١٢ من الجهاسار وتقتل ١٠١ من



المجموع . وهذه الوقائع معروفة من الجميع . ومنها يستنتج ان فرنسا قطعة من  
 متحف ، معاصرة لأيام الاضواء بالفاز : وهذه الميكانيكا التشابكية الفوليب  
 سلبى على قيد الحياة بفضل نزوة من نزوات التاريخ وستثمر في امتنا  
 لتواين القرن الماضي . وفي هذا الصدد يقرر البعض اننا سنعاني من مصير أينا ،  
 والبعض الآخر ان الله فرنسي . وجميعهم خطئون : فاقنصادنا ابن عصره والقرن  
 التاسع عشر عاجز عن انتاج اقتصاد شبيه به . والوسائل القوية التي نملكها اليوم  
 هي وحدها القادرة على إعطائه حضوره وسيادة البالية . بقينا ، ولتوجه الأولى ،  
 نذكرنا المشاريع الفرنسية البالغ عددها ٥٠٠.٠٠٠ مع عمالها الذين يراوح  
 عددهم بين ٨ و ١٠ ملايين ، بعصر البيروالية الجميل . لكن هذه لا تعدو أن  
 تكون أكثر من صورة خادعة . فالاقتصاد البيروالي يتحدد بنظام المزاومة الذي  
 يقضي عادة الى التركز أكثر بكثير مما يتحدد بثقلته . إذن فتح نحافظ على  
 الثقل البالي لغزرتنا ومصانعا ، كان لا يسد ان نلقي المزاومة : فالاستثمارات  
 الصغيرة لا يمكن ان تظل على قيد الحياة إلا إذا امتنعت الصناعة الكبيرة  
 والتجارة الكبرى عن ابتلاعها . وغلاصة القول ان الكبار قبلوا بأن يبيعوا  
 بأسعار لا تقل لارتفاعاً عن أسعار الصغار . وخطر التنافس في الوقت نفسه على  
 الصغار : فقد فرضت عليهم مدونة غير عديدة الأجل كما فرض عليهم التجاوز  
 والتعايش السلي . ومن ذلك انهم تخضع الأسعار للرقابة روابط  
 متفاوتة السرعة تجمع عدداً كبيراً من صغار التجار وصغار المصنعة حول بعض  
 المؤسسات الضخمة . ولو أراد أرباب العمل أن يدفموا بتناقضهم الصغار الى  
 الافلاس ، لما احتاجوا الى أكثر من زيادة الانتاج قليلاً . لكنهم يتمتعون عين  
 ذلك ، وإذا كانوا يظنون أحياناً بتجديد آلتهم ، فليس ذلك ليزيدوا الانتاج  
 وليبيعوا بأسعار أرخص ، بل ليزيدوا ارباحهم بتخفيضهم سعر الكلفة .

ومما لكن الرعاية التي يبذلونها ليرفقوا بغير انهم ، فإنهم لا يكونون قد  
 فعلوا شيئاً إذا لم يعموم بصورة ناجمة من الازمات : لأنهم عند أول نكسة  
 سينهارون . إذن فسوف يظلونهم كالنجم الطير صفارها ، وعلى حساب المستهلك :

ففي ليون على سبيل المثال لا مجال للشك في ان « العمل » لن ينخفض بشكل محسوس تكاليفه بمهده بأشغال النسيج والقزول الآلي التي الورشات التابعة له « بل هو يفضل ان يمهدها الي معامل متناثرة مشتتة غير قادرة على الاستمرار بالأصل بمرنه . وهذا لا يكفي ايضاً : لنا بقية ان نسام الدولة في هذه الاعمال الخيرية ، وان تخفض اعباء الضرائب وتزيد في الاعيادات وتعزز الرقابة الحكومية . الدولة « اي المكلف » وبكلمة واحدة فرنسا قاطبة . ان المهمة الرئيسية لتنظيم الضرائب هي اعادة توزيع المداخيل : لكن اعادة التوزيع هذه تستخدم عندما مصالح المشاريع التي استلجمتها الراحة وحركتها الحرة . ان الفرنسي يدفع الضرائب ليستطيع ان يشتري بأبسط الأسعار منتجاته القومية . وعن المال الذي يبقى له - هذا اذا ما تبقى لديه مال بعد كل هذه الاقتطاعات والضرائب - تسهر عناية الهية خاصة . وكما كان ملاك كلوديل يمدد بلا كلل بروبيغ الشاب عن روبريغ الشاب<sup>11</sup> ليضعها في فراش رجل مسن ، كذلك لا يكفل ملاك المائوسية عن تحويل مجرى التوظيفات الجديدة نحو القدم المشاريع واكثرها بل . حاولوا ، على سبيل التجربة ، ان تقولوا شركة في سبيلها الى التكون « سوف يجعلونكم تتدعون على عنادكم : « ماذا نرجمون ؟ المساحة في تطوير القوى المنتجة ؟ لكن من سألكم ذلك ؟ هل تريدون تطوير الانتاج في الوقت الذي لا تخرج فيه الصناعة الكبيرة عن الحركة خوف ان تسحق الصغيرة ؟ من حسن الحظ ان ادوات الانتاج تكلف غالباً جداً : وهذا طبيعي طاقاً ان تكاليف انتاجها كبيرة . والفضل مما يفعل هو ترميم الآلات القديمة : فلقد شهدت ولادتنا وما يزال في امكاننا ان نخدمه . وإذا اضرتكم تدخلت المصارف : احموا اليها مدخراتكم ، فتعطيها الدولة التي سددتها في « الدين العام » ، وباعتصار ، انهم لا يكتفون بسرقة مال الفقراء ، بل يعقون أيضاً مال الأغنياء . وبدءاً من هنا يستتب النظام : الادوات بالية ، وتكاليف الانتاج مرتفعة ، واعداد الصناعة في صعود دائم ، والزبان الزراعيون يجرون السوق . وتكاليف

١ - من ابطال مسرحية « حذاء الحرير » ليون كلوديل . ص ٢٠٥ .

الانتاج عند الريفيين بدورهم مراقبة نظراً الى استخدامهم أدوات قديمة رثة ،  
وارتفاع الاسعار الزراعية يحرم الزراعة من زوائن المدف . رأيتهم الى الحلفة  
للدعشة وكيف ان المعامل تميز العطل : فهذا الفرع من فروع الصناعة يختصر  
نشاط الانتاجي ويحرم بعض المزارعين من مجالات تصريفها الطبيعية . وبسبب  
بالتالي النكاش السوق . والمزارع التي طلق بها الأذى ستتكشف بدورها حتى  
تتمكن من الاستمرار ، الشيء الذي يؤدي الى انكشاشات جديدة . وهذا  
الانحطاط الدوار يرتد في النهاية الى نقطة انطلاق ، فحاشاً انكشاشات جديدة  
على المعامل التي كانت السبب فيه . وهكذا يتلائم الاستهلاك مع الانتاج ، ليتعدل  
الانتاج من ثم وفقاً للاستهلاك . إذن فالهرك يدور بشكل دائري ، لكن هناك  
مشكلة واحدة : انه يتباطأ مع كل دورة وينتهي به الأمر الى التوقف .



حين ينال نظام من الأنظمة الاجتماعية مثل هذا القدر من الرعاية ويتطلب  
مثل هذا القدر من التضحيات ، فهل يمكن الزعم بأنه ثرة الصدفة ؟ كانت  
الليكنيكات التقنية متصا بخلل منذ زمن طويل لولا ان هناك من يسهر عليها ،  
وكانت اجهزتها الوفيرة المشابكة المبيكة متلبط مع الاستعمال لولا ان هناك  
بدأ غير منظورة تتدخل . وبعبارة أخرى ، ان ثلثت مشاريعنا و التوجيه ،  
بفرض وحدة نية ووحدة سياسة ، اي توحيداً خفياً لاقتصادنا . وفي فرنسا كما  
في الولايات المتحدة تشرف الصناعة الكبيرة على جميع قطاعات الحياة القومية .  
والفرق ان الاميركان قتلوا ارباب العمل الصغار واتساق بقي على ارباب عمالنا في  
القيود والافلال . انهم يعيشون ، لكن كغافا ، ووداعتهم مضمولة لأنهم  
أقتضوا بأنهم بالأصل اموات ومانهم سينهارون ويتفتشون إذا لم يمد في أجل  
اجازتهم الحياتية . ولهذا السبب يشبه نظامنا الاقتصادي بعض الشيء نظام  
الاقطاع . فهناك وفرة متزايدة باستمرار من صغار التجار وصغار الباعة تبحث  
عن الحماية ضد المزاوجة التي تزداد قسوة يوماً بعد يوم ، وتضد الازمات وتضد وحشية

البارونات . وقد انتهى الأمر بهم الى تقديم املاصتهم للكبار من ارباب المعمل الذين ارجعوا اليهم تحت شكل إعانات ثابتة لهم بعد ان سموها بمسهم . واليوم لم يبق لهم غير حق الانتفاع بخازنهم ومعاملهم . ام ستقولون عنهم انهم ملاك ؟ هؤلاء النبلاء الذين يحتلون اولى مراتب النبالة والذين يكذبون ويشقون ؟ ولا يكادون يسدون نفوسهم ؟ والذين هم اجراء انفسهم ؟ ماذا يستطيعون ان يفعلوا ؟ ان يكبروا ؟ ان يجحدوا تجهيزهم ؟ ان يتجوا او يبيعوا اكثر ؟ لا شيء من هذا البتة . ومع ذلك فإن هؤلاء المولى المرجأ لتقيد حكم الاعداء فيهم هم ، اذلام ، كيناز سادة الصناعة : فقابل الحماية التي تحول بينهم وبين السقوط بدورهم الى مرتبة الجرويلشاريا يطالبون بأن يقدموا خدمات ذات طبيعة خاصة جداً : ان مهنتهم هي ان يتقدوا مظاهر الرأسمالية التنافسية بتنظيمهم الاحتكارات . ترى هل اقتصادنا اقتصاد بالرفسات وقته ؟ قولوا بالاحرى انه شاذ : فهذا النظام الذي خلق بشكل مضطرب والسمر بقفل رعاية رأسمالنا الكبير يهدف الى دفع القوى المنتجة : لكنه يستبدل التركيز التكنيكي بتركز الاجهزة القيادية الحتمي .

\*\*\*

يقين ان تعرف لم يعاند القطاعيون الضيق في تدوير فرنسا . لاحظوا ان لديهم جواباً جاهزاً فهم يقولون : ، ذلك حتى نحدد من مدى الاضرار . اغرقوا ان العمل ، غلط وفتح ورشات نسج : انه سيخبره مشتقة في انقلابها حين تأتي الأزمة . وبالمقابل من السهولة فكان التخلي عن المولدين : ان ارباب المعمل الضيق هم الضحايا القادمة للدفاع المطاطي . ، ان هذا الكلام لا يقدم ولا يضر . هل هناك سداجة اكبر من هذه السداجة في الاعتراف بأنهم يلقون بأنفسهم في الماء خوف البطل ؟ ولو اندلعت أزمة حادة لتترك التطويق بعض الحرية في التساورة للاستثمارات الكبيرة ، لسكن إذا كانت الظروف مناسبة حرم عليها الاستفادة منها . وإذا ما تزايد الطلب في التدعجرت المشاريع الصغيرة عن ثبتيته : راقا

هذه المشاريع ربطت الصناعة الكبيرة مصيرها. ان سائق السرعة ، حين يواجه  
 منحدرًا عمودياً ، يسير بحركة بالسرعة الأولى : كذلك فإن منتجينا الألبان  
 يتخلون من آلات الإنتاج بالذات اعادة لمركنته خوف جموعه . ان المستقبل في  
 نظرم حافل بالوعيد لا بالوعد : مستدلع ازعاجات ، ولزمات اخرى ، ثم الكارثة ،  
 فالطوفان . وإفا كانوا ينكشون على انفسهم ، فهذا لكيلا لا يفرسوا الكارثة  
 جهلاً عريضاً . زيادة الدخل القومي ؟ انهم يترأون بذلك : انهم لا يفسخون  
 بزيادة دخلهم بالذات بقدر ما يفسخون في الحيولة بينه وبين الانخفاض . لقد  
 اختاروا سياسة أسوأ الاحتمالات . ومعروف كيف تفسر المركزية تضخم  
 الانتاج والأزمات الدورية : ففي نظام المزاحمة تتحول الأرباح الموظفة إلى  
 وسائل انتاج متنامية بينما يتدهور استهلاك الاجراء . ترى هل قرأ رأسماليو  
 الصغار ، الرأسمال ؟ فحق يتجنبوا الأزمات ، فدوا عنق المزاحمة ، ونظموا  
 الانتاج الدون ، وهم يعمدون توظيف ارباحهم في البلاد الأجنبية . وهكذا جعلوا  
 من اقتصادنا اقتصاداً منقطعاً خوف الانحطاط .

والعملية مدينة بنجاحها لمساهمة أرباب العمل الصغار . فهم يتفنون حسن  
 المستهلك ما تؤولية الأوساط العليا . ولما كانوا مرتعنين عن دفع أجور بخسة وعلى  
 بيع منتجاتهم بأسعار باهظة ، فأمامهم أحد حيلتين : اما ان يغطسوا وإما ان  
 يفرروا بأنفسهم الأسعار والأجور . ولو زعمت الحكومة انها تنظم السوق ،  
 لكففت جرة قلم من قبل أحد البيروقراطيين حتى تظفر المشاريع الخمسة ألف .  
 وعلى كل ، فإن صغار التجار هؤلاء يشتمون برنات قوية : لو تجسراً وزير على  
 فرض الضرائب عليهم ، لصاحوا بل ، اقوامهم انه قائل . ولو طالب موظفوم  
 بزيادة الأجر لأثبتوا بالأرقام انه ليس في طاقتهم تلبية هذا المطلب . وهم لا  
 يكذبون في ذلك كذباً طاملاً انهم عموماً على شفا الافلاس . لا حديث إلا عنهم ،  
 ولا وجود إلا لهم ، فكان شاغل الأمة الوحيد ان تتم لهم : إن هؤلاء المعتضرين  
 الشيرين الضجة والتجبة يصفعلوننا بومياً بدليلهم عن استحالة تبديل أي شيء كان  
 في فرنسا تحت طائلة انهيار كل شيء . وخلال ذلك يقوم رب العمل الكبير ،

الغرضي هم ، ينتج معاداة تنظيمياً علياً ؛ لو أراد ان يشغل الآلة بكل ما في طاقتها ، لتدهورت الأسعار على الفور ، لكنه يرى ان من صالحه ان يضمن نفسه ربحاً لا يجازفه فيه برأيه ان القصي حد التباين بين تكاليفه وبين أسعار السوق<sup>(١)</sup> . ولما كان هذا يتطلب الإبقاء على قسم كبير من الصناعة الفرنسية في مستوى منخفض من الانتاجية ، فإن رب العمل الكبير يعرف جهاراً المستثمرين الصغار بملكيتهم الاحياء لمشاريعهم ، أي انه يخطط عزمه وتلفت مواردها . وبالمقابل يؤدي صغار الكمية على الوجه المطلوب منهم التي هي الانتاج القليل بتكاليف كبيرة ؛ فان لهذا الفيض غير المرغوب من الربح هو بمثابة عذمة تؤمها الصناعة الكبيرة للصغيرة .

وهكذا تتم جز بوجوازيتنا ؛ انها تلوو الرقضاء والاستقرار على زيادة أرباحها المحدودة . واقطاعهوا الكبار هم بكل بساطة اصحاب دخول . لكن لا بد من تسخير هذه النزعة المحافظة . فهل من الممكن ان نوجع ربيتنا بالمستقبل ان اطرف من الازمات المبهمة ؟ لا بد ، بالتأكيد ، من ان نضع تطوراً في الاطار الأوروبي ؛ والحال ان مرحلة الازمات قد انتهت ، وأوروبا تحسر اسواقها الواحدة نحو الأخرى ، وفي كل مكان يلاحظ الميل الى تحويل الربح الى دخل . لكن لماذا استعمل هذا الانكشاف العام ان هذا الحد عندما ؟ هم يمكن ان يفسر هاه الكلب الماتوسي هذا الذي منظمي لحياتنا به ؟ اعتقد ان تاريخنا سيقدم الجواب .



إن التاريخ يتقدم وعلى وجهه قناع: ونحن يسفر عمن وجهه يدمغ المتكلمين والشهود الى الأبد. اننا لم نعلم قط من ، دقيقتي الحليفة ، التي عرفتها فرنسا

---

١ - قد يحدث ان تقل الصناعة الكبيرة ببيع أسهم أو قديلاً من الأجر التي تنظمها الصناعة الصغيرة . وهذه طريقة لإظهار حسن نيتها تجاه العمال وإظهار قربها تجاه أرباب العمل الصغار .

في القرن التاسع عشر، و بورجوازيتنا تلعب اليوم لعب من هو وائق من الحسارة .  
لأنها رأيت وجهها الحقيقي في ١٨٤٨ و ١٨٧١ .

في ظل ملكية لفسوز<sup>(١)</sup> ، كان السكان القرويون يتألفون من بورجوازيين  
ومن حيوانات . كانت الملك بورجوازيًا وكان البورجوازي ملكيًا ، كانت  
البورجوازي إنسانًا وكان الإنسان بورجوازيًا . وكان الحيوان حيوانًا ، وكان  
يعرف بالآلات . وكان الجوع ، في غالب الأحيان ، يطرده عبر الشوارع . وكانت  
تتم هدمته بإطلاق الكلاب . ثم تبدل كل شيء ذات يوم . كان ذلك في حزيران  
١٨٤٨ ، وكانت الحكومة قد سمعت شائعات وأطلقت برأسها من النافذة : وبدلاً  
من ان ترى المشية المألوفة شاهدت جيشاً . فقد انفتحت البروليتاريا التاريخ  
الرسمي وشكلت أول معركة نظامية لها . يا لها من هزة : ان تلك الحيوانات تقاوت  
كالبشر ، ولقد فعل الجميع بالتلاحم الجسدي لناوراتها . باختصار اصطفت  
لما لتكون الإنسان نجماهم في نوع كان قريباً عنهم . وكان هذا مصدر خوفهم  
الكبير : طالما ان الآخر يزعم انه يصبح انساناً ، فان الانساني قاطبة يصبح  
آخر ، والبورجوازي يتعرف نفسه في عين الآخر شيئاً آخر غير الإنسان .  
وإذا كان البائسون يشكون جزءاً من النوع الإنساني ، فالبورجوازي لا يتميز  
عنهم إلا بأعمال العنف التي يجعلهم يكابدون منها . وهكذا أصبح البورجوازي  
يتحدد على حين غرة برفضه : كان قد رسم لذاته حدوده الذاتية عندما اعمى  
لنفسه الحق في رسم حدود لنوعه ، وإذا ما حدث واتخذ المستبعدون يسدورهم  
من انفسهم قياساً للإنسان ، فإنه سيتعرف انسانيته لدى الآخرين كقوة هدوة .  
وإذا ما طرحنا المسألة يمثل هذه الصورة الواضحة : لقد تسرب بشر هويت  
الى النوع الإنساني ، ولا يد من طردهم . فكيف السبيل الى ذلك ؟ يشتق  
المريض ؟ هذا لا يكفي : فالبورجوازية قد فقدت قناعاتها الرائدة المطبقة ،  
ولن تستعيدوها الا اذا وجدت نفسها من جديد وحيدة في العالم . ثم اذا ما  
بدت المجزأة فمن الخطر ألا تتابع حتى النهاية : فالجزائرون لن يستحصلوا على

١ - من ملكيا لوي - فيليب الذي تسم العرش بعد ثورة لوز ١٨٣٠ . - ١٨٤٨ .

بيرة ساحتهم الا اذا بدلوا قصارى جهدهم في اعادة الشهود . وبكلمة واحدة ،  
 كان لا بد من اثناء الطبقة العامة عن بكرة ابيها . وكانت البداية تبشر بالخير ،  
 فالبيروجوازية ، التي طاش صوابها حثفاً وخجلاً ، والتي تحريت واكتشفت عورتها ،  
 تريد ان تنفذ جميع عبون البيروليتياريا . واتخذ المرص الوطني لنفسه واجباً  
 اعدام المرصين . لكن القمع من نكد الطالع اوقف قبيل الاوان . ولجمعت  
 النخبة : فلو سقط عشرة ملايين قتيل لمانت اليها برادتها . اما وان عصف  
 المدعومين لم يتجاوز ١٥٠٠ ، فانها قد انحوت الى شرملة من القتل . وحسين  
 انتهى كل شيء ، فلعننها خوف عظيم من ان ترى نفسها ومن ان ترى حتى انها  
 تخلت عن حقوقها السياسية ليريق من التنظيم ضمن لها بالتقابل حيا في الملكية .  
 اما القتل فقد عزيت اليهم جرائم بشعة تظهر بوضوح حيوانيتهم . واستمر شرط  
 الحيوان مبروضاً على من يلقى على فيسد الحياة . ووفق صدر جميع المالكين على  
 العاصمة : وحتى يصلحوا من امرها ، قطعوا اوصالها . وجاء ارتفاع الائتمارات  
 لينجز العملية إذ قضى على الفقراء بأن يلقوا خارج الاسوار . واضلن العمال من  
 التاريخ الرسمي . يسد انهم ظفوا احياء يعيشون مشككين في الشيطان اللطيفة  
 التي تحيط بالمدن : وكانت عيونهم من حين إلى آخر تقع ، فينهال سبيل من  
 الرصاص على حشودهم . ولم يكف أن يحظر عليهم الكلام : بل جرت ايضاً  
 محاولة لسطر ذاكرتهم . لكن هبنا . فقد حافظوا بغيرة على ذكرايتهم ، الأمر  
 الذي منع البيروجوازية من التخلص من ذكرايتها : فهي لم تنس في أي لحظة  
 وعيها ، ولا الرؤية الحقيقية التي رأتها ولا الدم الذي لطخت نفسها به . ولقد تجلج  
 ذلك واضعاً يرم سقوط الاميراطورية<sup>١١</sup> عندما رفض مشوهها ان يحاصروا  
 باريس فاضحين ذعرهم وتطويعهم . ولقد غاظها التمرد من غير ان يقابنها : فقد  
 كانت تتوقعه . وعنت دويلة واحدة عشرين عاماً من السلوان . وطرح السؤال  
 البديهي على بساط البحث من جديد : أهم ام نحن؟ واكتشف الابناء في عيون





فقبل حسين عامساً كان العمال يتوسلون الى رب العمل ليرى ان يؤسهم ، لتقتهم من انه يكفهم المره ان يرى اوجاعهم حتى يتعش لهم البره منها . وفي عام ١٨٤٨ كانوا ما يزالون يصدقون لامرئين حين كان يحدثهم عن « سوء التصامم الماساوي الذي يفرق بين الطبقات » . وبعد ١٨٧٦ فهوا . وكان ذلك من سوء طالع البورجوازيين . لقد عرف السادة في البلاد الاخرى كيف يقون خافين عمن الانتظار ، وكيف يتوارون امام ما يسمونه « الضرورات القاسية للاقتصاد الليبرالي » . ولهذا السبب لم يكرههم العامل حقاً - وهل يستثن كرهه ما هو مجردة إلا كرهها مجرداً ؟ - وحتى لو كرههم لاشتملت كراهيته في ذاتها على تجاوزها ؛ انه يعرف انهم يعتبرونه حيواناً يطعم الى دخول الانسانية ويتوجب لجه ذوماً ، لكنه يعتبرهم « هو » بشراً يحملون النسخم أو يريدون ان يتجاهلوهما . ومهما يكن عنف الثورة التي يتطلع اليها ، إلا انه لم يفكر قط بإعادة اعدائيه الطبقيين : فتصلية البورجوازية يجب ان تحرر البورجوازيين من جهلم وتجريدهم البورجوازي لتعيد اليهم انسانيتهم . وليس ما يفضيه فيهم هو الانسان ، انما للقوم الحرمانى عن الانسان ونفى الانسان : طالما ان الصراع مرسوم في المجال الاقتصادي ، فإن كراهية العامل ليهي ضمن نطاق العمومية<sup>(١)</sup> .

أما في ١٨٤٨ و ١٨٧٦ ، فقدت أسفرت البورجوازية الفرنسية عن وجهها ، وضربت بقوة . والرأسمالية بالطبع ، شأنها شأن كل اضطهاد ، تستمر بالعنف ؛ لكنها لم تكن لتطلب لا ذلك العنف ولا تلك الوحشية في القمع ؛ ففي ١٨٤٨ لم يوجد قرد البلوس تهديداً جدياً الى أرباب العمل ، وفي ١٨٧٦ كانت قد بدأت مفاوضات ولم تضمن المصالحة مستحبة ؛ واذا كان الفرسانيون قد رفضوا كل شيء ، واذ كانوا اول من يهدى الى الهجوم ، فهذا لأنهم كانوا يريدون ان يفتلوا . وبمسئلة واحدة ، أظهروا للناشأ . إن بورجوازيتنا لم تمانع ان تتميز بوقاحة ضباطها وقسوتهم ، وبغلاظة قلب اللاك وأصحاب المعامل ، وبالارهاب الذي

١ - قد يكره بعض ارباب العمل الشيورين بقسوتهم . لكن هذا لا يعدد ان يكون اكثر من مظهر عرضي ونال من مظاهر الصراع الطبقي .

الذي أظهرته في البداية ، ثم بالتفصيل المنهج الذي أظهرته صحافتها المحترمة ونسائها الشريفة بمسد النصر . ولقد تحشت المعالجا وجهها : فتجدت على حقيقتها . وعلى الفور تجدد الحقد العمالي بدوره : انه لم يعد منصباً على التجريد الرأسمالي ، وبات العمال يفضون في البورجوازي الفرنسي الانسان ، انسان اللحم والعظم الذي تحقق بشروعه التاريخي . إن البورجوازي هو نتاج الرأسمال في نظر جميع عمال العالم ، لكنه في نظر عمالنا إن أعماله ، أي قائله ، وسيفه كذلك لمدة طويلة من الزمن . ولقد تزعر الجليل العمالي الجديد في صمت الامبراطورية الثانية الحائث ، وشهد عاجزاً مشيخ المصومونة . وحين أنهن لتدربه ، كان الصراع الطبقي قد انتقل إلى الميدان الاقتصادي . لكن هؤلاء القادمين الجدد لن يلسوا أبداً ما رأوه : فهم حين يريدون ان يتوقعوا ردود أفعال أرباب العمل ، يتذكرون تيير وغالفيه وشتايندر<sup>١١١</sup> ، ويسلمون ان ذكريات غير قابلة للتنداد ليحكوا على أرباب العمل القامرين على كل شيء . انهم يتوقعون بوعياً ان يتحول النزاع الاجتماعي الذي بدأ يتقدم الى حرب أهلية ، او ان الحرب الأهلية تبدو لهم بالأحرى حقيقة الصراع الطبقي . وسوف يكون هؤلاء الشباب في نظر البورجوازيين أعداءه الداء : لأنهم أولي الناس بمعرفة ان كل طبقة تنشئ موت الأخرى ولأنهم على الأخص قد تعرضوا للأذى . وبالأصل ان الطبقة العاملة "لجوع" في كل مكان ، إلا في فرنسا حيث تسفك دماؤها . ان بروتشاري ١٨٨٦ يبيع قوة عمله للناس الذين قتلوا أباه أو أشاءه الحضر . ومن هنا كان موقفه منهم مزيجاً غريباً جداً من الحقد المكبوت والصلابة الباردة والأزدراء والخوف والعنف الانتقاري . وفي غير فرنسا تحفل القادة العماليون بصورة مكشوفة ان كثيراً وان قليلاً عن العمل الثوري ليستغلوا إلى أقصى مدى مزايا الانتخاب العام : سيحسون للطبقات الكادحة نشوئها في البريتان . وهذا معناه انهم اختاروا الاندماج : انهم يقبلون بواقعة الرأسمالية

١ - وحين شايبرد صناعي وسياسي فرنسي . وليس الهيئة التشريعية في عهد الامبراطورية الثانية ( ١٨٥٥ - ١٨٧٥ ) . ص ٢٥٥ .

ويدهنورت عن مصالح المجتمع القومي ليتوصلوا بالمقابل الى تحسين القوانين الاجتماعية . ويطور أرباب العمل مشاريعهم وقد عاهد الاطمئنان إليهم . وهم لن يفلحوا من التمرکز العالي طالما ان حطهم شاء ان يفلحوا ويولتاروا متدججة . وكانت الأحزاب الاشتراكية - الديمقراطية تؤدي دور الرهينة والوسيط . وكان التباسها بالذات<sup>١١</sup> يسمح لها بأن تضمن على الدوام ترابط الرأسمال والعمل . وكان محض وجودها يفتح الاتصال العالي . ونحن نختار المنطقتين مضطهدين ليجبروا عن شكايتهن : « فإن النظام يكون مستتباً » والتواصل فاسقاً » والوحدة الوطنية موطنة . ثم في اللحظة التي يلجأون فيها الى استخدام القوة ، فإن القوة قد تستخدم في تضليلهم . وإثنا عندما يلزمون الصمت يصبحون مخفيين .

وفي فرنسا كانوا يلزمون الصمت : فلقد انشقت البروليتاريا . إذ ان هذه الطبقة المهانة المبعثرة بقتلاها انفصلت عن الأمة وشكلت مجتمعا في قلب المجتمع . فسا يعبا الانتخاب العام ! انها تعتقد نفسها أولي الناس بمعرفة ان الأصدقاء الانتخابيين هم في غالب الأحيان أعداء طبقيون . وهي التي أعطت بعد كل شيء ، الضاربين بسيفها قوتهم . ان الدولة - سواء أكانت ديموقراطية أم لم تكن - هي « الحلاصة الكثيفة لأرباب العمل » وقد رفعت الى أقصى درجات قوتها . ولهذا السبب وعدمه لن نستطيع البروليتاريا ان تقبل بالمشاركة في تسير الشؤون العامة حتى لو توفرت لها الفرصة للتأثير على مجرى المناقشات . إرسال ممثلين الى البرلمان ؟ ومن يتكلمه أن يثقلها ؟ انها تنظر الى اليمين واليسار نظرة ازدراء واحسدة . وجميع السياسة في نظرهما بورجوازيون : أين يمكن لبورجوازي ، مما تكن اللائحة التي يرفعها ؟ أنت يدافع عن مصالح العمال ضد مصالح سائر البورجوازيين ؟ لقد كذبت فرنسا في نهاية القرن الماضي ، البلد الوحيد الذي تقتصر فيه الاشتراكية - الديمقراطية الى اسس عمالية . ان العامل يصوت ، هذا صحيح ، لكن برضاوة ومن قبيل تجربة القعة ، ومن غير ان يرتبط

١ - اقرب الاشتراكيون بورجوازيون ومتأسفة يدورهم في الشعب . وهم يرون في الدولة بورجوازية جهاز استعباد ومع ذلك يساهمون في تسير الشؤون العامة .

بين وظائفه كناخب وبين نشاطه المطالب : انه يؤدي الأولى بصلته فرداً منفكاً ، مواطناً مجرداً ضائعاً بين جموع سائر المواطنين المرددة ، ويغرس الثاني بصلته عضواً عضوياً في جماعة منغلقة . وخلاصة القول ان الطبقة العاملة ، المحبوسة بين اسوار عزلتها المتوحشة ، ما عادت تعتمد على غير نفسها : انها تنكر السورانية<sup>١١</sup> وتدين القوانين الاجتماعية حين يكون البرلمانيون هم اصحاب المبادرة في طرحها للتصويت . وقادتها لا يفكرون فرصة لتوكيد استقلال الحركة العامة والوضوح المتناحر بين النقابات والحزب . وعبثاً يصغر الحزب الاشتراكي الفرنسي من العروش . فكل ما يقبده منها هو اتهامه ، يخفق حرمة الاستقلال الثاني . ولزاء هذه « الثورات » وهذه « الروثينات » تخفق البروليتاريا ، من غير ما تجر به سوى تجميقتها ، طريقها الخاص ، وتقتل الصراع الى الميادين الوحيد المتوفر لها : ميدان العمل . والتلقائية الثورية ان هي الا البروليتاريا نفسها وقد انشئت بعزلتها واعزلت بجزائها : طالما ان الفلاحين خانوها ، والبورجوازيين الصغار خانوها مرثين ، فقد قررت ان تخرج كل شيء - حتى القبح الاخلاقي - من كيسها الخاص . وهكذا عاش العمال لحظة خاصة للغاية من تاريخهم : لحظة الانفصال . ففي ١٨٧١ انظم المجتمع القومي : فبينوا منقاهم وحولوا السلبية الى ايجابية . وما هي احياناً بالامبرالية النقابية او التوتاليتارية العمالية ان هو الا الانقلاب المدعش لطائفة من الثبوتيين : ما كانوا يسمون الا ان يكونوا شيئاً ما ، لكن طالما انه يقضي عليهم بالآ يكونوا شيئاً فسوف يطالبون بأن يكونوا كل شيء<sup>١٢</sup> .

١ - نسبة الى ميوران . الاشتراكي - الشيئويراطي الفرنسي . الذي شغل وزارة الخارجية عام ١٩٠١ ثم رئاسة الجمهورية ( ١٨٥٩ - ١٩٤٣ ) .  
 ٢ - ان تكون البروليتاريا حاملة لقب السلبية . فهذا أمر لا مجال للتشكي فيه ، لما تطالب به نفسها لا بد ان تطالب به الجميع . وان تكون الحاملة الوحيدة لقب القبح . فهذا أيضاً مقبول . لكننا نأشد على سوريل خطئه والقبح ان الطبقة العاملة هي وحدها الوافية للإنساني مع فكرة ان هذه الطبقة حاملة لرئاسة فرنسا وغير قابلية للاضمار . فهو بذلك قد حول اللعب الانساني الجذلي :

ان بورجوازيتنا يولون تحتهم من الحرف : فطالما ان البروليتاريا تبرأ من  
 محاميتها المزعومين ، فالجسور كافة قد قطعت ، وقامت ارض مزروعة السلاح  
 معمورة بالبحث لتفصل العمال عن ارباب العمل . ولم يعد في وسع البورجوازية  
 حتى ان تعتبر هذه الجموع الصامتة قطعاً من الحيوانات : فطالما ان البروليتاريين  
 اختلفوا الهزبة بالقوات النظامية ، فهم اذن بشر . لكن ليس قاسماً : اذا كانت  
 البورجوازية لا تريد ان يصبحوا قضاء ، فمن الواجب ألا يكتفوا عن أن يكونوا  
 حيوانات . اذن كان البروليتاري ، الانسان والتمتع معاً ، يبدو شفافاً وقتياً في  
 آن واحد : كان يضع الذكاء والطاقة والشجاعة في خدمة طبيعة عيسوانية  
 غامضة والحرائز مستقلة على الفهم . وكانت ارباب العمل يسبحون بهذه الكتلة  
 المبهمة ولا يكتشفون فيها سوى انعكاس عنفهم هم . وما كانوا على خطأ على كل  
 الأحوال : فسر الطبيعة العامة هو انها تعتبر البورجوازية الفرنسية نصابة اشقياء  
 ومجرمين . وما ارادت تخيلنا ان ترد صلاحية هؤلاء القضاء اليك ، اكدت الحكم  
 الذي اصدروه : فأهل الضربة والامانة ، يتابعهم المجازر بعد التصر مدة طويلة  
 من الزمن ، ما كانوا يستطيعون ان ينفذوا بالدفق الشروع ، وبالتالي كان عليهم  
 ان يبرهنوا على ان ضحاياهم يستحقون الموت بطبيعتهم ، ولقد بدلوا في النبات  
 ذلك قصارى جهدهم ، وكانوا يقولون : ليس البروليتاري بإنسان او بحيوان ،  
 فلو كان انساناً لاحترمناه ، ولو كان حيواناً لوضمناه في القلص من غير ان نلحق  
 به اذى ، لكنه حيوان انساني ، اي حيوان يهاجم الانسان بوسائل انسانية ،  
 او اذا شتم انسان تجرء القوى التي لا تقاسوم الى التمر موعاً . انه حر بما فيه  
 الكفاية حتى يستحق لنا الحق في معاقبته ، وعبء طبيعته بما فيه الكفاية حتى  
 يكون لنا الحق في اليأس من إنقاذه . وباختصار ، يجب ألا يقيس نظراً عنه  
 وان نكون على استعداد دائم لصرعه بدون التدار . وهكذا اعطت البورجوازية

---

البروليتاري الى ملعب الخصم بورجوازيتنا الى ما هي عليه اليوم ورفض ان يأخذ  
 حركتها بعين الاعتبار . ان عبء العظة من التوتاليتارية السوريلية تشبه خطبة الزبكية لدى  
 الامراء المستعمر .

لنفسها الحق ، حتى تغسل عنها الجريمة ، في ان تردد ذكر هذه الجريمة بلسان ارتدتها . وقد يحسب البعض انها واقعت بظاهر من رشد وزعمت ان الحق والحرف اطاشا بصواعها وانها لم تكن مذنبه إلا بعمل الصدفة . لكن لا ؛ انها تريد ان تبرر غلطتها ، وتبررها ايجابا لتبدل وتصبح مجردة للزوع الخريزي فيها .

أما رب العمل الشاب الذي حل حوالي عام ١٨٩٠ محل رب العمل القديم ، فيبدو للوهلة الأولى انه لا يمكن ان يلام على شيء ؛ انه ابن قاتل ؛ هذا أمر لا شك فيه ؛ لكن سنة الصغيرة لم تكن تؤهله للمشاركة في الأعدامات التي نفذت بالجملة ، والدم المنفوح من قبل الأهل لا ينبغي أن تسقط تيمته على كاهل الأولاد . إذن قدره الخيار ، وهو يستطيع ، حسبما يحول له ، ان يتبرأ من أبيه او ان يعانده . ولقد اختار ، كما هو معروف ، المناد ، وهذا لأنه زرع في الحقد والنشء على الكره ؛ لقد علموه ان يثقت الضحية حتى ينموه من إدانة الجلاد . انه سيرث عن الأهل كل شيء ، ما لهم وما عليهم ، المعامل والجرائم . وبالتالي سيبريء نفسه من المسؤولية ؛ عندما دخلت الصنع ، وجدت الحقد ولم أكن قد فعلت شيئاً لأحركه . علام الآم ؟ اننا ، نحن أرباب العمل الشبان ، لم نقتل أحداً ، كما انه ما من أحد ، على حد علمي ، قد قتل بعد بين العمال الشبان . المسألة إذن لا تحتاج الى برهان ؛ طالما ان البورجوازي الشاب لم يبرأ بعد رغبة العامل فإن حقد هذا الأخير غير مبرر ، ولا يعدو ان يكون أكثر من موقف قبلي ، علاقة أساسية مسبقة بين العامل ورب عمله . والمعامل حدود بطبيعته ، والبورجوازي هو الضحية البرهنة لبعضه . يا البورجوازي المسكين ! مهيا بفعل ، فإن الأخير هو الباطني . دعوا ؛ ألا يقول لنا ان العمال يشنون موته ؛ وهذه الحجة ما يزال يستخدمها الى اليوم الصحفيون الرجعيون ؛ ان عمرها أكثر من ستين عاماً ومع ذلك لم يظهر عليها غضن واحد .

منذ ١٨٩٠ وما من رب عمل صغير لا يرحس نفسه بالتمتع البورجوازي . أيطالبونه بزيادة ؟ إذن فهم يريدون أن يقطعوا الرباط القومي . أينشد مؤتمرن من

المؤثرات التنافسية بالرأسمالية \* إذت فهم يريدون قطع عنقه واغتصاب بنائه . وبفضل هذه الشعوذة منحت البروجوارزية نفسها \* في أواخر القرن الماضي \* حداً إضافياً يمكن ان يسمى بحق الدفاع الشروع الدائم . ان هذه الطبقة الذليلة تتذرع بالدم الذي سلخته لتتخيل انها في حالة حصار \* مطوقة من قبل الوحش البشري \* وان كل عضو من أعضائها مهدد \* من التهديد الى القتل \* يخاطر الموت الدائم . وبكلفة واحدة \* إن أولاد فرساي يقضون العمال الفرنسيين من كل قوتهم \* كما كان البارونات الألمان \* بعد ثلاثين عاماً من حرب الفلاحين \* مسا بزاون حاقدين على أبناء وأحفاد الأشرار الذين عليهم آياؤهم . ومن قتل سيقتل . ويدخل الميدان جيل ثالث من الجزائر \* ويحصد فيه قبار الجيلين السابقين وآثار فضائلها . وبفضل هؤلاء الصغار في السن مسا في وسعهم ليعطوا الصراخ الطيفي طابع الثأر المتبادل . فهم يظهرون حقدهم حتى يظهر العمال حقدهم بدورهم : وهكذا تنمز كل صبيحة بالأخرى . والحلصة انهم يحسبون ان يقبوا التوتز الاجتماعي في أعلى درجاته بحيث يمكن لأبسط حادث ان يشعل شرارة المصيان والفتن الدامي<sup>(1)</sup> . والأسلحة مشعوذة والتبرعات في تناول اليد : ائت هذه الشيبة الروسية تعد لنفسها مستقبلاً رغداً سعيداً . واننا لتتساءل عن العجزة التي أنفقت البروليتاريا من مذهبة جديدة مائلة للمذهبة سان بارلمي .

١ - الأسباب الاجتماعية والايديولوجية لفرضية معروفة بنا فيه الكفاية . ويذيعي انت فضيف اليها فيما يتعلق بفرانسا حاصلاً تاريخياً : أهم ، ١٨٤٥ ، الدامية . ان المذهب الاوفاي القوضوي يستمد ازيرة اليبينكولوجي من الجزائر السابقة . ان حركة إضرابات يصفن ان نشأ عن وضع اقتصادي معين . لكن لتسبب جوية قتل فلا بد من جوية أخرى . او على كل حال لا بد من ظروف متفردة مرتبطة بزمن معين : لهذا فإن أمثال رافائول (قوضوي فرنسي - ١٨٤٥ ، ١٨٤٥) يعمدون بين صفه النص الشريف ورجل العدالة : انهم يفتنون من يفتل . ويكتسب القول إن لكل منهم مرائع خاصة وايديولوجية (د المصنع \* هو هذا أو ذاك . وود الرأسمال \* ولد هذا الوضع أو ذاك) ووزعاً عينياً محدداً : الانتقام للضحايا الفرنسيين . ولستطيع ان فلا حظ كيف ائت القوضوية الايطالية قد تلقت عن قرب مذهبسة العمال الميلائين وانتقلت بالحكم بقرن على اميرتو الأول ويتفقيه هذا الحكم فيه . ان هذه الظاهرة لا تعادل لفسا في طانيا وانكافرا لأن الصراخ الطيفي فيها المنصر بصورة عامة . وبالرغم من شعاقه \* في الميدان الاقتصادي .



أي معجزة ؟ انها بكل بساطة ه الثورة الصناعية الثانية ه : فقد ولدت في الولايات المتحدة وامتدت الى أوروبا وفرنسا . إن بورجوازيقتنا الكبيرة على حدة خمسة وعشرين عاماً من البرفات الميان متضاعف انتاجنا من الحديد الصلب ضعفين وانتاجنا من الفولاذ ثلاثة اشعاف . وهذا ما يدعو بالطبع الى القنطة لكن ليس من دون فكرة مسبقة : فالمشكل مع الرأسمالية هو انها تكد معها حطاري قيرها وهام حفارو القبور قد بدأوا يتكاثرون . فالطبقة العامة لا تنمو وتزيد عدداً باستمرار بلضل رفد الريف فحصب ه يسبل هي ايضاً - في مراكز التجمع المدينية - أكثر الطبقات النجاة للأولاد . ان احصائيات ١٩٠٦ تظهر الحقيقة الخفية : إن كل مئة مستخدم مازوج بنجيون ٢٩٩ ولدأ ه وكل مئسة رب عمل بنجيون ٣٥٨ ولدأ ه وكل مئة عامل بنجيون ٣٩٥ ولدأ . ويلقي ان فقيف ايضاً ان الدعاية الشيوعاالنوسية التي قام بها الثفاليون الفوضيون قد أثرت في ه الفئات العليا ه من البروليتاريا : فالعمال غير المخصين هم أكثر فئات البروليتاريا إنجاءاً . ومنذ ١٩٦٩ لاحظت أوروبا بروليو بحزن : ه إن العمال الذين يحتنون الصوف الأخيرة ه أولئك الذين يؤمنون انظف الأعمال وأشعثها وانظها تعويضاً ه يستمرون في تكوين الأسر الكبيرة نظراً الى عدم فهمهم مصلحتهم او الى استعادة العفة . والنتيجة إن الطبقة العامة كانت تثل ٢٨٪ من السكان في مستهل الامبراطورية الثانية و ٣٥٪ في مستهل القرن العشرين . واذا كان يتوجب ان تعطي اسماً للمعجزة التي انقضت البروليتاريا فسوف أمينا تكاثر حطاري القبور . ويشلك القدر أرباب العمل : فالسياء التطبيقية لفرنسا تتعدل ه ففي ١٩٥٠ كان فرنسي من سبعة يقطن في مديسة تعدادها ٥٠٠٠ ساكن و أكثر ه وفي ١٩٠٠ بات كل فرنسي من أصل سبعة يقطن مديسة تعدادها أكثر من ١٠٠٠٠٠ ساكن . والحال إن ه الريفين ه هم الذين ساعدوا الفرساروين عسام ١٨٧١ في اعمالهم الكبيرة الهادفة الى تصحيح الأوضاع . وكانت الهورجوازية ه المتمدنة على الريف ه والثقة من قدرتها على أن تسحق ه عند أول شطط ه الأقلية المالية : فالجندي بعد كل شيء فلاح . لكن ما يحدث لو انعكست العلاقة ؟ من يأتي دوره في التضييق ؟ إن

الحقد لسري عدواه بسرعة . والقادمون الجسد ، سواء أولسوا أم لم يولدوا من الطبقة العامة ، يجيئون ذكراً وبشيتون لحسابهم الآم الأثافيين<sup>١١</sup> . وأثناء ذلك عادت باريس ، بالتأكييد ، إلى سابق صحتها : فالمرء يقطن فيها بصورة بروجوازية ، وينتخب بتقليب ، ولا تسمع إلا مع الأخيار من الفقراء . لكن حين يوقع سكان «باصي»<sup>١٢</sup> رؤوسهم ، يخيل إليهم أن وسواسهم القفط للسلط عليهم قد تجسد : حشد ضخم يشككس عند أبواب المدينة ولا يكف عن التضخم : والعاصمة تواجه حالة حصار . ويرتقي سادتنا فوق التحصينات : انها البروليتاريا على مد البصر ، البروليتاريا التي لا نهاية لها والتي تلتأ الزيف وتندوس بأقدامها خلال الحصار . وأثناء ذلك ، ومن أرجاء فرنسا الأربعة ، يأخذ الباشون بالتحرك لينضموا إلى جيش حفااري القبور . إن الفرسانوسيين لم يقتلوا سوى حفنة من الأشخاص . وعلى حين فرقة يكلف أولاهم أن طؤلاء القتلى قرية لا يحصى لها عدد . ولا بد من وضع حد لهذا .

كيف ؟ ان الكلام يدور من الآن عن دمج الطبقة العامة : لكن في هذا الكلام تسرعاً . فالدمج معناه لزعة أوبية واعدامات ١٨٣١ قد مزقت الأوبية شر تزيق . في الشمال تقوم «الشركة» بالدمج بصورة جماعية وسريعة : لكن هذا لأنها تعمل في دائرة مغلقة . ففي تلك المحافظات المغلقة التي لا يدخل إليها أحد ولا يخرج منها أحد ، لا تطرح مسألة الإسكان ، وكل شيء في متناول اليد : فالسكان يعبرون المهنة من غير أن يبدلوا تقريباً مكان الإقامة ، وإذا طاردوا قريتهم فإنما ليقبوا في المدينة العمالية المبنية بمخازنها : فهم يحدون فيها اطارات وتقاليد وتسللاً اقطاعياً مكانهم فيه بحده سلفاً . ويكلمة واحدة تم «فيركة» البروليتاريين باقتطاع كميات محسوبة من الرقيقين . لكن في ضواحي باريس ؟ في ضواحي ليون ؟ كيف يمكن توجيه تحول الفلاح إلى عامل ؟ إمت المصانع تبيعس باستمرار من الأرض وينقل غيرها أبوابه . ومطالب السوق

١ - جنود الحكومة عام ١٨٣١ . ٢٢ . ٥٥

٢ - ضاحية من ضواحي باريس . ٢٢ . ٥٥

استلزم باستمرار تعديل تقنية الانتزاع . وتلزم هذه التغيرات في عدم استقرار دائم للوظائف . والعمل غير مرتبطين جغرافياً البتة فكان عملهم . قبي لوفالوا - بيريه ، وفي شارنتون ، ينحصر السكان الشيطون كل مساء ويلبثتون . ويحل محلهم آخرون قادمون من اتي كان . أفريقي السعي وراء انصاف البصر هؤلاء ؟ ومن أين يؤتى بهم ؟ وكيف السبل الى تجميعهم ؟ وأي تأسيق لتبني ممارست عليهم ؟ إن المزاخمة لعراض الأربسة : فهي التي تعدل باستمرار سياه الضواحي ، وبسببها تتزاح هذه الأكداس من البشر باستمرار بفعل الحركات التذبذبية التي تحلق ميكانيكياً تحول الربطيين الى بروتيناريين . اذن ما العمل ؟ تخفيف التمر كز ؟ أجزئة هذه الكتلة الضخمة التي تتعاطم فيها ادنى طبقة لتصبح رعداً ؟ إن هذا الحلم ليس بالجديد ولقد كان ينال اعجاب ارباب العمل قبيل الثورة الفرنسية بحد طوبى عندما كانوا يعمدون بالعمل الى فلاحين يعيشون خارج الاسوار حتى يتصلصوا من الانظمة الحرفية . تخفيف التمر كز وتخفيف المركزية وتخفيف الاحتقان ، واستبدال الكتلة الكبيرة المنتجة على الرقابة بد ، كتل صغيرة ، متناثرة في طول البلاد وعرضها ، تسهل الرقابة عليها ؛ لكن الاوان لسوء الحظ غير مناسب ، ثم لا بد لذلك من وجود تقام وخطة موجبة: وهذا ما تضع المزاخمة أيضاً في وجهه العراقييل بغيرها الشفائي بسين ارباب العمل .

اذن؟ كيف السبل الى الحيلة دون صعود البروليتاريا الخيف من المنحيل على كل حال اطلاق النار على الأكداس دون تسيق . قسياسة الابادة تناسب فترات البطالة . وفي ١٨٤٨ كانت مدفونة وحكيمة : أم تكن البورجوازية على صواب حين أفنت بالسلاح اناساً يكفون من غير ان يقتلوا؟ وعلى كل حال وقعت على عائق الاقتصاد السبعي الى ، تلك الآلة المدعشة ، مهمة اعادة التوازن لبعض وسائله الخاصة . ولم يكن بحاجة إلا الى بعض المساعدة ، ولا يستطيع أحد ان يلوم ارفلك الذين اعدوا المهال ليعولوا بينهم وبين الموت جوعاً إلا اذا كانت سي . البنية . لكن هذه الاسباب لتسها تمنع في مرحلة الأزدغار ، عرقلة التطور

الحر القوى الاقتصادية . ومعها يمكن نمو السكان العاملين ، فإن عرض اليد العاملة  
 يظل دون مستوى الطلب ، وإطلاق النار على الإنسان في الوقت الذي يساوي  
 فيه ثأناً خالياً ، إذا هو تدمير . ومن حين إلى آخر تستطيع الحكومة أن تسمح  
 لنفسها ، كما في فورمي ، بتطهير عملي القوى العاملة . لكن لا يد أيضاً من الخطر  
 والاحتراس : فالرغبت الطبقة العاملة ، لو قمت غسارة تقدر بالملايين . إن دين  
 وريثان يتصاحبان بالجهنم إلى قوى الانتوسية الاجتماعية التي تعمل جهنم والتي لا  
 تظهر نتائجها في البداية للبيان نظراً إلى بطئها الشديد . وطالما أن العامل ليس  
 الخنص ، كما بين ذلك لوروا بوليد ، يجعل مصالحة الحقيقية ( التي تأمره بالطبع  
 بأن يطمس بأسرجه ما يتكهن ومن دون أن يخلق نظرية ) ، فلا بأس أن جرت  
 محاولة لفتح عينيه . وعلى هذا فعلى حكومتنا أن تأخذ على عاتقها مهمتين :  
 تثبيت الفلاح في أرضه وتسهيل طفة الفقيه . وتشن حملة خطابات . وتتردد في  
 جنبات البرلمان ومجلس الشيوخ والأكاديمية صيغة واحدة : « الأرض لسوت »  
 الأرض ماتت ، تسحق الأرض ! ، وينوء الخطباء بأي فن فقد تكثرت فرنسا  
 حتى اليوم من تطبيق التوازن بين زراعتها وصناعاتها : وإنما في هذا التوازن  
 الزائغ للقوى المنتجة يجب أن نبحت عن سر سعادتنا وفضلتنا . أياها ومن هذا  
 التوازن ، أياها ولجريد الآله الرجوع من رغبته في أن يكون قرابياً . وهذا معناه  
 بالطبع : لنبت على التفوق العمودي القريبين على العمال . كتب السيد سوفي :  
 « حين تمارس الطبقة السائدة السلطة المطلقة ، تكون من الصار نحو السكان ...  
 وحين يحصل المسودون لسبب أو لآخر على حقوق ، واقع بالتالي على السائمين  
 واجبات ، يتغير مظهر المسألة ... فطالما أن السيطرة لم تعد مطلقة ، فإن تحديد  
 عدد الولادات يصبح مفيداً إن لم يكن لازماً وضرورياً » .

كان الأب يقتل العمال المشطين . واليوم يجري إتساع الابن بالعبودية  
 بينهم وبين التواله . إنها نصيحة متازة ، لكن لا يد من أن تكون هناك  
 إمكانية للأخذ بها : ففي فترة الانطلاق الصناعي يستخدم تكتل العمال  
 مصالح الانتاج ، وفي مستقبل هذا القرن كان البروليتاريون يعيشون على

الخوف لأن عددهم كان أكبر مما ينبغي . لكن المصدر الحقيقي لسلطتهم القوية هو أن عددهم لم يكن كافياً بعد . ان تطلب اليد العاملة يعني من شأنهم ، وسيبب ارتفاع الأجور ، ويحد من الحقوق الواقعية لأرباب العمل : ففي 1871 و 1810 ارتفع العدد السنوي للاضرابات من 267 الى 1074 ، وقاربت نسبة نجاحها بين 50 و 70 . ان المصنّعين يشتمون بزبايا العدد والندرة في آت واحد . وإذا كان القوضيون قد انضموا الى أرباب العمل على صعيد الدعاية لتسع العمل ، فهذا لأنهم اتخذوا من الماتوسية سلاحاً في الصراع الطبقي .

إن الرأسماليين القرنين يتعرضون للضيقة من قبل وأعمالهم بالذات: فهذا النظام العبودي يفرض عليهم ان ياتروا سلطة مطلقة على الجماهير ، لكنه يجعل هذه المهمة مستحبة عليهم في الوقت نفسه بزيادته باستمرار حاجتهم الى اليد العاملة . ويطلب أرباب العمل متوزعين بين متطلبات السيطرة والربح المتناقضة ، يشتمون شعورهم : كيف السبيل الى الحفاظ على الأرباح بدون زيادة الانتاج ؟ كيف السبيل الى تعيق البروليتاريا من غير أن يؤدي ذلك الى ارتفاع الاجور ؟ كيف السبيل الى تحويل فرنسا الى أمة صناعية كبيرة مع الأبقاء على طابعها الديموقراطي كيد زراعي ؟

إن الأجوبة في الأسئلة ، لكن رأسمالينا ، الواقعين بين طرفي كاشة الخوف وإغراء الربح ، يفردون في البحث عنها : ولهذا السبب نجد في فرنسا 1914 تيارين ، أحدهما يؤيد نمو السكان والثاني مالتوسي ، وكل منهما يتجاوب مع احد حدود التناقض . ومظاهر آ كانت الغلبة في النهاية لمذهب نمو السكان : فقد اتخذت منه الحكومة مذهباً رسمياً لها . لكن المسألة لا تعدو ان تكون أكثر من تضليل ، فمخاربة فاتة الولادات مخاربة حثيئة ، لا يسد من البدء بتخفيض تكاليف الحياة . ولا كان كل العزم ، على العكس ، هو منع هذا التخفيض بكل الوسائل ، فإن السياسة الديموقراطية ، لو زارتها لا تعدو ان تكون أكثر من لقط فارغ وتدابير لا حول لها ولا قوة<sup>11</sup> . وبالطبع يدل كل شيء على ان البروجوارية قد

1 - من ذلك الذي يؤيد نمو السكان ؟ الصناعيون ؟ المزارعون ؟ فقد وجدوا في الماتوسية =

اختارت سرّاً الحل الآخر . وما قد يفاجئنا هو أنها اختارته لهاها : فشكلت الضواحي الباغت يبدو وكأنه بسبب داخل الأسوار انهمازاً في نسبة التوالدات . فلجان الانتباه ، لعجزهم عن خصي الفقراء ، قد خصوا أنفسهم : إن العظم البورجوازي يشبه إلى ابعاد الحدود سلوك انسان فاشل <sup>١١</sup> . واصبحت العاصمة غير العريق . وفي الوقت نفسه قامت « لجنة معامل الصور » بإجراء أولى تجارب المثلثية الاقتصادية مع تباعبها في الآن نفسه بتايعة « التقدم المعطش للسنوات السابقة » . ان كل شيء في محله : وفي عام ١٩٦٦ . لم يكن قد تبقى من محمل سوى بناء الآلة الجهنية التي ستربط عن طريق شرط متبادل بين المكائد الجهضة للصناعة والمكائد الجهضة للأسرة البورجوازية . وكانت الزعازج الكبيرة التي شهدتها الحرب وحلقة ما بعد الحرب هي الأقل المطلوب لإفناج ارباب العمل وحلهم على حزم . وتبينت النتيجة ان الحضارات قاتية : « يا قراسا المسكينة » : لقد

الاقصادية وسيلة تحقيق التوازن بين عرض اليد العاملة وطلبها . كلا : انهم لثلاث المدايون والمسكرون والكنوة . ان هؤلاء التآخرين ما يراون بمسيرون التميم يمشون في ظل العهدة القدر . في العصر الذي كان فيه لامور الدين ينصح الحكام « بتخاطبة عدد الرعايا والمطروان » . ولم يلاحظوا ان البورجوازية تفسر سلطانها كقوة الواحدة تفر الآورى وانها دخلت في مرحلة السيطرة التنسية . لكن الصناعة الكبيرة تطيب خاطرهم عن كل حال : لتصميم المصائب القاتل بنمو السكان بيد الزماد في العيون حول امحاطة السوية وما تحت الأرضية لتقليل السكان . - موقف حروب . فالمكائد البورجوازية ( بستانه الملك التي تسمى ان ارماس مينية ) تاريخ عائد لتجدد التنسل يختلف اشكاله با في ذلك الاجهاض . لكن هذه البورجوازية عينها تدعم في الانتخبات حكومة تعاقب بالنسج ( واعياناً بالاعدام ) لتدابير للسانحة العمل . والتناقص يبدو كجهد كبير اذا لم نقتبه ان ان النساء البورجوازيات ثوراً ما يقفن في القفص بتهمسة الاجهاض . فمن لا يرى العروياً في القفص سوى مستخدمات بسيطتان او عائلات . ان كل شيء يجري ظاهراً كما لو ان الطبقة السائدة مالتربية بالنسبة الى قاتها ومولدة للعب لمر السكان بالنسبة الى الطبقات السودة . واحال ان هذا غير صحيح ، فقد كان مفروضاً فيها ان تطور الاصنام نفسه وبيان الاطفال ، واحال اننا نعلم انها مستعجب للبحث عن الاطفال حتى في بطون الامهات لتتركهم فيما بعد يمشون كالمذباب . ان ارباب العمل لا يشتمون ان يكون هناك عمال كثيرون . اننا يشتمون فقط ان يتناحروا من البروليتاريا لوجبه لسلها حتى يلزم التوازن بين طلب اليد العاملة وعرضها آتياً ضمن نطاق الآلية الجهنية التي ركبوها .

سلك دعماً ، ماذا سيعمل الكون بدونها ؟ ، وما كان الكون ليأبى بها ، كما هو معروف ، لكن تلك المراتي الأكاديمية كانت تخفي رهبة حقيقية ، ولم يحسن الموضوع موضوع حرب أو لحم . فبين ١٩١٧ كان أرباب العمل قد اقتنعوا بأن النصر النهائي سيكون لبروتينارية . وقد لا يسألني هذا النصر اليوم أو غداً ، لكنه سيأتي حتماً ، ببطء ، بتصميم ... وعاش أرباب العمل تحت وطأة هذه الوباءة الفاشية الفظة : اجلس ، اجلس ، ان اولئك الانذال سيتصرفون ! ان البروجوازية لم تعلم شيئاً ولم تفهم شيئاً منذ سبعين عاماً ، وجميع تطور الجزيرة العربية لم تتمكن من غسل دم يديها : وهكذا وجدت نفسها من جديد كما كانت عام ١٨٤٨ ، وكما كانت عام ١٨٧١ ، برأية البشر انفسهم ، قتل الكومونة ، الذين سيتوجب عليها ان تذبجهم للمرة الثالثة بلا جدوى . لكن القلبة ستكون لهم هذه المرة ، ولن يشفق عليها احد لأنها لم تشفق على اسد في ساعة مجدها . ورأى أرباب عملنا انفسهم هالكين ، وبسدت فرنسا البروجوازية تتكلم عن نفسها بالسلطان منعمة مؤثرة . عن نفسها ، أي عن النوع الانساني لأنه لا فرق عندها بين التليق بنهاية العالم او بنهاية الرأسمال : قطالما ان العامل لا يدور ان يكون اكثر من حيوان ، فان مصير الانسان بين أرجل التعل ، ونحن مستقوي عشائيات الاجنحة المجانية هذه على السلطة سوف نخسر املاكنا وحيواناتنا وكرامتنا وكل تلك النعمومات التي كانت تستاهل بالأمس الموت من أجلها . وسوف يقدمنا السادة الجدد طعاماً للعث ، ويفرغ ملكوت الانسان في الماضي . ولا نعتمد على التاريخ لينصفنا ولو بعد ان يلحق بنا الحيف : فالتعل سيعيد كتابته . ان مستقبلنا مسرود بتلك الكارثة المرعبة التي ستتابع تدعيمها بعد مولتنا والتي تجعلنا مثلاً ، في نظر انفسنا ، امواتاً اجياد ، لو عمل احسن الاحوال اخطاء مفسرة ومصححة .

وفي الوقت نفسه ، وفي القارة نفسها ، كان الحلق والحرف يولدان في كل مكان الانظمة الفاشية : كانت هذه الأنظمة ، اذا تجرأت على القول ، رد الفعل « السلام » : افا كان الايطاليون والالمان قد عاودوا ، مع تأخير قدره قرن

من الزمن ، مذهبة سان بارثلميه ، فهذا دليل على انهم يؤمنون بالنصر والرأسمال .  
 ووسط هؤلاء الجانحين كانت البورجوازية الفرنسية العجوز ، الثقلة بالسنين  
 والجرائم ، تظهر بظهور داعية الانهزامية . باليون الثالث ، الهازر ، معسكرات  
 الموت البطيء ، انما تعرف كل شيء ، وتستطيع ان تقول ، في النهاية ، ان هذا  
 لا يجدي فتيلاً . إن الرأسمالية لتنتج موتها بنفسها . والبروليتاريا تشبه شيان  
 ليون<sup>11</sup> : كلما قطع لها رأس نبت عشرة مكانه . اذن فالأجدر ألا تقطع هذه  
 الرؤوس المتكاثرة المفرشة ، والأحسن ان يُبعت عن رسيق لجعلها ثوب جميعها  
 تصف ميتة . ونحن كان بورجوازيو الجنوب والشرق يصيحون : « ان السلاح »  
 كان لبورجوازيون الفرنسيون يحييون : « فلترجي » . ونحن كانت الاجنبي  
 يصرخ : « انهوا واقتلوا انهوا » كان بورجوازيو يتقون : اتصوا القناه .  
 أجيل ، اما في ذلك العصر ركبت عندما الآلة التي تدور على نفسها : فطالما ان تقدم  
 الرأسمالية يفردها الى ملاكها ، فسوف يوقف التقدم . وطالما ان تراث هذا العالم  
 منتقل اجيل أم عاجلاً الى ايدي أخرى ، فسوف تتدبر بورجوازيولنا امرها لتنتج  
 ما هو ضروري ، وتستهلك كل ما تنتجه . وطالما انهم يتسبأون لنا بفسق الإنسان  
 فسوف نطيل في أمد أوله إذ نخلق له اقتصاداً قديماً . وطالما ان المراحة تحت  
 على زيادة الإنتاج ، فسوف يوقف تطور المراحة . وطالما ان الضواحي تأتي ، في  
 ايام الفتنة ، لتحتل شوارع باريس ، فسوف توضع العرائيل في وجه التمرکز التكنيكي  
 لإبطاء التمرکز الاجتماعي . وزيادة الكلام ان المطلوب هو إيقاف التاريخ . لحظة  
 من الزمن . لحظة صغيرة من الزمن . إن ارباب حملنا يريدون ان يؤخروا التكاثر  
 بضعة عقود حتى يتاح لهم الوقت للموت في سلام . وليس في هذا من صعبه  
 بشرط ان يقبل الرء بدمار البلاد : ذلك انه ليس المطلوب اكتساب قسوى  
 جديدة ، بل ان نعرف كيف تستخدم نقاط ضعفنا ونعزز كل منها بالأخرى ،  
 السوق قبل ان الانتكاش ؟ حسناً : سوف يجهزون عليها خفياً برفع الاسعار ،  
 الاسعار قبل ان الأرتقاع ؟ اذن فسوف يدعون هذا الميل بتخليص الأتساج .

١١ شيان خرافي كانت له سبعة رؤوس ، كلما قطع احدعا نبت غيره . . . . .



المواد الأولية مفقودة ؟ اذن فهذا سيب محساز الخضوع لسيطرة الاجنبى .  
 الاطفال يأمرون ؟ اذن فسوف يزيدون في قدرتهم يدفعهم بالأهل الى اليأس .  
 والحق ان المالتوسية الاقتصادية تعتمد على المالتوسية الاجتماعية وتعمل بها :  
 فالطفل بحاجة الى ما يتفق عليه قبل ان يصبح قادراً على الكسب ، اذن فهو  
 مشروع جديد يتطلب توظيفات جديدة . وعين تفر فرنسا بكاملها من تجديد  
 ادواتها ، فلا مبرر للنهي بتجديد المادة البشرية بلا ضرورة . وأين العجب في  
 هذا بالأصل ؟ فالنهضات الاقتصادية غالباً ما تترافق باضطرابات ديموغرافية :  
 والآباء لا يريدون الابناء إلا أنهم يساهمون في مشروع جماعى يفرض في هؤلاء  
 الابناء اتم سيرون نتيجته بأى عينهم . لكننا لا نتشقر سوى الطوفان : فنادا  
 تنجب اطفالاً سيخضعون للفرق ؟ فلنتلق العامل بالآخرى بأن فرنسا ستوت ،  
 ويأت مصير الأبن سيكون أسوأ من مصير الأب : فهذه احسن وسيلة لتسبح  
 عينيه على مصالحه . وهكذا نظمت بروجواريتنا ، وسط اللجينة الفاشية ،  
 انتحاراً طبياً قد يتد نصف قرن من الزمن . لقد كان رد فعلها الأول ، في  
 مواجهة التهديد ، سلوك انسان فاشل . ثم عادت الى هذا السلوك وحولته الى  
 استراتيجية دفاعية . كانت تلعب لعبة من هو واتسق من الحسارة ، اذن فسوف  
 تلعب على اساس ان من يخسر يربح . واقتصاداً الدوار سيدور بصورة ابطأ أكثر  
 فأكثر ، وذات يوم يصبح سيكشف عن الفوران : لكننا سنكون آنذاك في  
 عداد الاموات . واذا ما عن يبال الروس يومذاك ان يضعوا ايدهم على فرنسا  
 الحجة ، فلن يجدوا سوى جيفة وسلسرى اليهم عدواها . ان المالتوسية القرلسية  
 هي بالنسبة الى شقيقتها الايطالية - الالمانية ، اقصد الفاشية ، ما هو الدفاع  
 بالنسبة الى الهجوم ، والاقامة السلبية بالنسبة الى الفعل ، والانوثة بالنسبة الى  
 الذكورة ، والشاؤم بالنسبة الى التفاؤل ، وبكلمة واحدة السلبية بالنسبة الى  
 الايجابية . وفي كلتا الحالتين لا يتطلع الحكام إلا الى فرض السيطرة المطلقة من  
 جديد على المهكومين : لكن التازيين كانوا يريدون ان يقيموا قوتهم على جهروت  
 جهازهم القمعي ، والبورجوازي الفرنسي يستمد سلطته من لا حركية منحلة

تحكم بالعجز على عدوه الطبيعي .

لقد رأينا حيرة ارباب العمل واضطرابهم امام النمو العددي للهولنديين البروليتاريا :  
« اذا استمرت في النمو اكلتنا . واذا حدث وتناقصت » فقد تفقد الصناعة  
ذراعها . والالتوسية لجعل هذه المخاوف باطلة : فالانتاج بأسن في الوقت  
الذي قيل فيه الانتاجية الى النمو ، وشروط البطالة التكنولوجية متوفرة  
ومجتمعة ، اذن فكبح جماح الطبقة العاملة يبدو مرجحاً من مختلف وجهات  
النظر . والالتوسية بالأصل هي التي تقدم أيضاً وسائل لتحقيق هذا الكبح .  
إن الهولنديين يتنموا مفرطاً لأن العمال ينجبون كثيراً ولأن الريفيين  
يهجرون الارض بأعداد كبيرة . ومنهجه الجهد الاقتصادي سيسمح بتعديل  
هذا العامل وذلك .

الولادات أولاً : قديماً من ١٩٣٥ راح ارباب العمل يكسبون على طول  
الحط . ولم تكن أي وسيلة قد نجحت قبلاً ، فقد كان أولئك الفلاحون الاجلاف  
يشبون في الاحتفاظ بنصيب الحيوانات . لكن كفت بضع سنوات من الاقتصاد  
التراجمي لانقاص نسبة التوالد العاليي : فهذه المرة فهموا . ولتفقوا شأن  
البروجوازيين تماماً . ولقد أراد البعض ان يجد سبب هذا التوجه المباهت الى  
الطرائق المالتوسية في تطور الهولنديين الداخلي . وليس هذا خطأ : فقد  
أصبحت الطبقة المنتجة أكثر تجانساً وابتداء العمال فيها أكثر عدداً من ابتداء  
الفلاحين . لكن اذا كان الاوائل أقل إنجاباً من الآخرين ، فهذا لأنهم كابدوا من  
عنة بؤس المدن واليأس زحماً أطول . ونحن مسلم بالطبع بأن ملاحظتهم كنتاج  
لتلك العام التكتيكي الذي ينتجونه لتأكد يوماً بعد يوم أكثر فأكثر وبأنهم  
يشملون شيئاً فشيئاً تقنيات الحياة والثوت : كان الآباء خاضعين لخصومات الجسم ،  
اما الأبناء فيعرفون كيف يوجهونه . لكن تحديد النسل ليس إلا وسيلة ويمكن  
ان يخدم غايات متباينة جداً . انه لا يستطيع ان يفسر وحده العقم الفاجيء  
والعيب للأجيال الجديدة : إذ لا يكفي ان يعرف الانسان بالطرائق المالتوسية ،  
الما ينبغي أيضاً ان يريد استخدامها . فهل نتحدث عن علة هذا الاستكفاف ؟

في المطالب اللاتاسانية للانتاج بالجملة ؟ لا مانع اذا شئنا . لكن التفسير ، تحت هذا الشكل ، يظل ناقصاً لأن نسبة تناقص الولادات ليست واحدة في بلدان الرأسمالية المتقدمة . ان عمل العامل نصف المتخص شاق دوماً . وحتى يصبح متعباً لا يطاق ، فلا بد ان تطبق المعايير الجديدة في اطار اقتصاد المخاطلي . اسألو بالاحرى العائلات الغالية : لماذا لا تنجب الأولاد . إن الجواب لا يحتفل بالشك : « اننا نعرف الامسا ولا نريد ان نسيبها لغيرنا » . انهم لا يتصورون ، هم المحكوم عليهم بأن يعيشوا في عالم التكرار ، من مستقبل آخر لأبنائهم غير ماضيمهم بالذات . ومن عجزة لتحول بروجوازيتنا الى قابله فارص الاجناس ؟ وتنازع بطرائقها الخاصة عمل آباؤها : فبدلاً من ان تدبج ترغيم الخصم على فبيع نفسه بنفسه .

ثم الهجرة الزيفية : فمن الراجح ابطالها او موازنتها او كلا الشئين معاً . ولا أسهل من ذلك اليوم : فعروف ان الفلاح لا تجذبه الشواء المدن القانية ، لكنه يتدفع اليها ويتهاكك عليها من فرط يؤسه . اذن فلشكول له يؤساً لا شطط فيه . ان هجرات القرن التاسع عشر الكبيرة غنية بالدروس . فالهجرة الأولى التي حدثت حوالي عام 1890 ، يرجع سببها الى تركيز الأراضي وما نجم عنه من تحولات في الزراعة : فقد اختراع بعض الصانعين السوق الفلاحية ، وصنعوا وباعوا مزارعهم واسعة كهلوية ، فزاد مردود الأرض وقتها ، وتناقص الطلب على اليد العاملة ، ووجد آلاف وآلاف العمال الزراعيين الميامين انفسهم على قارعة الطريق ، وتبعهم آخرون اقل يؤساً بعد ان تلاش كل أمل لهم في ان يصبحوا ملاكاً . ولم يضع الدرس هباء : فالمالتوية تعرقل مسكنة التقنيات الزراعية لتبني على تجزؤ الملكية . ومعروف ان عمليات النقل لشغل اكثر من نصف الوقت المتخص للزراعة . حسناً : اذن فسوف يشتمل الزراعون بنصف خاص جداً بإفساد الجمرات بعيداً عن متناولهم وبالحفاظ لهم على 800000 كيلومتر من الطرق الوعرة . فليذهبوا على القدمهم ، وليحرقوا القشرة الأرضية بأهوانهم القدية ، وليزرعوا بأيديهم العارية : فهذه أحسن ضمانة لاستمرار

الاجتماعي . ولما كانت الوقائع الاجتماعية متداخلة ، فإن لجزئنا المتكيات هي التي تؤثر أيضاً مكتنة التنبؤات : فالاستثمارات أصغر حجماً من ان تنفيذ قديماً اقادة كبيرة من المكتنة . وهكذا نجد ما لتوسية الصناعة لبرورها في نفرة الطلب<sup>(١)</sup> . لكن اذا ما تشارك الفلاحون ، اذا ما خطر لهم ان يشاروا الجرارات بالتشارك ؟ يقول الاختصاصيون : « بدون التشارك لا يتكهن فعل شيء في هذا الميدان » . لكن العهد على وجه التحديد لا يريد ان يفعل شيئاً : فقيده على الدواعي الخوف من التحويلات الاجتماعية التي قد تدخلها الآلات على الأرياف . ومن حسن الحظ ان هناك الرولين : ان فلاحينا لم يفتروا من مرحلة التظام . والعهد يولي للزعتهم الخصوصية لكنه يرعاها ويحياها من طرف خفي . والدولة تفعل كل ما في وسعها ان تفضل للمحافظ على الجهمل الفلاحي التعمير : ففي عام ١٩٤٩ تلقت وزارة الزراعة ٤٧١ مليوناً من اجل التعمير الزراعي مقابل ١٤ ملياراً لوزارة التربية من اجل التعمير الفني والتدريب المهني . والنتيجة هي اقتناراً الى ٦٠٠.٠٠٠ مدرس زراعي . ويفضل هذا العجز المدروس بتأنيء لا تتجاوز نسبة المستعمرين الزراعيين الذين يشغلهم الترويجية التكنيكي عندئذ ان ٣٠ ٪ بينما توقع هذه النسبة في الداتوك الى ٤٥ ٪ . هاتحين قان ترفع في بمبوحة الاطمئنان : ان الضالين انفسهم هم الذين سيطلبون بالنظام الخليل . وهكذا تدور الآلة على نفسها .

والحجرة الثانية الكبيرة في القرن الماضي - حجرة ١٨٨٠ - كانت نتيجة للزراعة الأجنبية . كان اقتصادنا الزراعي نصف معلق . وجاء تطور المواصلات ليضع اميركا على أبوابنا ، وأفرق العالم الجديد اسواقنا بتنتاجاته الغذائية . فتدهورت الاسعار : وإنما بزارعينا يحدون انفسهم على قساعة الطريق من جديد . وهجر الأرض حوالي مليون انسان . وحتى تلحق الدولة الآخرين بالبقاء

١ - حتى لو عطف الأمان ( أي على فرض ان نسبة مردودية الجرارات هي ١٥ مكالتر ) ، فإن حاجتنا من الجرارات ستكون حوالي ٥٠٠٠٠٠٠ . والحل اننا لا نملك سوى ١٣٠٠٠٠٠٠ .

في مكانهم ، لجأت بسرعة الى تدابير الحماية . لكن فيما بعد ؟ كيف السبيل الى تجنب عمدة الكثرة ؟ أزيادة المردود ؟ هذا يتطلب مكنته ؛ لكننا نذكر في هذه الحال قد طرفنا التقدم بيد تعيد إدخاله باليد الأخرى . واليهولة دون هجرة كهجرة ١٨٨٠ كتمت المدة لهجرة كهجرة ١٨٩٠ . إذ؟ هل نستفيد من النجاح للتخصص في الزراعة المسترفة كما تخصصت انكلترا في الصناعة الرفيعة النوعية ؟ مستحيل ؛ فالتخصص في الزراعة يعني تقييد المزارع . كما ان هذا التخصص سيؤدي حتماً الى ما نريد ان نتجنبه ؛ الهجرة . وللوصول الى الاسواق الخارجية ؛ لا بد من المكنته والتحديث وزيادة المردود وتخفيض اليد العاملة ؛ وعندنا سبيلك الفلاحون قراهم . يا للفلاسين الملائين ؛ فعندنا ابسط تقدم يعاودون الهجرة ؛ ومن حسن الحظ ان المالكومية توفر وسيلة تثبيتهم ؛ فطالما ان التقدم هو الذي يطردهم ؛ اذن فمن الواجب حمايتهم من التقدم . فليتجروا القمح ، والقمح ايضاً ، القمح دوماً ، بأهل سمر ، وأجهد عمل ، وبأكثر التثنيات تحلقاً ؛ ان الطلب على اليد العاملة سيتعاظم كلها ضغطت انتاجية كل عامل<sup>(١)</sup> . وهذه المزاومة الخارجية يشاهد سور أطلسي ؛ وتعزل فرنسا عن الاسواق العالمية . اما بالنسبة الى المزاومة الداخلية فالأمر ابسط ايضاً ؛ إذ يكفي الهدم والتدمير . وطالما ان مستعمري الشمال والغرب لا يستطيعون عرفقة الانتاج بالسر نفسه الذي يرفقه به الصناعيون ؛ فسيان الحكومة ستساعدهم ؛ فهي ستقري منهم التناقص القاتل لتحرقة . وباختصار ؛ ان فرنسا تضرم في خلالها نار التحرق ؛ وكل فرنسي يدفع مائة ليتل فرج على الدخان وهو خاوي المعدة . ان فرنسا تكتفي المبادرات في التخطيط لكننا تبلغ هدفها ؛ فالجزء عندما أقل

١ - زادت انتاجية العامل الزراعي في الولايات المتحدة في الاعوام العشرة الأخيرة ١٩٠٥ متويماً . واذ ما حقلت فرنسا في الاعوام العشرين القادمة زيادة مئوية بنفس النسبة ، فإن دخل الانتاج الزراعي سيتوقع من ٢٥٠٠ الى ٣٥٠٠ مليار لكن عدد العمال سيتناقص بنسبة ١٠٪ تقريباً .

خيز في العالم<sup>١١</sup> ، والمزارع عندما اقل المزارعين دخلاً<sup>١٢</sup> . وهذا ما كانه الهدف ، لا يخامرة الشك في ذلك : فالالتومية يقتضيتها اسعاراً الزراعية فوق الاسعار الصناعية واسعاراً الصناعية فوق اسعاراً الزراعية ، تولد وتحفظ في كل لحظة ، عن طريق خلق متواصل ، الفلاح الفرنسي ، ذلك الوحش الأحمق الأحم الذي يريد النهاية المفروضة ان تصوره حكيماً عاقلاً ، والذي يهتق نفسه في العمل كيلا يبيع شيئاً ، والذي يعتقد انه يملك ارضاً لا يشتمح حتى بحق الانتفاع بها ، والذي يدافع عن مصالح الملاك الكبار ويصوت مرة كل خمس سنوات ليؤمسه خوف المزيد من البؤس . ان الانسان الطبيعة هذا يجهل انه نتاج مصطنع وان مصيره يفكر في المدن شأن مصير العمال : لكنهم يعرضونه على المدن بتذكيره بأن مدنيته يفتقرون فيها ، ولا سوا على العمال بالإحصاء اليه بأن مطالبهم تؤدي إلى ارتفاع الاسعار الصناعية . ولو نزع الفلاح زيادة الانتاج وتكاليف أقل ، ولو طالب بمدد متعاطف من الجارات بأسعار متناقصة ، فكريا امرك ذات يوم ان مصالحة ومصالح العمال الصناعيين مشتركة : وهذا على وجه التعديد ما هو غير مرغوب فيه . فالاستقرار يقتضي ان تفصل الطبقات السكادحة عن بعضها بعضاً بمواجز من الكراهية وعدم التقوم : ان ارباب العمل الكبار ، للفتين يبدأ فرق تسد ، يرعون ويولون على حسابنا جماعة من المتوحشين الطيبين في الارباب لخص سياستهم دعمها الانتخابي .

لكن عليهم ألا يلحفوا في مطالبهم : فصحيح ان المالتومية تعرقل هجرة الريفيين الزمعة ، لكنها لا تلقيا . وبين كل ١٠٠٠ شغيل كانت هناك في عام ١٩٠٥ ما يقارب ٤٨٠ مزارعاً. وفي عام ١٩٣٠ انخفض عددهم إلى ٣٧٠ مزارعاً. وفي عام ١٩٥٣ الى ٣٢٩ مزارعاً فقط : اذن فالهجرة مستمرة ، لكنها بدلت طبيعتها واتجهت نحو الوظائف الادارية الصغيرة . وهذه أيضاً احدى نتائج

١ - في ١٩٥١ - ١٩٥٢ ، تكلف ٩٥٥٠ حورية ٥٥٠٠٠ فرنك في القليبا .  
 و ٩٩٠٠٠ فرنك في فرنسا .  
 ٢ - ان المردود الخام خمس مزارعينا لا يتجاوز ٣٠٠٠٠٠ فرنك سنوياً .

الاقتصاد التخطيطي : فالفلاح العراقي في النهرين حتى عنته ، والبيت جوعاً في أرض مرهونة ، يريد الأمن لأبنيه . إذن فسوف يجعل منه موطئاً . ثم ان التقدم التكنيكي على الاخص بولد أو بطور طبقة جديدة سيوازن نوعاً سريع نسو البروليتاريا ثم يوقفه ويتجاوزة ، وهذه الطبقة هي الطبقة المتوسطة للأجورة . ونحن نعرف ان كولن كلارك أثبت ان هناك رابطاً احصائياً ، بالنسبة الى معظم البلدان الصناعية ، بين الدخل القومي الفردي وبين نسبة الاجراء غير المنتجين ( أو المنتجين بصورة غير مباشرة ) في السكان العاملين . واذا أخذنا بمصطلحاته فنقول ان الزمرة الثانية والزمرة الثالثة<sup>(١)</sup> لنا معاً وبنسبة واحدة حتى الحرب العالمية الأولى . وكان ذلك في العصر الذي كونت فيه الصناعة الرأسمالية اطارها وكتلتها من اليد العاملة معاً . وبعد ١٩١٨ تسارع نمو الزمرة الثالثة بينما تباطأ نمو الزمرة الثانية . والتطور العام للمكاتب والادارة يتجاوب مع جهود المشاريع لإعادة تنظيم نفسها تبعاً لتقدم التكنيكي والتحكم الصناعي . وهكذا فرض مبدأ المركزية على الخدمات ، و« دعت » مختلف قطاعات الاستتار ، وأمنت سرعة التنقلات ، وكلفت الاجهزة المختصة بإعداد الهام وتوزيعها ، وبترصد الظروف والتأويلها ، وتوقع تقلبات السوق وتنظيم التوزيع . وهدف هذا كله زيادة الانتاجية عن طريق مراقبة الانتاج . والحال ان مخطط كلارك ينطبق على فرنسا . مع فرق واحد هو انه يصبح كلريكولوجياً . فالانتاج عندما قد جد عند حد معين يبدأ من عام ١٩٢٩ ، وقو البروليتاريا العددي توقف بغتة عام ١٩٣١ بينما لم يكفّف تضخم القطاع الثالث عن التضخم<sup>(٢)</sup> . وللمك هي

- ١ - لنذكر هنا بأن السكان العاملين يتوزعون في رأي كلارك ، الى ثلاثة قطاعات :
  - القطاع الأول ( ميد ، حقل ، زراعة ) .
  - القطاع الثاني ( الصناعات الاستخراجية وصناعات الطاقة والتحويل ) .
  - القطاع الثالث ( المواصلات والنقل ، التجارة ، المصارف ، شركات التأمين ، الادارات ، الخدمات الخاصة ) .
- ٢ - في عام ١٩٥٦ كانت الصناعة التحويلية تضم ١٠ مستخدمين مقابل كل ٢٤ عاملاً . وفي عام ١٩٥٨ أصبحت تضم ١٠ مقابل ١٧ .

النتيجة المباشرة الخاطئة : فصاحب العمل لا يتم زيادة عدد العاملين لديه لأنه لا يفكر بزيادة الإنتاج . وهو يزيد في عدد موظفيه الأخرين لأنه يريد أن يفلح مشروعه لينتج بشكل أقل . والنتيجة : فائض قدره ٥٠٠.٠٠٠ شخص عامل في القطاع الثالث وتقص حقيقي في الاستخدام . وإذا أردنا على العكس أن نلبي اليوم مجموع حاجات الأمة ، فلا بد من رفع الإنتاج بنسبة ٤٦ ٪ ويبدو أن هذا مستحيل لكن أولاً بسبب قافة اليد العاملة . فمن أين يأتى بالعمل لبناء ملايين المساكن التي تحتاج إليها ؟ وإذا ما أعطينا أنفسنا مهبة عشر سنوات أو عشرين سنة ، فكيف نسد الثغرات في القطاع الثاني المهم إلا على حساب القطاع الأول والثالث ؟ لكن أرباب العمل حريصون على الانتفاع من مثل هذا العمل : أنهم يرغبون نصف بطاقة في الخدمات ، ويلتجون على فرنسا في حالة قفصة دم مزمنة ليعرفوا تطور القوى العاملة . ولم تقتل مساعي التوسيمية : زراعة متأخرة ، وقطاع ثالث متضخم ، وبرنامجاً متناقصاً ، والاستقرار الاجتماعي وبالتالي مضمون : وأرباب العمل بالطبع في مأمن : فالإنتاج المتزايد يؤدي إلى الاستهلاك المتزايد ، أي إلى انكماش السوق الذي يسير بدوره الإنتاج المتزايد . وكل شيء يسير على أحسن ما يرام بشرط أن يفرك قسم من السكان يوت برءاً في الشتاء وجوعاً طوال أيام السنة .

ولقد رأينا أن الحكومة التي تريد أن تزيد نسبة التوسيمية للتأجبية يتوجب عليها أن تخفف احتقان وتضخم القطاع الثالث . لكن أرباب العمل مطمئنون قام الاطمئنان : فذلك شيء لن يتحقق بسرعة ، وهذا المقصد الممكن نظرياً ، محط عملياً بسبب المواجهات الاجتماعية التي سيثيرها . ومع ذلك فإن القطاع الثالث يشتمل على عدد من أصحاب الدخل المحدود يعامل أجراً في أحسن الأحوال أجر عامل بدوي : ويحتم لنا أن نتوقع ألا يبدي صفار الكسبة هؤلاء الذين يقفون عند حدود القطاع الثالث ، مقاومة تذكر إذا ما دعمت الحاجة إلى انتقالهم إلى قطاع آخر . لكن لا : فالاستخدام يكيف الاستخدام كما يكيف الثوب الراغب ، وسبب ان السياسات المتجول يتت بصلة قريبة إلى الأجير المنتج



من حيث قدرته الشرائية ، لكنه يتميز عنه لأنه لا يفتح . وعمل ضاربة الآلة  
الكتابة بشكل جزءاً لا يتجزأ من نشاطات الإدارة ، ومن هنا فإنها تعتبر نفسها  
متندجة بالطبقات السائدة . والحق ان وظائفها لا تبعدها عن العامل بالقدر الذي  
نظن . بينما انها لا تنصح ، لكنها هي التي تعطي أخيراً مضموناً مادياً للرموز  
الرسومية في الكتاب ، فهي بالتالي ، ومن هنا بالذات ، قريبة كل القرب من عامل  
الطباعة الذي هو شغل يدوي . واللحظة البيروقراطية في الفكر هي لحظة  
صياغة المفاهيم : فالفكر ينفي واقع الأشياء وواقعه الدلالي ، والمفهوم تنفي وجود  
الموضوع المسمى ، كذلك فإن البيروقراطي يقف عند مستوى الاحصائيات  
والمسكنات والافكار الواضحة ، أي الافكار التي لا تشتمل على تجاوز نفسها  
بنفسها . والفكر لن يستعيد حقه إلا اذا استعاد ماديته . ولما كان لا يتجاوز  
قط غير المواضيع فهو لن يتجاوز نفسه إلا إذا تلقى من الخارج صفة الموضوع .  
ان ضاربة الآلة الكتابة حين تضرب بلاغياً ، تحول الفكرة الى شيء ، وتحقق  
تجاوز الرمز عن طريق ماديته وتجاوز المادة عن طريق رمزها . إذت فهي عملها  
كما في عمل المستخدمين في الكتاب مظهر من مظاهر الانتاجية . لكن هذا المظهر  
على وجه التحديد هو الذي يزعم المستخدمون في المحلات التجارية أنهم يتفوهون :  
فهم يعتقدون أنهم يساهمون في رسم الأوامر والمهام ويفضون عيونهم عن وظيفتهم  
الحقيقية التي هي تحويل هذه الأوامر والمهام عن طريق تسجيلها في الواقع . ان  
الضعاف اقتصادياً ، من القطاع الثالث يزعمون ، يسالكهم ومطاعهم ، أنهم  
يظهرون اهتمامهم للطبقات العليا التي تضطهدهم . لكنهم لا يفعلون شيئاً سوى  
أنهم يقدون ارباب ملهم وما تحقيه مواقفهم هو رفضهم العيديات يشبهوا  
بالاجراء المنتجين . ان واقعهم الاجتماعي سلبى محض لأنهم ليسوا ما يزعمون أنهم  
كاتبوه ولأنهم يرفضون كل تضامن مع أكثر الناس شبيهاً بهم . ولقد كفى ان  
تنتطح بعض الانتطاعات من القطاعين الأول والثاني حتى يتقسم البؤس على نفسه  
ويبرز الى الوجود تلك البروليتاريا التي تلبس فستاناً منسجاً وتكره البروليتاريين  
الحقيقيين لأن الشرط العيالي يشر اشتزازها وتقورها . وفي إطار اقتصاد مزدهر

ما كان الضرر ليكون كبيراً الى هذا الحد : فحق لو استمرت ، الخدمات ،  
 في مجموعها في النمو ، لنتت الجماعير العمالية هي الأخرى ، ولسام غير  
 الدخل القومي ، وطلب اليد العاملة في إعادة القطاع المنتج الى سابق مكانته وقيمته  
 ولشجما الانتقال من قطاع الى آخر كما في الولايات المتحدة حيث تفرص كميات  
 واسعة من جرجة عند طرفي الحدود وتلقف دوماً على استعداد لتخطيها لتغزو  
 القطاع الثالث أو نصب في القطاع الثاني وذلك حسب الطرف . لكن مذهب  
 المهود الاقتصادي يستتبع مذهب المهود الاجتماعي : فينب كل سنة ان عامل  
 ولدا منذ ربع قرن من الزمن ، بقي ٥٥ منهم عمالاً في الصناعة الكبيرة  
 والمتوسطة ، وعاد ٦٠ منهم الى الأرض ليعملوا كعمال زراعيين ، وعبر الخط  
 ٣٥ انضم ٢٦ منهم الى صفوف البروليتاريا ذات القمصان المقتاة . وبعبارة  
 أخرى ، كان لأن العامل الشاب في عام ١٧٣٠ ، ٦٥ خطأ من سنة في ان يظل  
 عاملاً ، و ١٦ خطأ من سنة في ألا يقامر صفوف الطبقات المحرومة . وإذا أضفنا  
 الى هذا ان الهجرة الزيفية تباطأت ، وأنه من المستحيل تقريباً على مستعظمي  
 المجلات التجارية الاداء ان يرتفعوا الى المراكز البيورجوازية ، وأن أرباب العمل  
 الصغار هميون ومثبتون في مواقعهم من قبل الدولة والصناعة الكبيرة ، فلا بد  
 ان نستنتج ان اقتصاداً الاجتماعي قد فصل بين القتات الاجتماعية بمواجز ثابتة  
 وجعل من فرنسا مجتمعاً أخذاً بالتعجير إن لم نقل نظاماً مقسماً الى طوائف .  
 والفائدة من ذلك واضحة : فالالتوسية لا تكفي بتقليص البروليتاريا ، بل  
 تيجز أيضاً انزاعها تائياً . بينما ، ما يزال الدخل اليها يكتفى ، بل حتى  
 الخروج منها احياناً ، لكن الرء يولد ويموت فيها عاملاً بنسبة تزيد اطراداً .  
 ولا يكفي ان توقف هذه الطبقة الخطرة عند حدودها ، بل لا بد أيضاً من  
 تطويقها . ففي القرن الماضي كانت البيورجوازية تعيش في حالة حصار ، واليوم  
 هي التي تعمل على حصار الزمرة العمالية . وكل فرد ينشئ بكتانه ، بما يعتقد انه  
 امتياز ، الفلاح بأرضه المرهونة ، ورب العمل الصغير بشروعه البائس ،  
 والمستخدم الرذوس بوظيفته التي لا تفني ولا تسمن من جوع . والكبار يسكنون

بالبدي كل شيء . وكلفني اشارة منهم حتى بفلس الصغار ، لكنهم لا يفكرون بذلك ، فالصغار حقاؤهم وجنودهم . وهؤلاء الناس الذي يمتثلون عن بعضهم بعضاً في كل شيء ، يجمع بينهم كره مشترك : كره البروليتاريا . ولولا صغره البروليتاريا ، لأدرك رب العمل الصغير انه ضحية معاقبة الصناعة وغريبتهم المتواطئة ، ولأدرك الفلاح ان أرضه تهرب منه وتسيل من بين أصابعه كالساء ، ولأدرك المستخدم انه مستغل من قبل مستخدمه . لكنهم لا يرون شيئاً : لا شيء سوى المطالب العالية التي تسبب ارتفاع الأسعار الصناعية وتزيد من الفلاح وتضع التاجر الصغير على شفا الأفلاس ، لا شيء سوى الهوة الطغاة التي تجذبهم وتسير نفوسهم . ان أرباب العمل الفرنسيين يعتمدون على ثلثي الأمة ليستظروا في يد الثلث الثالث .

إنهم ما عادوا يسعون الى التطوير بالمجازر ، إذا يعملون على ان يضعفوا من الداخل طائفة العمال الكفاحية . وهم لا يترددون في حيس البروليتاريا في وضع لا يخرج له وعسك التركيب بصورة تحتق ممهسا أو لتمزق إيريا إذا حاولت الخروج منه . والتطوير الذي تحدثت عنه لتوي إن هو أيضاً إلا نجاح خارجي قاعاً . وهناك ما هو أدهى : فطالما ان الإنتاج يبتلع العامل وطالما ان المالتوسية هي الصفة السائدة في إنتاجنا ، فإن البروليتاريا الفرنسية ضحيها وإنتاجها في آن واحد : وسوف ترى كيف انها مشروطة في نضافها بالذات بالذات الذي عليها أن تناضل ضده .

٦ - يقول آبلونا لنا إن فرنسا عرفت بروليتاريتها الطبيعية بسنين ١٨٩٠ و ١٩١١ . والقمل لا بد ان نعرف ان الطبقة العامة قد شلت أكثر من ١٨٠.٠٠٠ إضراب خلال تلك السنوات الواحدة والعشرين . وإذا ما أحصيناها بالنسبة الى كل سنة على حدة ميزنا فيها حدوداً عليا وحدوداً دنيا . بعضنا سلاحظ أيضاً ان هذه الحدود وتلك كانت تتقدم باستمرار : فالحدود الدنيا ترتفع من ٢٦٦ الى ١٠٢٥ ، والحدود العليا من ٢٦٧ الى ١٥٢٥ . كما ان نسبة الأضرابات التاجحة لا تكلف هي الأخرى عن الارتفاع : فقد كانت ٥٣٪ في نهاية القرن الماضي ،

وأصبحت ١٩٦٢ إلى عام ١٩٦٠ . ولقد انتهى هذا العصر المبارك مع الحرب العالمية ؛  
 فصحيح ان إضرابات ما بعد الحرب زادت عدداً من حيث المعدل الوسطي ،  
 لكن حتى عام ١٩٦٦ تراجعته الحفوة الدنيا والحفوة العليا بصورة مستمرة ،  
 وسقطت نسبة النجاح بشكل خاص من ٧٠ إلى عام ١٩٦٩ إلى ٣٥ في الأعوام  
 ١٩٣٠ - ١٩٣٥ . وبعد سنة ١٩٣٦ سيطر عدد الإضرابات مرتفعاً للغاية لكن  
 الميل إلى التراجع سيظهر من جديد وسيستند ؛ وهو ما يزال قائماً حتى يومنا هذا  
 ولصوب النجاح هي دون الوسط . فهل ينبغي ان نعتقد حقاً ان العمال كانوا أكثر  
 شجاعة في زمن الملكية الثورية وان قادتهم كانوا أكثر ذكاء وتقانياً ؟ وما  
 سيكون ؟ هل أساس هذا الفرض ؟ سبب التغيير ؟ ان الشراح البروجوازيين  
 يتخلجون عند هذا السؤال ؛ السبب ؟ يا روجي ؟ السبب ؟ ؟ . ليس هناك  
 سوى سبب واحد ؛ لاحظوا صعود البروليتاريا المنتصر حتى عام ١٩٦٩ ، العام  
 المبارك الذي مسا كان فيه على العامل إلا ان ييدي أمنية حتى ليس فوراً ،  
 وانظروا ما حدث فيما بعد ؛ ارتفاع نسبة الاخفاق ؛ عودة اليأس ؛ التدهور .  
 ١٩٣٠ او العام الحاسم . ولم ١٩٦٠ ؟ لأنه عام مؤلف تور والاشفاق العمالي .  
 ان البروليتاريا ، بدءاً من هذا العام ، قد باتت تحمل معها سرطانها .

ان من الغباء أن تصور ان العامل فقد شجاعته لأن السرطان الشيوعي  
 بدأ كره . لكن بما لا شك في صحته إن عد قد ومن بعض الشيء . فلنرجع أفق  
 إلى الوقائع ولنر ما نقوله . اتنا سنلاحظ أولاً ان العدد السنوي للإضرابات  
 ونسبة نجاحها ازداد حتى عام ١٩٦٣ مع التصنيع . وقد لاحظنا من جهة أخرى  
 ان هذا المنحنى الصاعد يشمل على بعض التجاريف ؛ فأحياناً يقل عدده  
 الإضرابات وتتضائل فرص نجاح كل واحد منها إقارياً . والمنحنى العام للأسعار  
 يقدم الظاهر نفسه ؛ ففترة الازدهار لا تخلو من بعض الأزمات الزهيدة . واقام  
 قارناً المنحنيين أدركنا فوراً ان الحفوة الدنيا لكل منها تتناسب بدقة . وبين  
 ١٩٦٩ و ١٩٣٥ ينمكس الميل لكن العلاقة لا تتغير<sup>١١</sup> . فالإضرابات تزيد مع

١ - مع لفظ واحد متعربه فيما بعد .

ارتفاع الأسعار وللتناقص مع انخفاضها . ومعنى هذا واضح : ففي فترات الانطلاق يتغير وضع العامل في المجتمع ، ويصبح موضع طلب ، وهذا يعني أن الدخل القومي في أوج النمو وإن طلب اليد العاملة يكفي للسبب ارتفاع الأجور . وإذا ما حاولت الطبقة العاملة أن تزيد نسبة هذا الارتفاع عن طريق الأثارة الاجتماعية ، فهذا لأنها تطالب بالشاركة في الأثراء الجماعي . وبعبارة أخرى ، لتنتقل البروليتاريا إلى الهجوم وتستمد عدوانيتها من الطرف التاريخي . وعلى كل ، يسمح نظام المزاحمة الشغيلة بتدعيم انتصاراتهم : فالمنازلات التي انتزعوها من رب العمل ، لا يستطيع هذا الأخير أن يبردهم منها من جديد ، فإذا ما أراد أن يعرض عن ارتفاع الأجور يرفع الأسعار كان مصيره الهلاك : إذت فعلية إما أن يتخلى عن أرباحه أو يزيد الإنتاج . وعلى هذا فالممارسة مرسومة مسبقاً في حركة الاقتصاد : فالعامل الذي تتجاهبه تيارات تلقى به في قلب المعركة يجد نفسه فاعلاً من غير أن يكون قد قرر ذلك ، وبفاعلية أفعال متناسبة طرماً مع قوة ازدياد منافستها . إن البروليتاريا تفصل لنفسها مستقبلاً في مستقبل الرأسمالية . ونحن نعرف الآن أن تلك الحقبة السعيدة كان لا بد أن تنتهي مع سنة ١٩١٨ . لكن الممارسة تخلق لصورها عن نفسها بنفسها بإسقاطها في اللامتناهي المستقبل المباشر الذي يولدها : فالعمال وأرباب العمل ، يجرد تجاوز الحد الرسوم ، طرحوا أمامهم أسطورة التقدم والرفاه الاجتماعي . وكان يكفي أن تتابع البروليتاريا فتوحاتها ، فبذلك كانت سرغم الرأسمالية على زيادة الإنتاج باستمرار ، وتتقرب باستمرار من لحظة استلام السلطة . وهذا ما ساءر عنه جوريس عام ١٩٢٠ بعبارة تبدو لنا اليوم جارية لكنها كانت تعبر فعلاً آنذاك عن الرجاء المشترك :

« يستحيل على الثقلات أن تنظم ، أن تتوسع ، أن توسع دعائها ، من دون أن تتدخل سريماً في سير المجتمع الرأسمالي . . . وفي اليوم الذي ستتدخل فيه الثقلات المالية ، ولو عن طريق التفتيش ، ولو عن طريق الرقابة ، في طريقة استخدام الآلات ، وفي اليوم الذي ستصح فيه أرباب العمل وتعرض عليهم هذه

الألة أو تلك وهذا الجهاز التكنيكي أو ذلك ، تكون قد تعارفت ، شامت أم أمت ، مع أرباب العمل في قيادة الآلة الرأسمالية . وأنا بالطبع لا أظن على البروليتاريا هذا التعاون الذي هو بداية التملك .

وهكذا كان السبيل الحقيقي لكن المهدود للرأسمالية الليبرالية يتد كسر اب خادع حتى الانهاية ، وكان العامل يعتبره مستقبه هو بالذات . وكان هذا التطور الكاذب يروج الكفاحية العمالية مع دفعه بالستقل ، عن طريق مراب الاصلاحية الى التعاون مع مستغله . ولم يكن العمال قد اسوا مجازر سان بارثي القديمة ، لكن كلما كان العالم البروجوازي يستلم لعلمهم ، كان شعار النقابية الثورية يتحول الى محض لفظة ميتة . ولم بعد التعارض قائماً بين الثورين والاصلاحيين إلا على صعيد النفا وحدهما تقريباً : فعين تبدو الثورة وكأنها نهاية تقدم متسل ، لما الذي يميزها عن محض تطور بسيط ؟ كانت البروليتاريا قد ظلت معادية للسياسيين والبرامج ، لكنها كانت قبل ان الخروج من متفاتها الاختياري ، والى التسلل الى معسكر العدو ، والى اثبات وجودها . وكانت قد تملت ان الواقعة الاجتماعية ، كما يقول ماركس ، هي واقعة كلية . لكن الحقيقة الموضوعية لنشاطها هي ان هذا التضال كان يزيد يوماً بعد يوم في اتفاجها بالجمع الرأسمالي ، وسيتم في النهاية على تطيقها النقابية ان تصبح ملحقة بالقوة .

اما في زمن الفراغ والازمات ، على العكس ، فإن البروليتاريا تقابل متهترة . ترى هل ثلاثت شجاعتها ؟ بالتأكيد لا . لكن اذا قمنا كفاحيتها بعدد المعارك الشنونة ، للا بد ان نعرف بانها وهنت ، وهذا لأن الانتراب قد فاعلته ، واصبح العاطلون عن العمل يشكلون احتياطياً لا يتوالى وب العمل عن النهل منه . ثم اذا كان الحل لا يدور ربحاً يذكر ، فإن صاحبه يستخرج بالنازعات الاجتماعية لإشغافه . بالأمس كان العامل يقول كلمته بصدده كل شيء .

واليوم اذا ما احتج وجد نفسه مقلباً به على قارعة الطريق . وسعيد هو إن لم يفصل من غير ان يكون قد قال شيئاً . بالأمس كان يشكل جزءاً لا يتجزأ من المنتج ، واليوم يحفل اليه انه مقبول فيه على محض . وبالطبع ليس هو الذي

يعاني من هذا التدهور في القيمة ، اذ هي قوة عمله ، لكن هذا لا يمنع انه يحس  
 بأنه مصاب في واقعه كإنسان . كان يظن نفسه لا غنى عنه ، والآن يرددون  
 على مسامحة بأن الحظ وحده او طيبة قلب رب العمل هما اللذان يتيحان له ان  
 يظل في عمله ، وبأن هناك نوباً من الظلم اذ يقدم له رب العمل عملاً في الوقت  
 الذي يظن به على كثيرين غيره . ومن كثرة ما يسمع الشغيل ان حظه شاء له ألا  
 يكون عاطلاً ، يؤرخ ان يعتبر نفسه عاطلاً وانه الحظ : وزيادة القول ان  
 البطالة ، في زمن الأزمة ، هي التي تعطى العمل معناه . والحال ان العاطل نتاج  
 للاختلال ، مواطن سلبى فرضت عليه الإقامة بعيداً عن مركز المجتمع ، ولقد قدم  
 له وسائل الوجود يعتبر مع انه لا يعمل شيئاً حتى لا يقال انه ترك يوت جوعاً .  
 والشغيل ، العاطل بالقوة والعاطل بالحقيقة ، يشعر بأنه قانص عن الحاجة : ان  
 الأزمة تجرده من سلطانه ومن مسؤولياته معاً . كان يشوم انه ، يتعاون ، مع  
 الرأسمالية : وهو يدرك الآن عجزه ، وما عاد يكفي ان ينفذ بدقة بنود عقد  
 العمل : اذ كان يريد ان يحتفظ بوظيفته ، بل لا بد أيضاً ان يستحقه ، وان  
 يصبح ما يسميه رؤساء الورديات وأرباب العمل عاملاً ، صالحاً ، . وعلى كل ،  
 يستفيد المستخدمون من المناسبة ليصطفوا جهازهم : سوف يسهرون الرؤوس  
 العنيدة ، والمنقبين الى النقابة والمناضلين ، ويحتفظون بالآخرين ، أي بأولئك  
 الذين اقلعوا عن الاحتجاج بدافع من استسلامهم وقبحهم واعيانهم العائلية .  
 وهكذا يتم تطهير الطبقة العامة : فأخبار المناضلين يختون ، وقد نفوا من هذه  
 ال No man's land التي هي البطالة ، ويفقدون وسائل علمهم وقياسهم مع الجماهير  
 في آن واحد . وبين الذين يظنون قادرين ، رغم عجزهم التسي ، على ممارسة  
 الضغط على أرباب العمل ، تزيد نسبة المسلسلين . لقد فقد الشغيل وهم التعاون  
 مع الرأسمال : قبلأمس أيضاً كان يسام بعضه المطالب في ازدهار الصناعة ا  
 واليوم يعاني من نتائج الانتكاس من غير ان يكون قادراً على وضع حد له : كان  
 التماجد التدريجي يتوده ان يتقاسم المسؤوليات مع مستغلبيه ، والتمس الآن  
 بجرده لكنه يعزله ، يفقد كل قانس مع المجتمع الذي أقصاه ، وهذا ما يجعله

شديد العداة للتظاهرات السياسية . كتب لينين : « إن الوعي الطبقي العمالي لا يمكن أن يكون وعياً سياسياً حقيقياً إذا لم يتعود العمال على الرد على جميع أنواع سوء الاستغلال » ، وعلى جميع تظاهرات التمسك منها تكن الطبقات التي تلعب ضحيتها ، على الرد من وجهة النظر الاشتراكية - الديمقراطية على وجه التحديد<sup>١</sup> . « إنه على حق بلا ادنى ريب لكن من الأسهل بما لا يقاس وأن تطرح الشعارات السياسية على الجماهير » في فترات الانطلاق الصناعي منها في أيام الأزمات : ففي أيام الأزمات تقترن الروابط بين الجماهير والطبقات الحاكمة ، بما في ذلك ، وعلى الأخص ، رابطة الصراع الاجتماعي . وينزع التناسر إلى إخلاء مكانة لعلاقة تقوم على التعااضد المفضي<sup>٢</sup> . ولا تسرع إلى الاستنتاج بأن البروليتاريا ليست ذكرى مهتها اللامتناهية : والحقيقة هي أن الطرف يجرها من كل مستقبل يارغامها على التثبت بصالحها المباشرة وعندما : كانت تعادل لتأخذ ، وهي لتقاتل الآن لتعطف . ومع ذلك لم يسبق قط لطبقة انت تجلت بتلى هذا الوضع : فتكل طبقة تشد مسود الأخرى ، وإذا ارادت الرأسمالية أن تحافظ على مصالحها ، فعليها أن تبقي البروليتاريا تحت الحد الأدنى الحيوي . إن أكثر المطالبات تواضعاً تهدد بدفع الصناعة إلى الدمار بدلاً من أن تدفع بها إلى الإنتاج . والواقع أن الأزمة إذا ما استعصمت ، فليس تؤدي إلى الثورة ، أي إلى انفجار اقتصاد مخرفه تناقضاته الداخلية . لكن هذا التطور بالذات يعرفصل العمل التقني ، فحين لا تكون الظروف مؤالية للحركات الكبيرة ، يجازف الاضراب المحلي بأن يدفع بالقوة أو بأن يدمر الشروع .

إن الدرس لن يتذهب بهاء : فأرواب العمل يعتمدون على الملاحظات السابقة ليحفظوا بصورة مصطنعة الشروط الموضوعية لتثبيط عمه العمال. عده الأضراب

١ - المؤلفات المختارة - طبعة موسكو - المجلد ٦ ص ٢٢ .

٢ - المبدأ بطبيع العلاقة الاجتماعية : فالرابطة الاقتصادية نظير الاستغلال . أما ذلك التلاحق المفض فلا ينبغي أن نعده كلمة حقيقية ودائسة بأرواب العمل بسبل كشكل مؤقت يتخذه الصراع الطبقي حين تلب الكفاحية العمالية إلى الاقتراب من نقطة الصفر .



يسوم مع الانتاج ؟ إذن فسوف يحولون بين الانتاج وبين النمو . وإذا تدور إلى  
ما دون مستوى معين ، فقد يخشى من اضطرابات ترمية ؟ إذن فسوف يعملون  
على ألا يتدهور أيضاً . يكفي ان يُبقوا الاقتصاد القومي في حالة أزمة جنينية .  
وأحدى النتائج القريبة لما يسمى بالثغور الحديدي هي ان الطبقات تنعكس في  
بعضها بعضاً : بروليتاريا مقاتلة مقابل طبقة للخدمة من ارباب العمل ، وبروليتاريا  
منهكة القوى مقابل طبقة كسول متوازية من ارباب العمل . وحتى يحمّد صناعيون  
الوحي العمالي اختساروا ان يعيشوا عيشة القنار . وهم يأملون في ان تعيش  
البروليتاريا من الداخل هزال الانتاج تحت شكل فاقة دم مستشرية . وبالعمل ،  
ويفضل هذه الطريقة ، تواجه البروليتاريا الفرنسية نقصاً في العدد وقيضاً طفيفاً  
فيه في آن واحد . فعندها ليس كافياً بالنسبة إلى اقتصاد يطمح إلى ان يلبى  
بالانتاج الكثيف جميع حاجات الأمة : وعلى هذا فإن المثلثية لتضي عليها  
بتنص التطور . لكن بالنسبة إلى اقتصاد يزعم انه حول نفسه إلى اقتصاد منعط ،  
لجأرف الطبقة العامة بأن يكون عددها أكبر مما ينبغي : والواقع ان الأزمة هي  
منظورة الوحيد والخوف من الأزمة بشرط كل شيء . والصناعة الكبيرة ،  
بأحاطتها نفسها بشاربع صغيرة بصفة صمام أمان ، تزعم بأن الكارثة على البرابنار  
والدولة ، وبالتالي في احتياطاتها ، تثبت عندنا هذه القناعة : لا مجال لتسلافي  
للك كارثة ، لكن من الممكن أرجاؤها بفضل الحيلة الدائقة . إذن فأملنا الوحيد  
هو إطالة أمد الجمود . بلينا ، هناك عمل للجميع ، لكن هذا لأن الأمة لفرض  
على نفسها تضحيات قاسية لتصلح البطالة . وسيكون العامل أول ضحية عندما  
سيطرأ ظرف غير مناسب . إذن فهو المستفيد الأول من الرعاية الحكومية . إذ  
يكفي ان تكف عن سد الطريق في وجه المنتجات الأجنبية ، حتى يجد نفسه  
على القارعة . وحتى عندما تسمح بدخول المواد الغذائية وحدها ، فيحصل  
الدمار بجزئنا ، ويأخذ الصلاحون طريقهم من جديد إلى المدن ، ويأتون  
ليضموا صفوف البروليتاريا في الوقت الذي ستكابد فيه الأسواق الصناعية من  
نتائج تدهور الأسعار الزراعية . وليس هذا كل شيء : بل ان الاجراء ما كثرت

ليجدوا عملاً لولا طيبة قلب رب العمل . ولو لجأ دونها مراعاة أو تحرس إلى استخدام اليد العاملة الأجنبية أو التكنولوجية ، لتعرضت الطبقة العاملة إلى خطر الانقسام نتيجة الشقاق والمراحة . ولو حسن طرائق الإنتاج من غير أن يزيد ، لتعرضت البروليتاريا إلى خطر البطالة التكنولوجية. إن العامل الفرنسي عاجل بالقوة ، وإذا لم يكن كذلك في الواقع ، فهذا بفضل حماية السلطات العامة والرأسمال الكبير . إذن فسوف يفهمونه أن اقتصادنا سيتدهر عند أبسط لسة . ويلضرب إذا شاء : فقد أحذر من انذر ، ولا مجال للشك في أنه سيخسر كل شيء .

يبقى أن يتعمق ، بأنه لن يربح شيئاً . ولقد أتت الماترونية بالمعجزات في هذا الصدد . ولقد تم وضع النهج عام ١٩٣٦ وهو ما يزال يستخدم إلى اليوم . فقد جاء في اتفاقيات مانتيفون<sup>١١</sup> أن الأجر الواقعية يمكن أن تتعدل تبعاً لسم متناقص يبدأ بـ ١٥٪ بالنسبة إلى الأجر الأقل ارتفاعاً ويصل حتى ٧٪ بالنسبة إلى الأجر الأكثر ارتفاعاً . والواقع أنه ليس من المستحيل أن ترفع الزيادة الكلية ، تحت ضغط الجماهير ، إلى ٢٠٪ . ولقد اقترحت الحكومة والتناقبات على أصحاب المعامل أن يعوضوا عن زيادة الأعباء بزيادة الإنتاج ، لكن أرباب العمل أصروا آذانهم . ورفضوا عسّن عمد الأسعار معتمدين على صراع صفائر النفوس من التجار وشكواهم من الفقر . وبين أيار وتشرين الثاني ١٩٣٦ ارتفعت نسبة أسعار المنتجات الصناعية وحدها ٣٦٪ . وقد استمر هذا الارتفاع طويلاً بحرية يانم . وقد ظل دوماً أعلى من ارتفاع الأجر . وفي شباط ١٩٣٧ صرح ليون بلوم نفسه في خطابه إلى الموظفين : « إن ارتفاع تكاليف الحياة منذ قناتية شهر يمثل الأسرة المحدودة الأجر أعباء أكبر من المكاسب التي أمكن للتدابير المتخذة في صالحها أن تكفلها لها » .

ومع ذلك اغلقت الدائرة ونظمت « دورة الأسعار والأجر الجهنمية » .

١١ - من الاتفاقيات التي عقدت في ٦ حزيران ١٩٣٦ بين أرباب العمل الفرنسيين وبيوت

الائمه العام للتشل . - ص ١٠٥ .

ويعني لهم سيورون لنا هذه الدورة وكانت قانون صارم للاقتصاد، لكن هذا  
 كتاب محض ، ولا وجود هنا لا لقانون ولا لدورة ولا لجهنم . والحقيقة هي ان  
 كتلة المداخيل الدالة للاستهلاك ، لا يمكن أن تزداد ما لم يتم الانتاج : فمعروف  
 ان آلة سك النقود لم تكن احدأ قط . اذن فتصحيح وضع الاجور لا يؤدي إلا  
 الى ثقل المداخيل : يبقى ان نقرر على حساب من سيتم إعادة التوزيع هذه .  
 لقد رأينا أن على رب العمل ، في النظام الليبرالي ، أن يقبل بلا مقاومة بالأعباء  
 الجديدة . أما في نظام الاحتكارات ، فسوف يبقى حساً على عائق المستهلك .  
 والمكسب هنا مزدوج : فالطبقات المتوسطة 'تعرض على البروليتاريا ، ويتحقق  
 مبدأ فرق تسد . كذلك فإن العامل يُضلل : فهو يمكن ارتفاع الاجور الاسمية  
 فإن القدرة الشرائية لا تتبدل في الواقع . كل شيء يتغير ولا شيء يتغير ، وما  
 ينتج باليمنى الى الاجراء ، تسرده اليسرى من جيولوج . وبعد انتصار ١٩٣٦  
 الشعبي ، لم يحتاج أرباب العمل الى أكثر من عامين ليميدوا القدرة الشرائية لساعة  
 العمل الى سابق مستواها عام ١٩٢٩ . ولقد تدهورت أكثر أيضاً في ظل  
 الاحتلال ، واليوم بعد عشرة اعوام من التحرير لم ترجع الى مستواها عام ١٩٣٨ :  
 إذن منذ ربع قرن من الزمن ، وبالرغم من المد والجزر والتنازعات الاجتماعية  
 الحادة ، لم تتحرك اجرة العامل الواقعية : فقد كفتت عن النمو مع الدخل  
 القومي ، ولن نستأنفه إلا معه . هذا هو الخطب الذي يسبب حيرة الشفيلة ولا  
 اعتقد اني اعينهم اذا شبهتهم بتلك الثيران العارمة بالشجاعة والتي تلتصق عشر  
 مرات على طيلسان مصارعها وتوقف على حين فجأة وقد خاب أملها لأنها لم تلق  
 سوى خديعة . إن العامل يفعل كل ما يوسعه ، ويجعل نفسه حرمانات كثيرة  
 ليكسب معركة الاشراب ، ويصل الى النصر منهك القوى ، فإذا به يشهد  
 ارتفاعاً عامساً في الأسعار يعيد الامور كما كانت . انهم لا يتركوت وسيلة إلا  
 ويستخدمونها لإقناعه بأنه أشاع جهده وتعبه سدى : بل إن الرفاعة تبلغ ببعض  
 أصحاب المعامل حداً لا يتورعون معه عن رفع اسعار المصنف الملتحق بالعمل  
 بسرعة حتى يتمكنوا من تطبيق التعرفة الجديدة في اليوم نفسه الذي حصل فيه

الاجراء على زيادتهم . وهكذا ، وبمثل ملح البصر ، يكونون قد قلبوا الموقف .  
 وبلا أزمة وبلا مجازر استغل أرباب العمل الكفاحية العمالية ؛ فليقد الماسل كل  
 أمل في الانتصار ، وليعمل اذا شاء على زيادة الاجور ، لكنه لا يكون قد فعل  
 شيئاً اذا لم يجاهر الأسعار ويوقفها عند حددها . بيد انه يعرف انه ان يوقف  
 الأسعار عند حددها إلا اذا استلم السلطة ، والطبقات الاخرى تبدو مصممة كل  
 التصحيح على الحيولة بينه وبين استلامها . فهل ينبغي ان نقول انت البروليتاريا  
 مقطوعة ، كما في ازمان الأزمات ، عن مستقبلها ؟ كلا ؛ لكننا رأينا ان هذا  
 المستقبل هو أولاً مستقبل الرأسمالية<sup>١٠</sup> . والحال ان مذعب الجور الاحتطاطي  
 هو الذي يعطي الزمن عندنا صفته المتناقضتين : التكرار والتراجع . والتكرار  
 هو الظاهر المباشر ؛ فالأيام تتوالى والتشابه ، وطوال ثلاثة قرون تفرق للأيشاء  
 ما كل ومسكن بفضل الماكل والمسكن الذين تفرق للأيام لكن لا شيء يتغير منذ  
 خمسة وعشرين عاماً ، وكيفية الطيرات الخمسة للتكاسم لا تزداد . وانما كان هناك  
 اناس يعيشون حياة أفضل فهذا لأن هناك آخرين يعيشون حياة اسوأ . ان لورودا  
 بكاملها نصفنا بالتح ؛ وهذا اليوم لا يمكن بالطبع ان يصيب البروليتاريا التي لا  
 تلك الوسائل ، على كل الأحوال ، لتكون نتيجة . لكنه لا يخص ايضاً الطبقات  
 المتوسطة ؛ فالشح كامن في النظام ، ولا ينبغي ان نرى فيه صلة قومية ، بل  
 ينبغي ان نعتبره موقفاً عاماً فرضه علينا سادتنا . ان البطل ، في بلدات  
 الرأسمالية المتقدمة ، حانت قروي عرضي لتفانفبه حركة الابدالات ، لكن  
 مالتوسيتا تثبط حمة التوظيفات ، وقال عندنا يلعب دوراً محافظاً للعباية ؛  
 فطالما انه لا يوظف في المشاريع الجديدة ، فإنه يجرأ في اعتدابه نحو اقدم المشاريع  
 ونحن نخاف من المجازفات لأنه يجمال بيننا وبين ركونها ، فيقتني بنا الأمر الى  
 كره كل ما هو جديد . صحيح اننا نحافظ على كل شيء ، ونتمسك به ؛ لكن هذا  
 لأنهم ، يفير كون ، لنا مستقبلاً هو نسخة طبق الأصل عن ماضينا . ان الاميركان

١٠ - بكل بساطة لأن المشروع القروي - شأن المشروع الاسلامي - يتطور ضمن إطار  
 رأسمالية الزمن .

يرمون بالشئ، فيسئل ان يستعملوه ، ففسدوا سكون المنتجات الفضل بأسعار أرخص . اما عندما فالضاعة لا تقع لوجبتها ، انما سترداد كلفتها ، هذا كل شئ ، فكيف ندعش بعد هذا إن وجدنا السكن الفرنسي يشبه عشي العطق السراق ؟ فساتين امراس ، ذات مهترنة ، قبعات بالية ، قنان فارغة ، شرائط مزقة ، علب مهشمة ، شيوخ : إن في خزاننا ما فيه الكفاية من الآثار لإعادة احياء تاريخ نصف القرن الأخير<sup>١١</sup> . ويبدو اننا نريد بأي ثمن ان نملك بعض يتفخ : لكن هذا لأننا ضاللون من القد .

ان هذه العودة الأبدية لتحتي الخطايا متصلا : فضل شئ ، يجرى ، ولا نستبدله بغيره إلا بتغير شديد ، وتلجأ ما أمكننا الى رثته ورفته . والبلاء تتعفن من أساسها : دور قديمة في مدن قديمة ، أجهزة بالية في مصانع قديمة ، أراض قديمة وروثيات قديمة ، سكان استبهم العظمى من المسنين ، وأطفال يشيخون قبل الأوان ، أطفال مسنين . وأثناء ذلك ، تصيب البلدان الأخرى ، التدفئة في مغارة هائلة ، أسوارها الفولاذية من حولنا .

ان هذه الأسوار هي التي ترتفع بالطبع : لكن كل شئ يجري كما لو أننا نحن الذين نهيط . نحن بتغير كل شئ ، فلا بد ان تتغير حتى نفوسنا كما نحسن : واقتصادنا برغبتنا في البداية في ألا يتغير بولد موته الخاص ، وهذا الموت هو الذي يصبح مستقبلنا : فهم يكررون على مسامعتنا برمياً ان عظمتنا تقف ورائنا واننا نبتعد عنها باطراد برمياً ، واننا نبتعد عنها باطراد برمياً ، أن عظمتنا تقف ورائنا واننا نبتعد عنها باطراد برمياً ، ويتفقون بما لست أنزري أي حياة عذبة لم تعرفها ، وربما عرفها آباءنا حين كانت الآلات جديدة . اننا نعيش زمن اللامة والحسرة . وما قرلنا إلا حنة الجنونة<sup>١٢</sup> المتقلبة فوق زوجها الجميل اللحن . لقد سقط الفكر البورجوازي في الزحمة التلويزية . فهو يعجبنا ان يتكلم عن أوروبا ، ، ألقاط القدر ، وبتشبا بالطرفان

١ - يوم رجة الاب يعرج ( كلن كرس حياك لحمة العمال والفراد - ١٩٥٥ م ) ( ١٩٥٥ م )  
 روزان حين فجأة حظام معجب ، بطايات ، أجهزة تعلقة ، ملابس قديمة - فتح .  
 ٢ - ملكة لثلاثة بين ١٩٥٤ و ١٩٥٥ - ( رجة الارشيدق النمساوي فيليب الجميل ، وأم شارل الخامس - ١٩٥٥ م )

لعين ليست هذه سوى طريقة لتغطية رغبتنا في الموت بسلام : الطوفان ؟  
أجل ؟ لكن من بعدنا . اننا نجس الحيوان ؟ ونفحص حالة السوف : انها  
تتصد حتى الأرواح النهائي .

ان الطبقة العامة للعمل وتحارب في هذا الجو الوهن التباطؤ المعزاة . انها  
ليست بالسهلة ؟ والشغلة لم تسر اليهم عمودي الرغبة المحزنة في الموت بسلام لانهم  
مخربون من الحياة بسلام . لكن كيف يتكلم الأبرار مستقبلهم الخاص في  
هذا المستقبل الثقيل الرطب ؟ اللقيء بالتفكر الذي يعد لفرنسا اليوم ؟ لقد كان عالم  
العقل اليهودي عالم التكرار دوماً ان كثيراً وان قليلاً . ولقد كان العامل يحافظ  
على الأمل ؟ في فترة الازدهار ؟ على الأمل في تحسين مصيره . وكان البسوس  
والحق يدفعان به على الأمل ؟ في فترة الأزمة الحادة ؟ الى اطراح الحمل الذي  
ينوء تحتها وإلى محاولة الثورة . لكن كل شيء يتأخر اليوم على إقناعه بأن مصيره  
لن يتغير مما يفعل . بل انهم يذهبون في حسن الالتفات والرفق الى حد يشرحون  
مع له الموقف عدة مرات في اليوم الواحد : ماذا ينتظر ؟ ألا يعرف ان الدخل  
القومي جاسم آمن ؟ بليناً ؟ ان الجميع راغبون في توزيع أعداد الضخيرات ؟  
وكبار أبواب العمل على استعداد ؟ من حيثهم ؟ لتسلم له ببعض الترضيحات :  
لكن هذا ما لا يمكن فعله مع الأسف بدون إلحاق الدمار بصدور ارباب العمل .  
أو ليس هم ؟ هم أيضاً ؟ حق في الحياة ؟ والنتيجة : لن يتحرك شيء ، ولا يمكن  
لشيء ان يتحرك . فما الداعي لأن تكون البروليتاريا ثورية ؟ لو فطنت ذلك  
حسرت شيئاً ما . وما الداعي لأن تكون اصلاحية ؟ انها لن تريح شيئاً . ان  
العامل لا يسلط في هذين القضيتين : لكنه لا يستطيع على كل حال ان ينع نفسه  
من قياس مدى حيزه . لقد قلت سابقاً انه ما يزال يؤمن بالثورة : لكنه لا  
يفعل شيئاً سوى انه يؤمن بها مجرد إيمان . انها لم تعد مهمته اليومية ؟ ولقد فقد  
يقينه المتكبر بأنه يتراب ساعتها بجهوده . لقد كان في السابق يرى في العسك  
الغزاة دوماً لا انتصاراته المحلية دليلاً على قدرته على العالم . لكن الماتوسية ؟  
بثلاثها اسلحته ؟ جردته من سيطرته على الكون : لقد برهن انه لا يخشى لا ارباب

العمل مهيباً كانوا قساء ، ولا الدولة ، ولا قوات الأمن . لكن عبوه الرئيسي كان بلا وجه وبلا جسم لا يتوصل إلى الإنسائك به : الشعور . لقد أنشأت الثورات خلال العشرين عاماً الأخيرة ، شيئاً فشيئاً ، مفهوم « الحد الأدنى الخيري » ومفهوم « السلم المتحرك » : ولقد شاء البعض ان يرى في هذه الأفكار تقدماً أحرزته الحركة العمالية . لكن هذه الأفكار لم تولد ، على العكس ، إلا من اللاتينية : فبصيرة اقتصاداً يرغم العامل على القتال للحفاظ على رامن الأمور . وهذا ما يسمح لنا بأن نفهم بصورة أفضل لغوره الرامن من التظاهرات السياسية . ذلك أن الأهداف السياسية والاجتماعية للبروليتاريا تقدمية من حيث التعريف : فحين تكون البروليتاريا قادرة على فرض ارادتها في المضار الاقتصادي ، تولد العمل السياسي من تلقاء نفسه : فهو دلالة للتقدميات المتجزئة في النضال اليومي . لكن حين يشعر العمل النقابي ويراوح في مكانه ، وحين يتكون العامل متكرهاً على النجاة موقف دفاعي ، فان الغايات السياسية تنفصل وتتسامى عن الغايات الاقتصادية ، وتجازف بأن تظل معلقة في الهواء : وعلى وجه التحديد لأنها مواقف متقدمة ، يرو إليها العامل من بعيد كأعمال او امنيات ، لكنه يظل مقطوع الصلة بها كلياً ولا يعود يجد الدروب التي يمكن ان تقره منها . انهم يرونه على مد نظر تكرر اعماله والعباه . واذا ما أصر على ابقاء الثورة في أبعاد الأفاق ، فكيف يمكنه ان يتخيل انه بعد طا العدة ؟ ان العالم يتغير وفرسا لا لحرك ساكتاً : فتتعاامل البروليتاريا الفرنسية إن لم تكن قد سقطت خارج التاريخ . في الصين يشاد مجتمع جديد ، وفي الاتحاد السوفياتي يرتفع مستوى الحياة ، والعامل عندها يطلع على هذه الأنباء بشارع خلفه معتدلة ، فهي تحرك شجاعته لأنها تبرهن له ان التقدم الاجتماعي ممكن ، وتخط من معنوياته لأنها تبصر وكأنها تشير الى أنه ساكن في مكانه لا يجيد عنه ، منفصل عن رفاقه الروس والصينيين بسافة لتعاظم باستمرار ، وان الخلاص ، اذا ما جاء قط ، فسيجيء من الخارج . وسوف تعود الى هذا الموضوع ، لكن لتتذكر من الآن ، اذا كنا نريد ان نفهمه ، ما كنا نشعر به في ظل الاحتلال ، حين كنا نتظر ان يريح الحلفاء بالنيابة عنا

عربياً لم تكن تلك الوسائل لربحها مهم<sup>١١</sup> . وهكذا تسبح الاشتراكية  
 للالتوسية لأرباب العمل بالمحافظة على المبادعة : فالاقتصاد الأنطاطي يتحكم من  
 الخارج بالممارسة العمالية ، ويرسم لها على نحو اجوف عملياتها الممكنة ، ويحدد  
 صلتها ، ويحدد من مدافعا ودلائها . وهو الذي يبرر أخيراً القيادات والحوالات  
 لتصر . وما إن يلقزم الشغل بهذا العمل ، المبرك ، سلفاً ، حتى يطبق عليه  
 كاشته : فيجهد نفسه حياءً في نطاق مصطنع يفرض عليه طريقه وساره وآفاقه .  
 وعلى هذا فإن فتور عمه البروليتاريا هو نتاج للنتاج الصناعي بدون . انه يعبر  
 ذاتياً عن الحدود الموضوعية التي تفرضها بنية الاقتصاد على الممارسة .

٢ - اللاتوسية إذن تزيد أن تتمكن من العامل عن طريق إدارة قرفله .  
 لكن هذا غير كافٍ أيضاً : إذ ينبغي ان تفرق حق تسود .

لقد بين مارشال ان عدد الاضرابات ، بين ١٨٩٠ و ١٩٣٦ ، يزيد او ينقص  
 مع زيادة الأنتاج وتقصانه . لكنه كان أول من كشف النقاب عن الاستثناء  
 الجدير بالاهتمام : فبدأ من عام ١٩٢٠ الخفض عمدة الاضرابات ونسبة نجاحها  
 المتخافاً ملحوظاً . لكن اقتصادنا ظل حتى عام ١٩٢٩ في حالة ازدهار . وهذه  
 الواقعة تفسر بالانشقاقات العمالية وهذا ليس بالتفسير الحاطوره . لكن هذه  
 الانشقاقات ، من أين جاءت ؟ يقال لي : آه امن الحرب ، من الحياة  
 الاشتراكية ، من الثورة الروسية ، من كل شيء باستثناء اللاتوسية التي لم تكن  
 قد وضعت موضع تنفيذ حين ظهرت تلك الانشقاقات . هذا صحيح : فتعدد  
 الاتحادات النقابية سابق في التاريخ على الجمود الصناعي ، ولقد وجد مائتاً ومائتين  
 البروليتاريا منسومة الى تسعين . لكن من يثبت لنا انهم لم يستغلوا هذه الفرصة

١ - كان هناك ، بالتأكيد ، القارمون ، ولا اظن احداً يتصور اني اخل من امية عليهم .  
 وكانت هناك أيضاً مقاومة الجماعير الدالية اللانظرية : وهذه كلها امور توحد بين الاعتبار .  
 وهناك اليوم الحزب الشيوعي وسائفو النقابات ، وهناك وزن الجماعير الضخم والعمل الذي يمارسه  
 عن بعد ، حتى لو كانت هائلة ، على مختلف الأوساط الاجتماعية . لكن القارومة رامت من عزيمتنا  
 العسكرية . والمنظمات الحالية البروليتاريا استمد صفاتها الرئيسية من الجزر القومي للتغيير الهديماً  
 مع اللاتوسية .



الى أقصى الحدود ولم يخلدوا حالة مؤقتة بموقفهم الانتاج ؟  
 ان البروليتاريا للتسلية هرباً في الفترة السابقة للحرب العالمية الأولى هي  
 نتائج الآلة البخارية . فقد حلت هذه الآلة محل العضة ، لكنها لم تكن قد حلت  
 بعد محل المهارة . كانت ما تزال بمد في حالة تبعية : كان لا يسد من رغبتها  
 وتنظيمها وتوجيهها ومراقبتها . ان الحفرط المتوازي يعني العامل عن تحريك  
 أدواته وعن وضعها على القطعة المطلوب قصها : لكن يبقى عليه ان يمد العدة  
 للعملية ، ان يثبت وضع القطعة ، وزوايا القطع ، والسرعات ، الخ . والحفرط ،  
 بنواقضه بالذات ، يحدد الحرائط : فهناك وجهه خاصة تعجز الآلة عن قصها  
 ولا يمكن الحصول عليها إلا بالعمل اليدوي المتجز بواسطة أدوات مساعدة .  
 إذن فالعملية ، وبالتالي العامل ، يحافظان جزئياً على الصفة اليدوية . والانسان  
 الذي تتطلبه الآلة إنما يستمتع بالمتعة : فهو يوفر له المعرفة الحرفية والخبرة الفنية  
 عن طريق تدريب يتدرب به عدة سنوات . ثم تصطبى المراحة الأخيار : أي أولئك  
 الذين يدلون على البراعة والدقة والمهارة الجسمية والميادعة . لكن تكوين عامل  
 مختص يكلف غالباً : وفي نظام الرأسمالية السيرية يقع على عاتق الأهل قسم  
 الأسخبر من التكاليف . والفلاحون الذين يهجرون أراضيهم وأبنائهم العمال غير  
 المختصين لا يملكون ، في غالبيتهم ، لا الوسائل ولا الرغبة في التدريب<sup>١١</sup> .

وهكذا فإن متطلبات الآلة تفرض حتى نطق العمال الواجب تجنيدهم لها :  
 فالعمال المحترفون هم أبناء عمال محترفين أو أبناء صناع . وهذه الأستقرابية  
 تشمل على بعض حدبني التعمه ، لكن الدخول بها لا يكون بالدرجة الأولى  
 إلا عن طريق حق الولادة . يقيناً ، إن العامل المصطفى مستقل شأنه سائر  
 رفاقه : لكنه يختلف عنهم لأن كفاءته تسميه وحده لتسيير آلة من الآلات .  
 إذن فهو المنتج من حيث التعريف . ولما كان عاملاً رئيسياً في عملية تحويل المادة

١ - انظر جورج فليل في « أعمال » للمصاحب التي كان ما يزال يلاحظها حوالي عام ١٩٢٠  
 ان العامل غير المختص يحرقه . فقد اضطر هو والثنان من أخوته الى الهجرة الى الفش حتى  
 يصبحوا عمالاً محترفين من غير ان يربوا برعاية للتدريب .

النتاج مصنوع وشاهداً رئيسياً عليها ، فإنه يمي ذاته من خلال إنشاء الشيء  
الغامد . والتدرب يمثل بالنسبة إليه شيئاً أهم بكثير من مجرد تكوين فني : فهو  
يرى فيه زيادة ثورية وحلماً انتقالياً ينتج له منفذاً إلى طائفته وإلى العالم العربي .

والآلة هي التي تضمن أيضاً وحيدة زمرة العمل ، أو تضمنها بالآخرى  
العملية المعقدة والتراكيبية التي ينفذها المهني بواسطة الآلة وبمساعدة شعبة آخرين .  
وفي مطلع القرن كان العمل الميكانيكي الذي يعمل فيه فرضاً مئة عامل ، يضم  
عشرين ميكانيكياً ، اجتازوا فترة السنوات الأربع من التدرب ، ويحققون  
جهودهم على التركيب الميكانيكي ، وستين خراطاً وثقائياً وقرائناً ، وكلهم من  
العمال الماهرين الأكفأ لكنهم يعيشون عن التمتع بما يتمتع به الأواقل من خبرة  
وتكوين ، وأخيراً عشرين عاملاً غير مختص يعيشون بعيداً عن الآلات ولا  
يشاركون البتة في صنع المنتج . والميكانيكي يوجه آتته ورجاله في آن واحد ؛  
فهو يسمي العمال النصاب المختصين « مساعديه » و « مشغلوهم » في عدة أعمال  
لحسابه . والعمال غير المختصين أيضاً يخضعون له : وهو يعهد إليهم بالأعمال الخفيفة .  
وهذا التسلسل التكتيكي مدعوم بتسلسل الأجور ، فالخريف يكتب بصفة  
فرنكات عندما يكتب غير المختص أربعة فقط . وفي ذلك العصر كانت اسم  
« الجماهير » قد بدأ يطلق على الطبقة العاملة ولم يكن ذلك صحيحاً : فالجماهير  
متجانسة وجمعية الشكل في حين أن بروليناريا ١٩٠٥ كانت عميقة التباين ، وكان  
لتسلسل العمل والأجور يتعكس بتمامه على الصعيد الاجتماعي والسياسي . إن  
تجميع العمال غير المختصين أنفسهم لا يمكن أن يكفي لتكوين « الجماهير » وفقاً من  
قريب التجريد يخلصون عن سائر العمال ، إذ إن كل واحد منهم مرتبط برفاقه  
في الورشة أكثر من ارتباطه بسائر العمال غير المختصين في المصنع وفي المدينة .  
والحق أن الطبقة العاملة مؤلفة من عدد كبير من الأنظمة التسمية التي هي عبارة  
عن مجموعات متلاعبة البنية تدور حول آلة . وفرق العمل هذه تتصل فيما بينها  
من فوق : إذ إن شكل الجهاز التقني يحدد يتكون الطبقة العاملة ، وفي عام  
١٩١٢ كانت فرنسا تضم أكثر من ستة ملايين عامل يدوي ولم يكن الألمان

العام للشغل يضم أكثر من ٤٠٠.٠٠٠ منسب . ومع ذلك كانت الاضرابات تقاد بصرامة ورحمة ، وانضباط ، ولقد رأينا انها كانت تنجح في غالب الاحيان ، وهذا يعني ان متاضلا واحداً يكفي بشكل عام ليجر خلقه خمسة عشر عاملاً من غير المتدين الى النقابية . وفي النضال المطالب يحتفظ المختصون بالقيسة التي يتمتعون بها أثناء العمل . ليس جميعهم بالطبع ، باعتبار انهم ينتمون الى النقابية بنسبة واحد الى ثلاثة : اما على وجه التحديد أخيارهم ، من كانت لهم الشهادة على ان يتقنوا انفسهم ثقافة عامة وعن يجمعون بين الارادة الثورية وبين أقصى وهي لشرط العمالي . اذن فع الآلة البخارية لتجاوب برويتاريا متسلسلة تنتج بدورها نقابية تتوجه الى اطارات ، وتتخذ من الورشة قاعدة لها ، وعن المنصع ميداناً للحرب ، ومن العامل المصطفى متاضلاً .

ويبدو أنه كان زماناً جيلاً : فأرواحنا الرحلة قد اكتشفت النقابية الثورية ، بعد ربع قرن من موتها ، وهي لا تكلف عن إظهارها في وجهتنا كمنشئ : ففي عصر مؤثر اميان الذهبي لم يكن للبيروقراطية وجود ، وكان الجهاز النقابي ينتج مباشرة عن البروليتاريا ، ويظل مقيماً فيها كجزء مبدأ باطن لتنظيم ، وكان العمال يتولون بأنفسهم حماية المصالح العمالية ، وكانوا يناضلون بدون أن يتركوا الورشة ، وبالتسالي بدون أن يتنظموا عن الاحتكاك بمشكلات المنصع العميلة . والواقع ان قيادة أركان الاتحاد العام للشغل البرغسونية كانت تجعل من نفسها بطة المعنوية : فتارة كان يملقونه بنفسه بـ « رابطة سرية » تجمع بين المنظمات العمالية وطوراً كان غريبه يبعده العمل العفوي والخلق ، للنقابية الفرنسية . وخلاصة القول ان الأنا النقابية كانت تفرس جذورها في أنا البروليتاريا العميلة . وكان الصراع الطبقي ، قبل الحرب العمالية الأولى ، له طابع لا أدري ما هو .

وبالطبع كانت هذه اقوالاً لا طائل تحتها : إذ ان الاندفاع الجيسوي للطبقات الشغيلة كان يغني ورامه دكتاتورية الشغيلة المخرقة . وكانت الانلية القاعة ، تحتقر ما سمته بـ « الجمهور » وقتلت الديموقراطية . يقول لاغارديل :

« ليس الجمهور التليل والتخلف هو الذي سيؤدي رأيه هنا ، كما في الديمقراطية ،  
 قبل الشروع بالنضال . وما عاد العدد هو الذي يصنع القانون . لكن قد نجية  
 قاعة لتكون « نجر بفضل ترحيبها الجمهور خلقها » ، وتوجه في دروب المعركة .  
 وهذا معناه بعبارة اخرى : ان الفئة « العليا » من البروليتاريا تأخذ على عاتقها  
 العمل لتحقيق مطالبها الخاصة ومطالب الفئات « الأقل حظاً » . وهذه النخبة  
 تزعم انها وحدها المؤهلة لإدراك غير الجميع ولا تسعى الى فهم اللقاومسات  
 الشعبية بقدر سمها إلى تحطيمها . ولن اكون ظالماً فأقول إن هؤلاء المصارفين  
 المدهشين قد خالفوا طبقتهم : فهم إذا كانوا قد ارتلوا في رفاقهم لذلك لأنهم كانوا  
 يشكون في انهم مستترون كالغتم أكثر منهم ثورين . ولهذا كان مهم الدائب ان  
 يرفقوا مصالحهم مع مصالح غير المختصين ، ومثل هذا التوفيق يمكن بالغ الصعوبة  
 في البداية على الأقل ، في بسلك مزدهر يسق طريقة الى التصنيع . لكنه اذداد  
 صعوبة وندرة في الأحوال الأخيرة من فترة ما قبيل الحرب . فلتضال العمال  
 وجهان : فهو بالنسبة الى الأقلية القاعة تجربة عينية وامانة تحرر . اما بالنسبة  
 الى الغالبية التي تسير في ركاب الأقلية فيظل في غالب الأحيان أمراً مجرداً .  
 وحسين يجر المناضلون العمال غير المختصين الى عمل « مطالب » ، يمكننا ان نقول «  
 مع ارواحنا المرهفة » ان الطبقة العاملة قد التحت في العمل وان وحدها تظل  
 محاربة وعلازمة لها . اما في الواقع ففسد كثيرا يجدون أنفسهم مضطربين أكثر  
 فأكثر الى التضال على جهتين : ضد رفاقهم وضد أرباب التصنيع . لكننا نجد  
 مع ذلك في القمة قبضة من المناضلين يشتمون بنظرة ارحب والشغل « وسعون  
 انفسهم باعتداه » اقلية قاعة : لقد اتخذوا هدفاً لهم حماية المصالح العامة  
 للطبقة ضد خصوصية النخبة . لكن هذه الأقلية تسير في عكس التيار عندما  
 تحاول ان تهدي المحرفين والمختصين وتزدهم الى تقاية الصناعة وإلى التمرکز .  
 ذلك ان الأرستقراطية المسبالية تظل بعيدة لـ « الادارة القوضوية » ولتقاية  
 الحرفة . ولقد كان من هم على شاكثة بيلغونييه ويوجيه وميرهام وموناتي سيخسرون  
 المعركة لولا تحول الصناعة للقاحين .

في عام ١٨٨٤ ظهرت أولى الهولت العملية . وبعد عشرة أعوام باتت الحركة الكهروضوئية يزاحم في كل مكان الآلة الحرارية ويتيح المجال أمام انتشار المكنتنة : وهكذا أدى التقدم التكنيكي الى تقليل حصة العامل في الصناعة شيئاً فشيئاً ، الأمر الذي أدى بدوره الى تدوير العمل اليومي تدريجياً . ان الحرط الجديد ينتج الحرارة من الجدد : فهو لا يحتاج إلا الى تدخل طفيف من طرف العامل ينتقل من تلقاء نفسه إلى آليات التنفيذ . وعلى حين غرة ، وبين العمال الميامين والعمال إنصاف المحترفين ، تم اكتشاف ذلك المجهول ، العامل نصف المهتمن الذي يستم الآلات كما لو أنه محترف والذي يؤدي عمله بسلا لتدريب<sup>(١)</sup> كمعامل مياموم . والواقع انه كان موجوداً من قبل لكن لم يلحظه أحد : فمن أين أتى ؟ من كل مكان : فهو أحياناً قروي وصل لتوه الى المدينة ، وهو في غالب الأحيان عامل مياموم سابق في صناعة أخرى . ومنذ ١٩٠٠ ، في سانت - إيتين ، وفي بعض ورشات ، معمل الأسلحة ، كان يحدث ، ان يوجد ٥٠ ميكانيكياً بين ٢٥٠ عاملاً ، وكان هؤلاء العمال يعملون سابقاً في المناجم أو في الحياكلا<sup>(٢)</sup> ، وكنت بين أيديهم آلات متقنة تعني عن العرفة المهنية<sup>(٣)</sup> . وكان هؤلاء القادمون الجدد ما يزالون يشعرون بالوجع والتعب : فهم لا يتكفون لا الوقت ولا الإرادة ولا القوة لتنظيم أنفسهم بفردهم . إنما طلبوا من النقابة المحترفة والمناصرة مساعدتها . ففي ١٩١٢ ، وفي مؤتمر الحياكلا الاتحادي ، نسب ميرهام الكلام التالي لأحد عمال تطويق المادن في منطقة الأيست : « كيف تريدوننا ، نحن عمال التطويق الماسكين الذين يعودون الى بيوتهم مساء متعبين ، أنت نهم بالنقابة ؟ وأولئك الذين يمكنهم ان يشعروا بها ، أقصد العمال التكنيكيين ، قد أنشأوا نقابات حرفة » .

إن مطالبهم ، كما ترى ، متواضعة : وإذا كانوا قد طالبوا بحق الانتساب الى

١ - أو بعد تدريب قصير الأمد للغاية .

٢ - كانت المكنتنة متقدمة جداً منذ تلك الحين في صناعة النسيج . والحياكلام عمال الصاب محترفين انتقلوا من العمل في الآلي إلى أخرى .

٣ - نقل عن كولين : « روح النقابة » - ١٤ .

المنظمات التقليدية ، إلا أنهم كانوا عازمين عزمياً أكيداً على تعويض النخبة  
 بصلاحياتهم بأسرع ما يمكن . لكن النخبة لم تأبه بهم : اتساق وقت تدافع  
 بشراسة عن التقاية الأرستقراطية وتحميها من القادمين الجدد . ولقد آثر الحواد  
 النيكاليكيين في عام ١٩١٠ ان يترك الاتحاد العام للشغل على الاندماج بمجال  
 التعدين والسبك لتكوين اتحاد صناعة . وفي عام ١٩٠٠ نجد ٥٩ نقابة صناعة  
 مقابل ٣٩ نقابة حرفة ، وفي عام ١٩١١ نجد ١١٤ مقابل ١١٤ : اذن فالنسبة لم  
 تتغير . وأثناء ذلك ، ترك العامل نصف الخنص يواجه بلا تجربة نقابية وبسلا  
 ثقافة سياسية دعائية أرباب العمل والسطهادهم . وسوف استعرض السمات الرئيسية  
 لهذا البروليتاري الجديد ، الذي ولدته على حين فجأة الآلات الحديثة والتقنيات  
 المتطرفة<sup>(١)</sup> .

إن إيقاع عمل ، العهد في المكاتب بدلالة مختلف العمليات التي يجري تنفيذها  
 في الحين نفسه في الشروع ، يفرض عليه كثرة عبوة وبسوسة من الخارج . ولا  
 يعود تلبية الى ما يتفقه من قوة عضلية بقدر ما يعود الى قوة عصبية مستمرة والى  
 جهد دائم لتلائم مع الشروط المحددة سلفاً . وعندما يأفل النهار ، يكون هذا  
 التعب قد التصق بجوده ، ورافقه حتى في سباته ، ثم في بظفنه . وهذا الكلال  
 المزمن يصبح طبيعة ثانية والكيفية التي يشعر بها يصعبه . انه منقوش في وجهه ،  
 في مشيته ، يحد من قدراته ، ويجعل منسه ، بالمعنى الحقيقي للكلمة ، انساناً  
 ناقصاً .

وخطة العمل تؤدي الى تدهور قبعة المعرفة . فأرباب العمل لا يجتهدون ان  
 يتكثف العامل ، ولا ان يكون بخاسة ذكياً : فالذكاء ينسر بالمرود باعتبار ان  
 العامل نصف الخنص والآلة يختلفان فيما بينهما اتحاداً شديد التماسك لا مفر معه  
 من تشبيه التفكير عند الأول يعطى وثلق في الثانية . يسعد ان الغلة السكامة  
 مستحبة : فالتهرب والقسبان لا يفلان ضرراً عن الفكر الصافي . اذن فعمل

(١) - يعني اننا لا نهدف هنا الى اجراء محاكمة الآلية البدائية ، فهذا امر لا طائل منه ، انما  
 نريد ان نبين ان هذه الآلية البدائية في إطار الانتاج الرأسمالي .

العامل ان يكون حاضراً ، ان يكون احتراساً بلا مضمون ، وعبساً أسيراً لا يحافظ على يقظته إلا ليحذف نفسه عن نحو أفضل . لكن اذا كان العامل يكفئ رأسه من فكره ، فهذا ليسح فيه مكاناً لفكر الآخرين : فنذ ان كرس التقنين الطلاق بين التصور والتنفيذ ، والعامل يجعل معنى أفعاله . فهي تسرق منه ، وتشرط من الخارج ، وأيضاً في هدفها ومدادها بالتبابة عنه . وفي الوقت الذي يجعل فيه من نفسه فاعل الانتاج ، يحس بأنه منفعل . وفي اعنى العملي ذاتيته ، يشمر بأنه موضوع . انه يبذل قصارى جهده ، هو المتراطيء بغير ارادته مع رب العمل ، ليس للظلم الذي تعلمه لأن المعرفة قد ترجع اليه شرطه الذي لا يطاق . ويلتجئ الى السلبية لأنه حرم من كل مبادئة . وطالما انه مجرد من فكره ، فكيف يمكنه ان يعرف ان الافكار هي من نتاج الانسان ؟ وهو بالتالي يتود نفسه على ان يرى في النظام الذي وطده التكنيكيون تسراً خارجياً هو أول ضحاياه . والتاريخ الاجتماعي التقنين يتلخص في حيفتين . ففي نهاية القرن الماضي كان تايلور يقول للعامل : « لا تحاولوا ان تفكروا » . فسيقول آخرون ذلك والتبابة عنكم . . وبعد ثلاثين عاماً كان فورد يقول عن العمال : « انهم لا يجنون ان يفكروا وبالاصالة عن انفسهم » .

ان مكنته العمل نشوء العلاقات الانسانية . فقبل ١٩١٤ كانت البروليتاريا عبارة عن تروا<sup>١١</sup> : ولم تكن هذه البنية الاسترطابية تستبعد لا التضامن ولا ترابطاً بين انسان وانسان يشبه على نحو مبهم لبيعة الاقطاعي الصغير للأسير . لكن تضامن العمل لم يمد قاتلاً بين العامل نصف المختص وبين « النخبة » . فقد كان المهترف يحدد لقيامه مهمته . اما مهمة العامل نصف المختص فإنها تحدد من قبل رجل المكاتب . انه يحدد لها من بعيد والجميع ، من غير ان يرى انساناً البتة : إن العامل نصف المختص ليس له من صلة اليوم إلا بأعماله من العمال غير المختصين . وعلاوة على ذلك فإن الآلة تضع بينهم صلاتها : فكل واحد منهم

١ - معلوم ان التروا هي مجموعة لجرم شجارورة ومنفصلة عن بعضها بعضاً بلغات البنية ، والشكل شكلاً يسمى بالبرج . - ٢٠٤ -

يدرك وجود جبراته تحت شكل ايقاع جماعي عليه ان يتلام مع . والأخر  
يظهر مع التأخرات أو الاخطاء أو الاختلالات : ان الشخص في العالم الميكانيكي  
غلطة تؤدي الى نقص في الربح . والآلة نصف الآلية هي غير اداة لتنفيذ عملية  
التحويل الى كراسة : فهي تلعب بنى البروليتاريا الباطنية ، ولا تبقي إلا على  
جزئيات متجانسة منفصلة عن بعضها بعضاً بوسط حامد عادم المرونة .

إن العمل الجزأ ، بعزله العامل نصف المختص عن رفاقه ، السابريه الى  
قائه . لكن هذا العامل لا يجد في ذاته غير مادية عامة وشكلية : كما يفعله  
يستطيع كل إنسان ان يفعله ، اذن فهو كسائر الجميع ، ومسا وائمه الشخصي  
غير سراب . بيد ان لغة حاجات أسرة ملهنا تعود به الى ذاتية الرغبة والآلم  
الخالصة : فالجوع والوجع والتعب تدفع به الى تفضيل ذاته لكن من غير ان  
يبرها . لم انت لا انا ؟ - لأضي أنا - ومن انت ؟ - أما كانت . ان الذاتية  
غير القابلة للتبرير تدخل في نزاع مع قابلية الاستبدال الموضوعية . وينجم عن  
هذا النزاع على الصعيد الفردي شعور عميق بالنقص والذموية . وعلى الصعيد  
الجماعي يولي زمان الاشكال الكلاسيكية للنضال المطالب : ظهور اولئك  
الشعبة غير المتمتعين بقيمة ، والقابلين للاستبدال بغيرهم ، والتسلط عليهم  
خوف البطالة ، يهدد بأن يجعل الاضرابات معدومة الفعالية .

والفعل ان الشيء المحسوس في البداية ليس هو ارتقاء عامل مجهول يقدر ما  
هو تصفية العمال القدامى . فالميكانيكيون الذين ألفت بهم أزمة ١٩٠٦ على القارة  
لن يدعوا من جديد . وفي عام ١٩١٣ ، أثناء اضراب مصانع رينو ، حدد  
انصاف المختصين زمناً أطول من الآخرين ، فقد كانوا يعرفون انهم غير قابلين  
للاستبدال بغيرهم وأن رب العمل لا بد أن يسلم في النهاية . ولم يسلم رب العمل ،  
بل استبدلهم بآلات وعمال غير مختصين للمرة . ووضع للجميع أن زمن العامل  
المحترف قد ولى . بيد ان العمال انصاف المختصين ظفروا بشكائهم بينا يفتتلتقافية  
لحميا حياتة شبه خاملة ، خائفة المنوبات ، محرومة من سلاحها الرئيسي . ولم  
يعد لدى الناشئين القدامى ما يقولونه لؤلؤ الرجال الجدد المقتربين الى التقاليد



والى الماضي . ثم على حين غرة ، في آب ١٩١١ ، فتحت الحرب عيون النفايين : فاكثفوا الجماهير . ولقد كانت المفاجأة مؤلمة حين رأوا هذه الجماهير تخرج من الأرض صائحة : « إلى برلين ! » . أحشرون عاماً من العناية للوصول في النهاية الى سورة الجنون هذه ؟ وبلسامل مناضل : « ما بقي من عملنا ؟ ما بقي من مهربنا ؟ ضد الحرب ؟ » . يقول آخر : « في قاطرة لشحن الحيوانات ، ومع رجال آخرين بصرخون ، الى برلين » . أحست بإفلاس الاتحاد العام للشغل ، بإفلاس المرثيين ، بإفلاس البلاذ الفكري . . . ويقول ميرهاج : « كانت الطبقة العاملة قد حركتها موجة هائلة من الفزعة القومية » . ويقول موات : « لقد مرت الموجة وحملتنا معها » . كانت الجماهير ، المجهولة ثم المكتشفة على حين غرة ، تتطلب إنشاء نقابية جماهيرية ، وحزب جماهيري ، ودعاية وابتدولوجية جديدين . واكتشفت النفاية الثورية ، المعجزة عن إيداء هذه المهام ، اكتشفت على حين فجأة انها قد أصبحت بالية ، وسقط الجهاز القديم للطبقة العاملة خارج الحركة ، وياقتت الحرب القادمة بدون جماهير ، والجماهير بدون حماية . ولم يكن بعد في وسع تلك الجموع القنسية ، ضحايا الطلاق الذي يفصل نشاطها المنتج عن المضمون الواقعي لرجائها ، ان تكون بالنسبة الى ذاتها ما هي ، في ذاتها : فزعتها الجذرية وعدم استقرارها وهيجانها الذي سرعان ما تلاه فتور الهمة ، تعبير بكل بساطة عن واقسح ان الشرط المعالي الجديد لا يطاق . وسوف تندفع اسطورة الحرب الأخرى لبعض الوقت صبراتها الثورية وسوف تجملها لعمى العنف الكامن فيها : لكن هذا الوعي ظل اسيراً ، مستلباً .

والما من الحرب ايضاً سيأتي بطلان مفعول الأساطير والأضاليل . من الحرب لان ظروف الانتاج ، وليسوا هم القادة النفايين الذين سيعزقون الصورة الوهمية التي فلنكها الجماهير عن ذاتها ، انما ستتمزق هذه الصورة في معارك لاسوم وفردون . كتب مومولان : « حين انضمت اليهم في فردون ، كانوا حاقدين على الجميع : على الصنفيين ، على النقابات ، على الاشتراكيين ، على البارزيين » . على رجال الدرك ، على القابعين في المزرعة . وكان أقوى وأوضح شعور سائد بينهم هو

الشعور بمخو السماع والكلب والمبالغة والخطأ . . .

و حين عادت الجماهير عام ١٩١٩ ، سكري بالنضب والريبة كانت شائعة .  
وفي كل مكان من أوروبا تقريباً أصبح نشوب الثورة منوطاً بالقبض الجنود  
والعمال . وفي فرنسا انضم مليونان من الجنود المرحلين الى ثلاثة أو اربعة ملايين  
عامل يعملون في الصانع . وكان هذا امتزاجاً انفجارياً متفجر جاً ؛ فتضخمتم  
اطارات الاتحاد العام للشغل بيناضلين جمود . ويبدو ان الثورة كانت يمكنه  
والبورجوازية مستعدة ؛ للقبول بأقل التضحيات لصالح البروليتاريا . . لكن  
اضراب حزيران ١٩١٩ أثبت ان الجماهير لم تكن مستعدة ، ومن أن كان سيأتيها  
الاستعداد ؟ ومن ذا الذي أعدّها وفيأيامها ؟ في ٢ حزيران ترك عمال التعدين  
الباريسيون العمل . وامتد الاضراب الى ثلاث نقابات في سين - اي - واز ،  
وبلغ عدد الضريين ١٣٠٠٠٠٠ ، وعدد الهويات النقابية الموزعة ٨٠٠٠٠٠ .  
اضراب نصف سياسي ؛ نصف مهني ؛ فهناك مطالب لكن هناك أيضاً قلق  
كبير . . . فكرة عامة تم البروليتاريا قاطبة ؛ . وقد وجهت الاضراب في  
البداية لجنة تقام ؛ وهي منظمة نقابية أنشئت لتوجيه الاضراب . لكن  
جمهور النقابيين الجدد الكبير - أكثر من نصف الضريين - كان يوقف في جميع  
المسوين ؛ فمرا أمكنة الاجتماعات النقابية ؛ واتهم بتقليبه بأنهم مباحون ؛  
وانتخب في النهاية لجنة عمل زعمت انها ستحل عمل لجنة التقام . ولما وجدت  
لجنة التقام ان الأمر أسقط في يدعا ؛ تخلت عن سلطتها للاتحاد المعادن الذي أخذ  
الاضراب على عاتقه . وقد اجتمعت لجنة العمل في ٢٢ حزيران مكاتب الاتحاد ؛  
وطالبت بحضور الجلسات ؛ ووصفت القادة بأنهم غير بارهسين إلا في ؛ حشو  
الأدعة ؛ . بيد ان الاتحاد كان يريد الاضراب العمام . فدعا الى انعقاد هيئة  
الاتحاد المهني . ورفضت الهيئة توسيع النزاع لكنها نصحت الضريين بالآ  
يستأنفوا العمل قبل الحصول على ضمانات . واحال أن لجنة العمل بالذات كانت  
قد أصدرت أوامرها منذ ٢٦ حزيران بإنهاء الاضراب ؛ نظراً الى تحسبها بتطور  
العزائم حتى قبل أن يتخذ الاتحاد المهني قراره . وكان الفشل فاعماً شاملاً . وعاد

العمال الى الآلات من دون أن يحصلوا على شيء . والواقع أن الجماهير وجدت نفسها متشبكة مع بيروقراطية تبطل من عزيمتها بطرائقها الحديثة وتوقعاتها البعيدة المدى ، وانتخبت لجنة أضرم عليها وعدم كفاءتها مجزما وهيئتها . لقد كان هذا الحدث بمثابة دليل وإشارة : فالجماهير ، التي هي نتاج حديث الانتشار استخدام الآلة ، كانت بحاجة الى قيادة والى الانضباط متلائمين مع بينها الأساسية ، وكانت تسكر الثوابين الذين انكروها قبل الحرب ، وما كانت تقبل بأن تسلم مقاليدها إلا لسلطة جديدة تكافح بلا كلل الاقوازن الدائم في التشكيلات الجماهيرية . وأن كان يمكن إيجاد سلطة كهذه في ١٩١٩ ؟ كل قادة الشعبة الفرنسية من الامية العمالية ، و « الاتحاد العام للشغل » يتهمون أنفسهم ، او يبررونها ، او يبررون بأخطائهم . وما كانوا يتفقون إلا على امانة القادعين الجدد . وقد قدم لهم إضراب حزران ، حيثيات ، جديدة لدعم الحكم الصادر عنهم : فأقدم يتكلم عن « لجنة العصيان وعدم الانضباط » ، ويشكو آخر من أن « غرائز جمهور الشارع الذي يصرخ ويسحل فقد انتقلت الى اجنابنا » ... وبتحدثت قالت عن الأمم الكبير الذي أحس به لأنه « لاقي في فرنسا موقفاً ثورياً بدون روح ثورية لدى الجماهير » . وسيفول بلوم في عام ١٩٢١ : « نحن نعرف عا هي الجماهير غير المنظمة ... نعرف وراه من تسير اليوم وراه من تفسير في الغد ... ومن سار وراهك بالأمس قد يكون في الغد أول من سيهاجمك ... إن الثورة لن تصنع مع هذه العصابات التي تجري وراه جميع الحبول » .

ومع ذلك ، كان لا بد من التخل عن صنمها او صنمها مع « تلك العصابات » . اما عن عدم تنظيمها فلم يكن ثمة مجال للشك في ذلك ، لكن كان هذا بعض دليل على انها بحاجة إلى تنظيم . ومن سوء الحظ انها ما كانت تستطيع ان تخلق هذا التنظيم من تلقاء نفسها نظراً الى عدم وعيها حاجاتها . ترى ألم يكن للطبقة العاملة ، المزقة بين ارسقراطية محتضرة وجمهور يستهلك طاقته على التمرد في القوضى ، من حل آخر غير العجز والتسلق ؟

كلا : فهذه التمزقات كانت تبدو مؤقتة . ولم يكن هناك بسد من لتطور

الموقف : بينما « إن التنظيم لن يبتثق على حين غرة من فوضوية الجماهير لكن سقار السن من مناصبي « الاتحاد العام للشغل » و « الشبيبة الفرنسية من الأمانة العمالية » كانوا قد بدأوا يتفكرون من المعارضة الاشتراكية . ذلك ان التجارب التي اكتسبوها من الحرب قد فسادتهم جميعاً الى اعادة الأمانة الثالثة « ففروا ان يضعوا انفسهم في خدمة الجماهير وأن يقدموا إليها الجهاز الذي هي بحاجة اليه .

ثم كان كل شيء يدفع إلى الافراض بشأن حركة التمركز المستمر وستنجز تصفية الأرستقراطية العمالية . وحتى يقتنع المرء بأن العمال انصاف المختصين لا بد ان يتكثروا في النهاية الغالبية الساحقة من البروليتاريا « كانت يكتفي « في حوالي ١٩٢٥ « ان يلقي نظرة خاطفة على الاحصائيات القديمة من مؤسسات فورده <sup>(١)</sup> : ففي هذه المؤسسات كان عامل واحد فقط من أصل مئة يستحق اسم « محترف » ، وكان كل ثمانية عمال من أصل عشرة عمالاً انصاف مختصين . وكان من الممكن هذا اللفظاط العامم الشفقة ان يمت على الاشمزاز : فهو قد نزل برتبة مناصبي النقابية الثورية العشرين بأنفسهم الى مستوى أولئك البضير الذين الذي يتكلم عنهم ماركس . لكنه استبعد من جهة ثانية العامل غير المختص . واعداد على الأخص الى الحركة العمالية فونها . وحين تجدد هذه « النيسو بروليتاريا « البالغة النجاس إظهارها وضيعة للكفاح « فيصبح انجاسياً أقوى منه في أي وقت سبق « ولن تعود الوحدة العمالية مجرد كلمة تقال .

\*\*\*

١ - نسبة الشبيبة	١٩٣	١٩٠٦	١٩٠	١٩١	١٩١
مدة تكويتهم لدى فورده	٢٥ واحد لا أكثر	من يوم الى ثمانية أيام	من اسبوع الى اسبوعين	من شهر الى عام	شهر مئة اعوام

وهذا الجدول مأخوذ عن بروليس هيرش : « المعجزة الاقتصادية الأسبوعية » . نقل عن فريدمان : « الشكليات الانسانية الآلية الصناعية » .

لكن هذه الافتراضات لم تحسب حساب ما لتوسيعها . فهم بإيقافهم حركة التمر كتر ، أرجأوا التوحيد إلى أجل غير مسمى . فالصناعة الكبيرة لا تستوعب أكثر من ١٥٪ من الشغيلة ، والباقي يتوزع بين ٥٠٠,٠٠٠ مشروع . وبالطبع ليست أهم المؤسسات هي دوماً غيرها تجهيزاً : ففي صناعة السيارات يتفوق قطاع البناء تركزاً وبقيل آلية عن قطاع الغيارات . كما أن المشروع المتوسط لا يملك الوسائل لاستخدام الآلية استخداماً مكثفاً . والشروع الصغير ما يزال بعد في مرحلة بدوية . وبين ٣,٦٧٧,٠٠٠ عامل في صناعة التحويل عام ١٩٤٨ ، نجسد ١,٢٠٦,٠٠٠ عامل مختص ، و ١,٣٦٠,٠٠٠ عامل نصف مختص ، و ١,٠٥١,٠٠٠ عامل غير مختص . والصنفان الأولان يتعادلان تقريباً<sup>(١)</sup> . أما الصنف الثالث فكبير للشعب : ففي مؤسسة الكتاب والبناء ، حيث يتفوق المختصون عددياً ، بيت البنية القدية البالية للبروليتاريا على حالها : فالعامل غير المختص يعمل تحت أوامرهم . وأما في صناعة الحديد والفولاذ والنسيج ، فإن الغلبة هي للعامل نصف المختص ، بينما يتفصل المختصون عن الإنتاج المباشر ويشكلون فرقاً للصيانة والإشراف على الآلات لا يعود لها أي قسائم يسائر العمال<sup>(٢)</sup> : وعندما يشكل العمال أنصاف المختصين وغير المختصين صنفين شبه متجانسة ولا سيما أنه تكفي بضع ساعات أو بضعة أيام لاستبدال أولئك هؤلاء . ولا ينبغي أن نعتقد أن هذا الانقلاب يوفر للبروليتاريا تجربة جديدة : وإلى ازدهارها القدرات التاريخية : فالطبقة العاملة مهددة - وما أعظم فرصة أرباب العمل بذلك - بأن تظل منقسمة إلى قسمين شبه متساويين ، ليست لها بنى واحدة ولا قيم واحدة ولا مصالح واحدة ولا تقنيات واحدة في التنظيم والكفاح .

### أ - ثنائية القيم

بنى العامل المختص مطالبه دوماً على اختصاص عمله ونوعيته . فالمنتج

١ - ٣٥٠٥ جداول ١٩٥٩ .

٢ - إمكانية الإنتاج تقع في غالب الأحيان على يده عدة كيلومترات عن إمكانية الآلات .

الحقيقي ، المصدر الأرواح لكل ثروة إذا هو . وهو الذي يحول المواد الخام الى  
 خيرات اجتماعية . وفقطرة الاضراب العام ، التي تتمتع بشعبية كبيرة قبل  
 1914 فقد ولدت من وهي الذات المتكبر هذا ؛ للإطاحة بالمجتمع البورجوازي ،  
 يكفي العامل ان يصلب فراغيه . وإذا كان هذا العامل يطالب بلحسية أدوات  
 عمله فهذا لأنّه وحده القادر على استعمالها . وعلى كل ، فإن معرفة الفئدة في  
 المشاريع الصغيرة نادراً ما تكون أدنى من معرفة رب العمل . والتفاسد تضم  
 الكفاءات وتعتبر نفسها بالنسبة لمهنة لراقية الانتاج ؛ انها ستحاول بصورة  
 طبيعية غداة الثورة الى جهاز تسيير . ولما كانت حقوق هذه الارستقراطية للبيع  
 من جداراتها ، فهي ليست بعيدة عن اعتبار نفسها الضحية الوحيدة للرأسمالية .  
 والكلمة التالية التي ألقاها عامل ميكانيكي في المؤتمر الاتحادي عام 1903 تعبر  
 عن الشعور العام : « إن إنكار القيمة الاختصاصية العامل إلقاء يعني يحصل أو  
 آخر إيجاد ظروف مفضلة للاستغلال الرأسمالي » . ومن هنا يمكن لبعض النفوس  
 الحزينة ان تستنتج دوناً مشقة كبيرة ان استغلال العمال غير المحتضين ليس بعد  
 كل شيء عملاً بالغ الأجرام . ولم تظن النخبة العالية تعالي في موقفها الى هذا  
 الحد ؛ لكن ما لا ينكر هو انها كانت تعتبر مساعدتها « أعباء ثقيلة » . هل  
 كانت تعترف لم يتفوق ؟ هذا أمر مشكوك فيه . ولعل انها كانت ترى فيها  
 مواضع دافعة لكرمها . وهذا الذهب الانساني القائم على العمل ملتبس ؛ فنحن  
 لا نشك في أنه يحقق تقدماً على الملعب الانساني القائم على الثروة . بيد انه لا  
 يعدو ان يكون أكثر من مرحلة . ولو توقف الرء عند هذا ، لظلت العالمية  
 مستعبدة عن الانسانية . تقولون ؛ على الانسان ان يستحق ان يكون انساناً .  
 لكن ماذا ستمثلون بأولئك الذين لا تتوفر لديهم الوسيلة لذلك ؟

ان البروليتاري الجديد لا يستطيع ان يعرف على اي استحقاق او جدارة  
 لأن كل شيء يستغل لإقناعه بأنه لا يملك اي استحقاق او جدارة . بيد ان  
 التمس والبؤس يرفهانه ؛ فإما ان يطمس او يحصل على تلبية لطلبه . لكن  
 علامة يبيع مطالبه ؟ على لا شيء على وجه التحديد . او عليها قائما اذا شئت :

فالحاجة تخلق الحق . لقد حدث انقلاب في القيم مع ظهور الجماهير ، ورسخت الآلية دعائم المذهب الانساني . ولا تحسب العامل نصف المختص انساناً معتداً بنفسه وواعياً لحقوقه : انما هو انسان حنون وواعٍ لإنسانيته الدون ، وبطالبي يحف في ان يكون انساناً . وعلى هذا فالمذهب الانساني القسامم على الحاجة هو المذهب الوحيد الذي يتخذ الانسانية قاطبة موضوعاً له : لتنصيف الجدارة والاستحقاق لنفسه آخر حاجز كان يفصل بين البشر . لكن هذا المذهب الانساني الجديد هو بمحد ذاته حاجة : فهو معاش على نحو اجوف واعتباره معش حرمان غير مقبول . ان الانسان بالنسبة إلى العمال المختصين يصنع نفسه ، ولا يقف عليه إلا ان يعيد تنظيم المجتمع . اما بالنسبة للعمال النصاب المختصين فسوان الانسان لما يصنع بعد : انه ما يتعلم الانسان ، ما هو موضع تساؤل بالنسبة إلى كل واحد منا في كل لحظة ، ما هو مهده باستمرار بأن يتضيق من غير أن يكون قد وجد قط .

كان كل شيء يسير على خير ما يرام لو ان المذهب الانساني القائم على العمل اصب تدرجياً امام المذهب الانساني القائم على الحاجة : وهذا ما كان سيحدث لو لم توقف المائتوية الثورة الصناعية . واليوم يتعاضد هذان المذهبان الانسانيان وهذا التعاضد يشوش كل شيء : فسار تجمع الأول وطرح ذاته لذاته ، لأصبح عدو الآخر . والجماهير ، من جهة ثانية ، قد سررت إليها سرراً عدوى ايدولوجية تنخبية العالية : فهي لا تشعر بالحجل امام البورجوازيين لأن أفضل واحد فيهم لن يستحق ابداً ، مها يفعل ، الامتيازات التي يتمتع بها . لكن العمال المختصين يلتزمون إلى البروليتاريا وهم مستقنون شأن العامل نصف المختص ، وإذا كلوا يعيشون بصورة أحسن منه بقليل ، فهذا الفرق يبدو وكأنه قابل للإعمال عندما يقارن مستوى حياتهم بمستوى حياة البورجوازيين . وهم يزعمون على الأخص أنهم مدينون هذه المزايا الطفيفة الزهيدة إلى جدارتهم . لماذا لو كان هذا صحيحاً؟ لقد قلت ان معظمهم من ابناء المختصين : لكن هذا غير محفور على جباههم بعد كل شيء . ان العامل نصف المختص يقول في نفسه ان اعدو لو فرشوا على انفسهم

بعض التضحيات لأرسفوه هو أيضاً لتدوير . أو لعله يقوم نفسه على أنه كلف  
يفتقر إلى الأمانة والثبات . ان لا تساري الشروط الطاغري يدل في نظره على  
لا تساري القيم : إذا كان العامل المختص يستمد قيمته من محله فإن العامل نصف  
المختص لا يساري شيئاً طالما أنه ، من حيث التعريف ، قابل للاستبدال بغيره .  
وخلصة القول أنه يشعر بالحجل أمام أولئك الذين يفرض فيهم إهم رفضه في  
الكفاح . وبالتالي فإن كفايته مهددة بالتناقص . ولتحرير الجماهير من شعورها  
بالتقص ، توجب تصفية جميع القيم الاشتراكية لفترة ما قبيل الحرب تصفية  
جذرية . توجب إلهامها بأنها تقدم للبشر جميعاً فرصة النظر إلى الإنسان والمجتمع  
على حقيقتها ، أي يعني أفضل الناس حفظاً وأكثرهم حرماناً . ولما كان تطور  
التكنيك يؤدي إلى تدوير قيمة العمل ، ذلك التدوير الأسس للإنسان على الإنسان ،  
فقد توجب ان يبين هذه المسيحية النفسية ضد كل اخلاق يولد كل غاية ، ان والتفوق  
تشويه ، ان العلاقة الانسانية الوحيدة هي علاقة الإنسان الواقعي الكلي ، بالإنسان  
الكلي ، وان هذه العلاقة المنفعة أو الشهادة ، موجودة بشكل دائم في قلب الجماهير ،  
وأنه لا وجود لها إلا هنا . لكن بقدر ما كانت العالمية تأخذ هذه الأيديولوجية  
الجدريسة ، كان العمال المختصون ، الذين رأوا قيمتهم تنقص ، يتصلبون على  
مواقفهم . إن الأرستقراطية التي ذاتها حين نهائم : فنذ آخر اعوام فترة مسا  
قبل الحرب ، وكرر فعل على صعود الجماهير ، اطلق نظريون مفروضون اسم  
« القروسية » على نقابية الأقلية وأرادوا ان يجعلوا من المناضل سادناً جديداً  
ليشكل الرب : فالعامل المختص ، ذلك السيد المستنير ، يقبل بأن ينفذ نفسه  
لجهاير لكنه ينكر عليها حق الدفاع عن مصالحها بنفسها . ولقد حلفت فترة  
ما بعد الحرب تصفية جديدة واختفت النقابية الثورية . لكن ليس روحها :  
فحق في داخله الاتحاد العام الموحد للشغل ، وبين ١٩٢٦ و ١٩٣٧ سيقاوم  
انصار نقابية النخبة الشيوعيين بقوة . وبين ١٩١٩ و ١٩٣١ أكره الاتحاد العام  
للشغل برئاسة جوهو<sup>١١</sup> على الوفوع في مزلق البيروقراطية ، نتيجة التمسك  
١ - بيون جرهو : وليس الاتحاد العام للشغل بين ١٩٠٩ و ١٩٤٥ . قال جائزة نوبل  
للسلام عام ١٩٥٦ . ٥٢ ٥٥ .



التزايد الفهم النقابية ، لكن موظف النقابة لا يتل سوى النخبة العالية وقد  
 ظلت الجماهير خارج التنظيم . وفي ١٩٣٦ ، حين صرح سيار في مؤتمر تولوز :  
 « ما تزال هناك ايدولوجيتان رئيسيتان تتواجهان في الحركة العاملة وفي الحركة  
 النقابية وهاتان ايدولوجيتان هما ايدولوجية برودون وايدولوجية ماركس » ،  
 كان جوهره على حق إذ أجابه : « منذ ١٩٠٩ ، لم اسمع قط مناقلين يعرضون  
 وجهات نظرهم بالاستناد الى ماركس أو برودون » . كان على حق من حيث  
 الشكل لكنه في الواقع تهرب من المشكلة . ذلك ان الاتجايمين الذين تكلم عنها  
 سيار ايضا في البدء ماركسيين أو برودونيين ؛ بل هما موجودان في البروليتاريا  
 الفرنسية بغض النظر عن كل ثقافة فلسفية أو سياسية . اسألوا مناقلا شيوعياً  
 عن رأيه به « الكرامة الانسانية » ، تجدهم يهز كتفيه . فهل من قبيل الصدفة  
 ان يكون اتحاد الماعدان والاتحاد العام للشغل ، في عهد رئاسة جوهرو ، قد أعلنوا  
 عن تأييدهما للتنظيم العملي للعمل شريطة « ألا يس الكرامة الانسانية »<sup>١٤</sup> ،  
 وأن تتكرر هذه الكلمات نفسها عام ١٩٤٥ في تصريح له « الاتحاد الفرنسي  
 للعمال المسيحيين » ؟ إن « كرامة » العامل المختص انما هي تفوق عمله . انه من  
 الاساس انسان - طالما انه يفخر بعمله - ومن الاساس حر - طالما ان الآلة  
 العامة تفرك مكاناً واسماً للعبادة : انه يطالب باسم الحرية والكرامة بيجتمع  
 احدل يعرف بقيمته وحقوقه . اما الجماهير فلا كرامة لها ، ولا لتصور حتى  
 تصوراً ما الحرية ؛ لكن بعض وجودها يُدخِل التطلب الجذري للانساني في  
 مجتمع لا انساني ، كما تدخِل الشطبية في اللحم .

## ب - ثمانية المصالح

كثيراً ما لوحظ - ولن أماري في هذا - ان الجماهير ترضى بإيقاع حمل  
 بإياه العامل المختص . فلي « مؤسسات ستروين » قامت اضرابات ١٩٢٦ و١٩٢٧  
 على أساس التعارض بين الآلات والعمل . كان التتسبون الى النقابية - وجميعهم

١ - التولز الاتحادي الماعدان ١٩٢٧ . لتلا عن كويليه « المصدر المذكور آلفاس - ١٩٤٥ » .

من المختصين - يريدون تحفيز معايير الرزق ، وكان العمال انصاف المختصين يريدون تسريع الانتاج : فظالما أن عملهم هو في كل الأحوال لخدمة ، فمن مصلحتهم ان يدر ويفعل . ويرجعهم على أساس القطعة يمكن أن يعادل الربح على أساس الساعة العامل المختص : انه نوع من ثار . لقد أدركت مثلها العرولة تاريا العمل المسلسل والعمل بالآلات نصف الآلية عند ولادته : لصنعة أنتج ، مع مرور الزمن ، عمالاً جديداً يعيشون من المكتسة ، وعليهم ، شاوروا أم أبوا ، ان يعطوا عن تضامنهم معها . ولا مجال للشك ، بالفعل ، في أن ، التبر - بوليتاريا ، تلي ، يوظفها الذات ، متطلبات الانتاج المسلسل : فلقد ظهرت في الولايات المتحدة حين أراد أصحاب الماسلس ، تحت وخر المزاحمة ، أن يوسعوا السوق الداخلية وان يتخذوا من الجماهير زبائن لهم ، عن طريق زيادة الرزق لتخفيض التكاليف . وهذا بالتأكيد لا يعني أن الجماهير تعمل لثباتها : فحين العامل نصف المختص المنتج والعامل نصف المختص المستهلك يتنصب حاجز الربح والاستقلال . لكن من الصحيح بالمقابل ان ارتفاع مستوى الحياة يرافقه نمو الانتاجية . ففي ١٩٤٩ كان العامل الأميركي ينتج ، في ساعة واحدة من العمل ، أربعة أضعاف ما ينتجه العامل الفرنسي . وفي العام نفسه ارتفع الدخل القومي بالمسبة الى الفرد الواحد ، الى ١٤٥٣ دولاراً في الولايات المتحدة مقابل ٤٨٦ دولاراً في فرنسا . ان مصلحة العامل نصف المختص عندما لا تكون في زيادة مجهوده أو زيادة عدد ساعات عمله : إنما عليه ان يطالب بالزيادة التدريجية لانتاجيته مقابل المجهود نفسه وعدد الساعات نفسه . لكن هذا يتطلب ، أقل ما يتطلب ، هجر الطرائق المائتوية : فن الواجب تجديد الآلات ، وتشديد التركيز ، والتشجيع ، ونشر الآلية . والحال ان مصير العامل المختص منوط بالإبقاء على أشكال الانتاج القديمة : إن مصلحته مرتبطة بصورة مسا ، بالمائتوية . بينما ، ان ارتفاع مستوى الحياة يحسن أن يعرض عن التدوير قيمة العمل وعن سحق تسلسل الأجور : لكن النزاع إنما يدور حول امتيازات التخبة وكبرياتها ، وقرحها بالعمل ، وكرامتها ، أي وعي تفوقها . وعلى هذا فإن مطالب الجماهير تنزع الى

تحتطم الأطارات الراضة لاقتصادنا . والنخبة بالمقابل تعمدل في مطالبها حتى لا  
لسبب تحولات تكون شؤماً عليها .

### ج - التعدد النقابي

ان الاختصاص المهني يتطلب وبغضى لدى العامل حتى الحكم والمبادعة  
والسؤاليات . وهو الذي يجعله أيضاً غير قابل للاستبدال بغيره . والمستخدم  
- في المشاريع الصغيرة على الأقل حيث الآلية معدومة - يظل قريباً جداً من  
جهازه المكون في غالبته من عمال مختصين . وهؤلاء العمال قادرون ، بفضل  
تعممة عملهم والذات ، على ممارسة تأثير ناعم ومتصل على أرباب العمل والتواجه  
الدائم بسين الاستقرارية العالية والصناعيين هو الذي يبقي على « الناس »  
والثور . وعن صعيد المشروع تستطيع هذه النخبة ، بتدورها يصعب استبدالها  
بغيرها ، ان تحصل على أشياء كثيرة بمجرد تهديدها بالأضراب ، وبالتالي عن  
طريق للمفاوضة باعتبار ان هذا التهديد يظل دوماً مخنياً . إن العامل المختص  
يشتمع بأوراقه واجهه في دهائه : فهو يستطيع ان يناقش ويسارم ، ولا يلجأ الى  
العنف إلا كوسيلة أخيرة . انه يتقدم ويتراجع ، يهدد ويتسائل ، ويتلام مع  
موقف رب العمل مع الوضع ، مع ميزان القوى المتبدل دوماً ، وهذا كله  
بالكلمات : كلمات ليست في الواقع نغمات أصوات ولا أفعالاً ، بل يهاقن ترمى  
على السباط ويمكن سحبها في كل لحظة . ان العامل المختص يستطيع ، قبل ان  
يتنقل الى العمل ، ان يتكور رمية زهره بغيره ما يشاء . تشهير وتهديدات متبادلة  
وعود ، قطعية واستئناف للمفاوضات : ان هذه المناورات الجردة وشبه الرمزية  
تقطع في غالب الأحيان الطريق على امتحان قوة ، لتليح المجال في اللحظة  
الناسبة لحل توافقي . إن اختصاص العامل النقابي يسمح لتقابة بالأحتفاظ  
بمخزونها في المناورة .

ونضيف بأن هذه النخبة متجانسة : ان حركة التمركز ولدت ببر وقرابية ،  
لكن مسائل القاعدة يستطيع أن يعتبر نفسه قائداً بالقوة ، فهو لا يقل عن

ووسائله خبرة او معرفة نظرية . كما انه يمارس عليهم رقابة فعلية وفاقية .  
وبالتقابل لا تستطيع القيادة ان تخطى . بصدده مشاعر القاعدة : فالقاديون  
يتكلمون ، ويدلون بأرائهم وقيادات الرأي تظن عن نفسها . وهم يسامحون  
جميعاً وشخصياً في تحديد الخطوط الكبرى للعمل النقابي . تأس دائم بين الرؤساء  
والقاعدة ، فقط مستمر يمارسه الشغل على رب العمل : إذن شرطاً السياسة  
النقابية متوفران .

أما مع الجماعية فتتناقض طرفي التفاوض . فالعمل ، بعد ان تدعورت قيمته  
يكف عن أن يكون بذاته وسيلة للعمل . وطالما ان الحركات تدور ، فإن  
العامل الانساني لا يبدو قابلاً للإعمال . وربما بعد يوم ، وبجرا واحدة يزداد  
الانفصال بين العامل المحروم من الضمانة التي كانت توفرها القيمة المهنية وبين  
القيادة . وهذا المعنى يبيل الشرط الجديد للبروليتاري الى تحطيم استمرارية  
عمله ، فحين يكون المقاومة العالية تأثيرها على قرارات ارباب العمل ، فلا بد  
ان تتخطى عتبة معينة ، والا فلن تكون محسوسة قية . وبكلمة واحدة ، ان  
الاضراب ، اي العنف ، هو ملجؤها الوحيد . لكن سلاح العمال النوعي<sup>(١)</sup> ،  
هذا قد بدل من طبيعته : فالعامل المختص لا يمكن الاستغناء عنه ، وحسب  
يرقق الانتاج يكفي ان يظل في بيته لا يخرج . يقينا ، انه يمارس عنفاً ، لكن  
هذا العنف مشروع ، ثم انه يبيل - من حيث البسدا على الأقل - الى ان يبلى  
بجهداً وسلياً . ومن هنا فسيان رد فعل رب العمل لا بد ان يظل محصوراً ضمن  
حدود معينة ، والشخص لا يستطيع ، اذا ربح المعركة ، ان يضاعب المقوبات ،  
لكنه سيجد مشكلة لو أراد ان يفسح دماً . لكن العامل نصف المختص يمكن  
استبداله بأي عامل آخر ، باعتبار انه كنتاج لا يتميز عن اي عامل آخر . إذن  
لا يكفي ان يترك العمل ، بل لا بد ايضاً ان يقع الآخرون من الاستمرار فيه .  
وبعد عشرين عاماً من الحيرة ونفس الطريق وجدت الجماعية السلاح الجديد ،  
السلاح الوحيد المتناسب مع شرطها : الاضراب مع احتلال المصانع . وكان هذا

(١) ليون جومر . محاضرة في المعهد العالي العمالي ، ١٩٥٧ .

معناه التطاول على أقدمس حقوق البورجوازيين ، والتعرض بالتالي لتدخل قوات الأمن . إنذارات ، قنابل مية للدروع ، وإذا لم يكف هذا أطلقت النار . قبل سنقول ان الجماهير أكثر استفراساً و ، شرأ ، من النخبة ؟ مثل هذا القول لا يبر ولا طائل تحته . والحقيقة هي ان تطور التكتيك وطس جذور العنف : فكي يدافع العامل نصف القمص عن أبيه ، فلا مفر أمامه من الجرافة بجلده . ولهذا السبب نفسه لا تلك الجماهير من وسية دفاعية غير العمل الجماهيري : فمن طريق عمليات جماعية تشن على المستوى القومي ، تحاول الجماهير ان تحصل على عقود جماعية تشمل فروعاً بأكلها من الصناعة . لكن هذه العمليات غير ممكنة إلا اذا التزمت الجماهير دفعة واحدة بشعار واحد . والحال اننا رأينا انه يُلسب اليها خطأ فرع من وحدة وحشية : لأنها في الواقع تشنت جزئياً ، تجمع ميكانيكي من الوحدات ، تتاج حرف لآلية الهام . ولا ريب في ان البلية الأرخيلية هي حد مثالي صرف لعملية التحول الى كتلة : اما في الواقع فإن قوى الأشغال تصادف عمليات عديدة . وبعض حضور الجهاز التقني - تلك الجملة المعصية - يحفظ للبروليتاريا ، عندما يتراس التوتز الاجتماعي ، فرعاً من والتخلص العضلي . بيد انه من الصعوبة بمكان اعتبار الجماهير العمالية جيشاً في حالة ليقط دائم . بينما ، ان الصراع الطبقي لا يتوقف لحظة واحدة ، كانت العامل لا يني لحظة واحدة عمن معاناة العنف وعمن معارضته بحض واقعه الانساني . لكن نشاط الافراد لا يبرهن البتة على ان الجماهير نشيطة بعد ذاتها . ومن الخطأ ، كما رأينا ، ان نعتبر ذاتاً جماعية يمكن تحليل نسبتهاء . إن سلوك الجماهير ليس نسبياً البتة والفتح خطأ يمكن ان نركبه هو ان نقارنه بسلوك فرد من الافراد . ان إنسان الجماهير لا يتميز عن أي إنسان كان ، فهو مثل أو مثلك ، ومواقفه الشخصية لا امية لها على الاطلاق . انه بعد ذلك عامل واع ، لكن قوى التشنت ، ان تعارضه يحاره ، باعتباره أنه الأخرى التي تعكس له عجزه وقضاعف من عزائه ، تعمد نشاطه وتنتج منظومة جماعية يكون رد فعلها كرد فعل الشيء ، كرد فعل الوسط المادي الذي تندفع فيه الإلارات ميكانيكياً . إن

الجماعير هي موضوع التاريخ : انها لا تعمل ابداً من تلقاء ذاتها ، وكل عمل تقوم به الطبقة العاملة يقتضي ان تبدأ الجماعير بالقاء وجودها كجماعير تأخذ طريقها الى الاشكال الأولية من الحياة الجماعية . ولا يحق لنا ان نتكلم عن « فقط » ، يقال انها اقاربه على مستخدميهما ، وتأثيرها لا يمكن ان يكون إلا طلياً : فأرباب العمل يعرفون ان الاستقلال ، اذا تجاوز عتبة معينة ، لعب في عكس اتجاه قوى التكتيل ، ويجازف بأن يسبب بفترة سريعة للجماعير العمالية ولحويلها التي يروايتها . أما فيما يتعلق بالعمل اليومي للفاضل فبأن التناقض يشب الى العمون ولذا : فتمتد ينصب على الجماعير - الموضوع ليحولها التي يروايتها - ذات . وهو يبدل جهده ، ايها كان ، لتصفية البنية الطبقية لصالح وحدة عضوية . والحال ان الوحدة لا يمكن ان تتحقق الا اذا كانت مطاة من البداية بصورة من الصور : فطالما ان كل فرد يرى عزله في عزلة الآخر ، فإنه لا يستطيع ان يفلت منها إلا اذا افلت منها الآخر . وبكلمة واحدة : ايها كان المرء ، فلا بد ان تكون البداية في مكان آخر . وفي مناطق التمرکز الصناعية الكبرى يمكن لتعط الانتشار الليكاليكي ان يحل في البدء محل الوحدة . وهذا ما يسمى بالتقليد : وهو بالطبع ليس عملاً جماعياً بل هو تلك الحركة العقل التي تجعل العمل ممكناً : وانما على الفاضل لتنع مهبة لحويل الله الساري والعمدوى الى عمل عمده واضح . لكن ينبغي ان نضيف أيضاً ان التقليد نفسه يفترض وحدة معينة موجودة مسبقاً . وصحيح ان قوانين التقليد ، تنطبق فقط على القطاعات الاجتماعية التي هي في حالة التحلل دائم<sup>11</sup> : فما أطلقته في جاري ليس هو الآخر ، بل أنا نفسي وقد أصبحت موضوع ذاتي . والا لا أكرر فعد لأنه فعد ، بل لأنني انا الذي فعد من خلاله هو . وخلاصة القول انه ينبغي ان أؤكد وضعه وحاجاته كما لو انها وضعي وحاجاتي بصورة يبدو لي معها سلوكه من الخارج كشروع

١ - ان أعضاء جماعة مندوية يتعاونون بعمل وظيفتهم ( وبالتالي وضميم ) يفسر ما يرتبطهم قانون الجماعة بقدرات ، فما حاجتهم الى التقليد بعضهم بعضاً طالما انهم مختلفون من خلال الوحدة ؟ انهم يتعاونون .

مشتق من رأسي. إن التقليد والتقليد قابلان للاستبدال أحدهما بالآخر ومنفصلان في الوقت نفسه ، والسواك التقليد هو نتيجة ديالكتيك الحرية والحاربية. فطالما إن العامل نصف المختص لا يتميز عن أي انسان آخر ، فإن فقط انتشار الحركة المطلوبة عبر الجماهير سيتم عن طريق العدوى لأن كل فرد يرى الآخر قادماً نحوه كأني انسان آخر ، أي كمنه . وبقدرة ما إن التكتيل يولد في آن واحد الأنموذج وقابلية الاستبدال ، يولد أيضاً التقليد بصفته علاقة ميكانيكية بين الجزئيات . وليس التقليد مطلق ولا صفة نفسية : بل هو نتيجة المضمومة لبعض الأوضاع الاجتماعية . ولا بد أيضاً من أن تستند هذه الصلات الميكانيكية الحاصلة الى تركيب مسبق يسمح على الأقل بشواحه الخطين والمقلدين ولو كان ذلك من خلال وحدة السكن أو التسروع المادية الصرفة . لا بد على الأقل من وحدة الخطر التدهام أو الأمل المحسوس . والحال ان التثقت المسي لصناعة الفرنسية يلعب دوراً في صالح أرباب العمل. ان التثاقي لا يلغي مبران العدوى ، ولكنه يرفع من درجة الشاعة. ان الأثا تصيح أظرف عن بعد. وحتى تُفدرك وحدة الموقف فلا بد أن يزداد استفعال الخطر: إن الظروف الاستثنائية هي وحدها التي ستكشف للجماهير المتأثرة التفرقة عن الوحدة العينية والحاضرة لبروليتاريا. ففي عام ١٩٣٦ على سبيل المثال لا الحصر ، أدى انتصار الجبهة الشعبية السياسي الى انتشار الحركات الاجتماعية عن طريق العدوى: فقد ادركت الجماهير وحدتها إذ رأتها متجسدة خارجاً عنها في تحالف الأحزاب الشعبية الثلاثة ، فجهاد فعلها ، بصورة شبه ميكانيكية ، مثملاً في تشابه مسالكها . ولو أن الحركة لم توضع في وجهها المراقيل ، لتحوالت عاجلاً أو آجلاً الى عمل ثوري .

إن الظروف التي تحقق تبلور الجموع الى جماهير ثورية ، يمكن أن تسمى بحق « تاريخية » : فهي مرتبطة بالتحويلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في أوروبا . لكن لا بد من الملاحظة بأنها لا تتوفر في كل آن . وعلى هذا فالانتقال من حالة الكتلة الى وحدة الجمهور البدائية له بالضرورة طابع تنازلي منقطع . ذلك إن الكتلة مصابة بجمود وعطالة يمنعانها من الرد على الإقارات الناعمة : فتحن لا

يمكننا أن نلتفت منها تلك الحركات السريعة والمجموعة بسرعة ، وذلك لتظاهرات  
الحادفة الى إثبات القوة ، وتلك العمليات الجزئية ، وتلك التاورات التي تسمح  
بممارسة ضغط متواصل على الخصم دون الدخول في صراع مكشوف معه . وعلى  
كل ، فإن التهورات البدائية تقتصر الى التوازن ، فممكنة العمل قد سرفت مستقبل  
العمال : فإذا ما تحركوا فهذا لأن شرطهم الراهن غير مقبول ، ولأنهم يفتقدون  
امكانية تعديده على الفور . ولا يمكننا أن نلتفت منهم أن يتحركوا نحوهم في دعم  
مشروع طويل الأمد : إن من المناسب ان نصيف الى التصلب والانقطاع الذين  
تتميز بها الحركة الجماعية شيئاً من عدم الاستقرار .

ولا نسرع على الأخص ونستج ان ، التبو - بروليتاريا ، املاحية اكثر  
منها ثورية : فالأمر على العكس تماماً . وصحيح انه لا تكن نية الجماهير إلا  
بدم الدفاع عن مصالحها المباشرة : لكننا حين نتحرك ، نزيد كل شيء ، وعلى  
الفور . فقد سبق للدعاية البورجوازية ان أفنتها بأنها لا تستطيع ان تدخل  
أني تعديله على شرطها بدون كلفة . وهكذا أصبح الواقع اليومي في نظرها  
نظاماً صارماً من المحرمات . لكن ما ينتشها من حالتها الكتلوية هي استحالة  
أعمق أيضاً : استحالة تحمل حاجاتها لمدة أخرى من الزمن . واما هذه الاستحالة  
البالغة ، تنهار المحرمات جميعاً ، وعندما يصبح التغير استحالتها الأكثر مباشرة .  
فاليأس يولد الأمل ، وتيلور الجموع الى جماهير يولد الأيمان بأن كل شيء ممكن .  
إن العامل المختص يستطيع أن يقتصر على بعض الطلاب ، أما الجماهير فتريد كل  
شيء لأنها لا تفك شيئاً . إن عملاً مبدئياً ، مبدئياً على سنوات من التجريبية ،  
مشككاً من تلقاها ، وقالبه ، واعياً لكونه شرطاً طويلاً للتكس ، يمكن ان  
يقصر حيلياً على هدف محدد : لكن طالما إن الجماهير لا تفك ذاكرة جماعية  
وطالما ان ، بنظاتها ، منتظمة ، فإن عملها يكون جديداً فوراً ، معارداً من  
البده دوماً ، بلا تعاليد ولا تحمُّس : لا شيء يحمده ، لا الحرف من القشل ولا  
التفكير بالتاريخ . عمل يطرح نفسه في ماعتية الصفر ، كفعالية سامية وقدره  
مطلقة على تغيير العالم والحياة . ومن هنا لتكشف الحاجات جميعاً دفعة واحدة .



وتعتبر « الحد الأدنى الحيوي » بغير بدلة مما يريد التعبير عنه : فتحت مسافة  
 الحد بكن الموت . والحياة بالنسبة إلى انسان الجماهير هي الضبط ألا يرتفع فوقه .  
 إن الشغل لا يستطيع « في المراحل الطبيعية » أن يلبى إلا عدداً زهيداً من  
 حاجاته : الحاجات التي إن لم تلب « نضت عليه » . وطولاً إن قوى التثنية قد  
 رتخت فيه شعوره بالعجز « فلا بد أن يمارس رقابة دائمة على جميع الحاجات  
 التي ليست بجهوية . وهذه الحاجات « نصف المكبوتة » نصف الكفحة « تظل مع  
 ذلك حاضرة في كل لحظة : وكل ما هنالك انه لا يتعرفها ولا يسميها . لكن حين  
 يواجه الشغل فجأة خطر الموت على إثر تدور مفاجئ « في مستوى حياته »  
 تولد الحركة الشعبية وتتحوّل الجماهير وتلتبدل . وعلى الفور تتعكس العلاقة بين  
 الممكن والمستحيل وتفسر الحاجات عن وجهها لأن العمل يستطيع الآن أن  
 يلبىها . وحين يكون كل شيء ممكناً يصبح « الحد الأدنى الحيوي » لا يطاق .  
 وانطلاقاً من هنا تتعاطم الحركة الشعبية وتدخل في سيرها باطراد المهم إلا انها  
 تحطت على صخرة المقاومة المسلحة التي سيديها أبواب العمل : إن كل نجاح من  
 نجاحاتها لتجيب لها على تطلب المزيد « وكلما تعملت جذورها بدون ان تكف  
 عن أن تكون مباشرة « طرحت بالضرورة ماضية المجتمع بالذات على بساط  
 البحث . إن الاجور « بالنسبة إلى نصف الفرنسيين » تتراجع حول الحد الأدنى  
 الحيوي : ولو توجب اليوم أو غداً زيادة قدرتهم الشرائية إلى الثلث « فإن فرنسا  
 البورجوازية ستظاير في الجو حطاماً . إذن فلا أهمية تقريباً إن كان الضربون  
 أو المتظاهرون يريدون أو لا يريدون تحقيق الثورة : فكل تظاهرة جماهيرية  
 هي موضوعياً ثورية : تبدأها الجماهير كيلا تقوت وتناميها تنحيا . وحتى اذا  
 أمكن « في إطار الرأسمالية » تلبية بعض حاجات الجماهير بإتباع سياسة منسقة  
 على مدى عشرة أو عشرين عاماً « إلا أن الحقيقة الاساسية تكمن في انها لا  
 تستطيع الانتظار : إن بورجوازية يقطن داراً غير مرضية يستطيع ان يبصر «  
 فالمسألة لا تعدو أن تكون بالنسبة اليه أكثر من مسألة شيء من التناقض . أما  
 الاسرة العمالية التي تتكسد في كوخ حجير « فليس أمامها إلا أن تلتبس اشتقاقاً

أو لتنتقل إلى مسكن آخر . لكن نور السكن التي توعد بها غير موجودة بعد ، فكيف تبتدئ سكانها لهم إلا إذا احتلت النور الموجودة الآن ، إن الجمهور الثوري لا يمكن أن يحصل على تلبية كاملة لطالبه إلا إذا استلم السلطة<sup>١١</sup> . ولو أن البلوس لا يحررك إلا في الحالات التي يمكن فيها استلام السلطة ، فكان ذلك غاية التي . لكن كيف نؤمن بوجود هذا « الانسجام المسبق » ؟ صحيح أن كل « حركة جماهيرية » هي بداية ثورة ، وأن الظروف التي تستلزم عملاً شعبياً يمكن أن تضغط في الوقت نفسه مقاومة الطبقات الحاكمة . لكن تاريخ البروليتاريا البطولي والدماغي يكفي لتدرك أن شروط الانتصار العملي دائماً ما تصفون متوفرة جميعها معاً . ثم إن البروليتاريا لا تقتل سوى تلك الأمة وليست الجماهير سوى جزء من هذا التكت . وحتى يكتبها الانتصار ذات يوم ، فلا بد من إعداد العدة لهذا الانتصار بعدد التحالفات داخل الطبقة العاملة ، وعند الحاجة خارجاً عنها ، ورسم خطة ، وتحديد استراتيجية ، وإستراتيجية تكتيك . وهذا بالضبط ما هي عاجزة عنه . ومن هنا فإن دور المتاضل سينقلب رأساً على عقب .

إنه أولاً موظف . ولقد أصاب كولينه إذ قال : « لا يستطيع الجمهور أن يساهم من لقاء نفسه في الحياة التلقائية . إنه يحض ثقته المتساهلين المسؤولين ، ويحكم عليهم تبعاً للنتائج المباشرة التي يأتونه بها » . لكن ما الدماغي لأن يأتي فيها بعد ووصف لنا مناضلاً مثالياً يعمل كوسيط بين القادة والجماهير ؟ ولا أجمل بالطبع من أن ينشر مثل هذا الوسيط يومه ، شأن الرفاق ، « العمل التكتيكي والمهني الصرف » ، مع تسميته في الوقت نفسه عن طريق التنضحية فوق اختصاصه ليحكم على الشكليات الهينة ، وفوق المهين ، لينظر إلى « الشكليات الاجتماعية في عوميتها » . ومن سوء الحظ أن مثل هذا الشخص « الراسخ الجسود » و « الشجرة » ، معاً غريب قامساً عن العامل نصف المختص المعاصر . فهو إن

١ - حين يستلمها مباشرة هو قائده إن يعاها في أن واحد هو تلبية حاجاته وعلى مقاومة نداء ثورة . وهكذا يترك ديالكتيك جديد : فلك أنه لا بد من مشروع طويل نفس لتحقيق ما يتطلب به الجمهور من الثورة .

الماضي ، وكولينه انما يصور لنا ، تحت اسم آخره العامل المختص والتنظيم تقابلياً الذي عاش حرالي عام ١٩٠٠ . ولا تأخذنا الدهشة اذا اقر بعد ذلك بسان والتاقل نادر وغير مستقر لدى العمال انصاف المختصين . - وأن يكون بعض الناس متجهزين وراسخي الجذور معاً ، فهذا ممكن : فكل شيء يتعلق بالشرط ، والصحة ، بأوقاص الفراغ ، بالثقافة ، وبكلمة واحدة ، بنوع العمل . لست ان اولئك الذين يقدون مسحقين تحت وطأة الأرض ، لا يمكنهم في الوقت نفسه ان يملقوا لرقها . وللوهة الأولى لا توجد ثمة صعوبة مبدئية تحول بين العمال نصف المختص وبين ان يصبح مناضلاً متساراً . والعلة الوحيدة الجديدة لسببوا مبتذلة وعارضة : التعب . لكن هذا التعب في الواقع ليس حادثاً عارضاً . فهو يفرآ كم من غير ان يلذوب ، كالتلوج الأبدية ، وهو الذي يصنع العامل نصف المختص ويكيّفه . بقينا ، انه سينقضي عندما تنخفض ساعات العمل او تطبق الآلية على أوسع نطاق . لكن العامل نصف المختص سينقضي معه . ثم اننا لا نحلم بإمكانيات الصناعة الأميركية او للصناعة السوفياتية ولا بشرط الانصاف في عام ٢٠٠٠ : انما الكفك عن عام ١٩٥٤ وفرنسا اللاتوسية . الكفك عن الشغلة التي انضام التعب والبؤس معاً . ومنذ عام ١٩١٢ كان عمال تطريق المعادن ، الذين استشهد بهم مير هاج ، يشكون من أن تعيهم لا يسمح لهم بالأهتام بالتعب ، ويتمنون دراسة ان يتسول عنهم ذلك غيرهم . ومع ذلك الزدادت الأمور لفاقاً وسوأ : فحتى يكسب الشغل قدر ما كان يكسبه عام ١٩٣٨ ، عليه ان يعمل أكثر . انه ينهض في الساعة الزاينة او الحساسة ، وينطلق في السادسة ، ويعود إلى بيته في الثامنة مساءً ، ويتناول طعام العشاء ، وينام في التاسعة . وهو يشكو برارة من حرمانه من الحياة العائلية : فمن أنى له الوقت للتضال ؟ ومواعيد العمل بالأصل تحول دون عقد الاجتماعات التقابلية ، المهم إلا اذا حدثت في مكان العمل بالذات . وكثيراً ما يتوجب تخفيض العمال على وقف العمل حين يراد أخذ راجم بصدده مسألة تخصيم . اما المتساقون ، المتادرون ، الذين يستطيعون تلبية مطالب كولينه ، فإني أفهم أن يكونوا «غير مستقرين» :

فهم مرغمون على القنصر مدة فزعمهم ، وعاجلاً أو آجلاً سينهارون . اللهم إلا  
 إذا تركوا العمل اليدوي وعائلتهم التقاية ، أي رفاقهم . بينما ، لا غنى عن خروج  
 المناضل من الكتلة : لكنه على وجه التعديد يخرج منها . فهل سلتكفون أيضاً ؟  
 بعد هذا ، عن « الحيانة الشيوعية » ؟ هيا كفساً ك ١ فهذه « البيروقراطية »  
 ضرورة في عصر « التطوع العلي » . وفي الولايات المتحدة الأمر كية نفسها  
 حيث ظل الحزب الشيوعي عملياً بلا تأثير على التطور التقني ، تقوم التنمية المحلية  
 التقاية أو المستخدم نفسه بإعادة جميع للتدوين العالين للمصانع الكبيرة . بما  
 فيهم مندوب « الورشات » - يشغل دالم . وتوسع العمل الذي يتم بسين  
 المناضلين والشغيلة في قلب المنظمات المهنية أيضاً يعكس لتوسع العمل الذي تم في  
 المصنع والذي خلق البروليتاري الجديد . وما « البيروقراطية » التقاية إلا الرد  
 للناسب على بيروقراطية أرباب العمل . فطالما أن « آخرين يفكرون بالثيابة عن  
 العامل نصف المختص » ، وطالما أن الاختصاصيين بأخذون على عاتقهم أن يوزعوا  
 عليه المهام من مكانهم في التسروع ، فلا بد أن يكون هنالك اختصاصيون  
 آخرون ، في مكاتب أخرى ، يفكرون ضد هذا الفكر ويفكرون كيفيات  
 العمل الكطالبي . ان استبعاد الأتسان من قبل الأتسان<sup>١١</sup> في العمل لا يسد  
 أن يكون له معادله التقاي ، وانفصال التكتيكي والعامل نصف المختص يجب أن  
 يعوض عنه بانفصال العامل نصف المختص والمناضل العارف . أهدأ شيء يؤسف  
 له ؟ يمكن . لكن ما العمل ؟ فشكل الجهاز التقاي عند بينية البروليتاروا . تم  
 أن هذا المأخذ لا تصيب هدفها خلاوة على ذلك . فكولينه يسفر عن مقاصده  
 الحقيقية حين يستخدم كلمة « النخبة » ويشير إلى فرق الوسطاء : وهذا هو الاسم  
 الذي كانت تسمى به « الأقليات القاعة » في حقبة ما قبل الحرب الأولى .  
 ومؤلفنا يعرف بالتأكيد الجماهير ويظهر اهتماماً مشكوراً بمصالحها . لكنه حين  
 يريد أن يحكم عليها ، لا يتوصل إلى التجرد من الآراء المسيطة الأرستقراطية ،  
 وهو يقدم ، بالرغم من أنه ليس ببروليتاري ، الوسيلة لفهم الشفقات العمالية لأنه

١ - التعبير الترميزان ( ان ابن يسير العمل الانساني ) .

يلتزم وجهة نظر قسم من البيروقراطيا عن القسم الآخر منها . أجل ، القسا باسم  
ثقة قديمة بلتقد البيروقراطية الجديدة وفيه الجماهير يجد حده في الأزمراء  
الذي ينظر إليها .

لكن إذا ما قبلنا بتطورات ملهيب إنساني قائم على الحاجة ، تغير كل شيء  
ووجد الموظفون الجدد تبريرهم في الحاجة إليهم . فهم يتأسبون الجماهير أكثر من  
أي تحية أخرى لأنهم لا يراهم التزاماً متناقضاً بحماية الصلحة العامة ومصصلحة  
خاصة معينة في آن واحد . قد يريد البعض ان يقول إنهم يشكون هم أيضاً  
تحية ، لكن هذا غير صحيح : فعامل التحية هو العامل الذي يؤدي العمل نفسه  
الذي يؤديه ، وفائقه ، وعلاوة على ذلك يتاضل . فهو الأول بين أقرانه .  
ورؤيته الإضافية والطوعية تكسبه منزلة ومكانة والحق في ان تكون كلته  
مصدرة . أما الموظف الثاني فقد ولد ، على العكس ، من قسم العمل : انه  
يفعل ما لا يملك وفائقه الوقت لعله ، ولهذا السبب بالذات لا يعود يفعل ما  
يلعبونه . وما داموا يعرضونه على خدمته ، فلا حق له البتة في عرقان الجليل  
من جانبهم ، ولا سلطات له غير السلطات التي فوضوه بها . هناك بالطبع  
مجازفة : فكثيراً ما نراه الكتاب يميل للتنظيم البيروقراطي الى اعتبار نفسه غاية  
ذاته ، لصطن هذا العيب ، بخلاف ما قيل ، أقل ظهوراً في التغلابة منه في أي  
تنظيم آخر . بينما ، لا بد ان نخرج الى الأيد التصور الرومانتيكي القائم على مبدأ  
السامية الذي تقول به ثمة مرسطة جذورها في الطبقات العميقة من اللاشعور  
الشمي : فالجماهير تعتقد ان اللاشعور انتقارها ان الشعور باعتبار انها محض  
ثالثت ميكانيكي . كما انه صحيح ، من جهة أخرى ، انها عاجزة عن ممارسة رقابة  
دائمة ومفصلة على الجهاز . فهل ينبغي ان نستنتج من هذا أنه بالإمكان جرهما أينا  
براه ؟ المعنى هو الصحيح : فثقلتها بالذات يحميها من التأثيرات كافة . ان  
الفكرة البورجوازية القديمة عن « الممرض » راسخة الجذور بصورة لا يتوصل  
معها الكتاب السياسيون اليوم الى التحرر منها . ولقد أمل السيد بيرنهم بمحاكات  
مدعنة كثيرة بصدده هذا الموضوع . وكوايته ، الأكثر تحمراً بكثير ، لا يفرد

عن الكتابة : « ان الجمهور يدل على طاقات تجارية ... لحسن ما انت  
 تظن . هذه الطاقات ، حتى يستغل بسين أيدي الاطارات التي تتلخص فيها  
 آنذاك كلية الحياة النقابية » . والحال أن هذا رأي خاطئ . منة بالية : فبقية ،  
 ان الجماهير لا تملك لا الارادة ولا الوسائل لتجديد الاطارات ، وهي تفضل أن  
 تحتفظ بالقادة الراعيتين . لكن هذا من قبيل اللامبالاة أكثر منه بدافع الروتين .  
 فقبل ١٩١٤ ، ما كان المناضل يُعهد إليه وظائف السكرتارية النقابية إلا لأنه  
 استحق لغة وفاقه . لكنهم كانوا يطيعونه ، فيما بعد ، لأنه سكرتير : إن مصدر  
 السلطة ، في نقابية الأقلية ، تأسيسي الى حد كبير . والجماهير اليوم لا تأبه  
 بالمرسات ، وهذا أولاً لأن عدداً كبيراً جداً من العمال النصارى المختصين يعيشون  
 على هامش المنظمات المالية ، ولا يتقدمون بالشعارات والأوامر إلا عندما يرونها  
 منسجمة ومصالحهم . أما العامل المختص والمنظم نقابياً فيطيع لأنه يعرف  
 سلطة القادة الذين انتخبهم . فيطيع لأنه يعرف سلطة القادة الذين انتخبهم .  
 لكن العامل نصف المختص إذا كان يعرف سلطة الرؤساء الذين قد لا يكون  
 شارك في انتخابهم ، فهذا لأن الظروف قد حالت على طاعتهم . وعلى هذا فإن  
 العمل لمو أشبه باستفتاء : فالجماهير لا تصوم أبداً ، ولا تحتج ، ولا تطالب  
 بتجديد الاطارات ، ولا يكونا ان تكلم عن ضغط القاعدة على الرؤساء . فهي  
 تسير او لا تسير ، هذا كل شيء . وهذا يعني انها تنظم في جماعة قاعة او تهاجر  
 وتسلم لأشكال التشكيل . والقوى النقابية تزداد او تضائل حسب النتائج التي  
 يتم الوصول إليها ، أما الاطارات فتظل بالطبع تنحى عن كل تبدل ، لكن  
 يحدث لها أحياناً ان تشكل وحدها كلية النقابية . ولا مجال للشك في ان عدم  
 الاستقرار هذا يشجع على تحول الوطنين الى أوليفارشية ، لكن من غير الصحيح  
 انه يشجع الروتين : بل هو يرفع القسامة ، على العكس ، على تقويم سياستهم  
 باستمرار . ولا يمكن بالطبع اعتبار هذا المد وهذا الجذر شهادة على الرضى او  
 الاستياء : إنها مما أمارات غير إرادية وأعراض . لكن هذا لا يمنع أنها يشكلان  
 على طبيعتها رقابة حازمة وإن لم تكن راعية . فالجماهير تراقب المناضل كما

يراقب البحر وجبل الدفة . فهو رئيس عندما تتحرك ، ولا يعود شيئاً عندما  
تلتفت . وإذا كان يتم بالجهاز أكثر من اعتماده برفاقه ، فإن الصلحة العامة  
تكون مصلحته الخاصة . وهو لا يستطيع ان يحقق مطاوعة الشخصية ، إذا كانت  
تبدو مثل هذه المطامح ، إلا إذا اوحى للجماهير بثقة متجددة بربما . وهو ان  
يوحي اليها بالثقة إلا اذا قبل بأن يفردها حيث تذهب . وبكلمة واحدة ، عليه  
ان يكون المصوغ حتى يكون ذاته .

بيد انه منها يحاول ان يوجد من أجلها وحدها ، فإنه لا يستطيع ان يغير  
شيئاً من واقع انه كفت عن ان يكون جزءاً منها . صحيح أنه شاطر ورائع  
شرطي ، لكنه ما عاد يشاطرهم ابداً منذ ان اصبح منافساً . وهزل من سبيل  
الى تغيير هذا الواقع طالما ان الجماهير ليست شيئاً سوى وحدة كائنة من العزلات  
تحتي تحتها شيئاً دائماً ؟ ولو ظل في خضم الجماهير ، لحكم على نفسه بالانزوال  
وعدم الفعالية شأن أي إنسان آخر . لقد كان قايلاً البروليتاريا في عام 1900  
يسمح للناشطين بالبقاء في الطبقة : كانت القروى المهنية لقوم القسوس ، وكان  
أساس السلطة الرابطة التي تجمع بين السيد المختص والتابع غير المختص . إن  
الجماهير كالرمال : فإذا كنت مجرد حبة فيها ، فكيف يمكنك ان أوجد الحبات  
الأخرى ؟ وما الواقع الشكلي الغريب المسمى به أي إنسان كان ، إلا عزلة  
تبادلية : فأنا أي كان في نظر أي كان . وأي كان هو في نظري أنا نفسي . ومن  
هنا فقلت من هذه الصفة المبرمة: فهي درماً في مكان آخر . وما كان لهذا من أهمية  
لو كنت استطيع ان احده نفسي بنشاطي المتفرده . لكن طالما ان العامل نصف  
المختص يعمل أي شيء كان ، فإنه يرشد الى تلك الامية المبرمة التي لا تخصه .  
وهذا المبرم الدائم لواقعي يفسر التقليد ، لكني لا أقدر ، كما رأينا ، إلا لأستبد  
واقعي الشخصي الذي يتجلى يوماً تلو الآخر ويستند الى الآخر . لكن اذا ما زعم  
أي كان انه يوجهي وبقدرتي ، فإنه يتحول الى شخص معين ، فأطابقه بمشاهدته .  
بشيء ، حين تتحرك الجماهير ، يخرج من صفوفها رؤساء ، لكن هذا لأنها كفت  
ان تكون جماهير ولأنها تبلورت الى شكل بدائي من الجماعية يركز رئيسها

الرجل ويحسد في شخصه سيادتها المترجحة ؛ وحين تعود الى حسابة التفتت  
 بختي الرئيس . اما الجهاز فيظل قائماً ؛ انه يجر ديوته بطابعه التأسيسي .  
 لكن سلطة المناضل ليست إلا منفي ؛ فهو اذا كان يصدر أوامر الى الجماهير  
 باسمها بالذات ؛ فهذا لأنه يستند الى وحدتها الثابتة أو المتكيفة ؛ ولأنه جعل  
 من نفسه قسماً على سيادتها المرفوعة دوماً الى الكسوف . انه يقف امام هذه  
 الجمهور كشاهد على نحو انه إذ يذكره بأنه كان مبعثاً رعباً ، عيباً ؛ استبدادياً  
 يارس على كل عضو من اعضاءه قطعاً لامتناعياً . ومن هنا تأتي عنه الجماهير ؛  
 انها لا تقبل سلطته باعتبار انها لا تستطيع ان تعارضه بسلطة أخرى باعتبار  
 ان بقايا الثورة المنتهتة تمنعها من ان تكون مصدراً لرهبة السلطة ؛ بيد انها  
 لا تعترف بها ؛ والواقع ان هذه السلطة تأتي من مكان آخر ؛ من تلك الزمرة  
 القديمة التي كفت عن ان تكونها . إن وحدة البروليتاريا - التي يحسد على  
 العوام الجهاز النقابي - تظل شعراً مجرداً أو مثلاً أهل غير قابل للتطبيق أكثر  
 منها تركيياً حياً . بل ان الجماهير تشمل على نوع من النزعة المناوئة للقبائبة ؛  
 فالهال يراون بعض الشيء دوسياً في اولئك المواطنين الذين لا يعيشون بشرط  
 العمالي بكامله مما يمكن لغائبهم واخلاصهم . وحين تكون الغلبة لغوى التنصتيل  
 (التحويل الى كتلة أو جمهور) ؛ فإن وجود الجهاز النقابي يمنع التحلل البروليتاريا  
 اطلاقاً كلاً من دون ان يضمن هذا الانسجام الطبيعي التام . إنه يبني على الجمهور  
 العمالي في حالة غير متوازنة لا تكف عن التراجع بين الاصطدام البيكيني  
 الصرف وبين التركيب العضوي ؛ والجماهير إذا ما حركها تيار أمر عادت من  
 جديد جماعة متلاحقة ؛ وبدأت ترى في التنظيم النقابي تحررها ورمز وحدتها  
 التطور ؛ وانخرقت بالنالي وقد استعادت سيادتها الفاضلة بسلطة المواطنين<sup>(1)</sup> .  
 ولا أهمية عندئذ اذا كانت غالبية الشفة تلك أو لا تلك البطاقة النقابية ؛ فهي

١ - بقدر مقبول . ولنا نلاحظ في جميع الحركات الشعبية الكبرى نزعات كهنية أو  
 عقلية بين القادة الثوريين والسيوليين النقابيين . وفي غالب الأحيان تكون الغلبة للمواطنين  
 الثوريين إذ انهم لديهم خبرة أكثر . لكن لا بد أيضاً من ان يفهموا كقديهم في خدمة الصالح  
 العمالية الحقيقية .



تتبع الأوامر وتصدر حكمها بعد التنفيذ . والسرعة هي التي توحد بين هذه الجزئيات المتفرقة ، والمهارة هي التي تدججها من خلال تركيبتها للآلة ، والجهاز هو الذي يقوم بدور الوساطة بين الفرد والجموع . لكن أصل التيارات يظل ما فوق نقاي : فالطوح أو الغضب أو الخوف هو الذي يصدر إشارة التحرك ، أو هي ، كما حدث عام ١٩٣٦ ، إندفاع الأمل المباشرة . ولولا المنظمة النقابية لتوقفت الحركات على الأرجح : فوجودها يحافظ على ظواهر الوحدة التي يسمح بانكسارها الساري . وصحفيها ومسؤوليها يمدفون المسافات ، ويضمون عوامل متراسبورخ على اشتراك مباشر مع عامل بيرديان<sup>(١)</sup> . لكن المنظمة النقابية عاجزة بحد ذاتها عن انتاج الحركات . وحين تشمل شرارتها فهذا لأنها تكون قد أدركت بسرعة قضيتها الحقيقية . وبالتسلسل فإن المنظمة النقابية مسؤولة - إلى حد ما - عن قوة الحركات واتساعها واتجاهها وفعاليتها فعلياً تقع مهمة إرشاد الجماهير إلى غاياتها الحساسة ، وتسريع أو عرقلة التطورات المحلية بدلالة التطور العام . ولا بد أيضاً من أن تكون مطلعة على الوضع الاقتصادي ، وعلى الموقف الاجتماعي وميزان القوى المتواجده . ولا بد على الأخص من ارت

١ - الوثائق التي متداولها تظهر أهمية الإعلام والدور الذي يكتسبه أن يلعبه في عرقلة أو مساعدة حركة برغم أنها نظرية ، ففي ١٩٣٦ حدث أول اضطراب مع احتلال الصنوع في المصاهر في ١١ أيار . وفي ١٣ أيار توقف عمال مصانع لاتيكتولير في تولوز عن العمل وطلبوا في الصنوع . لكن مبلن الاضرابيين خلا جبهواين في باريس لأن الصحافة النقابية لم تذكر عليها كلمة واحدة . وفي الثاني ٥ هي وعدعا بين الصحافة الشيروجرارية التي توعدت بها في عدة مطور وبلا لتسهيل . وفي ١٤ أيار حدث اضطراب جديد مع احتلال الصنوع في كوروفول . وازدعت الصحافة الصمت . واخيراً في ٢٠ أيار ولا سيما في ٢١ أيار قارنت « الأومانية » بين الاضرابيات التسلسلة وتوعدت بمدة طرائق الكفاح والقتال . وفي اليوم نفسه تطاهر ٦٠٠٠٠٠٠ نسمة امام « جدار وجبال الكومونة » بدعوة من لجنة الدفاع الاشتراكي - الشيوعي والاتحاد العام للثقل . المن فقد كان العمال يتعدون قوتهم الجديدة وطرائق النضال الجديدة في آن واحد . والحال انه بدأ من ٢٦ أيار امتدت حركة الاضراب الى منطقة باريس كلها وبدأ من ٦ حزيران الى فرنسا كلها . ويعدر الإعلام ينتج من خلال هذه التساويخ ، فصحت الصحافة شبه التام أخيراً انتشار الحركة التي حشر يوماً . وما ان ذكرت الصحف الاضرابيات الثلاثة الأولى ، حتى عمد الحركة .

تكون قادرة على ترفع وردة الفعل النهائية : هل الحركة التي تفرج واورها قابلة للاستمرار ؟ هل ينبغي دعمها بالطاقات القابلية كافة، ودفع العامل إلى الانحراف فيها حتى النهاية ؟ أم لها لا تعدو ان تكون أكثر من تارقش تاضي المصلحة بتحركها لتظهر ؟ وكيف السبيل الى التماثل في الموضوع إن لم تجميع المعلومات وتسير الأعوار وتنتشر الاحصائيات ؟ إن الجماهير لا تكف عن إعطائه الشارات : وعلى المناضل تقع مهمة تأويلها . لقد ولى زمن التفرغ بعرفة لجامعة يزعم انها تولد من قاعل الجدور والقرارات التي تتخذ استناداً الى حدس خلاق مزعوم : فالجماهير التي هي موضوع بطيئتها تصبح موضوع المناضل الخاص<sup>(١)</sup> وهناك تكتيك للجماهير كما ان هناك للعلاحة . والنص التالي الذي نشرته القوة العمالية له دلالة الميزا في هذا الصدد :

... في رأينا : لا مجال للعبارة في ان حركات إضراب ١٩١٧ لتقتد إلى الصدمات الحياتية المادية للجمهرة الضعيفي من الأجراء الصغار والمتوسطين ... إن عربة تلف على منحدر لا تحتاج الى مسرع حتى تطلع . انما يكفني ان يرخي بها العنان وترفع من امامها العرائيل . امسا المميزات الخاصة بهذه الحركة - لأن كل حركة إضراب لها ميزاتها الخاصة - فإنها لكرداً ولا شك بما علمنا اياه فثبو العلوم الثورية من أن اصل الغنية الثورية يمكن في حصدت ظاهرة ناشئة عن تفاعل متسلسل يتم بها وينتشر التحلل المادي<sup>(٢)</sup> .

إن الظامع النيكاينكي الصريح هذه الصور يتناقض تناقضاً صارخاً والانشاء العضوي ، تحية ما قبل الحرب الأولى . له القوة العمالية ، تعترف صراحة بدور الدعاية السارية والصفة مما فوق القابلية لأسباب الحركة . لكن أولئك

١ - نشره الذي لا يعني بالطبع اصدار حكم مسبق على العلاقات الشخصية التي يمكن أن

تكون المتماثل مع العمال .

٢ - عدد ١٢ حزيران ١٩١٧ . وكانت القوة العمالية ، ما يزال مندوجة بالانحداء العام الشغل ، وكان موقف جومو متلبساً ، فهو لم يكن يريد لا ان يوسع الاضرابات ولا ان يدين الضرب .

التقليبين المذمورين ( انهم ميتركون عما قريب الاتحاد العام الشغل ) بقوت  
صرامة بمعزم : فمن الممكن معرفة حركة وجهها ، لكن اذا انقطع العنان أو  
تحرب السد ، فإن العربة ستندرج حتى اسفل المنحدر أو ستتدفق المياه على  
السهول الواسطة . ونحن نجد في تلك السطور صدى للربيع الذي كان يشعر به  
بلاوم والتقليبون القدامى تجاه الجماهير : فانشقاق و القوة المعالية ، تم على أساس  
مبدأ « ليتج تجده من يستطيع » .

التمركز ، البيروقراطية ، التنكيت : إن طبيعة « النيو - بوليئاريا » هي  
التي تفرض هذه السمات على التقاية الجديدة . وهي التي ستبدل أيضاً التنكيت  
التقائي بأدائها عليه ثلاثة ميزات جديدة : تقوية التحريض الاجتاهي ، تشجيع  
توسع الاضرابات في كل مرة يمكن فيها ذلك ، العمل على جعل النزاعات  
نزاعات جذرية .

### التحريض الدائم

إن الجماهير متعطلة أو متقدمة دوماً على رؤسائها . لكن لتحذر من  
الاستنتاج بأنها غبية أو بأن البيروقراطيين أنذاك : وإلا سقطنا من جديد في  
الذهب البيسكولوجي . والواقع ان هذا التباين ليس إلا الانعكاس الوضحي لبعده  
الكلاني الذي يفسل المناضل عن موضوعه ، وهو يتعسر بالطابع التضميني  
لتنكيت الجماهير . إن مناضل القاعدة يفت تجاه رفاق يدعوهم الى العمل : انه  
يكلمهم وهم يصغون اليه ، لكن من النادر ان يتكلم الكلام معهم . ولقد عبر  
أحد التقليين ، هي ثوريل ، عن موقفه بهذه الألفاظ : « تجولوا في المصانع ،  
اقنعوا الى الورشات ، تزلوا في الكاتب ، اعضوا الاجتهادات ذات المسددة  
الكبير أو الصغير . أصفوا الى صوت المناضلين وراقبوا الجمهور : وسوف  
تدعون إذ تلاحظون انه ذمراً ما يكون هناك حوار بين المناضلين والجمهور .  
لما هناك مولودج من قبل المناضلين وسلبية كبيرة من قبل الجمهور . وغالباً ما  
يجتأ ألا ينجح المناضلون في كسر شوكة هذه السلبية . فالجمهور يسمع لكنه لا

يقول شيئاً . وإذا ما توجهتم بالسؤال مباشرة إلى أحد أفراد الجمهور ، لما حصلتم في غالب الأحيان على أي رد فعل يمكن أن يتبر السبيل أمامكم<sup>١١</sup> .

وهذا لن يدهشنا : فبؤلاء الرجال متحدون في وحدتهم . فإذا ما فصل بينهم التمسب والجموع ، فأهم سيجرد على الكلام باسم الجميع ؟ وأجسم سيجرد أيضاً على الكلام باسمه الشخصي م الذي يقرب بينهم الوعي المشترك لغزائهم ؟ إن المناضل يظل قريباً عنهم ؛ فهو لا يعكس لهم بعد قوتهم ووحدتهم . ومع ذلك انقلع عليه مهمة التكوين باستعداداتهم ، ويضول خطاياته عليهم ، وبامكانيات الموقف الموضوعية . وإذا ما قبلنا بصحة تشخيصه ، فأننا لا نستطيع بالتقابل إلا الاقرار بأن نقل الأوامر يشوه الرسائل المتوترة ؛ فالاتحادات النقابية تنقل المعلومات بطريقة التسلل ، وأندراً ما تكونت على « قاسم مياطرة » بالأحداث ، وحين تجمع القيادة أخيراً جميع المعلومات المتوفرة لديها لا يكون التركيب الذي تقوم به إلا إعادة بناء لا يمكن لاحال صحته ، في أحسن الأحوال ، أن يتجاوز احوال صعبة قرضية عملية قبل التحقق التجريبي منها . وسيكون هناك بالطبع امتحان مضاد ؛ لكن لما كان العمل يقوم عنساً مقام التجربة فان الخطأ يكلف غالباً ويمكن أن يؤدي إلى كارثة ؛ ومن حسن الحظ انه ليس من الضروري ، في حالات كثيرة ، انتظار نتيجة الصراع لإفراك ان النضال انطلق من بدايات غير سليمة . وهكذا يفسح الأمر سريعاً بأمر مضاد . لكن على وجه التحديد لأن الجمهور هو شعبي التاشلين ، فان الجهاز يمزق بأن يعزل نفسه اذا ما طالب قوى الجماهير بما لا يستطيع ان تقدمه على التور . كما ان القادة يمازفون ، اذا ما ارادوا تصحيح خطئهم ، بأن يحمسوا انفسهم يسبرون خلف اللودين . يقيناً ، إن التجربة وسداد البصيرة والصفات الشخصية تندخل على جميع المستويات ؛ لكن « الاستبدادية » و « الذيلية » تظلان أخطر خطرين يراجهان العمل الثنائي . فذلك ان الوظيفين يوجهون الحركات بتقريبات متشابحة ؛ ضربة إلى اليسار ، وضربة إلى اليمين . ولهذا فان مهمة

١ - نشر في مجلة « اسبري » - نون - آب ١٩٥١ - ص ١٢٠ .

التفاضلين الأساسية هي ان « يظلوا على لاس» مع الجماهير » . وهذه الكلمات ما كان لها معنى كبير في زمن نقابية التخبية . فهل نقول ان الحال ما تزال على ما هي عليه اليوم أيضاً ؟ ذلك ان خاصية التثنت الجزئي هي جعل الناس مستحيلاً . فالمرء يمكن ان يحثك بجماعة ما بواسطة مثليها ، لكنه لا يستطيع ان يحثك بجموعة من الجزئيات المتفرقة . واذا أراد التاضل ، ان يحثك ، بالجماهير ، فعليه أولاً ان يعطيها ظاهراً من تنظيم . فهي حلقة مفرغة اذن ؟ كلاه ذلك ان مهمته هي ان يؤثر عليها باستمرار عن طريق نوع من إقارة جماعية حتى يبقى عليها في حالة تصلب وعدم تبع . ولما كان العمل وحده يستطيع ان يخضها ان ان تضع ، فعلى التاضل ان يضعف الشعارات حتى يهيء الجو لبداءات عمل : فحتى لو ظلت هذه البداءات متبورة ، فانها ستقرب بين الأفراد وتخلق تيارات انفعالية وتسمح بامتتحان الكفاحية العالية ومراقبتها . وسوف يتخذ منها أرب العمل والتخبية المهنية المختصة ذريعة لتبويض البيروقراطية على تفضيلها الفوضى على المصالح العالية الحقيقية : فالتقايي والصالح ، في وأهم لا يعمل إلا في الوقت المناسب ، ويعمل بسرعة ودقة حتى يحصل على نتائج محدودة ، وينتهي التاضل عندما يتم التوصل الى هذه النتائج . لكن هذا التاضل التام والمحدد ، الذي يبدأ وينتهي في النظام ، ليس ممكناً إلا بالنسبة الى التقابلات التخبوية التي هي كلها نشاط واجهادية . بيد ان عطالة الجماهير تعتم على العكس ان تأتيا الحركة من الخارج . اذن فهي تحمل معها معادفا ، التحريض ، الذي يهدف عن طريق تخض دائم الى تغذية بداية حياة جماعية حيثما يهد الموت بحظ رحاله . ولولا التحريض ، لكانت الحركات الشعبية الكبرى أكثر زهداً ، وتأخرت طويلاً قبل ان تولد ، ولأمكن القضاء عليها بسهولة أكبر .

### التوسع

إن العامل نصف المهتم ، قابل للاستبدال بغيره ، ، والاحتكاك حل مهمل المزاحة : ولهذا السبب المزوج ما عاد في وضع الاضراب ان ينتجع على مستوى

المشروع وحده . فلا بد ان يتنه الى فرع صناعي بكامله او الى الأمة بكاملها . ومن هنا ، فإن العامل لم يعد هو الذي يتقرر على مستوى المشروع الخاص . أو انه بالأحرى ما زال يقرر لكن تحت الضغط : كان قبل الحرب العالمية الأولى يفتح الموقف المحلي ، ويوازن الأخطار واحتمالات النجاح ، وينخرط في العمل دفاعاً عن مصالح محلية . أما اليوم فيطلب منه أن يتقدم بحركة تتجاوزها ولا يدرك معناها إلا إحصافاً أولياً غامضاً . والمناضل يقوم بدوره الوسيط بين الجموع والأجزاء . والجهاز قد توسد بالحركة التي تتوحق قباشرها : وعلى هذا فإن الموظف المحسبي يتكلم باسم الجميع . وكل مستمع من مستمعيه معزول في قلب الجمهور ، إلا ان المناضل يفهم هؤلاء المستمعين ان البروليتاريا تعيد لتكوين نفسها في كل مكان : فعليهم ان تقع مهمة المشروع للتدريب العام والآلات من العزلة . انهم يشعرون ، حتى قبل ان يكتمل الاندماج ، بالقوة القسرية الجماعية بدائية في سبيلها الى التكون من جديد . وهذا أمر لا يتم بدون أن تتشوه الديموقراطية النقابية تشوهاً عميقاً . وما ان تجل الذات الجماعية<sup>11</sup> ، حتى يتم تعريفها من الضغط الذي قاربه على أعضائها . فالقرارات تتخذ في جو من الحماسة والانفعال . وبالطبع لا بد من التشاور والتفاهي ، والجاهل يرى أن عليها ان تقر بجمرية السلوك الذي ينبغي أن تسلكه . لكنها تعرف ان فاعلية عملها ستكون متناسبة

١ - قصد الذات الجماعية ذات الميزة وليس ما استأمر أي « وهي جماعي » . ان الذات هي الجماعة التي جمع بينها الوقت ، « وحده بينها عملها بالذات » . وأوجدت لها تنظيمها الخاص . والقيود الموضوعية الدائمة وانفس العمل للزمن في البداية تم التنظيم . وتنظيمها القاعة التي اختارهم لنفسها ان الذين اكتشفهم . ووجدت في تنظيم وعملها الذاتي . وما هي « دة ملحة الزرع » . يشير بنا فيه الكتابة ان الوحدة المبنية للجماعة إقطاعية . أي انها بالضرورة عارضية عنها . فالبيادة البيهة المفضلة تتجمع وتتكشف في نفس الزرع الذي يستلها فيها بعد الكفل عضو من أعضاء الجماعة ، ويعد كل واحد منهم نفسه قسماً على السيادة الكلية لواء الآخرين والقوة . وذلك بقدر ما يطبع . وإذا كان هناك زرع ، فإن كل فرد يتكون وبعياً باسم الزرع . وعلى هذا فإن « الزرع الجماعي » هو بالضرورة متحد : انه بالشيء ان كل فرد ليس الجسماني الذي يلتصق في الزرع الفردي للآخرين .

مع قوة اندماج الجماعة . ان كل فرد يستطيع ان يبدي رأيه ، حتى تتم الموافقة  
على القرار ما فلا يكفي ان يكون عليها ، فطالما ان خطر الانحياز يظل قائماً  
باستمرار في قلب الوحدة ، فلا بد أن تتسأل الصيغة المقترحة موافقة الجميع .  
وإذا ما أشفق رأي من الآراء في تعزيز الوحدة الجماعية ، فدعاهم واختلف من  
غير ان يخلف أترأ ، ويلساء حتى أولئك الذين عبروا عنه في البدء . يقال انه  
هكذا هي الحال أيضاً في المجالس القيادية طالما ان الأقلية تطأطئه الرأس أمام  
قرارات الغالبية . لكن هذا غير صحيح مطلقاً : فهي تطأطئه الرأس لضعفها  
تظل قافة يجانب الغالبية وكأنها تجربتها الدافة ، وتحتفظ بأدعائها في ان تصيح  
قات يوم غالبية بدورها . أما على مستوى الجماهير فإن الغالبية تثمهم الأقلية .  
أو ان هناك أخرى أقليات متحركة لا تكاد تظهر الى الوجود حتى تختفي بعد  
أن تتكون قد أدلت برأيا . وتم إعادة توطيد الوحدة باستمرار عن طريق  
تصفية المعارضين : وإذا ما قاموا حوربوا حتى بالنسف : فاللشق في نظر الجماعة  
جرم يؤثر عاطفته الخاصة على الرأي المجمع عليه ، خائن يرفض الاعتراف بخطئه  
ويقبل بالمجازفة بتمزيق وحدة الصف العالي . ولقد عرفت حكومتنا كيف  
تستغل الموقف : فقد فرضت ممارسة الاستفتاء ومنعت حق التصويت لتسيير  
النظمين في التبادات . ولقد زعمت ان قصدها ، بالطبع ، حماية حقوق الانسان .  
أما في الواقع فقد كانت تريد ان تفكك الروابط الجماعية . وهذا الفش يظهر  
لعبان القوة التي تفصل الديمقراطية البورجوازية عن ديموقراطية الجماهير .  
صحيح ان التصويت يرفع الأيدي يعني الاستسلام مقدماً للضغط الجماعي ، لكن  
الانتخاب بالورقة السرية يلقي بالجماهير من جديد في لجة نشأتها الأولى . فلا يعبر  
كل فرد ، وقد وجد نفسه وحيداً من جديد ، إلا عما ينسخر به بقوله ، نظراً  
الى أنه لا يعرف كيف سينكر لو كان جزءاً من جماعة . لقد كانت لتوه ، في  
الاجتماع أو في الورشة ، يري فكره يتكون ، وكانت يستمع إليه ، يتعلمه من  
شواه رفاقه . أما الآن فإن رأيه ، هذا ان كان له رأي ، إنما هو جهله برأي  
الآخرين . ان وزراةنا ، بزعمهم انهم أقتنوا الشخص ، سطوا مكاتبه من جديدة

الى مستوى الفرد . فذلك الاستفتاءات تشجع على العطاء : فعين يتخذه قرار  
التشال بصورة جماعية ومشاركة بسود جو من الحرارة وتحمي الحماسة بالمعنى .  
لكن الشك يولد من جديد في العرفة السرية : فكل فرد يخشى تحالف الآخرين ،  
وبعود كما كان أبداً كان . وهذا مثال بين ألف : ففي تشرين الثاني ١٩٦٢ ، قرر  
عمال مؤسسات صنوبر الاضراب مع احتلال المصانع . وتدخّل البوليس  
وأجلام عنها . ثم نظمت السلطات العامة استفتاء مرهمة العمال على التصويت على  
فشل نصفي . وأسرع الأتحاد العام للشغل يومهم بالاستتشاف . وجرى  
الاستفتاء : فاستكشف ٣٤٢١ من أصل ١٠٠.٠٠٠ ، وكان المستكشفون من ذوي  
الشكينة الذين يرفضون الاسلام . كما انهم كانوا بالطبع أكثر العمال عداء لذلك  
الشكل من الاستشارة الشعبية . أما بين الذين توجّهوا الى صندوق الاقتراع ،  
فقد صوت ١٠٣١ على متابعة الاضراب : إذن فقد كانوا متفادين مع الأوتل على  
الأهداف والتكتيك ، لكنهم لم يتقبلوا بتطلبات الأتحاد العام للشغل لأنهم كانوا  
يريدون أن يتصرفوا بحرية بحق التصويت حتى ولو كانت الحكومة هي التي  
تضمنتهم لهم .<sup>١</sup> وبذلك يتكون مجموع الذين أيدوا الاضراب ٥٠٣١ . أما الذين  
أيدوا استئناف العمل فقد كان عددهم ١٩٦٨ . والحال ان الاضراب قد بدأ  
بدون تصويت مسبق . لكن من الواضح أن ما كان أحد ليجرؤ على تقريره مع  
مثل هذه الغالبية الضئيلة . وبعبارة أخرى ، لقد تضمنت دور الصلابة البالغ  
عددهم ٥٠٠٠ من جر الآخرين . وقد انضم المترددون الى الجبهة خوف الانعزال ،  
بينما ازيم المعارضون الصمت وراجعوا عن المقاومة لأنهم عرفوا انها لن تجدي .  
إنها كما ترى نصيحتان متباينتان . ولأرتياب العمل ملء الحيرة في أن يزعموا بأن  
الثاني هو وحده الصحيح : والحق أنها كليهما صحيحتان ، لكنها بعكسما حالتين  
متعلقين من حالات الجبهة . فصحیح أن إجلاء العمال عن المصانع وتجه خسرنة

١ - يمكننا الاقتراض - لكن التفاصيل غير متوفرة وللمائة مائة شخص لا أكثر - ان  
عزلاء كانوا من العمال المختصين ، انهم من ذوي الصلابة وفي الوقت نفسه يريدون التصويت الذي  
يسري الحقوق القومية .



فأوحى إلى أنصار الأضراب ، لكنه كان سيستمز لولا الاستفتاء ، ولكن المترددون يملتون عن تأييدهم له لأنهم لا يعرفون من وحيمة لإبقائه . لصفت التصويت أجمع تردد والتارين ، وأعاد إلى المعارضين شجاعتهم . وعلى هذا فإن الأضراب يبعثر عن التماسح الجماهيرية المفاجيء ، بينما يؤدي التصويت إلى إفسادها الجزئي . ووحدة الكفاح هي تكوين بدائي يرمخ جنوده في جو من الحفاصة ويقف على قدميه في غالب الأحيان بفضل الإكراه . والموظفون التساهيون مستحيون بتقدير ما أن الجماعة اختارتهم ليأروا باسمها الدكتاتورية على كل عضو من أعضائها .

### الجفرية

إن الجماهير لا تفوض أبداً : فهي لا تصوت إلا على برامج ، أنها تشير إلى الهدف الواجب بلوغه ، وعلى المناضل أن يجد أقصر الطرق إليه . ومطالبها بسيطة للغاية حتى أن تحفيها يبدو للوهلة الأولى يتناول اليد : خبز ، مسكن ، إبطال مقول قانون قدر ، إنهاء حرب . أما في الواقع فإن أبسط رغباتها تكون مفصولة عن موضوعها بالتمام أجمع ، ولا يمكن أن تلبى إلا بعمل طويل النفس . خبز ، مسكن ؟ لقد رأينا أنه لا يد لهذا من زيادة الإنتاج ، وبالتالي التخلي نهائياً عن الطرائق المائتوية ، الأمر الذي يستلزم ، على الأقل ، أن تتشكل غالبية أخرى وإن تفرغ حكومة جديدة لرادتها على كبح أرواب العمل . والمزم والعنوي الزعة ، يدفع بالنفوس الصالحة إلى الاعتقاد بأن المطلب الشعبي سياسة مضغوطة : فيكتفي بسطة حتى نجد فيه وسيلة لتبيته . لكن هذا غير صحيح : فالمحااجة ليست إلا لفتناً ، وهي تستطيع أن تؤسس مذهباً انسانياً لكن ليس استراتيجياً . والجماهير يطالبونها بالخير رغم تمسكها على التضال ضد المائتوية ، لصفت مطالبها لا تشمل في حد ذاتها على اذانة الطرائق المائتوية<sup>(١)</sup> . وهكذا

١ - أو إذا شئت : إن تلبية هذه المطلب لا تسجم موضوعياً وتتمسك بالتمسك الخطأ . لكن من الممكن أن تطرح هذه المطلب ذاتياً من دون أن تكون لعمال أي معرفة بالمائتوية .

بأخذ التنازل على عاتقه النزاع الدائم الذي يعارض بين الحركة الثورية التي ليس لها مأوى من حدود ، وبين الانفداع الثوري الذي يطرح الغايات دفعة واحدة ليطلب بتحقيقها فوراً . وما دامت الجماهير لا تستطيع ان تتحرك بدون ان تزعم المجتمع ، فهي ثورية بفعل موقفها الموضوعي : وعلى المسؤولين ، كما يتقدموا قضيتها ، أن يرحموا سياسة ثورية ، لكنهم من هنا بالذات يعارضونها بصورة مزدوجة : فالهدف الواضح والحدد الذي يأخذون على عاتقهم يلوغ في لحظة معينة من التاريخ بعيد جداً وخاص جداً في آن واحد بالنسبة الى قواتهم ، خاص جداً : فيقدر ما أن الغاية التي تطرح على الجماهير لا تعدو أن تكون أكثر من وسيلة لإيمرك ، وسيلة أخرى ، فإن الجماهير لا تتعرف فيها دوماً الغايات الطفلة التي ارتضت بأن تقابل ولوث من أجلها . ويعيد جداً : فيقدر ما أن هذه الغاية لا تعدو أن تكون أكثر من نتيجة تكنيكية ، فإنا نشهد عن التلبية المباشرة التي تطالب بها الجماهير . ذلك إنه لا فرق بالنسبة الى الجماهير بين المطالبة بالحزب وبين المطالبة بتوطيد نظام السان : لكنها لمن تستنتج من ذلك من تلاءم نفسها أن عليها أن تكون مع أو ضد السلم المتحرك . ويكلمة واحدة : إن ماهية الجماهير بالذات الحرم عليها التفكير والعمل سياسياً . وما من ريب في أن سياسة الجهاز هي تعبير عملي وزمني عن مطالبها . ولما كانت الجماهير قتل عين القوى التي تستطيع تحقيق التسروع الثوري ، فيبتال عنها انها وسائق هذه السياسة بقدر ما أنها غايتها . لكن لما كانت الاستراتيجية لظل من حيث المبدأ غريبة عنها ، فإننا لا نستطيع أن نقول ان الجماهير تصنع هذه السياسة بكل ما في الكلمة من معنى ، بل هي بالأحرى أدوات لها . وبالطبع يرفض القاعدة إصدار الأوامر الى قواتهم وتوجيه حركتها . انعام دوماً يحثون ويحرفون ، ودوماً يفسرون ويسعون الى الانتعاج . لكن الصعوبة لا تأتي من الرؤساء ولا من صلاتهم بالجنود : انما تكثف فقط عن التناقض الحسب الذي يعارضه المرجأ بالمباشر ، والديهمة بالاحطة ، والتسروع بالحاجة ، والنشاط بالهوى . ونظراً الى اقتناع القاعدة بأنه من المستحيل كل الاستعانة بعبئة الجماهير في سبيل غايات بعيدة وبمجردة ، فانهم

يلجأون دوماً إلى ما يسمى به « الهدف المزموج » ، وهذا يعني أنهم يدعمون  
 الهدف الأعم والأبعد بهدف مباشر وعيني ، وأنهم بالمقابل لا يهتمون البتة أن  
 يظهر أو يخلق الهدف القريب ، وجود هدف بعيد يشكل إن صح القول معناه  
 السياسي . وعلى هذا فإنهم يشرحون للأجراء أن وقع الأجراء مرتبط بوقف  
 الحرب في فينتام وبتزع السلاح العام . وهذا الجوع إلى « الهدف المزموج » الذي  
 طالما تعرض إلى الاحتقار والافتراء ليس ، بمعنى من المعاني ، سوى طريقة معينة  
 في تفسير التاريخ ، فمن طريقه يكشف الغداة للجماهير النتائج البعيدة لعملها  
 المطلوب ، ويعطونها مساهمة الشروط العامة التي يمكن أن تلبي فيها مطالبها  
 الخاصة . ولا مجال للشك بالفعل في أن على البروليتاريا ، في الطرف الراهن ، أن  
 ترفض تزج السلاح إذا أرادت أن ترفع مستوى حياتها ، وأنهما بالمقابل تعرفان  
 بوميماً ، الجهود الطربي ، بقدر ما تدافع عن أجرها ضد أرباب العمل . لكن  
 الطابع المتناثر للعمل الشعبي ، وتفاوتاته ، وتقلبه ، وتصلباته المفاجئة واتجاهاته  
 اللامتوقعة تكون تلجئها تسليط الضوء على « تسييس » التقايبية . فالاضراب  
 الرابع يبدو كواقعة كلية ، لا يمكن عزل معناها السياسي عنها . والاضراب  
 الخامس هو عكس ذلك : هل استأنف الشفوية العمل لأن الصندوق التقني كان  
 فارغاً ؟ هذا شيء لا اعتبار له : إنما يبدو وكأنهم أنكروا رؤسائهم . وهم  
 يكونون قد تبرأوا القهم إلا من « تسييس » الاضراب ؟ ويظل الجهاز بالتسالي  
 معلقاً في الهواء ، مجرداً ، ويزيد وبعده عن الجماهير ، نأياً . ويأخذ في نظر  
 الجميع مظهر بيروقراطية سياسية . فقد كان الرؤساء يقولون للجماهير : لا تنسوا  
 وأنتم تناضلون من أجل اجوركم لكن تناضلون أيضاً ضد الحرب . ونظراً إلى أن  
 الجوع فهد الجماهير فهي تتخلل مؤقتاً عن النضال : فيستنتج البعض انها لا تأبه  
 بتزع السلاح .

\*\*\*

مع تسردم البروليتاريا بتجاوب انفجار السيادة الشعبية وتبدعها . فالسيادة  
 تتوهم في نظر النخبة المختصة على الاستحقاق ، أي على الكفاءة والطاقة والثقافة :

والعامل غير المختص أو المياوم لا يكون من جهته ، فإسيادة ، إلا بقدر مساهمته  
يكون مؤطراً ومستوراً ومراقباً . أما بالنسبة إلى العامل نصف المختص فالسيادة  
تقتضي مباشرة من الجماهير ومنها وحدها . وهذه السيادة لا تتميز عن الحركة التي  
تتجمع بها الجماهير على شكل جسد تحت ضغط الظروف الخارجية . وعلى هذا  
فإن الطبقة العاملة مزودة بصراع السلطات .

اذن فالتعدد التقني معقول أكثر منه علة: بحيث أنه يساهم في تنمية الانقسامات  
العالية لكنه في البداية يمكنها فحسب . قبل ١٩٣٦ كان الاتحاد العام للشغل  
برئاسة جوهو يضم بصورة أساسية عمالاً مختصين وموظفين أو شفيطة من قطاع  
الخدمات المسماة ومستخدمين صفراً . وعلى الأجل ، تجبة ، القطاع الثاني  
وبعض عناصر من القطاع الثالث . وبعد اندماج ١٩٣٦ الذي تم في جو من الحمى  
وتحت ضغط الأحداث ، تلك التعلق هؤلاء المناضلين : كانوا يشكون في الماضي  
من الاستمرار ، وعندما لاحت نذر الحرب أسرعوا يستعيدون حريتهم . وبعد  
التحرير تضخمت قوى الاتحاد العام للشغل من جديد ، ولم يبق في مواجهته  
سوى ، الاتحاد الفرنسي للعمال المسيحيين ، . وطرحته مسألة الوحدة العضوية  
على بساط البحث . لكن على الفور تقريباً بدأ المناضلون القدامى في الاتحاد العام  
للشغل التابع لجوهو يشكون من أنهم ما عادوا يشرفون ، المحادم ، وقد  
كتب بولور عام ١٩٤٣ : « انهم الكالأجانب في بيئهم بالذات ، . ان هذه الجملة  
حقبة الدلالة : فالاتحاد العام للشغل كانت له عام ١٩٤٥ ، وبالرغم من اسمه  
الموفق ، جميع السمات التي تميز تنظيمه جديداً ما يزال يبحث عن طريقه . لكن  
والتيبة ، العالية ظلت مصرة على اختياره مؤسسة قديمة جداً تخصصاً مباشرة :  
فكانت تستقبل فيه القادمين الجدد كالو انها تستقبلهم في بيئتها وتشكو من سوء  
زوية مدعويها . وبالطبع لم يفكر هؤلاء المناضلون في تخرجهم وفاتهم العاملين في  
الصناعة الكبيرة الفنية : انما وجهوا اتهاماتهم إلى القادة الشيوعيين زاعمين ان  
الوحدة التقابية كانت مستوفى من اللقاء نفسها لولاهم . لكن المآخذ التي يوجهونها  
إلى الحزب الشيوعي تصيب أولاً الجماهير . فهم يقولون : ان الشيوعيين يفضلون

الشعبية غير المنظمين على المناهضين الجريين : فأولئك أكثر قابلية لتحريك  
 والتسيير من هؤلاء . لكن أليس هذا معناه أنهم ينحدون عليهم باللائحة لأنهم  
 يشنون الجماهير لا النخبة ؟ يقال ان القادة الجدد يلجأون الى العنف بسهولة أكبر  
 مما ينبغي ، وانهم يقومون في المصانع بتحريض لا هدف له بضر بمصالح البروليتاريا ،  
 ويدلون في المفاوضات على تعصب يهدد بإحباط خططهم ، اتنا لنفهم ان يستنكر  
 المناهضون الجريون هذه الحمجية . لكن العنف ، كما بينت آنفاً ، يولد من الموقف  
 بالذات ، وليس التحريض سوى نضال دائم ضد العمل المتواصل القوي التكتيبي .  
 اما التعصب فه سببان رئيسيان : فهو يرجع أولاً الى ان شرط المعامل نصف  
 المختص لا يطاق ، وثانياً الى ان هذا المعامل لا يملك امكانية المفارقة . وطالما ان  
 ملجأ الوحيد هو العنف فإننا في جو العنف يفرض مطالبه : فهو يحتل المصنع ،  
 وقد تعمل قوات الأمن على إجلائه منه ، وستطلق النار إذا ما قاوم . والوقت  
 غير مناسب للعامل الوسيط والتسويات : انه بحاجة الى الكثير من الشجاعة  
 والغضب لمواجهة الأخطار . والجماهير بالتالي على حق ان تعتبر رب العمل عدواً ،  
 والتنازلات والتوفيقات خيالات : فهي تطالب بكل شيء طالما انها صادقة .  
 واذا ما خانتها قواعدها انهارت . القادة الشيوعيون خلقوا الديمقراطية الثقافية ؟  
 لكن أي ديمقراطية ؟ فالديمقراطية الوحيدة التي جرت ممارستها كانت  
 اوستراوية . ولقد نسبت « النخبة » ان الديمقراطية يمكن ان تكون استبدادية  
 افا كانت الجماهير نفسها مصدر الاستبداد . ان « الدكتاتورية » الثقافية -  
 افا كانت هناك دكتاتورية - تمارس على الأقطاب باسم الفصالية لكن من القو  
 الباطل الاعتقاد بأنه يمكن ان تمارس على الغالبية نفسها : فالجماهير لا يمكن لا  
 ان 'تعبأ ولا ان تحرك' ، وهي لا تقرر العمل إلا عندما تتحول الى جماعة فاعلة  
 بتأثير الظروف الخارجية . الثقلات « الشيوعية » قد نسبت ؟ هذا لأن وجود  
 الجماهير كجواهر يتناقض والتنظيم الاقتصادي والاجتماعي الذي ينتجها . ولا  
 يخطن أحد في فهمي : فأنا لا أزعم ان البنية الراعية الحزب الشيوعي واهدافه  
 وطرائقه محددة كلياً بالمطالب الموضوعية المعامل نصف المختص وحدها ، بلهدا

الحزب تاريخه ودالكتيكه الخاص ، وهو مشروط بالكون اجمع . لكنني أقول ان هذه الاتهامات تستهدف الجماهير بالدرجة الأولى : ومناضل النقبة يدن هذه الجماهير بإدانتها الوسطاء ، وهو يخشاعا وتسخره : فمن الممكن في القد ان ينحط الى مرتبة العامل نصف المختص نتيجة تحول المهام إلى مهام آلية .

ويتم بثغو الجماهير بدورهم ، القوة العمالية ، و ، الاتحاد الفرنسي للعامل المسيحيين ، بأنها بعلان في السياسة ، غلبة وبشكل مراد ، ، واتهامهم هذا له أساسه من الصحة . فحين يكون كل شيء مرتبطاً ، المسالوتوية والبؤس ، ارتفاع الأسعار ، إعادة التسليح والمرشحة ، فإن رفض سياسة الحزب الشيوعي اتقا يعني تنفيذ سياسة الحكومة . وعلى كل فإن ، القوة العمالية ، تعتمد على الحزب الاشتراكي ، و ، الاتحاد الفرنسي للعامل المسيحيين ، يعتمد على وزراء ، الحركة الجمهورية الشعبية ، . وحصر المطالب العمالية في النطاق الاقتصادي والمهني اتقا يعني الرغبة في تبديل التعاليل بدون من العلل ، كما يعني بوجه خاص اطلاق يد الغالبية البولتانية وبرك على الحرية لها . انهم يريدون أن يمحضوا على الحد الاعلى في اطار النظام ، ويطالبون بنعم زهيدة ، وحتى يستحقوها يدينون الشيوعية في خطايات ، لا سياسية ، ويستقبلون ، بعينها عن السياسة ، ورسالتهايات الأميركية . لسنن المآخذ التي يوجهها الاتحاد العام للشغل الى القادة تصيب أيضاً منااضل القاعدة : فد ، القوة العمالية ، بعد كل شيء ، لم تسنن تثل حتى عام ١٩١٧ سوى ، النجاة ، ضعيف في قلب الاتحاد العام للشغل ، ولم يكن لا جوهو ولا ضباطه يريدون ان يكونوا الباعدين ان أعطج الوحيدة ، ومنااضل الأقاليم هم الذين فرضوا القطيعة بتهديدهم بعدم تجديد بطاقتهم التقايبية . وفي مؤلف «اصدقاء القوة العمالية ، ، الذي دعى للانتطاء على عجلة ، اقترح القيادة تسوية : مطالبة الأكتروسية بتطبيق الديمقراطية داخل الاتحاد العام للشغل . لكن عبناً : فالتاضون لا يريدون أن يعرفوا شيئاً وانضطرت القيادة منكروهة الى السير وراءهم في الانشقاق»<sup>(١)</sup> .

١ - ان اضرائك الصيف الماضي لسبح على العكس بالأصل في حدود كتاب مفروض من

هل سنقول إن الجماهير وقتت جميعها وراء الاتحاد العام للشغل ؟ وإن العمال  
 المختصين هم وحدهم المسجلون في « القوة العاملة » أو في « الاتحاد الفرنسي للعمال  
 المسيحيين » ؟ إن هذا تبسيط للأمور . فكثير من العمال المختصين بقوا في الاتحاد  
 العام للشغل من قبيل الانضباط الطيقي<sup>11</sup> . وانسحب آخرون إلى النقابات  
 المستقلة . لكن إذا صرنا نظراً إلى الأمور بصورة عامة وبوجهة « بطلن تسيبنا  
 صحيحاً : إن الاتحاد العام للشغل يستقطب الميول الثورية للبروليتاريا العامة في  
 الصناعة الكبيرة ، بينما تثل النقابات الأخرى في غالبيتها الاتجاه الإصلاحية لشعبة  
 مختصة تتواصل ضد عدم الاختصاص . وعلى هذا ، فإن التعدد النقابي ، بمعنى ما ،  
 مشروع باعتباره انعكاساً لتمازق عميق . وهو ، من زاوية أخرى ، كارثة على  
 الطبقة العاملة لأن تعدد الأجهزة يزيد من لقائم المنازعات إذ يعطي شغلاً  
 وحدهم لكل الجماء من الاتجاهات ويعزم كل زمرة على تحديد نفسها بمعارضتها  
 لغيرها من الزمر . لكن التمازق له ، على كل الأحوال ، سبب أعمق : فهو أجل  
 ولإية قدمتها ما الثورية أرباب العمل للطبقة العاملة<sup>12</sup> .

( « الأزمعة الحديثة » - العدد ٨١ ، جون  
 ١٩٥٢ - العدد ٨٤ - ٨٥ ، تشرين الأول -  
 تشرين الثاني ١٩٥٢ - العدد ١٠١ ، نيسان  
 ١٩٥٣ ) .

١ - قرو « اتحاد الكتاب » بـ ٥٥٠٠٠٠ صوت ضد ١٥٠٠٠٠٠ حساب ١٩٤٧ البلاد في  
 الاتحاد العام للشغل بالرغم من القيادة الإصلاحية العريضة .  
 ٢ - لقد تم تجاوز هذه الدورية اليوم ( ١٩٦٤ ) . لكن لا بد أن نقول من طويل قبل  
 أن نقول بين البداية التابعة منها العمل عليها بنى جديد وقبل أن نلام النقاب الثاني مع  
 القيادات الجديدة .

## فهرست

صفحة	
٥	صورة المفامر
١٩	علماء مزيفون ام ارناب مزيفة
٥٥	هل نحن في ديوقراطية ؟
٦٣	« نهاية الأمل »
٦٥	الشيوعية والسلام



## هذا الكتاب

«قضايا الماركسية» هو الحلقة الرابعة من سلسلة «مواقف» التي كتبها الفيلسوف الوجودي الأول جان بول سارتر وجمع فيها خلاصة آرائه في الفكر والفلسفة والتمن والحياة .

وفي هذه الحلقة يعرض سارتر لعدد من القضايا الماركسية ويتناول بالتحليل بعض مشكلاتها العامة . ولا سيما قضية «الشيوعيون والسلام» في بحث طويل عسير أثار لدى صدورهِ منذ سنوات مناقشات عنيفة . ولكن القاد أصبحوا على أنه أوفى بحث عن موقف الشيوعية من السلام . وفيه يدلل الكاتب الفرنسي الكبير بمختلف الأدلة على إعلان الشيوعيين لفكرة السلام والسعي الصادق لتطيقه في كلهم .

وبالرغم من أن هذا البحث كتب منذ أكثر من عشر سنوات . فإنه يظلّ جديداً . ولا سيما في هذه الفترة التي يتدخل فيها الاستعمار في عدد من بلاد آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . فيهدد السلام من جديد . ويضع العالم على شفا الحرب .

كتاب هام وخطير .